جامعة أبو القاسم سعد الله (الجزائر 02)

كلية العلوم الإنســانية

قســم التاريخ

المسألة الثقافية في أدبيات الحركة الوطنية الجزائرية (1919-1954)

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث والمعاصر

إعداد الطالبة :

سلوى لهلالي

إشراف الأستاذ الدكتور :

بوعزة بوضرساية

لجنة المناقشة :

الإســـم واللقـــب	الرتبـــة العلمية	الجامعــــــة الأصليـــــة	الصفـــــة
أ.د منصف بكـــــاي	أستاذ التعليم العالي	أبو القاسم سعد الله الجزائر 2	رئيــــــسا
أ. د بوعزة بوضرساية	أستاذ التعليم العالي	أبو القاسم سعد الله الجزائر 2	مشرفا ومقررا
أ. د محمد بلقاســـــم	أستاذ التعليم العالي	أبو القاسم سعد الله الجزائر 2	عضـــــوا
د. محمـــــد ودوع	أستاذ محاضـــر أ	أبو القاسم سعد الله الجزائر 2	عضـــــوا
د. محمـــــد بوطيبي	أستاذ محاضـــر أ	جامعـــــــة المديـــــة	عضـــــوا
د. أحمـــــد عصماني	أستاذ محاضـــر أ	جامعـــــــة البليـــدة 2	عضـــــوا

السنة الجامعية 2017/2016

بسم الله الرحمن الرحيم

عرفان و امتنان

يسرني عند نهاية هذا البحث أن أوجه شكري و تقديري الخالصين

للأستاذ الدكتور: **بوعزة بوضرساية**

الذي أشرف على هذه الأطروحة و لم يبخل علي بتوجيهاته و آرائه المفيدة و تشجيعاته المستمرة و قد لمست فيه صدق و أخلاق الباحثين المخلصين مما دفعني إلى العمل بعزيمة في إنجاز هذا البحث فله مني وافر الشكر و الامتنان.

كما أتوجه بشكري إلى الأستاذ الدكتور : **رحماني بلقاسم**

الذي ساعدني و أفادني بنصائحه فله مني كل العرفان.

كما أشكر **يزيد بونوني** على مساعدته لي في ترجمة أرشيف البحث .

إلى أختي التي اجتهدت في مساعدتي " **حفيظـــة** " فلها جزيل الشكر.

كما لا أنسى عمال دار المهندس " **مراد و سامي** " أين تم الإشراف على إخراج هذا العمل .

و أشكر أيضا **عمال و عاملات** دور الأرشيف التي ترددت عليها و أذكر تحديدا أرشيف ولاية الجزائر وولاية قسنطينة، مكتبة العلوم الإنسانية و الاجتماعية بقسنطينة، المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر 1954، مكتبة آل سعود ومعهد التراث القومي بالمملكة المغربية .

إلى كل من ساعدني أو شجعني لأنجز هذا العمل.

سلــوى لهلالي

الإهــداء

إلى من ضحيا و كافحا لنكون الأحسن: " **أمــي و أبي** "

إلى رموز كرامتنا من **شهداء ومجاهدين** في أرض الجزائر الذين ضحوا بحياتهم لنعيش نحن أحرارا.

إلى درعي في الحياة إبني " **محمد إياد** " أيده الله بالنصر و الحكمة.

إلى كل إخوتي .

إلى أخواتي اللواتي شجعنني على المضي قدما: **نورة**، **سمرة**، **حفيظة** و أبنائهن.

إليهم أهدي هذا العمل.

سلـــوى لهلالي

المختصـــرات

- **C.A.O.M :**

Centre des archives d’outre-mer

- **B.M.P.I.D :**

Bulletin Mensuel de Presse Indigène d’ Algérie /

- **R H M :**

Revue d histoire magribine

- **RV** :

Revue Africaine

المقدمـــــة

تعالج هذه الدراسة موضوعا صعبا في تاريخ الجزائر المعاصر و هو المسألة الثقافية في الحركة الوطنية الجزائرية من خلال أدبياتها في الفترة الممتدة بين (1919_1954) ، والحق أنه موضوع شائك ومتشعب إلى جانب أن أغلب الدراسات التاريخية حول هذه المرحلة غطت الجانب السياسي سواء المتعلق بنشاط الحركة الوطنية أو السياسة الاستعمارية الفرنسية ، في حين بقيت الدراسات حول الجانب الثقافي قليلة جدا لا تغطي سوى ما تعلق بجمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، إضافة إلى أن المشكل الثقافي في الفترة الاستعمارية ظهر نتيجة التشكيك في الآنا وفرض أطروحة الفراغ الثقافي من أجل فرض الثقافة البديلة (الفرنسية) في إطار آثار صدمة الغرب و التي كانت سببا في خلق الوعي بالمشكل الثقافي و تحديدا قضية الهوية ووجودها من عدمها وهو ما حدث في الجزائر ، وكانت المرجعيات الثقافية المختلفة التي ساهمت في بلورة الايديولوجيا الثقافية لكل اتجاه عاملا في توجيه مواقف الاتجاهات الوطنية اتجاه المسالة الثقافية.

لقد برز التكوين الثقافي من خلال أدبيات الاتجاهات الوطنية خاصة تلك المتعلقة بالبرامج والمطالب المطروحة، و التي كانت من أكثر الأدبيات وضوحا حول القضية الثقافية و عكست مواقف اتجاهاتها إلى جانب ما كتب في الصحف من مقالات و ما ألقي من خطابات أو ما كتب في إطار شخصي ، هذا وقد عكس المشكل الثقافي بكل عناصره عمق الشرخ الذي أحدثه الاستعمار الفرنسي في الثقافة الوطنية بمفهوم واسع ، خاصة بالنسبة لأولئك المفرنسين المنتمين إما للاتجاه الإدماجي أو الاتجاه الشيوعي و الذين بقوا ضائعين و لم يجدوا لأنفسهم انتماء ثقافيا ، وبقيت مواقفهم و أفكارهم متذبذبة ومتناقضة في حين استطاع كل من الحركة الإصلاحية و الاتجاه الاستقلالي التمسك بالثوابت الوطنية ورفض إدراج الهوية و الثقافة الجزائرية محل نقاش مع الاستعمار .

أسباب اختيار الموضوع :

تعود دوافع اختيارنا لهذا الموضوع بالذات إلىالأسباب التالية :

* **أولا** : لقد تناولنا في رسالة الماجستير موضوعا حول حركة النواب المسلمين الجزائريين الإدماجيين (1927-1954) ، وقد تطرقنا في فصول الرسالة إلى الحركة الوطنية الجزائرية في شقها السياسي ، ووقفنا على أهم المسائل السياسية المطروحة و في خضم هذه المسائل أثار اهتمامنا تلك المطالب المتعلقة بالجانب الثقافي و أهميتها في عكس الإيديولوجية الثقافية لمختلف الاتجاهات الوطنية و التي كانت من المرجعيات

الأساسية التي تحكمت في إيديولوجية الاتجاهات الوطنية فهي التي كانت توجه نقاط و محاور النضال السياسي لكل اتجاه .

* ثانيا : إن أغلب ما كتب عن الحركة الوطنية الجزائرية كانت في الجانب السياسي في إطار المواجهة مع الاستعمار إلاأن الجانب الثقافي لم ينل نصيبا وافرا من الكتابات إذا ما استثنينا جمعية العلماء ، أما فيما يتعلق بباقي الاتجاهات الأخرى فقد بقيت المساهمات فيها قليلة جدا .

* ثالثا : يعتبر الجانب الثقافي كميدان دراسة في الحركة الوطنية الجزائرية صعبا جدا لأسباب تخص المادة التاريخية أساسا (الأدبيات) لكنه من جانب آخر يعتبر خوضا لتجربة جديدة في ميدان جديد بعيدا عن الروتين فهو يجمع بين الصعوبة و المشقة و المتعة في نفس الوقت ، كما أن الخوض في هذا النوع من الدراسات إثراء معرفي كبير لأي باحث يخوض فيه ، كما أنه يساعد على الفهم العميق لتوجهات الحركة الوطنية ومختلف مواقفها.

كما لا أنسى التشجيع و المساعدة الكبيرة من أستاذي المشرف الدكتور بوعزة بوضرساية الذي وجهني إلى البحث الدقيق عن طريق تبسيط مفاتيح هذا الموضوع الذي كنت ضائعة فيه .

إشكاليةالبحث :

تثير قضية المسألة الثقافية بالنسبة إلى الباحث في تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية تساؤلات عديدة وذلك لأنها لم تتبلور بمنطلق موحد بل اختلفت من اتجاه إلى آخر بسبب التباين في المرجعيات الثقافية والتي تحكمت في التوجيه الفكري وحتى في طبيعة الإنتاج الثقافي ، و لهذا فقد كانت لدى بعض الاتجاهات الوطنية مسألة عرضية و لم تكن ضمن مبادئها بل طرحتها من منطلق الانتماء الاجتماعي و التاريخي في حين ركزت اتجاهات أخرى عليها في أدبياتها من منطلق إنها تمثل الثوابت الوطنية و الدينية لدى الجزائريين ولو بمفهومها البسيط و اعتبروها عملا موازيا للعمل السياسي و مكملا له ، و على ضوء هذا حاولنا ضبط الإشكالية التي تمحورت حول:وضعية المسألة الثقافية في الحركة الوطنية الجزائرية من خلال أدبياتها .

و لتحليل هذه الإشكالية تم طرح مجموعة من التساؤلات من خلال فصول ومباحث الأطروحة:

1- ماهي المرجعيات الثقافية لكل اتجاه من اتجاهات الحركة الوطنية الجزائرية ؟

2- كيف تمظهرت المسألة الثقافية في أدبيات الحركة الوطنية الجزائرية ؟

3- كيف كانت مواقف الاتجاهات الوطنية من أهم المسائل الثقافية ؟

4- كيف تناولت أدبيات الحركة الوطنية قضايا المجتمع الجزائري ؟

5- وما موقفها من قضية الهوية في الجزائر ؟ و كيف كان توظيف الكتابة التاريخية لهذا الغرض ؟

حدود الدراسة :

إن فترة البحث التي سنتناولها بالدراسة تقع بين 1919-1954 و هي المحددة تاريخيا بمرحلة نشاط الحركة الوطنية الجزائرية و هي طويلة نسبيا و صعبة نتيجة الأحداث و التحولات الفكرية و الثقافية والتي حصلت في هذا الإطار الزماني لأنها عرفت ظهور و انتظام الاتجاهات الوطنية من الناحية السياسية أما من الناحية الثقافية فقد كانت بداية الوعي بالمشكل الثقافي في الجزائر ، لكنها من الجانب المنهجي تعتبر أحسن فترة للإلمام بتاريخ الحركة الوطنية ثم تتابع التحولات الفكرية و الثقافية التي جسدتها مختلف الأدبيات ، وقد تزامن هذا الوعي الثقافي و المحاولات الاستعمارية الفرنسية لمواصلة مشروعها الثقافي القاضي بإحداث التماهي و فقدان كلي للشخصية الوطنية و ذلك بأحداث الشك حولها و هو الخطأ الذي وقع فيه البعض في حين استطاعت أطراف أخرى التمسك بالآنيةوالأصالة و الوصول إلى تجاوز الشرط الكولونيالي في 1954.

مناهج البحث :

أما المناهج التي سنطبقها في هذه الأطروحة على مستوى الفصول و المباحث وهي :

أولا : المنهج التاريخي الوصفي : وقد اعتمدناه في وصف و استعراض من الأحداث التاريخية وذلك حسب التسلسل الزمني مع مراعاة كل ماله علاقة بالموضوع الموصوف .

ثانيا : المنهج التحليلي : و قد حاولنا من خلاله دراسة المواقف المختلفة و مناقشتها و استنتاج الأحكام منها .

ثالثا : المنهج المقارن : و ذلك من خلال استقراء ما كتب و قيل عن المسألة الثقافية بين الاتجاهات الوطنية و مقارنتها ببعض البعض .

صعوبات البحث :

إن انجاز أي موضوع أو بحث جديد في مجال التاريخ تكون مادته الخبرية ، التاريخية قليلة و متناثرة بشكل عقبة أمام الباحث لأن صفة الأكاديمية في البحث ليست بالأمر الهين ، فهي تتطلب العمل العلمي الجاد و المنهج و العودة إلى المادة الخبرية المصدرية قدر المستطاع ، وفي بحثنا هذا ونظرا لعنوان الأطروحة فإننا لانخفي صعوبة هذا الموضوع فبقدر ما غطيناه بالدراسة و البحث تبقى موضوعا مفتوحا للدراسة و قد واجهتنا صعوبات علمية تمثلت في :

أولا : عنوان الموضوع في حد ذاته ، و من ذلك فإن موضوع المسألة الثقافية ليس بالموضوع الهين بسبب نقص المساهمات التاريخية و الفكرية حوله خاصة من حيث الدراسات الأكاديمية إضافة إلى نقص مصادر الموضوع في حد ذاته ، حيث كنا ننتقل إلى أرشيف ولاية قسنطينة و العاصمة للحصول على أعداد بعض الجرائد القديمة إلا أننا لم نستطع الحصول عليها بحجة عدم وجودها ولهذا اعتمدنا على بعض الزملاء و الباحثين الذين قدموا لنا وثائق مصدرية هامة ، كما عانينا من صعوبة إيجاد بعض الكتب و التي حاولنا تعويضها بالدراسات الأكاديمية .

ثانيا : صعوبة تحديد وتوجيه الدراسة في هذا الموضوع و ذلك بسبب تشعبه فهو يضم عناصر كثيرة لا يمكن بأي حال الوصول فيه إلى مستوى الكمال في الانجاز العلمي ، إلا أننا حاولنا قدر المستطاع أن نقوم بمساهمة تاريخية في هذا الموضوع خاصة و أن الفترة الزمنية المحددة للدراسة طويلة ، عرفت فيها المسألة الثقافية تحولات في المفهوم و الممارسة لدى كل اتجاه.

ثالثا: هذا العنصر في الحقيقة ليس عائقا أكاديميا لكنه عائق شخصي و ذلك أننا تلقينا ملاحظات على اختيارنا لهذا الموضوع من بعض الأطراف على أساس أنه موضوع صعب ، ومادته العلمية واسعة يصعب التحكم فيها ، لكننا اعتمدنا على الله وواصلنا العمل و البحث .

الدراسات السابقة :

لقد قمنا بمجموعة من الاطلاعات حول ما كتب عن المسألة الثقافية في أدبيات الحركة الوطنية ، وقد عثرنا على بعض الأطروحات التي لها علاقة بالموضوع و إن كانت قليلة ، وقد ارتأينا الاعتماد على عينة من الدراسات السابقة في هذا الموضوع لأسباب تخص عناصر الأطروحة حيث وقفنا عند دراسة

لإبراهيم لونيسي حول " التيارات الفكرية في الجزائر 1920-1954 و الحقيقة أنها أفادتنا كثيرا و قد اعتبرناها القاعدة التي انطلقنا منها في توجيه الدراسة ، كما عثرنا على أطروحة دكتوراه للطاهر عمري بعنوان " النخبة الجزائرية و مشروع المجتمع (1900-1940) " وكانت دراسة جادة و عميقة عن الجانب الاجتماعي الذي ربطه صاحب الدراسة ببعض الجوانب الثقافية ، غير أنها غيبت الاتجاه الشيوعي الجزائري كما نود الإشارة إلى أطروحة دكتوراه لدويدة نفيسة حول " المسألة الثقافية في الجزائر من منظور التيار الليبرالي للحركة الوطنية (1927-1945) " و قد تصفحنا الأطروحة و لمحنا الجهد المبذول لانجازها لكننا لاحظنا أن الدراسة اتجهت أكثر للجانب السياسي .

إلى جانب مجموعة من الدراسات حول عناصر المسألة الثقافية إلا أنها ركزت بشكل كبير على جمعية العلماء ، ومرد ذلك إلى توفر المادة العلمية حولها ، إلا أن هناك بعض المساهمات التي اعتمدناها كمؤلف حاجي فريد حول السياسة الثقافية الفرنسية في الجزائر ، ودراسة لفلاديمير ماكسمنكو حول الانتلجانسيا المغاربية و دراسة علي مراد حول الحركة الإصلاحية دون أن نتجاوز طبعا الإنتاج الفكري والثقافي لأبو القاسم سعد الله –رحمه الله-.

وصف أهم مصادر البحث ومراجعه :

لقد اعتمدنا في انجاز هذا البحث على مجموعة من المصادر و المراجع تختلف أهميتها باختلاف قربها أو بعدها عن زمن الأحداث و سنقتصر على ذكرها :

1/ المصادر :

وتتميز بالتنوع و الثراء في موضوع الدراسة أهمها :

أولا : الوثائق و التقارير الأرشيفية :

لقد اعتمدنا على بعض التقارير التي استخرجناها من أرشيف ولاية قسنطينة ، كذلك الوثائق والتقارير من أرشيف أكس أون بروفاسن بمرسيليا و المتعلقة بوثائق الدولة المكلفة بشؤون الأهالي ، خصوصا مجموعة التقارير حول الصحافة الأهلية.

ثانيا : الصحافة المعاصرة للحركة الوطنية الجزائرية :

و تعتبر أدبيات الحركة الوطنية الجزائرية لان جرائد تلك الفترة كانت جرائد رأي و مبدأ عكست المواقف المختلفة للاتجاهات الوطنية خاصة ما تعلق بموضوع بحثنا و قد اعتمدنا بصفة خاصة بالنسبة للاتجاه الليبرالي على جريدة الوفاق و الجمهورية الجزائرية و بالنسبة لجمعية العلماء فقد اعتمدنا خصوصا على البصائر السلسلة الأولى (1935-1939) و السلسلة الثانية (1947-1956) ، إضافةإلى الشهاب و جريدة الدفاع الموالية للجمعية إضافةإلى الشاب المسلم ، أما بالنسبة للاتجاه الاستقلالي فقد ركزنا على جريدة الأمة و البرلمان الجزائري ، أما فيما يخص الاتجاه الشيوعي فقد ركزنا على الكفاح الاجتماعي بصفة خاصة لان أدبيات هذا الاتجاه لم تورد المسألة الثقافية كقضية نقاش في جرائدها .

ثالثا : الكتب المصدرية :

وهي تتراوح بين مذكرات كتبها أصحابهاأو مؤلفات باحثين بمختلف أنواعها و أهمها :

* فرحات عباس : وقد اعتمدنا على مؤلفاته المختلفة باعتبارها مصادر هامة : ليل الاستعمار ، الشاب الجزائري ، غدا سيطلع النهار ، وذلك لأنهأحسن من عبر عن أراء جماعته و كان لسان حال الحركة الناطق عنها ،كما عكست هذه المؤلفات مواقفه الصريحة من المسائل الثقافية بمختلف عناصرها.

* محمد صوالح : ومؤلفه المجتمع الأهلي : في ثلاثة أجزاء ، فهو إلى جانب فرحات عباس من أهمأعضاء الاتجاه الليبرالي ، عبر عن نظرته للمشروع الثقافي الفرنسي في الجزائر ، و عكس لنا المشهد الثقافي للمجتمع الجزائري.

- كتاب لموريس بولارد حول "L’enseignement pour les indigènes"(1910)

و قدتناول المسألة التعليمية في الجزائر الفرنسية و مختلف التنظيمات الثقافية الأولى التي استطاع من خلالها المثقفون الجزائريون الاحتكاك بالمثقفين الفرنسيين.

* كتاب لعمار نارون حول" Ferhat Abbas , ou les chemins de la souveraineté

هو من المعاصرين لأهم أحداث الحركة الوطنية ، عكس هذا المصدر الأطروحات التي تداولها أعضاء الاتجاه الليبرالي تحديدا فرحات عباس .

* آثار محمد البشير الإبراهيمي : و التي حققها نجله أحمد طالب الإبراهيمي و قد اعتمدنا عليها في دراسة الحركة الإصلاحية و مختلف القضايا الثقافية و الوطنية التي طرحتها .

* محمد الطاهر فضلاء : قال الشيخ الرئيس عبد الحميد بن باديس ، ويعتبر كذلك مصدرا هاما وموثوقا للاعتماد عليه و قد استقينا منه مختلف الخطب و المقالات التي صدرت من الشيخ عبد الحميد بن باديس .

* كتاب مذكرات لمصالي الحاج ، وهي بطبيعة الحال مذكرات شخصية اعتمدنا عليها في التركيز على المرجعية الثقافية للرعيل الأول من أعضاء النجم إضافةإلى التركيبة الاجتماعية المكونة له ثم علاقة الاتجاه بجمعية العلماء.

* كتاب لمحمد قنانش : ذكرياتي مع مشاهير الكفاح ، وهو أحد رجال الاتجاه الاستقلالي الذي تميز بالنزعة الإسلامية عاصر مصالي الحاج و عبد الحميد بن باديس و زعماء وطنيين آخرين.

* عمار أوزقان : ومؤلفه الجهاد الأفضل ، وهو من أهم أعضاء الحزب الشيوعي الجزائري ، والذي سرد فيه المسيرة النضالية لحزبه.

* كتاب ايمانويل سيفان حول الشيوعية و الوطنية في الجزائر ، و قد غطى فترة معتبرة تطرق فيها إلى قضايا عديدة و محطات تاريخية في مسيرة الحزب الشيوعي الجزائري.

رابعا : المراجع :

هي كتابات لها أهمية وجديرة بالاعتماد ،تناولت المسألة الثقافية من خلال عناصرها المختلفة وأهم المراجع التي اعتمدنا عليها :

* التيارات الفكرية في الجزائر المعاصرة لرابح لونيسي ، وتعتبر من الدراسات الأساسية التي اعتمدنا عليها في بحثنا و ذلك لتناوله قضايا ثقافية هامة خاصة ماتعلق بالمرجعيات الثقافية و تمظهراتها.

* الإصلاحالإسلامي في الجزائر (1925-1940) لعلي مراد وهو من الدراسات الأولى بعد الاستقلال و قد ألم فيها الكاتب بالحركة الإصلاحية و مختلف نشاطاتها مواقفها من أهم القضايا الثقافية السياسية.

* أبو القاسم سعد الله : أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر (ج3) حيث تطرق إلى نسبة دور العامل الديني في التكوين الثقافي و قد أفادنا كثيرا في تطرقنا لجمعية العلماء و الاتجاه الاستقلالي .

* حاجي فريد : ومؤلفه " السياسة الثقافية الفرنسية في الجزائر ، و قد اعتمدنا عليه في تتبع الضياع الثقافي الذي عانى منه المفرنسون ثم تأثيره في مواقفهم تجاه أهم القضايا الوطنية.

* علي كنز : و كتابه " حول الأزمة" حيث وظفناه في المرجعيات الثقافية خاصة ماتعلقبالأصول الثقافية للمفرنسين في الجزائر ثم وضعيتهم الثقافية داخل المجتمع الجزائري إلى جانب الانتقادات الموجهة لجمعية العلماء في إطار تعاملها مع المشكل اللغوي في الجزائر .

خامسا : الرسائل الجامعية :

اعتمدنا في هذا البحث على مجموعة من الرسائل الأكاديمية التي لها حتما صلة بالموضوع و أهمها:

* أطروحة دكتوراه بعنوان " النخبة الجزائرية ومشروع المجتمع (1900-1940) للطالب الطاهر عمري و قد أفادتنا كثيرا في موضوعنا خاصة ما تعلق بالمشاريع الحداثية للاتجاهات الوطنية ومواقفها من المسائل الثقافية باعتبارها جزءا من تركيبة المجتمع.

أطروحة دكتوراه بعنوان " حركة الشبان الجزائريين و التونسيين (1900-1930) للطالب الجمعي خمري ، وهي في جزئينأفادتنا في تتبع التكوين الثقافي و السياسي للاتجاهات الوطنية و ركزت على الليبراليين كموضوع دراسة.

* أطروحة دكتوراه بعنوان " المؤرخون الجزائريون و نمو الوعي التاريخي (1830-1962) للطالب فارس كعوان و قد وظفناها في الكتابة التاريخية و الهوية عند الاتجاهات الوطنية رغم أن الطالب لم يحط بكل الاتجاهات وذكر فقط ما تعلق بمؤرخي الجمعية دون غيرها.

* دراسة مصدرية بالفرنسية تعود لسنة 1948 للطالب لوك دولابار حول :

Ferhat Abbas et le mouvement revendicatif Algérien

وهي دراسة قيمة ومعاصرة لمرحلة نشاط الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائريين تناول بشكل دقيق أعضاء الاتجاه ثم نظرة الاتجاه للمسائل السياسية و بعض المواقف الثقافية.

سادسا : المقالات :

ضمت الدراسة مجموعة من المجلات و الجرائد تضم عددا من المقالات التي لها علاقة بالمسألة الثقافية في الحركة الوطنية الجزائرية ، خاصة تلك التي كتبت بأقلام باحثين و مختصين اهتمت بالحديث عن بعض المواضيع الثقافية ، وبالإشارةإلى أخرى ومن بين هذه الجرائد ، الثقافة ، المجلة التاريخية المغربية ، الكلمة ، بالإضافةإلى الجرائد المصدرية التي نشطت في الفترة المدروسة ، وقد أشرنا إليها سابقا و المتعلقة بكل اتجاه من اتجاهات الحركة الوطنية الجزائرية .

خطة البحث :

يتكون هذا البحث من مقدمة و توطئة و أربعة فصول و خاتمة ، وملاحق تتعلق بالموضوع ، وبيلوغرافية البحث وفهارس الأعلام و الأماكن و الأحزاب و الجمعيات .

فبعد المقدمة التي تضمنت التعريف بالموضوع و إشكاليته ، أرفقنا البحث بتوطئة تاريخية حول صدمة الغرب ودورها في النهضة في البلدان الإسلامية و التي وصلت تأثيراتها إلى الجزائر ، وظهور الاتجاهات الوطنية ذات التوجهات المختلفة.

تناول**الفصل الأول** : المسألة الثقافية في أدبيات الاتجاه الليبرالي ، ويتكون من خمسة مباحث وهي:

المبحث الأول : المرجعية الثقافية للاتجاه الليبرالي

المبحث الثاني :الإسلام و الإدماج .

المبحث الثالث : اللغة العربية و التعليم في برامج و صحافة الاتجاه .

المبحث الرابع : قضية الهوية .

المبحث الخامس : المشروع الثقافي الحداثي الليبرالي .

عالجنا في هذا الفصل المسألة الثقافية من منظور المرجعية الثقافية لهذا الاتجاه ومختلف العوامل التي ساعدت في التكوين الثقافي ، ثم تطرقنا إلى قضية الإسلام و الإدماج باعتبارها محور الأفكارالإدماجيةللاتجاه مع التعارض داخل الاتجاه في هذه القضية ثم اللغة بشقيها العربية و الفرنسية و تتبعنا المواقف حولها من خلال البرامج و المطالب و ما كتب من مقالات في صحف الاتجاه ، كما أفردنا مبحثا خاصا بالهوية

باعتبارها عنصرا و ارتكاز المسألة الثقافية ورؤية الاتجاه لهذه القضية و أخيرا الرؤية الثقافية الحداثية المستقبلية للجزائر كما يراها هؤلاء .

أما **الفصل الثاني** : اهتمامات أدبيات جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بالمسألة الثقافية.

و قد تكون من أربعة مباحث هي :

المبحث الأول : المرجعية الثقافية.

المبحث الثاني : مظاهر التوجه الثقافي من خلال مطالبها .

المبحث الثالث : اهتمامات صحافة الجمعية بالمسائل الثقافية.

المبحث الرابع : الكتابة التاريخية و الهوية عند العلماء .

و يتناول هذا الفصل الاتجاه الوسطي ممثلا في جمعية العلماء ومن ثم موقفها من المسألة الثقافية من خلال مختلف أدبياتها باعتبارها أهم اتجاه حافظ على التراث الثقافي في إطار الدفاع عن الأنا و قد تناولنا ، في هذا الفصل المرجعية الثقافية ثم مظاهر توجهها من خلال برامجها الثقافية كما تناولنا اهتمامات جرائدها بالواقع الثقافي الجزائري ، وختمناه بموقفها من الهوية الجزائرية ثم دورها في الحفاظ عليها و التأكيد على أبعادها من خلال الكتابات التاريخية.

الفصل الثالث : المسألة الثقافية من منظور الاتجاه الاستقلالي

ويتكون من أربعة مباحث هي :

المبحث الأول : المرجعية الثقافية

المبحث الثاني : أبعاد المسألة الثقافية في برامج الاتجاه

المبحث الثالث : النخبة الاستقلالية و مشروع المجتمع الجزائري

المبحث الرابع : الهوية في خطاب النخبة الاستقلالية

تناولنا في هذا الفصل الاتجاه الاستقلالي و نظرته للمسألة الثقافية و انطلاقا من مرجعيته الثقافية المدافعة عن الثوابت الوطنية و التي تمظهرت من خلال برامج و مطالب الحزب ، كما استطاع رسم تصور للمجتمع الجزائري الجديد من خلال الاهتمام بالقضايا الثقافية و الاجتماعية المطروحة فيه و قد آمن

الاتجاه بان للجزائر هوية ذات بعد عربي إسلامي إلا أنه عرف صداما ثقافيا بين مصطلحي عرب/ بربر في إطار الازمة البربرية و قد أثرت على مسيرة الاتجاه.

الفصل الرابع : الاتجاه الشيوعي الجزائري و المسألة الثقافية

ويتكون من أربعة مباحث تضمنت:

المبحث الأول : المرجعية الثقافية .

المبحث الثاني : الواقع الجزائري في الخطاب الشيوعي .

المبحث الثالث : الحزب الشيوعي الجزائري و الحركة الوطنية .

المبحث الرابع : الحزب الشيوعي الجزائري و الأمة الجزائرية.

يعالج هذا الفصل الاتجاه الشيوعي الجزائري و الذي يطرح إشكالية حول مفهوم و تصنيف نشاطه ، علاوة على مفاهيمه المختلفة و المتناقضة للمسائل الثقافية و التي ألغت كل خصائص الشخصية الوطنية ، كما ألغى مفهوم الأمة و عبر عن الهوية الجزائرية بطروحات مستوردة من الحزب الشيوعي الفرنسي و بقي نتيجة هذه الأفكار خارج النضال الوطني بعيدا عن المجتمع الجزائري وقضاياه المختلفة.

وأنهينا البحث بخاتمة تتضمن النتائج التي توصلنا إليها بعد دراسة المادة العلمية و تبويبها ، ومناقشتها و تحليلها ، ومقارنتها طبقا للمناهج المعتمدة و مراعاة توجيهات الأستاذ المشرف ، وقد ذيلنا البحث بملاحق وببليوغرافية وفهارس الإعلام و الأماكن و الأحزاب و الجمعيات و النوادي و فهرس الموضوعات.

الفصل الأول :

المسألة الثقافية في أدبيات الاتجاه الليبيرالي

إن الحديث عن المرجعية الثقافية لهذا الاتجاه مرتبط أساسا بحركة الشبان الجزائريين و التي ظهرت إثر الزخم السياسي الذي شهدته الجزائر نهاية القرن التاسع عشر و بداية القرن العشرين ،و التي شكلت مايعرف بالنخبة وفي الحقيقة فإن مصطلح النخبة أو الانتلجانسيا يرتبط بعامل الاستقرار و الاستمرار و قوة القرار وهذا حسب التعريف الذي حدده كل من موسكاو باريتو [1] ، ومعنى هذا أن النخبة الجزائرية في هذه الحالة لا تقتصر فقط على رواد الحركة الوطنية أو اتجاهاتها بل يمكن إدراج حتى الطرقيين و رجال الزوايا (...) و بالتالي فقط ارتبط في تاريخ الجزائر بكتلة المحافظين و المجددين و هذا المصطلح الأخير هو محل دراستنا في هذا المبحث.

إن بداية ظهور الاتجاه الإدماجي في الجزائر مرتبط إذا بحركة هؤلاء الشبان الجزائريين الذين شكلوا أقلية نهاية القرن التاسع عشر و تبنوا أفكار الغرب ووسائل عيشه و طريقته في العمل و ثقافته وتعليمه وأرادوا تحويل المجتمع الجزائري إلى مجتمع أوروبي في حين كان لهم ميول وروابط للدين الإسلامي و تقاليد المجتمع الجزائري فهم اشترطوا على فرنسا أن لا تطلب منهم التخلي عن أحوالهم الشخصية كمسلمين وطالبوا بإلغاء قانون الجنسية سنتاتوس كونسيلت . هذا و قد عرف أحد العناصر النشيطة من الشبان وهو بن حبيلس جماعته بقوله [2] :<< إنهم ذلك الشباب الناشئ في الجامعات الفرنسية والذين استطاعوا بفضل عملهم – أن يرتفعوا فوق العامة و يتموقعوا في الجزائر الحاملين للحضارة عن جدارة و هما شيئان لا تستطيع منحه لكل أهالي الجزائر>> بل أكثر من ذلك فهم يحلمون بلعب دور ما في شؤون البلاد وارتكاز قناعتهم بأنهم بلغوا أعلى درجات الحضارة وليسوا كما وصفهم سيرفي بأنهم مغرورين يشعرون بامتيازهم عن ذوي جلدتهم (...) و النتيجة أنهم صاروا معزولين تماما عن المجتمع سواء الفرنسي أو الأهالي الجزائريين[3] .

في حين كان تعليق علي مراد مشابها للتعليق السابق حيث قال بأنهم[4] :<< جماعة يحسنون اللغتين و ينتمون إلى الطبقة أي تلك الجماعة التي درست كلا من الحضارة العربية و الفرنسية (...) كان

[1]-نصر محمد عارف : **ايبيستيمولوجيا السياسة المقارنة**، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر و التوزيع، القاهرة،2002، ص ص 231-232.
[2]-أحمد بن نعمان :**التعريب بين المبدأ والتطبيق في الجزائر و العالم العربي** ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، 1981، ص 156.
[3]- الشريف بن حبيلس : **الجزائر الفرنسية كما يراها احد الأهالي**،ترعبد الله حمادي و ،دار بهاء الدين للنشر و التوزيع ،الجزائر ،2009ص 93.
[4]- علي مراد: المرجع السايق ، ص 53.

الفتيان الجزائريون مع تصريحهم بأنهم الناطقون باسم الجماعة الإسلامية يحسون في الواقع بالراحة أكثر في المجتمع الفرنسي>>.

إن هذه الأقلية (النخبة) كانت بطيئة في الظهور و صغيرة في العدد و كان عناصرها يعتبرون أنفسهم أقلية ممتازة منفصلة عن أغلبية ناقصة تتكون من فلاحين ومرابطين و علماء رجعيين[1] في حين فضل خمري في دراسة التميز بين نخبة مثقفة ثقافة مزدوجة أمثال محمد بن رحال و محمد بن العربي والمجاوي وبن إبراهيم الفخار ونخبة ذات ثقافة فرنسية أمثال خليل قايد العيون و الدكتور مرسلي (...) [2]

لقد ارتسمت النخبة الجزائرية المثقفة بالثقافة الفرنسية عن طريق عوامل ركزناها في : دور المدرسة الفرنسية – دور الانتماء الاجتماعي –دور النوادي و الجمعيات الفرنسية.

[1]- أبو القاسم سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية (1900-1930)** ،ج2 ، المؤسسة الوطنية للنشر و التوزيع ، 1983، ص 160.

[2]- الجمعي خمري : **حركة الشبان الجزائريين والتونسين 1900-1930**،ج1، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة منتوري ، قسنطينة ، 2002-2003، ص 44.

المبحث الأول :المرجعية الثقافية للاتجاه الليبيرالي :

1- دور المدرسة الفرنسية (المشتلة الحقيقية) :

لقد مهدت الظروف الصعبة التي شهدتها الجزائر إلى ظهور إيديولوجية ثقافية جديدة ترتكز على التأثر بالآخر و الأخذ بأسباب حضارته و التي تدور في فلك الفرنسة كرمز للتخلص من احتقار الحياة والثقافة الأهلية و قد رمت بسياستها بإنتقاء فئة محددة في إطار التثاقف الفئوي دون الكلي ، وفي هذا السياق يؤكد لنا الدكتور خمري بأن الفضل قي تكوين هذه النخبة الجزائرية المثقفة بالثقافة الفرنسية الحديثة مرده المدرسة الاستعمارية بنوعيها المدنية والعسكرية فالمشروع الثقافي الفرنسي تزامن و الحرب العسكرية التي شنت على الجزائر [1]:<< ... أرادوا تحويل التعليم في الجزائر من تعليم شرقي تقليدي يعتمد على الكتاتيب و الزوايا التي تعليم عربي يعتمد على مدارس حديثة الطرق و المناهج و تتماشى مع الوضع الجديد ، و بالتالي تحويل العقلية الجزائرية من عقلية عربية شرقية إلى عقلية فرنسية غربية ذلك أن خبراء الشؤون الاستعمارية أدركوا بعد دراسة معمقة للمجتمع الجزائري أنه لا يمكن خلق جزائر فرنسية إلا بعد عزل الجزائر عن محيطها العربي الإسلامي و القضاء على التعليم و الثقافة العربية >>. بل وأكثر من ذلك فقد عمدت كذلك إلى إرساء مشروع مبدؤه إرسال الأطفال الجزائريين إلى فرنسا، و ذلك لتكون هذه النخبة من الجزائريين الذين يعلمون باللغة الفرنسية حسب خطط مرسومة بعيدين عن بيئتهم اللغوية والثقافية ، وعن كل ما من شأنه أن يبعث في نفوسهم الروح الوطنية و القومية [2].

لقد كانت الجمعيات و النوادي التي ظهرت نهاية القرن 19 وسيلة لتحقيق مشروع الفرنسة ،حيث ضمت قدماء تلاميذ المدارس و كانت أهدافها مركزة على هذه الفئة مع صبغ هذه الأهداف بالسياسة بمحاولة تعريف هؤلاء على الثقافة لتمكن من إدماجهم في الوسط الفرنسي و تقديسهم الأفكار الفرنسية .

فبالرغم من عدم اتساع المدرسة الفرنسية لعدد كبير من الأهالي غير أنها استطاعت أن تخلق انتلجانسيا جزائرية، تبنت المشكل الأهلي و حاولت أن تستفيد من الحضارة الفرنسية لصالح السير بالمجتمع

[1]- خمري :المرجع السابق، ص 72.

[2]- بن نعمان :المرجع السابق ، ص 156.

الجزائري في طريق الإدماج في الفلك الفرنسي هذا و كان سنة 1833 بداية تأسيس المدرسة الفرنسية في الجزائر ،وكان هدفها تعليم مبادئ الحساب و الكتابة باللغة الفرنسية سواء للأوروبيين أو الأهالي (مسلمون و يهود)[1] .، ومنذ هذه السنة عرفت الجزائر حركة تشييد المدارس الفرنسية في المدن الكبرى الجزائر وعنابة و في سنة 1850 فتحت الإدارة الفرنسية ستة(06) مدارس أطلق عليها اسم المدارس العربية الفرنسية، تحدد فيها مبادئ التعليم بتدريس اللغة العربية و الشريعة أما المواد المتعلقة بالحساب و التاريخ و الجغرافيا والعلوم فهي باللغة الفرنسية ، وفي سنة 1858 أنشأ المارشال فايون أول ثانوية في مدينة الجزائر و المسماة بالمعهد العربي الفرنسي ، وكان الطلبة الذين استقبلوا فيها من أبناء العائلات الموالية لفرنسا أو العاملين أبناءها في الإدارة الفرنسية [2] ، وكانت مدرسة بوزريعة من اكبر المدارس من حيث عدد خريجيها وهم المسمون بالمدرسين المسلمين من أصلأهلي وهم الذين سيؤسسون حركة الشبان الجزائريين من أمثال زناتي وطهرات وبن رحال أول مثقف جزائري نال شهادة البكالوريا سنة 1874 من مدرسة فرنسية. و قد أشار الدكتور خمري إلى أن المدرسة العسكرية الفرنسية كذلك كان لها دور في تكوين الشبان و في مقدمتهم أبناء العائلات ذات التقليد العسكري أمثال ابن بريهمات و بن سديرة و إسماعيل حامد و الأمير خالد و يشير إلىأن هناك ثلاث كليات حربية استقبلت أبناءالأهالي وهي ألفور متخصصة في علم البيطرة و سان سير وسومر[3] .

لقد آمنت جماعة الشبان الجزائريين بالحضارة الفرنسية و التعليم الفرنسي خاصة و الذي لطالما مالت إليه عائلاتهم و طالبت به ،ذلك أنهم ليسوا أقل كفاءة من الفرنسيين أنفسهم [4] ، وقد علق الشريف بن حبيلس على هذه النقطة بقوله [5] :<< (...) أفضل معدلات الرياضيات و الفرنسية كانت من نصيب الأهالي ، الحقيقة هي أن عقل الأهالي لا يقل عن أي عقل آخر في التفكير و في التمثيل إذا ما أعطي معلما جيدا>> . ، إلى جانب الكفاءة فقد أكد هؤلاء على انتمائهم للحضارة الإسلامية غير أنهم كانوا

---

[1] -Fanny Colonna : **instituteurs algeriens 1883-1939**،office des O.P.U ،Alger 1975.p16.
[2]Fanny Colonna،Ibid ، p17.

[3]- خمري: المرجع السابق ، ص78.انظر :
1937.pp185-187،ReneLespes : **pour comprendre l'Algérie** .O.P .G.A
[4]-سعد الله : الحركة الوطنية ، ج2، المرجع السابق ، ص156.
[5]-ين حبيلس : المصدر السابق ، ص ص 38-39.

يرون بأن الدين قضية ضمير شخصي ، و حاولوا في بعض الأحيان العودة في أطروحاتهم الليبرالية إلى الإسلام لأنه حسبما ذكره فرحات عباس فإن الجزائر لم تفقد شخصيتها الإسلامية و ستبقى مسلمة رغم اعترافه بأنه مدين للثقافة الفرنسية لكنه يؤكد تمسكه بالإسلام كوطن روحي له و هذا ما نلمسه في مقالاته التي نشرها في الشاب الجزائري [1]، حتى أنه عبر بأن ثقافتهم كشبان متأثرين بالثقافة الفرنسية لم تفصلهم عن شعبهم و دينهم بل بقي فكرهم دائما عالقا به [2] :<<فالإسلام بعد أربعة عشر قرنا صار دين الشعب الجزائري قاطبة و عليه أصبح الإسلام في الجزائر في عقر داره فمن العبث محاربته لأنه قادر على الصمود في وجه كل تخريب أو تهديم و في وجه كل عاد >>.

إن إدماج نخبة جزائرية في كيان فرنسا يقتضي حتما إبدال الشخصية الأصلية لهم خاصة بعد الرفض الذي قوبلت به فكرة تعليم أبناء الأهالي إلى غاية سنة 1871، على الأقل غير أنه أصبح فيما بعد مطالبة ملحة من قبل الأهالي الجزائريين معلنين حقهم المشروع في التعليم حتى، و إن كان في المدارس الفرنسية ومن خلال هذه الصورة فقد افترضت الإدارة الفرنسية بأن سبب كراهية الأهالي للوجود الفرنسي تقاس حدتها بمدى مستوى تعليم الأهالي فإن كانوا أميين جهلة فإن كراهيتهم للوجود الفرنسي تكون أعنف و أشرس في حين لو كانوا متعلمين في المدارس الفرنسية فإن كراهيتهم للوجود الفرنسي ستكون ألين .

و بالنتيجة فإن فيليكس كوتيه قد صرح بعد مدة من التحول في السياسة التعليمية الفرنسية الموجهة للأهالي الجزائريين بقوله:<< بأن المعلمين من أبناء و الأهالي الجزائريين في المدارس الفرنسية هم بمثابة فئة هجينة إذ لا يمكن اعتبارهم في آخر المطاف لا جزائريين و لا فرنسيين>> [3] ، و حسب الدكتور عبد الله حمادي فإن هذه الفئة هي المنجبة لسرطان الفرنكوفونية بكافة أبعادها المهددة للشخصية الوطنية لأنهم أصبحوا ينعتون بخدام فرنسا الأوفياء([4]).

[1]- Ferhat Abbas : **le jeune algérien**،editiongarnier، paris ، 1981 ،p 105.

[2]-فرحات عباس : **حرب الجزائر وثورتها – ليل الاستعمار** -، تعريب ابو بكر رحال ، مطبعة فوضالة ، المهدية ، المغرب ، د-ت،ص 144.

[3]-عبد الله حمادي: **الحركة الطلابية في الجزائر (1871-1962)** ، ط2، منشورات المتحف الوطني للمجاهد ، د-ت ، ص ص 13-14.

[4]-نفسه: ص 31.

و يستكمل علي الكنز الصورة واصفا إياهم[1]:<< فكان عليهم دفع ضريبة عضويتهم ، لقد قاموا بالتخلي عن الحقل الثقافي الثري و الواسع و كنسوه من أفكارهم تلك الأفكار التي افتقرت إلى الدلالات الاجتماعية و افتقرت التأثير و الممارسة العملية ، وتميز المثقفون بعجزهم عن تحويل إنتاجهم الثقافي إلى ثقافة و بعدم القدرة على أن يتحولوا هم أنفسهم إلى أنتلجانسيا>>، و يحمل هذا التعبير نوعا من الحقيقة لأن هذا هو المطلوب من السياسة الثقافية الفرنسية لأنها[2] :<< ... لم تحضر للجزائر لإقرار الأمن بل لنشر الحضارة و اللغة الفرنسية و ليست الجزائر مستعمرة كالهند الصينية (...) لكنها جزء من فرنسا فهي تريد أن تجعل هناك جنسا يندمج فيها عن طريق اللغة و العادات ... سيتم هذا بعد نشر لغة فكتور هيغو>>، وبالتالي تصبح هذه النخبة المشروع صلة وصل بين الإدارة الفرنسية و المجتمع المستعمر وما تطمح الإدارة الاستعمارية لانجازه" الأعجوبة الحقيقية" التي ينبغي تحقيقها تكون في تعويض العربية بالفرنسية شيئا فشيئا ، إذن فالمدرسة وسيلة توجيه أفكار و سلوكات الأهالي[3].

ورغم سعي الإدارة الاستعمارية إلى الإسراع في تطبيق التثاقف الانتقائي لكنها بقيت متخوفة نوعا ما من تغلب النزعة الإسلامية داخل تلك الفئة المنتقاة (الرجال الجدد) ،و هذا ما عبر عنه دوفوكو في 1916 بقوله :<< (...) إذا لم يعتنق المسلمون الديانة المسيحية ستظهر في المدن الكبرى نخبة من المثقفين من بين أولئك الذين تعلموا في المدرسة الفرنسية و لكنهم لا يتحلون لا بالفكر و لا بالقيم الفرنسية ستفقد تلك النخبة إيمانها بالإسلام، لكنها مع ذلك ستحافظ عليه كشعار تبيح لها التأثير على الجماهير و ستظل هذه الأخيرة جاهلة متمسكة بالعقيدة المحمدية ، تضمر الحقد و الكراهية للفرنسيين ، وعندما تحين الفرصة المواتية فإنها سوف تستعمل الإسلام كأداة لتحريك الجماهير الجاهلة نحو تأسيس إمبراطورية مسلمة ومستقلة >>[4].

[1]- علي الكنز : **حول الأزمة ، خمس دراسات حول الجزائر والعالم العربي ، دار بوشان للنشر والتوزيع** ، 1990، ص 27 ص 27.

[2]-عبد الله عبد الجبار : **الغزو الفكري في العالم العربي** ، ط3، مطابع الروضة ، جدة ، 1980، ص 16.

[3]- بن براهيم الطيب : **الاستشراق الفرنسي وتعدد مهامه خاصة في الجزائر** ، دار المنابع ، الجزائر ، 2004 ، ص 150.

[4]- غي بريفيلي : **النخبة الجزائرية الفرنكوفونية (1880-1962)** ، ترجمة م . حاج مسعود و آخرون ، دار القصبة ، الجزائر ، 2007، ص120.

و استنتاجا من هذه المقولة فإن الهدف لا يقف فقط عند قلب اللسان العربي إلى فرنسي بل يستلزم تغيير الديانة الإسلامية لضمان كمال المشروع الثقافي الفرنسي، و لمواجهة هذا التخوف اقترح ألفرد بل في تقرير مطول حلا على سلطة بلاده مفاده : اختيار فئة منتقاة من الأهالي ذوي ثقافة غربية قوية إلى التعليم الثانوي و العالي الفرنسي كونه أنجح وسيلة لاستئصالهم كليا من وسطهم المسلم ومجتمعهم ، وهكذا سيصبحون بلا ترتيب اجتماعي (1) وبتعبير مبسط من فاني كولونا فالذي يكون بعيدا جدا عن الغرب سيكون أكثر التصاقا بالثقافة الأصيلة لا محالة و سيبقى إما عربيا أو قبائليا، لكن الذي يكون بعيدا عن ثقافته الأصلية و أقرب للغرب يكون قد تجرد من إسلامه و تنكر لعروبته فيعتقد أنه فرنسي (2) ، وهذا ما حدث لفرحات عباس بتاريخ 27 فيفري 1936 و في العدد 24 من جريدة الوفاق الفرنسي الجزائري ، و الذي حرر مقالا بعنوان "" على هامش الوطنية : فرنسا هي أنا ""، كانت بمنزلة البداية لظهور مجموعة من الخطابات حول الهوية الوطنية [3]. إن تصريح فرحات عباس (لو أني اكتشفت الأمة الجزائرية لأصبحت وطنيا (...) الجزائر بوصفها وطن خرافة لم اكتشفها ، لقد سألت التاريخ و سألت الموتى و الأحياء لقد زرت المقابر ، لم يحدثني أحد عنها (...)) .

ومن دون شك فإن منطوق خطاب فرحات عباس يصب مباشرة في الخطاب الاستعماري ، ويثبت ما حاول ذلك الخطاب الاستعماري خلال قرن أن يثبته ذلك الخطاب الناكر للهوية الوطنية ، و هذا ما جعل العديد من المؤرخين يؤيدون طرح سقوط فرحات عباس في أطروحة الخطاب الاستعماري ، و كان على وعي تام بفرضية المستعمر التي تؤكد الفراغ السياسي و الحضاري للجزائر يوم احتلالها لكن تبقى خطابات فرحات عباس فيها شيء يقاوم تلك الخطابات دون تصريح علني ، فبعد أن اغتصبت الجزائر وأبعد أهلها قسرا عن المدنية أصبح يفكر بقوة في هويته وفي بناء مقومات حياته على أسس جديدة.

[1]-فريد حاجي : **السياسة الثقافية الفرنسية في الجزائر 1837-1937**، دار الخلدونية ، الجزائر ، 2013، ص 396.
[2]- نفسه ، ص 397.

[3]-l’entente ، n24 ، jeudi 27 février 1936.

2-دور الانتماء الاجتماعي في التكوين الثقافي :

استكمالا للمشروع الثقافي الفرنسي القاضي بإلغاء ما كان و تعويضه ببني فرنسية كان من بينها خلق فئة اجتماعية موالية لفرنسا اجتماعيا ، والتي تعود في أصولها إلى الطبقة الوسطى (البرجوازية الصغيرة) وهي التي احتلت مكانة مرموقة في المجتمع الجزائري المسلم ذلك أن الفرنسيين و بعد القضاء على العائلات الضاربة بجذورها في أعماق تاريخ المجتمع الجزائري (الخيم الكبرى) استخلفتها بعائلات قيادية جديدة لتلعب أكثر من دور على المستوى المحلي ، فهي ممثلة للمجموعة الإسلامية من جهة و سند للنظام الاستعماري من جهة أخرى ، ومن هذه العائلات : ابن سيام و الحاج حمو بمليانة و أسرة السائح و بوطيبة و أولاد سيدي نذير وعائلة ابن لفقون في قسنطينة و ابن عاشور من فرجيوة و ابن قانة في الجنوب وآيت أوعمر في القبائل و عائلة المقراني بالمجانة [1].

كما كان للوضع المزري الناتج عن انتفاضة 1871 من بين العوامل التي دفعت بهذه العائلات إلى إرسالأبنائها إلى مؤسسات التعليم الفرنسية و ذلك إما للحفاظ على مكانتها الاجتماعية أو ربما الرغبة في الخروج من طبقة الأهالي المنبوذة ، فمن هذه العائلات من قاومت الاستعمار ومنها من تعامل معه و كان القاسم المشترك بينها أنها رأت من الاجدى لها الاحتفاظ بالمرتبة الاجتماعية و لو بنوع من التحالف الحذر مع المحتل هذا الأخير الذي فضل هو الآخر استغلال هذه العائلات لبسط نفوذه على بقية الأهالي بالتالي فقد ركز في الامتيازات التي قدمها لها على مدى الخدمات التي قدمتها هذه العائلات للمحتل[2].

أما بالنسبة للعائلات الحديثة النشأة و النفوذ فأخذت تتعايش مع العنصر الفرنسي بل وتتعاون معه في شتى الميادين طمعا منها في تبوأ مكانة مرموقة في الإدارة الاستعمارية ولو على حساب ذوي جلدتها ، وقد قدم شارك روبير آجيرون أمثلة عن أنواع من هذه العائلات كحال ابن تامي في مستغانم وعائلة بوضربة و التي عمل أولادها في الإدارات الفرنسية فقد كان عمار بوضربة عضوا في المجلس البلدي وعائلة ابن بريهمات ، فكان أحمد بريهمات مترجما في الجيش الفرنسي ، وعمار بن بريهمات مدرسا وعائلة تامزالي من بجاية ، فكان اسماعيل تامزالي محاميا و عبد النور تامزالي طبيبا ، ومن عائلة بن تامي بلقاسم ولد حميدة

---

[1]- خمري: المرجع السابق ، ص 59.

[2]- نفسه ، ص 60.

الذي كان طبيبا و احد أبرز منظمي حركة الشبان إضافة إلى عائلة عباس من القبائل الصغرى أين كان السعيد عباس آغا و ابنه فرحات عباس تلميذا في المدرسة الفرنسية و يصبح زعيما لهذا الاتجاه لاحقا[1] .

لقد كان إذا لطبيعة احتكاك هذه الأسر مع الإدارة الفرنسية عن طريق العمل في الإدارة الفرنسية احتكاكا ثقافيا واجتماعيا أدى إلى تغيير في أفكارهم و مواقفهما من الآخر بل و اكتسبت قابلية التأثر بالآخر و تجلى هذا في محاكاته في طريقة العيش و العمل و التفكير ، وهذا ما أدى إلى قبولها أخيرا بإرسال أبنائها للمدرسة الفرنسية ، فتزوجوا بفرنسيات و أصبحوا يميلون أكثر للحياة الأوروبية ويحتقرون الحياة الأهلية و هذا ما ترجمه الجيل الثاني من هؤلاء الشبان (صوالح محمد ، بلقاسم ابن تامي ، محمد الصالح بن جلول ، فرحات عباس). غير أن سليمان الشيخ يعرض طرحا مغايرا لأصولهم الثقافية و الاجتماعية حيث صور لنا بأن المقاومة الأولى احتضنها الريف على شكل هجوم دفاعي لكن بعد فشله في المواجهة وصل لمرحلة العجز (حركة تراجعية) ،في حين أصبحت المدينة المجال الجديد للمجابهة غير أن يتقبل قيم المستعمر الثقافية و يحاول إضعاف الجدلية الاستعمارية بالدعوة إلى المساواة و إيمانه بها ،أما ممثلو هذا الاتجاه فهم النخبة التي أنشأتها المدارس الفرنسية و كان التشبه بالمستعمر هو الضمان للارتقاء الثقافي و الاجتماعي لكنهم كانوا ممزقين بين وفاء عضوي رد إلى عجز الهزيمة و بين وفاء التبني كانوا يقيمون عليه أملهم في التحرر [2].

إن المستعمر الفرنسي قد خير الأهالي بين وضعين أما الهروب و الهجرة و أما الالتصاق بالأرض والقبول بالاستعباد و أمام هذه الخيارات الصعبة للأهالي اختارت تلك الفئة (النخبة) طريقا قصيرا لتجنب الصعاب وهي الانحناء و عملوا- خاصة العائلات التي كانت تشكل القياد و الباشاغات- ومن أجل الانسلاخ و الاندماج في فرنسا عله يأتي ذلك اليوم الذي يرضى عنهم و يعتبرهم منها هذه العائلات المحظوظة – في نظرها- و التي يعتبرها عبد الله حمادي [3] :<<التي باعت ذمتها للمستعمر و اعتبرها في آخر المطاف من خدامه الأوفياء كان عددهم لا يزيد عن ألفين أو ثلاثة آلاف عائلة على أقصى تقدير

---

[1]- خمري : المرجع السابق ، ص ص 63-65.

[2]- سليمان الشيخ : **الجزائر تحمل السلاح او زمن اليقين** ، دار القصبة للنشر ، الجزائر ، 2007، ص 29.

[3]- حمادي: المرجع السابق ، ص ص 31-32.

هذا حسب الإحصائيات الفرنسية (...) ،لذا كانت العائلات التي تمكنت من إيصال أبنائها إلى الثانويات الفرنسية و بعدها الجامعات قليلة مقارنة بعدد السكان ،لكن العدد في الوقت ذاته راح يكتسب خصوصية النوعية>>. وعبر مراحل تطورت تركيبة هذه البرجوازية الجزائرية الصغيرة إلى اقطاعيين مسلمين (كولون مسلمون) و تحولت إلى برجوازية كبيرة مشكلة من أرباب العمل و ملاك الأراضي مقابل فئة مشكلة من الموظفين و الملحقين بالإدارة الفرنسية و رجال العدالة ،و هي التي أصبحت برجوازية صغيرة وهي التي نالت حصة الأسد من المنح الاستعمارية ومن أبنائهم تكون جيل فرنكوفوني (الرجال الجدد)، وقد دفعوا بأبنائهم منذ البداية إلى المدارس و بالتالي فقد شكل عناصر من الطبقة الأولى و الثانية جيلا جديدا متفتحا على الحضارة الفرنسية و على المعاصرة، إنه الثمرة الحقيقة الناتجة عن التأثر المباشر بالثقافة و الحضارة الفرنسية وبالتالي فإن سياسة التقرب من فرنسا قد أتت أكلها حين عرفت هذه الطبقة ظهور أول مهندس زراعي جزائري 1914 (قايد حمود) ،في حين استطاع البعض الذهاب لباريس لاستكمال الدراسة مثل أحمد بومنجل ومالك بن نبي بل أكثر من ذلك، فقد بنوا حياتهم الشخصية على المستوى الثقافي فتزوجوا فرنسيات هذا مازاد في عزلتهم عن الأهالي[1] .

إن النفسية التي زرعتها فرنسا في قلوب أبناء الأهالي كانت ذكية و فعالة ،حيث هيأت لهم كل ما من شأنه أن يبهرهم بالثقافة الفرنسية و حضارتها ،خاصة فرنسا وراء البحر حيث أصبح الجزائري يسمع أساطير عن الفرنسي وفرنسا و أصبح التلميذ و حتى الطالب الأهلي متشوقا لهذه الحياة ، وعليه فقد تحول هذا التشويق إلى أحاسيس جنونية – حسب عبد الله حمادي- تدفع به إلى الارتباط أكثر بالصورة الجميلة الوردية للثقافة التي قدمت له عن فرنسا فهي حريصة على إعطاء الصورة الصافية عن فرنسا و عن عظمتها و قوتها و أن معلميها الأحسن إطلاقا وهي عملية شبيهة في قوتها و دعايتها بالتبشير[2]، وبالتالي فليس الهدف من المشروع الثقافي الفرنسي فقط إلغاء الشخصية الجزائرية و دمجها في الأخر بل المشروع مرتبط كذلك بتفكيك بنى المجتمع الجزائري و تفتيته و إعادة بناء و خلق جزئي و جنيني لقوى اجتماعية جديدة تحاول إحلال الحوار مع فرنسا مكان الرفض[3] ، ساعية في نفس الوقت إلى بناء مشروع اجتماعي

[1]-حمادي : المرجع السابق ، ص ص 35-36.
[2]-نفسه، ص ص 69-70.
[3]- نفسه ،ص ص 69-70 .

جديد يطرح إشكاليات مستقبلية تدور حول مصير الحوار بين المجموعتين" الجزائرية و الفرنسية "و بالتالي فقد كانت تلك النخبة التي تعاشر الفرنسيين اجتماعيا و ترتدي الزي الأوروبي تثير الشك في نظر الأهالي الجزائريين هذا ما أدى إلى زيادة الشرخ بين النخبة الجديدة و مجمل الجسد الأهلي[1]، بل ووجد هؤلاء الرجال الجدد المثقفون ثقافة فرنسية أنفسهم أمام ثقافة تؤكد تفوقها ، هذا ما دفعهم إلى المقارنة بين ثقافتهم وثقافة الأخر فكانت النتيجة انتصار العلاج النفسي الفرنسي حيث غير البعض ذاتهم الحقيقية بذات الأخر وتحولت العملية إلى استلاب بمنظور أن ثقافة الآخر هي المقياس الحقيقي [2]، غير أن هذه الفئة كانت درجات في سلم الاستلاب و هي التي شكلت توجهات داخل النخبة الإدماجية .

3- دور النوادي والجمعيات في خلق ودعم النخبة الأهلية- الفرنسية :

ضمانا لبقاء النخبة الجزائرية – الرجال الجدد – مشدودين للثقافة الفرنسية وضمان سيرورة المشاريع الثقافة الفرنسية و نشر الثقافة الفرنسية، سمحت لها الإدارة الفرنسية الانخراط في النوادي الثقافية الفرنسية هنا في الجزائر أو في الجمعيات الفرنسية الأهلية و التي كانت بمبادرة من رجال ليبراليين فرنسيين[3] أو قد تزامنت مع ميلاد حركة الشبان الجزائريين على غرار الجمعيات الثقافية التي كانت في تونس خاصة (الخلدونية 1896 و الصادقية 1905) في زمن عرف نوعا من التقرب من الأهالي الجزائريين و ذلك في عهد شارل جونار الذي شجع الخدمات الاجتماعية و الدراسات العربية [4] .

يذكر موريس بولار بأن أول جمعية تعاونية كانت 1897 في مدينة الجزائر تحت رئاسة علي الشريف لكنها حلت سنة 1908 بالنسبة إليه فإن أول جمعية حقيقية برزت رسميا كانت الرشيدية المؤسسة في 1902 من طرف سارو[5]، و هي في الأساس ودادية قدماء تلاميذ المدارس العربية/ الفرنسية لمدينة الجزائر و حصرت أهدافها في التعريف بالثقافة الفرنسية مع التركيز على نفس الفئة (القدماء) ،و ذلك

---

[1] عبد القادر جغلول : **الاستعمار و الصراعات الثقافية في الجزائر ،دار الحداثة** ، الجزائر ،ص 199 .

[2] حاجي : المرجع السابق وص 402 .

[3] Maurice poulard :**l'ensiegnement pour les indigénes en Algerie**،impGojosso،Alger،1910،p334 .

[4] – أحمد صاري : **شخصيات و قضايا ،من تاريخ الجزائر المعاصر** ، المطبعة العربية ، غرداية ، 2004، ،ص108

[5] Poulard ،op-cit،pp 334-335

لتسهيل دمجهم في المجال الفرنسي و ذلك عن طريق إلقاء الدروس و المحاضرات لتمكين التلاميذ من معرفة اللغة الفرنسية و تقديس الأفكار الفرنسية [1]، مع اهتمامها بإلقاء بعض المحاضرات باللغة العربية هذا وقد فتحت فروعا عديدة منذ 1909 في ظل غياب نشاطات تماثلها في الجزائر[2] .

غير أن الملاحظ أنه بمرور الوقت لم تكن رئاسة الجمعيات العربية/ الفرنسية فقط حكرا على الليبراليين الفرنسيين بل تجاوزت الإطار لتشمل النخبة – الرجال الجدد- ومن الأمثلة على ذلك نادي صالح باي الذي تأسس في العاصمة 1907 من طرف السيد أريب نائب رئيس مجلس عمالة قسنطينة ، لكن رئاسته الشرفية كانت لجونار بما أن النادي عبارة عن فضاء للدراسات الأدبية و العملية و الاقتصادية والاجتماعية ، لكن أهدافه كانت اجتماعية أكثر [3] و قد شمل في عضويته المفتي ابن الموهوب و مصطفى باش تارزي و محمد بن باديس و يتابع فيه نحو 500 طالب دروسا تحث على طلب العلم و اعتناق الأفكار التقدمية [4] .

ومن بين أهم الجمعيات كذلك التوفيقية التي تأسست سنة 1908 و تراسها الأهلي ابن التهامي وبالتالي فقد توالت عملية انتشار هكذا تنظيمات فنذكر ودادية العلوم الحديثة في خنشلة و الجمعية الأخوية في معسكر و الجمعية الإسلامية في قسنطينة و الهلال و الصادقية و نادي الترقي في عنابة ، بل وخرجت هذه التنظيمات من دائرة المدن إلى الأرياف فتشكل الاتحاد في تغنيف و التقدم الصهاريجي في تيزي وزو[5].

ورغم أن هدف هذه الجمعيات قد شمل عملية التوعية و التعريف بما يحدث داخليا وخارجيا لكن هذا ما كان يراه الأهالي الجزائريون لكن بالنسبة للفرنسيين فقد كانت هذه النوادي و الجمعيات حسب أجيرون **مشتلة الشبان الجزائريين**[6] حيث كان الهدف من تأسيسها وجعل المثقفين الجزائريين ينظمون

---

[1] Poulard ،op-cit ،p335
[2]Ibid،p336

[3]صاري :،المرجع السابق ،ص113
[4]حاجي :المرجع السابق،ص404
[5] صاري، المرجع السابق،ص113
[6] شارل روبير اجيرون : **المسلمون الجزائريون و فرنسا**،ج2،ترجمة م حاج مسعود،دار الرائد للكتاب ،الجزائر ،2007 ،ص711

إليها و جس نبض هذه النخبة و مجال نشاطها و قياس مدى تطورها و استشفاف توجهاتها الأساسية وتوجهاتها الجدبدة بصيغة أخرى مدى انسلاخها[1] .

ومن هنا يمكن القول بأن الشبان الجزائريين يستمدون أفكارهم و توجهاتهم من المدرسة الفرنسية بنوعيها، إضافة إلى المؤلفات الفرنسية سواء الصادرة في فرنسا أو في الجزائر و الحداثة و الحضارة بالنسبة للكثير منهم تعني الثقافة الفرنسية في المقام الأول و الأوروبية عامة ، بينما العروبة و الإسلام هي الماضي بالرغم من أن الشبان في حد ذاتهم عرفوا تباينا داخل حركتهم في قضيتي اللغة والدين وكانت سببا في إحداث انشقاق فيها وهو ما جعل الليبيرالبن ينقسمون إلى اتجاهات هي :

1- التيار الإدماجي المتطرف (البعيد عن الإسلام) :

كانت التركيبة العضوية لهذا التيار مشكلة من الإدماجيين الذين تلقوا تعليما فرنسيا مركزا ،و على العموم كانوا خريجي مدرسة المعلمين و بالتالي فقد كانوا يعيشون في مجتمع منعزل عن بني جلدتهم نظرا للأفكار التي تبنوها ،بل و وصل بهم إلى جهلهم تاريخ الجزائر و انتماءاتها الثقافية و الحضارية مع الوطن العربي إلا قليل منهم، هذا ما سرع في عملية الانسلاخ عن الأصل (وسطهم الاجتماعي) ،و ذلك لأن طبيعة التعليم الفرنسي الذي تلقوه لم ينسجم و الوسط الأهلي المسلم ،ومن ذلك أن أصبح هؤلاء الإدماجيين فرنسيين أكثر من الفرنسيين في حد ذاتهم و قد عبر عند ذلك عبد الله حمادي بقوله أن الشباب الجزائري الفرنكوفوني أصبحت لديه القابلية و غيرة حتى على الفرنسية ، جعلته يتقنها أكثر من اللازم و يحافظ على سلامتها و نطقها أكثر من الفرنسي ذاته [2] .

انتزعت هذه الفئة جذورها من المجتمع الجزائري و صارت تنفي انتماءها إلى مجتمعها الأصلي ، وكان أغلب أعضائها ينفون صلتهم بالإسلام إلى درجة أنهم طالبوا بالتجنس و الإدماج في الحياة الفرنسية وهؤلاء لا يستثنون أنفسهم من النموذج الفرنسي إذ يصنفون أنفسهم ضمن الإطار الحضاري الفرنسي و يدعون للتماهي في فرنسا ، حتى من الجانب الديني ، ويعتبرون الدين الإسلامي عاملا معرقلا لفرنسة الجزائر بل

[1]- حاجي :المرجع السابق ،ص405

[2]-حمادي : المرجع السابق ، ص 74 .

وروج البعض منهم لأطروحة فصل الجزائر عن العالم العربي الإسلامي ، كإسماعيل حامت الذي وضع نظريات ومن الأفضل القول عنها بأنها مبررات حول الإدماج و قابلية الجزائري الذوبان في الآخر لأن الإسلام دين متسامح و المسلم كذلك متسامح بل أنه أشاد بقانون سناتيس كونسيلت و الذي سلب الجزائريين مابقي لهم كما نوه بالاستيطان كوسيلة للازدهار [1].

إن نظريات هؤلاء كانت في سبيل البحث عن هوية جديدة تضمن لهم الحياة الرغيدة الكريمة و التي لا يرونها خارج المجتمع الفرنسي طبعا ، ولو كان ذلك على حساب الهوية العربية الإسلامية التي اكتسبوها من أبائهم و أجدادهم منذ 13 قرنا و لم يستطيعوا أن يقتنعوا أو يحتملوا فكرة عدم قبول فرنسا أمثالهم في العائلة الفرنسية و لو تنكروا لدينهم و أصلهم[2] .

كما اعتبرت جريدتي " صوت المستضعفين ". [3]و" صوت الأهالي ".[4] أفضل المنابر التي كانت تعبرعن أفكارهم و أحلامهم ويعتبر ابن حبيلس احد أمثلة هذا الاتجاه .

هو في الأساس من عائلة ارستقراطية تقليدية خدمت الاحتلال في سنواته الأولى وهو من المدافعين عن الطرح الاندماجي هو من مواليد قسنطينة درس فيها ثم تخصص في العلوم القانونية و يعتبر مؤلف << الجزائر الفرنسية كما يراها أهلي>> و الذي طبع سنة 1914 هو من أشهر مرافعاته –أن صح التعبير – دفاعا عن الاندماج و التماهي في فرنسا ، فهو عبارة عن شهادة حيه لمنتوج المدرسة الفرنسية والمتشبع بالثقافة الفرنسية :<< شهادة الجزائري المنسلخ عن أصله و عرضه و عن ذاتيه و مقوماته والساعي بدون كلل ولا ملل إلى إغداق الشكر المجاني على فرنسا و ليه نعمة الجزائريين من أمثاله و القوة المنقذة لبلده الجزائر (....) التي كانت تعيش الصراعات القبلية الوحشية ....>>[5]إن هذا الانسلاخ

---

[1] –الطاهر عمري : **النخبة الوطنية الجزائرية و مشروع المجتمع** ،اطروحة دكتوراه ،جامعة الامير عبد القادر قسنطينة ،2003/2004ص 252.

[2] –خمري : المرجع السابق ، ص 460.

[3] – **صوت المستضعفين** : تأسست سنة 1922 على يد رابح زناتي و كان شعارها يعبرون عن الاحزاب ، يعبرون عن القصائد من اجل ترقية الاهالي عن طريق الثقافة الفرنسية ، انظر خمري ، المرجع السابق ص 390

[4] – **صوت الأهالي** : تأسست سنة 1929 أسسها كذلك رابح زناتي وكان شعارها (جريدة الاتحاد الفرنسيين– الاسلامي...)، حول آرائهم أنظر مثلا : الملحق رقم –1–

[5] – حمادي : المرجع السابق ، ص 74.

الثقافي و الحضاري هو محاولة للتشبه بالأخر و التساوي معه وهي نفسها مقولة أن المغلوب دائما مولع بتقليد الغالب و قد فسر ألبير ميمي هذه النظرة بقوله :<< أن المستعمر يطمح أساسا لكي يصبح مثل سيده ، يكون شبيها إلى أن يختفي فيه ...>>[1] .

يجسد بن حبيلس الأفكار الاندماجية الفرنكوفيلية[2] ،و لذا نلاحظ تلازم مصطلح التقارب والاندماج في مؤلفه متغاضيا طبعا عن الحرمان الذي يعاني منه الأهالي الجزائريين، بل و يدعو إلى الوحدة الفكرية مع فرنسا مستشهدا بانجازاتها الحضارية في الجزائر فهو يؤمن بفكرة أن الزمن كفيل بإحداث هذا التقارب ،و هذا بحدوث الاستمرارية و التوازن بين الجهود الفرنسية و التقبل الايجابي من الأهالي .

و يبين بصورة واضحة في كتابه احتقاره للوسط التقليدي الأهلي خاصة ما تعلق بالأفكار البالية العتيقة، و لا يكون هذا إلا بالتمدرس في المدارس الفرنسية حتى و إن كانت محدودة العدد فعلى الجزائريين الانتظار... و يتجاوز احتقاره الطبقات الشعبية التقليدية إلى الوسط الارستقراطي الذي اتهمه بالكسل والخمول ... في المقابل راهن على الطبقات الأهلية– الفلاحين –لانجاح مشروع الإدماج بحجة أنها لن تخسر شيئا إذا ما أدمجت في فرنسا .

و نعتبر بأن هذه الصورة التي وصل لها بن حبيلس و أشباهه ممن تفرنسوا هي نتاج المدرسة الفرنسية و أساتذتها و التي تشير إلى قوة فرنسا، و التي استطاعت أن تجبر هؤلاء على مقاطعة ماضيهم و هذا ما عبر عنه بقوله :<< غدا ستكون حاجياتنا ، أفكارنا و طموحاتنا مختلفة عما كانت عليه بالأمس ، أن الحضارة الإسلامية التي أشعت في الماضي قد افلت اليوم السلام على رمادها (....) بإمكان العائلة المسلمة بل من واجبها أن تستمر في تطورها بثقة و برعاية فرنسية ، فلا شيء يمنعها من الدخول إلى البيت الوطني كي تذوب و تنصهر بسرعة فيما بعد في العائلة الفرنسية الكبيرة >>[3] ، ولا شك أن تعبيره عن العائلة المسلمة ليست له صورة الإسلام التي نتخيلها ، بل هي صورة علمانية فقد اعتبر هو في حد ذاته –بن

---

[1]-Albert Memmi : **poutrait du colonisé précédé du pourtrait du colonisateur** ،buchet –chastel، paris ، 1957.p184

[2]– الفرنكوفينية: **مصطلح يتعدى الولاء الثقافي و الفكري إلى الولاء السياسي وهو يعبر عن روح الثقافة الفرنسية** ، أنظر حاجي،المرجع السابق ص 408.

[3]– حاجي : المرجع السابق ، ص 412 ، أنظر كذلك

حبيلس –و أشباهه أن الفترة الإسلامية ماهي إلا عصور ظلام [1] ، و هذا التعبير ورد في التاريخ الأوروبي الكنسي أما في التاريخ الإسلامي فإننا لم نؤرخ إطلاقا بهكذا مصطلح.

2-التيار الإدماجي اللائكي البربري :

لقد كان للطروحات المتنكرة لماضي الجزائر و تاريخها الحضاري دافعا لبعض أفراد النخبة الجزائرية المفرنسة لتبني فكرة النزعة البربرية و ذلك محاولة منها لاقتلاع الجزائر من انتماءاتها العربية الإسلامية ومن ثم يسهل ربطها بفرنسا ، ويعتبر المحامي بلقاسم ابازيزان الذي تخلى عن اسمه العربي و أصبح يعرف باسم اغسطين ، أحسن من مثل هذا التيار الفرانكولايكوبربري و الذي كتب سنة 1930 كتابا بعنوان :<< تطور الشبيبة القبائلية>> و قد جاء فيه :<< لأن رغبة الشبيبة القبائلية هو التفرنس الكامل ، القبائلي ليس عنصرا ساميا –من أصل سام- كالعربي بل هو من جنس البحر المتوسط ، وبالتالي فهو أقرب إلى العنصر اللاتيني منه إلى العنصر العربي ، فإن القبائلي ليس له ماضي تاريخي و مخلفات ثقافية تخالف آو تتعارض مع التاريخ الفرنسي بل أن التاريخ الفرنسي سوف يجعل من القبائلي بطلا فرنسيا >>، كما أنه يعتبر تنصير الشباب في القبائل هو الفلسفة الوحيدة التي يجب أن تصبغ بها الشخصية القبائلية [2].

ورغم محدودية و انحصار هذا التيار في منطقة القبائل إلا أن ما كان يهم المشروع الفرنسي التغريبي هو النوعية و ليس العددية ، وذلك لان عددا قليلا من أصحاب هذا الاتجاه كان لهم صدى في أوساط المثقفين الفرنكوفونيين الجزائريين و قد وجد هؤلاء تقبلا من فرنسا ومن طرف اللائكيين ، ويشير عبد الله حمادي إلى أن هذا التيار لم يعرف اندماجا تاما في فرنسا رغم ولائه لها بنقله تصريح احد الأهالي الفرنكوفونيين (1930) لأحد الصحافيين :<<إذا كان الشباب الجزائري الفرنكوفوني قد بلغ درجة من تمجيد فرنسا و محبة ثقافتها و التعلق بلغتها و نموذجها في الحياة ثم تجده لم يندمج فيها كلية ففي هذه الحالة لابد من البحث عن العائق في مثل هذا الحال يمكن الاهتداء إليه بسهولة فلا يمكن أن يكون العائق سوى

---

[1] – **la religion est Un obstacle a notre émanciption**، la voix des humbles ، n 55 decembre1927 .

[2] –خمري : المرجع السابق ص ص 411-412.

الدين الإسلامي لا محالة ، فعلى فرنسا أن تعمل على نشر و تكريس الفكر اللائكي لأنه بهذا التفكير يمكنها إدماج المجتمعات الإسلامية تدريجيا في حظيرتها ...>>[1] .

كما يوجد مثال أخر عن اللائكية و هو المحامي حنفي لحمك و الذي عبر عن كراهيته و حقده للثقافة الجزائرية و قد ألف في هذا كتاب بعنوان:<< رسائل جزائرية1931>> و هي عبارة عن لائكية متطرفة رافضة لأي اعتراف بالعروبة والإسلام و لا يعترف سوى بالعلم و أكثر من ذلك فهو يرى انحطاط البربر –الأمازيغ- لم كن سوى لوجود العنصر العربي الدخيل كما يتهم الحضارة الإسلامية و التاريخ الإسلامي بالتخلف و الرجعية لأن القران والإسلام يتعارضان مع التحضر و يؤكد مرة أخرى نظرة ابازيزن حول الانتماء اللاتيني للبربر و بالتالي ضرورة الانفصال السريع عن الإسلام والعروبة ولايكون هذا إلا بالاندماج الكلي في فرنسا كطريقة وحيدة لإنقاذ الموروث البربري [2] ، كما اعتبر الدين الإسلامي وضعية ضمير و لا يمكن أن يكون أوسع من ذلك .

و يرى الدكتور خمري بأن متزعمي الفكر الانفصالي اللائكي مجموعة إدماجيين معروفين بتحررهم الفكري الواسع وفي الغالب هم أعضاء في الجمعيات الفرنسية كالجمعيات التاريخية بل منهم من انتسب إلى فرع الجمعيات الماسونية الموجودة في الجزائر و كان أهمها محفل العاصمة و محفل سيرتا بقسنطينة و قد ضما شخصيات جزائرية من النخبة أمثال بن تامي و عمار بوضربة في محفل العاصمة وكل من الدكتور موسى والدكتور مورسلي و المحامي حاج مختار السعيد في محفل سيرتا وقد عبروا عن توجههم هذا بقولهم :<< إذا كان الأهلي -الجزائري المسلم- يحترم فرنسا و يحترم فيها قوتها ، وطرق تفكيرها و تنظيمها فإنه في نفس الوقت لا يحبها و السر في ذلك لوجود عائق بينهما و هو الإسلام>> ، ولتخطي هذا الحاجز رأوا في

[1]– حمادي :المرجع السابق ص 82، لقد أرخ الكتاب الفرنسيون لمصطلح التعصب الديني في الإسلام الجزائري على أساس أن الإسلام سبب التعددات الحاصلة حتى 1954وبان الإسلام فوت على الجزائر استغلال وجود فرنسا من أجل التطور الحضاري مدعمين نظرتهم بالاحتلال الروماني في بلاد الغال والتجاوب مع الحضارة الرومانية أنظر :

Alfred Boissemot : **l'islam et la guerre d-algérie** ,C.E.L editeur France , 1977 , pp 17-18.

[2]حمادي :المرجع السابق ، ص ص 82-83.

اللائكية الحل الوحيد و طالبوا فرنسا بتطبيق هذه السياسة بحزم و جدية و إذا اقتضى الأمر يمكن استعمال الطريقة القسرية أي إكراههم على ذلك[1] .

3-الاتجاه الإدماجي المعتدل (الاتجاه التعاوني):

إن أحسن من عبر عن هذا الاتجاه **فيدرالية النواب المسلمين الجزائريين** (**1927**) و يختلف هذا الاتجاه عن بقية التيارات، كون أعضائه انتظموا في حزب سياسي لتبليغ آرائهم و أفكارهم حول الإدماج بخلاف هؤلاء المتطرفين و اللائكيين الذين اكتفوا بالتعبير الفردي عن فكرهم الإدماجي لأنهم كانوا مجبرين بحكم وظيفتهم الحكومية خاصة المتعلمين إبداء الولاء لفرنسا وربما بنوع من المبالغة في أفكارهم الاندماجية ، فقد ورد في المادة 39 من مرسوم 1892 نص على عدم السماح لمعلم الأهالي بالترسيم أو تحضير شهادة الكفاءة العليا إلا إذا كان متجنسا و هذا من باب التحكم فيهم و حتى في طروحاتهم[2] .

و قد ظهرت هذه الفدرالية على أنقاض حركة الأمير خالد الهاشمي بزعامة ابن تامي الذي حاول أن يكون في مستوى الأمير خالد ،وكان شعارها التمثيل البرلماني للجزائريين في البرلمان الفرنسي، لكن على مايبدو لم تعد النخبة القديمة قادرة على مواجهة التطورات الجديدة و لم تستطع حتى تحقيق أية مطالب سواء المتعلق بالتعليم أو التجنيس أو النيابة في البرلمان ،هذا ما دفع بالنخبة إلى التفكير في تنظيم سياسي جديد قادر على جمع كل الشبان المثقفين في الجزائر و هذا ما تحقق في 11 ديسمبر 1927 بزعامة ابن تامي و تم تأسيس فدرالية النواب المنتخبين المسلمين الجزائريين ، لكن الانطلاقة الحقيقية لهؤلاء كانت بعد 1930 و ذلك ببروز شخصيات جديدة أكثر ليبرالية وتنظيما ممن سبقوهم أمثال محمد الصالح بن جلول و الذي كان من المعجبين بالأمير خالد و فرحات عباس من سطيف و كان معجبا بطريق الدكتور بن تامي و الدكتور لخضاري من قالمة و الدكتور سعدان من بسكرة و بهذا يبدأ العصر الذهبي لهذه النخبة الجديدة خاصة بعد تولي فرحات عباس قيادة الفدرالية بانسحاب ابن جلول منها بعد المؤتمر الإسلامي 1936 وحادثة مقتل المفتي كحول.

---

[1]- خمري : المرجع السابق ،ص ص 412-413.

[2]- عبد القادر حلوش : **سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر** ، دار الأمة ، ط1 ، الجزائر 1999 ، ص 183.

اختلفت أفكار هذه النخبة عن بقية التيارات السابقة فهي تتفق معها في مسألة الإدماج ،غير أنها تختلف عنها في قضية الدين الإسلامي ، حيث أنها تنادي بالتمسك بالأحوال الشخصية كما عرفت باعتدال مطالبها في برامجها مركزة على مطلب المساواة مع الكولون في الحقوق السياسية، في حين يرون بأن على فرنسا تأدية دورها المتعلق بمساعدتهم على الإدماج و إخراجهم من التناقض الذي وضعهم فيه القانون الفرنسي و قد أبدوا تمسكا بالهوية العربية الإسلامية ممثلة في الحضارة الإسلامية العربية، لكن في إطار تعاوني أو تشاركي مع فرنسا ، ويرى عبد الله حمادي بأن هذا الاتجاه الذي تزعمه عباس بقي ممزقا بين وطنية مكتسبة من الثقافة الفرنسية و المواطنة الروحية المكتسبة من الإرث الحضاري العربي الإسلامي ،في شكل تقاليد موروثة فهو– عباس– رجل المصالحة مع الذات و مع الطرف الآخر فرنسا[1] .

وهذا وقد بقي هذا الاتجاه يطالب في برامجه بتعليم اللغة العربية و حرية الدين الإسلامي و فصله عن الدولة و ترسيم اللغة العربية إلى جانب الفرنسية و المساواة بين الجزائريين والفرنسيين ،و رغم تدرج هذا الاتجاه عبر ثلاث مراحل في التوجه السياسي الجزائر من المقاطعة إلى المساواة ثم الجمهورية المتحدة مع فرنسا،إلا أن هذه المطالب بقية ثابته من خلال التوفيق بين الإسلام و فرنسا و خلق تعاون بينهما و هو ما اسماه الوطن الروحي (الإسلام) و الوطن الفكري(فرنسا) .

ورغم دفاع أصحاب هذا الاتجاه الدائم عن الثقافة الفرنسية و تأكيدهم على التشبع بها كحال فرحات عباس ،و الذي دفع ببعضهم إلى الخلط بين تعلقه بتلك الثقافة و تبعيته للسياسة الفرنسية رغم أنهما أمران مختلفان ، و إذا كان يحدث أن يتلقى الأمران لدى بعض الساسة فذلك لا يعني بالضرورة أن كل متشبع بالثقافة الفرنسية يعتبر حتما مواليا للسياسة الفرنسية بصورة مطلقة [2] لكن تبقى قضية الأحوال الشخصية مفصول فيها لدى هؤلاء عكس البقية فقد كتب عباس سنة 1926 مقالا بعنوان : **<<الاستعمار و الأحقاد الدينية>>** ، جاء فيه :<<ظل الإسلام هو عقيدتنا ، هو الإيمان الذي

1– حمادي : المرجع السابق، ص 91.

2– محمد الميلي : **"فرحات عباس بين باريس و القاهرة،"** مجلة الحدث العربي و الدولي ،عدد24،نوفمبر 2002 ، ص46.

يعطي لحياتنا مغزى ، هو وطننا الروحي ، إن قانون الأحوال الشخصية هو بلدنا الحقيقي فهل من التعصب الحرص على أن نكون نحن >>[1].

ويلخص فرحات عباس مرجعيته السياسية و الفكرية قائلا :<< قيل عني موالي لفرنسا و العبارة التي تصدق بالنسبة لحالتي هو أن ثقافتي فرنسية ، (....) هذا التعليم الفرنسي هل يمكن أن يؤدي إلى محو شخصيتنا و اقتطاعنا من ماضينا ؟(...) لم اعتقد ذلك في يوم من الأيام لان الإسلام وطن روحي لا حدود له يقود خطواتنا من المهد إلى اللحد ، وطن يتمثل و يهضم الثقافات الأجنبية دون أن تبتلعه ، بل ودون أن تحرقه أو تضعفه و هذا جعلني أظل مسلما و جزائريا بجميع أحاسيسي وروحي ، لكن الثقافة الفرنسية أعطتني حس حياة رفيعا و جعلتني اقدر قيم الديمقراطية و الإنسان>>[2] .

كان هذا الاتجاه رقم ميوله الفرنكفونية نوعا ما واقعيا بالنظر إلى بقية التيارات، و كان لاعتدال عناصره لثقافي و السياسي أن مكنهم من مواكبة مرحلة الحركة الوطنية ثم الثورة التحررية ، بل و استطاع بعض منهم البروز و شغل مناصب سياسية في الحكومة المؤقتة مثل : فرحات عباس و الدكتور أحمد فرنسيس و الدكتور أحمد جرسي و المحامي أحمد بومنجل و كاتب العدل عبد الرحمن فارس، و قد ظلوا جميعا ليبراليين معتدلين و لو يستطيعوا التخلص من تلك العلاقة الثقافية و السياسية و التي ارتبطوا بها مع فرنسا منذ تكوينهم و نشأتهم في أحضان المدرسة الفرنسية.

[1]- محمد الميلي ، المرجع السابق، ص 45.

[2]- نفسه ، ص 46.

المبحث الثاني :الإسلام و الإدماج :

انطلاقا من عمق التأثير الديني (المعتقد الراسخ) في الجزائر عبر التاريخ منذ الفتح الإسلامي و الذي تجلى بوضوح في ماهية المقومات الشعبية (الجهاد) و في مقال الهجمة الاستعمارية (الصليبية) ، يتساءل أبو القاسم سعد الله (رحمه الله)، لماذا لم يظهر الدين كعامل سياسي قوي في برامج الأحزاب و المنظمات التي برزت خلال العشرينات؟.

يعتبر أبو القاسم سعد الله إجابة منه على طرحه السابق بأن حركة الأمير خالد الهاشمي وطنية إسلامية و بأن هذه الحركة كانت قادرة على السير بالجزائر في اتجاه وطني إسلامي لولا نفيه و إنهاء حركته ، و في المقابل يرفض أن تكون حركة الشبان الجزائريين – لابن تهامي ثم فدرالية النواب المسلمين الجزائريين لاحقا- امتدادا أو بديلا لحركة الأمير خالد و ذلك لنوعية التركيبة العضوية للفدرالية (المرجعية الاجتماعية خاصة) و التي لم تخرج في نشاطها عن الشرط الكولونيالي[1] .

و بالتالي فهو يعرف الفترة الزمنية (1920-1954) بأنها مرحلة تلغي النضال السياسي من خلال أدبيات الاتجاهات الوطنية على حساب الدين – عدا الجمعية طبعا-[2] .

و رغم هذه الملاحظة التاريخية الدقيقة لسعد الله فهو يشير مرة أخرى إلى هذه الطائفة المفرنسة رغم معطياتها الثقافية ظلت تعمل و تفكر في ظل الإسلام، و يعود السبب إلى علاقة هذا الاتجاه بالعلماء المصلحين الذين أثروا في مرحلة الثلاثينات في تفكير هؤلاء و دفعوا بهم لإعادة النظر في مسائل كثيرة .

1/ مرجعية واحدة و موقفان مختلفان :

لم ينبثق الليبراليين (الإدماجيون) على خارطة الأحداث من العدم ، فهم جزائريون كان لهم نصيب من الهيمنة و الإذلال ، والشيء الذي ساعد على امتيازاتهم هو تقريب فرنسا منها بعض الأسر لتسير شؤون الأهالي ، هذا ما فتح لهم باب التعليم للخروج من دائرة الضياع و دخول الحياة الكريمة ، غير

[1]- ابو القاسم سعد الله : **أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر**، ج 3 ،دار البصائر، الجزائر ،2007 ،ص 15 وما بعدها .

[2]-نفسه ، ص 24.

أن فلسفتهم للمسألة الثقافية مغايرة لبقية الاتجاهات بالنظر إلى انتمائهم الاجتماعي و تعليمهم الفرنسي كما كان لمطالبهم السياسية (سياسة التشارك) دور في قولبة توجههم الاديولوجي الثقافي ، وهو ما عتم عليهم صورة ذاتهم و بالتالي ضاعوا ، و نستنتج هذا من خطاباتهم المتعارضة طيلة مراحل نشاطهم السياسي ور غم تشارك أفراد هذه النخبة في مرجعياتها الثقافية : المدرسة الفرنسية خاصة باعتبارهم خريجي هذه المشتلة إلا أن قضية الإسلام بقيت نقطة خلاف بين أعضائها خاصة ما تعلق بقيمة الإسلام في الحياة اليومية و مدى فاعليته و تحكمه في الأعراف و القوانين الشعبية المتعارف عليها و هذا الخلاف شبيه بالخلاف الذي كان بين الأمير خالد و جماعة ابن تهامي حول قضية الأحوال الشخصية و هو ما قسم هذه النخبة إلى فئتين تتعارضان المفاهيم الإسلامية و سياسة الإدماج .

هناك فئة انتزعت جذورها من المجتمع الجزائري (انسلاخ عضوي) و أصبحت مهمتها في الحياة هو التكيف و النمط الفرنسي بمعنى بناء مجتمع حديث لا تربطه أية صلة بالانتماء العربي الإسلامي ، وقد اقترح أعضاؤها النموذج الفرنسي بالتماهي التام ثقافيا و دينيا و سياسيا و في مقابل تحقيق هذا المشروع رفضوا احتفاظ المجتمع بأحواله الشخصية لأنه يشكل حجر عثرة أمام التقدم الحضاري.

إن فئة النخبة الليبراليين هي كتلة يتفاوت عناصرها في مدى نسبة التماهي في فرنسا و في القيم التي يمكن التضحية بها لتحقيق هذا الذوبان في فرنسا ، بالتالي فقد كان لأغلبهم رؤى و تصريحات أقل ما يقال عنها بأنها مشينة خاصة فيما يتعلق بالانتماء و اللغة (مثال ذلك الشريف بن حبيلس و تلميذه رابح زناتي) ، والمطالبة بالإدماج و محو عصور الانحطاط و الظلام و الدعوة الصريحة إلى القطيعة مع تاريخ الأمة العربية و حضارتها [1] ، و هو نفس الرأي الذي تبناه بلقاسم إبازيزان (أوغسطين) و المحامي حنفي لحمك الذي أعلن تنصله من الإسلام والعروبة ، وما هذه الشخصيات سوى نماذج عن الإدماجيين المتطرفين بمختلف أصنافهم الذين يتفقون حول رفض الدين والعروبة [2] .

---

[1]– حول آراء بن حبيلس عد إلى مؤلفه .

La religion est un obstacle a notre emancipation، la voix des humbles، n55 decembre1927

انظر كذلك :

[2]– حمادي : المرجع السابق ، ص 28.

إننا هنا فيهذه الدراسة سنركز على طائفة فرنكوفونية جزائرية مسلمة ، وبواسطة قدرتها على هضم اللغة الفرنسية حاولت تحقيق التكامل مع فرنسا ، و التي تمظهرت سياسيا في حركة النواب المسلمين الجزائريين و حزب الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري لاحقا ، والتي مثلها الصالح بن جلول في البداية ثم فرحات عباس الذي قاد هذه الكتلة و الذي اعتبرت أفكاره و آراءه اللسان المعبر عن كل مناضلي الحركة ، وقد كانت هذه الفئة مختلفة عن بقية الأنواع بالنظر إلى رؤيتها للمسألة الثقافية في الجزائر ، والتي عبر عنها رغم هذا الاتجاه فرحات عباس و الذي مثل حركة الشبان أحسن تمثيل ، واستطاع التعبير عن مواقفه من مختلف القضايا التي تشغل بال النخبة منذ أن كان طالبا بكلية الصيدلة .

اعتبرت مسألة العلاقة بين الأهالي و الدين الإسلامي من أهم القضايا التي شغلت فدرالية النواب منذ بداية مشوارها السياسي ، ويعتبر الشبان أن للدين وظيفة اجتماعية تربوية في المجتمع مع التشجيع على انتشاره لكنهم يرفضون أن يكون نظاما سياسيا بل يعتبرونه قضية شخصية ترتبط بإيمان كل فرد ، متأثرين في ذلك بالنموذج الغربي الذي تحرر من التأثير الديني بواسطة التعليم و التربية الائكية بدون أن يقضي ذلك على الدين المسيحي و قد صرح باسمهم فرحات عباس [1] :<<إننا نفكر في تحسين تربيتنا مثلما هو جار عند الكاثوليك اليوم ، ولهذا قام رجال من ذوي الهمة و الإرادة لتحقيق الحقيقة فألفوا جمعية العلماء وبصفتي أحد المسلمين فإنني لم أخف في يوم من الأيام مدى محبتي و تقديري لعلماء الدين و الرسالة القيمة التي يؤدونها >>.

لكن في نفس الوقت يرفض اعتبار الدين كعنصر هوية ، ويرى بأن الإسلام لا يمنع أن يكون الأهالي الجزائريون مسلمين ذوي انتماء و هوية فرنسية ، بل هو في جوهره سلوك يومي و منفتح على العصر ويرفض الاهتمام بالشكل بدل الجوهر وهو في نفس لوقت عقيدة بسيطة يحوي عدة مبادئ اجتماعية [2] .

---

[1] – عبد الحفيظ بو عبد الله : **فرحات عباس بين الإدماج و الوطنية 1919–1962**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الحديث و المعاصر ، جامعة الحاج لخضر باتنة ، 2006، ص ص 68-69.

[2] – نفسه ص 69.

إن المشكل الديني أساسا عند الشبان مشكل اجتماعي و سياسي ، وقد ركز هؤلاء كثيرا في مطالبهم على فصل الدين عن الدولة و هو المطلب الذي اتفقوا مع العلماء في طرحه [1] :<< إن معنى عمق حركتهم هو تحقيق شراكة بين الماضي و الحياة العصرية الحالية ، بين ارث الحضارة الإسلامية و الأفكار والتقنيات الفرنسية لكن احترامهم للتقاليد ما هو إلا عامل ظاهري فقط >>.

إن المصالحة بين الإسلام و المسيحية شعار آمن به الليبراليين و في نظرهم هيأنبل مهمة يمكن لجيلهم أن يؤديها ، ولابد أن تحل علاقات سليمة و إنسانية محل الصراعات و الحروب و الأحقاد التي قسمت هاتين الديانتين السماويتين، مستندين إلى الحجة التاريخية بحكم لجوء المسلمين في بداية الإسلام إلى الحبشة ، لكن من جهة أخرى يرى فرحات عباس بأن البحث عن حياة أفضل لا يكون بالتخلي عن الأصول ولا بتقليد الأوربيين و محاكتهم ، ويرى بأن على الإسلام مهمة استرجاع حيوية الماضي و ذلك بقوله [2] :<< ... يتعين على الإسلام ، يتعلم بدون تواضع مزيف من جديد ما قام بتعليمه ، وهو في أوج مجده وازدهاره و عليه أن يستوعب المعارف و الخبرات التقنية مع الاحتفاظ بالقيم الأخلاقية>> .

تراوحت المصادر الثقافية الليبرالية (الفدرالية) عموما بالجمع بين الثقافة الغربية المكتسبة و التي أثرت فيهم كثيرا لكنهم أمنوا بأهمية الإسلام و ذلك من خلال تصريح عباس [3] :<< إن الإسلام بعد أربعة عشر قرنا صار دين الشعب الجزائري ، وعليه أصبح الإسلام في الجزائر في عقر داره و من العيب محاربته لانه قادر على الصمود في وجه كل تخريب أو تهديم في وجه كل عاد >> ، و للخروج من هذه الازدواجية كان الحال بالمزاوجة بين الإسلام و المواطنة الفرنسية ، فكان فرحات عباس يصرح مثلا بأن له وطنين ، وطن فكري و المتمثل في فرنسا ووطن روحي يتمثل في الإسلام ، وما هذه الوضعية سوى صورة للمعاناة النفسية العميقة التي تعانيها النخبة المفرنسة[4] .

---

[1]- Luk de la barre de manteuil : **Ferhat Abbas et le mouvement revendicatif algerien**، ecole national d'administration ، Alger ،1948، p 27.

[2]- عباس : غدا سيطلع النهار ،تر :حسين لبراش ،دار الجزائر للكتب ،2012 ، ص 112.

[3]- عباس : ليل الاستعمار ، المرجع السابق ، ص 144.

[4] - Benjamin stora –Zakya Daoud : **Ferhat Abbas une autre algerie**، casbah ed، Alger ، 1995 ، p 17.

كما فصلت الفيديرالية في قضية الدين و السلطة بضرورة فصلهما و هي تلتقي في هذه النقطة مع العلماء متخذين في ذلك النموذج الفرنسي (الثورة الفرنسية) ، التي أقرت فصل الدين عن الشؤون الدولة وطالبوا بتحقيق هذا المطلب على الجزائر ، لكنها أبدا لم تطالب بالتخلي عن الإسلام و التمسح فالتجنيس كإجراء سياسي و ثقافي لا يعني التخلي في نظرهم عن أحوالهم الشخصية ، وقد رد فرحات عباس على الذين يرفضون منح الأهالي الجنسية الفرنسية بكون الجزائريين فرنسين و بذلك فهم ليسوا في حاجة إلى طلب الجنسية الفرنسية كما يعتقد أنه ليس هناك تناقض ما بين أن يكون الجزائري فرنسي و مسلم في نفس الوقت يقول [1] :<< نحن مسلمون و فرنسيون ، نحن أهالي وفرنسيون ، يوجد هنا في الجزائر أوربيون وأهالي و لكنه لا يوجد إلا فرنسيين لأن الجزائر منطقة فرنسية >>.

إن النواب المسلمين الجزائريين لا يعتبرون الإدماج في الثقافة الفرنسية مرتبطا بالتخلي عن الإسلام واعتناق المسيحية بما أنها ديانة المستعمر الفرنسي ، فأوروبا عندما زاولت في العصور الوسطى مدرسة الحضارة الإسلامي ة ، لم تعتنق مع ذلك الإسلام و لم تتبن لا الآدب و لا التقاليد و العادات الإسلامية ، لم تتخل عن نمط معيشتها و شخصيتها فبينما كان المسلمون يشيدون المساجد كانت أوروبا تشيد الكنائس و هكذا – بحسب عباس – تطورت المسيحية في العصور الوسطى دون ان تتخلى عن ذاتها [2] .

لكن على مايبد و فإن أعضاء حزب نجم شمال إفريقيا لا يصدقون إسلام النواب المسلمين ، و هو الشك الذي عبروا عنه في مقال في جريدة الأمة فهم يشككون في أيمانهم حتى بالله و يصفونهم بالأناس غير الشرفاء [3].

ونفس النظرة التي سجلتها دراسة لوك دولابار سنة 1948 عندما قال بان احترام هؤلاء النواب المسلمين للتقاليد ما هو إلا عامل ظاهري فقط ، و هذا نابع من مرجعيتهم الاجتماعية كونهم كانوا بعيدين عن حياة الأهالي إذ كانوا معزولين عنهم بحكم ثقافتهم و زواجهم بفرنسيات [4] .

[1]– بو عبد الله : المرجع السابق ، ص 69.

[2]– عباس : **غدا سيطلع النهار** ، المصدر السابق ، ص 121.

[3]– **El OUma**، n 36، 4eme année ،decembre 1935.

[4] – De la barre ،op-cit، p 27.

لقد حدد فرحات عباس مجموعة من المبادئ العامة التي يراها صالحة لمشروع الإدماج و قد تمثلت في عناصر منها [1] :

<< 1- احترام الإسلام و اللغة العربية و الحضارة الإسلامية ، فالإسلام دين الشعب قاطبة وهو في عقر داره و أي محاولة للقضاء عليه مضيعة للوقت لأنه قادر على الصمود .

2- يجب على الشباب الجزائري أن يكون عامل تطور للمجتمع الإسلامي و ينفض عنه غبار الخمول و الركود حتى يصبح المجتمع عصريا يملك التقنيات لمنافسة المجتمع الأوروبي .

3- قبول الحضارة الغربية لكن مع المحافظة على التقاليد >>.

لكن على عكس بعض الإدماجيين الذين يعتبرون أنفسهم متميزين عن أفراد المجتمع البسيطة وإصرارهم على الذوبان في فرنسا لأسباب شخصية تمكنهم من الرقي الاجتماعي [2] .

لم ير فرحات عباس مانعا في التحاق المسلمين بالأمة الفرنسية ، إذا رغبوا في ذلك لكن شريطة أن يتم ذلك بناءا على رغبة كلا الطرفين في العيش المشترك ، وهذا بغض النظر عن الاختلاف في الدين واللغة أو العادات و التقاليد ... و أن الدين لم يمنع المسلم الجزائري من أن يكون فرنسيا على صعيد الانتماء القومي [3].

و منذ 1930 برز الإسلام كظاهرة اجتماعية ، دينية في المجتمع الأهلي ، و قد عكست المؤتمرات الطلابية (جمعية طلبة شمال إفريقيا) مابين 1930-1940 توجه الفدرالية باعتبار فرحات عباس رئيس للمؤتمر حيث لوحظ على جداول أعمال المؤتمر الأول المنعقد في تونس 1931 ، تطرقه للمشكل التعليم العالي و التعليم المهني و تعليم اللغة العربية و مشكل المرأة المسلمة ، أما المؤتمر الثاني المنعقد في أوت

[1]- عباس : ليل الاستعمار ، المصدر السابق ، ص ص 144-145.

[2] - Jean Melia : **naturalisation des indigenes**، la voix des humbles، n 55 ،decembre 1927.

[3]- بو عبد الله : المرجع السابق ، ص 72.

1932 في نادي الترقي في العاصمة فإنه عالج مشاكل هي في الحقيقة تثبيت لمبادئ جمعية العلماء مع موافقة أعضاء الفدرالية بالإجماع خاصة فيما تعلق بنشر اللغة العربية [1] .

1- تعليم التاريخ و الإسلام في الجزائر .

2- تعليم العلم الأوروبي بالفرنسية و تعليم الثقافة الوطنية القديمة بالعربية (تعليم مختلط عربي/ فرنسي).

3- فتح مناصب للطلبة (المعلمين بالعربية) .

كما أن طبيعة هذه المؤتمرات التي خلقت لحمة بين المثقفين سواء المفرنسين أو الإصلاحيين و هذا بالنظر إلى الاتفاق حول إجبارية التعليم العربي الفرنسي باللغتين الرسميتين العربية و الفرنسية . بل و تم إزاحة العناصر المتجنسة بالجنسية الفرنسية من هذا التنظيم[2].

كان مشروع فرحات عباس الثقافي يأمل في تحقيق تصالح بين فرنسا و الإسلام و بواسطة الثقافة الفرنسية الإسلامي ة ستولد فرنسا الشرقية ، وهذا يشبه نظرية الإسلام الفرنسي ، لكن رغم ذلك يرى أبو القاسم سعد الله بأنه و رغم أخطاء النخبة فقد ظلت تعمل و تفكر في إطار الإسلام حتى أنه كان اعتناقها للإسلام و العروبة ظاهريا [3] ، وهو ما فسر التقارب الحاصل بين العلماء و النواب المسلمين في المؤتمر الإسلامي ، إذ يجمع المؤرخون على أن التقارب بينهما كان أكثر من أي تقارب بين اتجاهين آخرين من الحركة الوطنية الجزائرية و في هذه المرحلة التاريخية (المؤتمر الإسلامي 1936) ، ورغم تركيز النواب المسلمين في على إلغاء القوانين الاستثنائية و منح الحقوق للجزائريين طالبوا كذلك مع بقية الاتجاهات [4]:

---

[1] – مسعودة يحياوي مرابط :**المجتمع المسلم والجماعات الاروبية في جزائر القرن العشرين** ، حقائق وإيديولوجيات وأساطير ونمطيات ،ج1، تر: محمد المعراجي ،دار هومة ، الجزائر ، 2010 ، ص 274 ، ج 1.

[2] – نفسه ،ص 275.

[3] – سعد الله : الحركة الوطنية ج 3 ، المرجع السابق ، ص ص 67-69.

[4] –كريمة بلحسين : **الحياة السياسية في قسنطينة 1930–1939** ، رسالة مقدمة للحصول على دبلوم الدراسات المعمقة في التاريخ الحديث و المعاصر ، جامعة منتوري قسنطينة ، ص 184.

1- تخويل المسلمين الجزائريين جميع الحقوق التي يتمتع بها الفرنسيون مع المحافظة التامة على المميزات الإسلامية التي يتمتع بها المسلم الجزائري في أحواله الذاتية الشخصية .

2- تأكيد في المحافظة على الأحوال الشخصية الإسلامية .

و رغم الأزمة التي شقت الفدرالية و ذلك بانسحاب الصالح بن جلول من المؤتمر الإسلامي وتصريحه بأنه يرفض التعامل مع حركة (العلماء) تغتال معارضيها ، اتجه فرحات عباس إلى تأسيس الاتحاد الشعبي الجزائري 1938 وقد ركز في برنامجه على وضع أسس دولة جزائرية تكون بمثابة مقاطعة فرنسية لكن مع المحافظة على لغتها و عاداتها و تقاليدها [1] و فصل الدين عن الدولة [2] .

يعتبر بيان فيفري 1943 خطوة هامة في نضال الفدرالية و ذلك نظرا لاستنكار الإدماج مذكرا بالفوارق الروحية العميقة بين الأهالي الجزائريين و المستوطنين و رفض العبودية الاستعمارية ، و أكد على أن الوقت قد حان لأن يكون الجزائري جزائريا و ليس شيئا آخر ، وبما في ذلك خصوصية الدين الإسلامي و تطبيق فصل الدين عن الدولة ، لكن أمام رفض السلطات كما هو معروف للبيان و ملحقه ، وفرض الإقامة الجبرية على عباس و عبد القادر السايح في وهران ، صرح ديغول في خطابه من قسنطينة في 12 ديسمبر 1943 بأن فرنسا ستمنح الجنسية للجزائريين دون إلزامهم بالتخلي عن أحوالهم الشخصية الإسلامي ة ، إن هذا انجاز في حد ذاته و نعني المسألة المتعلقة بالأحوال الشخصية ، لكنه جاء متأخرا بالنواب المسلمين و مرفوض من طرف الوطنيين و لم يقبله سوى بعض اللجان المالية تحت الضغط [3] .

بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية و بعد قرار العفو العام أسس فرحات عباس حزب الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري ، والذي اقترح مشروع دستور جديد يتضمن تأسيس جمهورية جزائرية وفق نقاط عديدة وردت في المقترح [4]، إن إلقاء نظرة على المقترحات يلاحظ أن جماعة فرحات عباس ، و:انها توحي إلى

---

[1]- Kaddache : op-cit(T1) ، p 583.

[2]-حول الاتحاد الشعبي عد إلى : claud collot et robert henry : **le mouvement nationale algérien**, textes (1912-1954) office , des publication universitaires, hydro, Alger, 1978, pp 121-124.

[3]- سعد الله : الحركة الوطنية ج ، المرجع السابق ، ص 218.

[4]- عباس : ليل الاستعمار ، المصدر السابق ، ص ص 200-202.

انتزاع الجزائر من انتمائها الثقافي و الجيوسياسي و هو الوطن العربي في الجزائر ، و ترسيم اللغة العربية إلى جانب الفرنسي مع إلزامية تعليمهما و الإبقاء على المدارس العمومية الفرنسية ، و إعطاء الحق لفرنسا لبناء مدارس أخرى في الجزائر ، وبالتالي فهذا من وجهة نظرنا تعزيز للإدماج الثقافي ، رغم أن هكذا مشروع في نظر الاتحاد الديمقراطي ما هو سوى مرحلة في بناء دولة جزائرية ، وهي نفس المطالب التي تبنتها حركة أحباب البيان و الحرية ، خاصة فيما يخص موضوع التعاون العربي الإسلامي[1].

إننا نلاحظ مما سبق أن فدرالية النواب و قبل الحرب العالمية الثانية قد أبدت مطالب واضحة اتجاه الدين الإسلامي بوصفه الإطار الذي حصرت فيه الشخصية الجزائرية سواء كان هذا التدين ظاهريا أم اقتناعا ما يهمنا أنه طولب به، لكن من جهة أخرى ظهور الإيديولوجية الجديدة وهي المساواة و تعني التشارك في كل المصالح و بذلك يفتح باب التعدد الديني وهو ما يؤدي إلى العلمانية ، والتي تعتبر عند الليبراليين العصرنة التي يبحثون عنها و التي عبر عنها عباس في لقائه مع بول رماديه إثر تشريع دستور الجزائر 1947 قائلا [2]: << إن جسم الجزائر محصور في اللباس المفروض عليه أنه في حاجة إلى التنفس ، حاولوا إذا أن تخيطوا له لباسا عصريا >>.

2/ التجنيس :

تعتبر قضية التجنيس من القضايا التي أثير حولها جدل كبير بالنظر إلى ارتباط مفهومها بالمواطنة و الأحوال الشخصية الإسلامية ومن ثم موقف الإسلام منها ، فمنذ فيفري 1919 فتح باب النقاش بجدية حول هذه المسألة و ذلك لأن هذا القانون لم يكن كسابقيه من القوانين انفتح منفذا قانونيا حول حق المواطنة الفرنسية وفتح التجنيس أما حسب قانون 1865 بشروط أو ذلك حسب قانون 1919 و هو كذلك قانون مشروط مرتبط بالسلطة القضائية وهو موجه لفئة محددة من الجزائريين النخبة و ليس لكل الجزائريين و هذا طبعا يدخل في باب سياسة التثاقف الانتقائي .

---

[1] - **statuts des amis Manifeste est la liberté**، document inédits du mouvement national textes fondamentaux ،A.W.C ، n 12، 1983، p p 27-31.

[2] - Amar naroun :farhat ABBAS , ou les chemins de souverainté , eddonel , France , 1961 ، p 117.

ظهرت أهمية هذه القضية في المواعيد الانتخابية و من ذلك الصراع الذي كان داخل حركة الشبان الجزائريين بين الأمير خالد و ابن التهامي و كان جوهر الصراع حول ما تعلق بالتجنيس مع التخلي أو الاحتفاظ بالأحوال الشخصية [1] ، عرف الأمير خالد الهاشمي بدفاعه عن الشخصية العربية – الاسمية و رفض كل إدماج يمسها و كان يرفض التجنيس و يعارض الشبان الجزائريين المطالبين به حيث ذكر محفوظ قداش أن الأمير خالد صرح بأن [2] :<< الوطني الصادق لن يقبل صفة المواطن الفرنسي في قالب غير قالبه وفي قانون غير قانون أحواله الشخصية >>.، هذا و لم يستطع الأمير خالد الدفاع عن الحقوق السياسية للجزائريين – كمواطنين –أثناء تواجده في الجزائر ، واستمر في ذلك أثناء نفيه إلى فرنسا 1924 ، و يعلق أحمد صاري على نضال الأمير خالد و استمراريته قائلا [3] :<< و إذا كانت محاولات الأمير ، خالد قد اصطدمت بصخرة من العراقيل اضطرته في النهاية إلى المنفى فإن هناك من رفع المشعل ومن هؤلاء فرحات عباس>>.

ويعتبر فرحات عباس أحد أعضاء النخبة عموما و فدرالية النواب خصوص الذين نادوا بالإدماج في المجتمع الفرنسي و نيل حق المواطنة الفرنسية عن طريق التجنيس ، لكن على أي أساس ؟

إن فرحات عباس أحسن من مثل هذا الاتجاه لأنه ساير فترة العشرينات بمختلف أحداثها السياسية و الثقافية ، عبر عن مختلف القضايا التي شغلت بال النخبة خلال تلك الفترة منذ أن كان طالبا بالصيدلية و استطاع بكل جرأة الرد على غلاة الاستعمار في تقديمه لكتاب الشاب الجزائري أستاذ أبو القاسم سعد الله بالشاب فرحات عباس قائلا [4] :<< إن (الشاب الجزائري) صفحة قوية من الدفاع عن الإسلام و العرب و البربر و المنافحة عن الرسول (صلى الله عليه و سلم) و قد ناقش فيه الاندماج و المساواة دون

---

[1] – احمد صاري :" **مسألة التجنيس وموقف الجزائريين منها**" ،أعمال الندوة الدولية العاشرة حول المغرب العربي في العشرينات ،5-6 ماي 2000 ، جامعة منوبة ،تونس ، ص 179 .

[2] – محفوظ قداش : الامير خالد ، **وثائق و شهادات لدراسة تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية** ، ديوان المطبوعات الجامعية ، المؤسسة الجزائرية للطباعة ، الجزائر ، 1987 ، ص 34 .

[3] – صاري ::" **مسألة التجنيس وموقف الجزائريين منها** " المرجع السابق ، ص 182.

[4] – عباس : الشاب الجزائري ، المصدر السابق ،ص 9.

التخلي عن الشريعة الإسلامية ، (...) إن فرحات عباس يبدو في الشاب الجزائري (صاحب قضية) حاملا لهموم ينوء بها صدره...>>.

إن انطلاق عباس في تحليله لموضوع التجنيس يبدأ من تحليله لوضعية الجزائريين المسلمين في ظل الوجود الفرنسي فرغم مرور قرن على الاحتلال لم تتحسن وضعية الأهالي بل فقدت الجزائر شخصيتها ، فلم تبق إيالة ولا مقاطعة بل أصبحت مستعمرة ، إما سكانها فهم رعايا [1] ،وقد تساءل في مقال له حول بقاء الجزائر كما هي فرغم المبادئ و الشعارات التمدينية الفرنسية [2]:<<الجزائر فرنسية منذ 108 عام ولم تتقدم و لو قليلا ؟>>.

تتمحور فلسفة فرحات عباس فيما يتعلق بالتجنيس حول إلحاق الفرد الجزائري مباشرة بفرنسا ، كما ألحقت الأرض ، إلا أنه عارض قانون السناتوس كوسيلة 1865 و التجنيس على الطريقة الفرنسية فهو لا يتصوره مخصصا للنخبة البرجوازية فقط ، بل يجب أن يعمم على كل الجزائريين لأن التجنيس بهذه الصفة معناه خلق الطبقية في المجتمع أو حتى صدام الطبقات في المجتمع وممعناه انفصام عضوي داخل المجتمع.

طالب عباس بكامل الحقوق السياسية للأهالي الجزائريين باعتبار المساواة بين الجزائريين و الفرنسيين ، وهو لا يرى داعيا من طرح قضية الأحوال الشخصية لحرمان الجزائريين من حق المواطنة حيث رد على هذه السياسة ، بأن قانون الأحوال الشخصية للجزائري لم يبق منه إلا الشيء القليل المتعلق بشروط الزواج والإرث ، أما في مايتعلق ببقية الأمور من قوانين تجارية اجتماعية ، مالية قضائية تعليمية و عسكرية فإن نظام الفرنسي قد طبق كلية على الجزائريين و لذلك فلم يبق من معنى للتجنيس الفردي [3] .

ومعنى هذا أن من حق الجزائري الحصول على حق المواطنة الفرنسية ، وبالتالي مادام القانون المدني الفرنسي عوض القوانين السابقة في الجزائر ما داعي للتجنيس ؟ يجيب عباس عن هذا السؤال باستنتاج جرئ [4] :<<أننا نستطيع أن نفهم بسهولة أن أجنبيا يجد عن طريق التجنيس الفردي حياة أفضل ،

[1]- صاري : :" **مسألة التجنيس وموقف الجزائريين منها**"المرجع السابق ، ص 183.

[2]- **C.A.O.M .15h2، B.M. P.I،A ، l'entente،février 1939**.

[3]- عباس : الشاب الجزائري ، المصدر السابق ، ص 99.

[4]- نفسه ، ص ص 99-100.

فيستقر نهائيا في الجزائر ، لكن بالنسبة إلينا ؟ نحن جزائريون ونشكل فردا من عائلة وفردا من المجتمع ، وهذا موضوع في الحسبان ، حسب ما أتصور فهل هناك –بالمصادقة– من يدعى أنه يمكن تغيير أي شيء في هذا المجتمع عن طريق التجنيس الفردي ؟(...) إن التجنيس في الجزائر هو في الواقع في خدمة الجالية الأوروبية قبل كل شي ...>>.

بل و يقدم فرحات عباس إجابة شديدة موجهة إلى لويس برتران الذي قدم تعبيرا فيه نوع من الشفقة و التظاهر بالرحمة ساخرا في نفس الوقت من الأهالي، هؤلاء الأهالي الذين رغم فقرهم و تخلفهم وبقائهم على أصلهم تحتضنهم فرنسا ؟ يجيب عباس بأن الأهلي تحديدا يجب أن يحافظ على أصالته (هويته) بقرفها و تخلفها لأنه ابن هذا البلد [1] ، و الحقوق المطالب بها إذن لصالح الجزائريين ليست بالضرورة عن طريق التجنيس ففرحات عباس الذي لم يتجنس أبدا حسب ما ذكره بنجامين ستورا [2] ، و رغم اطلاعه وشخص بالمؤلفات الغربية إلا أنه كذلك اطلع على تجارب المشرق الإسلامي ، رغم فرنكوفونيته وعدم إتقانه التحدث باللغة العربية ، لكنه كان متدينا على الأقل لم يكن ممن يرتكبون المحرمات حسب شهادة عمار نارون الذي شهد بأنه [3] :<< ...لم يكن شغوفا بالخمر و لم يأكل لحم الخنزير وهذا سلوك خاص (...)، كما انه لم يكن يريد أن يجرح مشاعر الجماهير المسلمة التي كان يبحث لديها عن السند السياسي>> ، أما في وصفه لبو منجل فقد وصفه بالحر في التفكير لكنه يشهد له بأنه يستحل الكثير من المحرمات في الدين الإسلامي [4] .

إن موقف التجنيس الفئوي هذا يتشارك فيه عباس مع زملائه في فدرالية النواب– الصالح بن جلول– أين عملت على إدماج الجزائر في فرنسا دون التخلي عن الأحوال الشخصية .

[1]-– عباس :**الشاب الجزائري**، المصدر السابق ، ص 97.

[2]- Stora،op-cit ، p 9.

[3]- naroun ;**op-cit**، p 139.

[4] - Ipid.

3- قضية الإسلام والأحوال الشخصية في صحافة الاتجاه:

عبرت جرائد هذا الاتجاه عن التطورات الإيديولوجية الحاصلة في هذا الاتجاه حتى أن أسماء الجرائد كانت مستمدة من المرحلة الفكرية التي عاشها الاتجاه مع وجود طغيان بعض الشخصيات المحركة لهذا الاتجاه على العمل الصحفي ، كما تشير إليه التقارير الفرنسية والتي ركزت في اهتماماتها بصحافة الأهالي باقتباس ما يكتبه إما فرحات عباس آو الصالح بن جلول و بإسهاب ماكتبه زناتي في جريدة صوت المستضعفين .

أ/ جريدة الوفاق "L'entente franco-musulman"

هي جريدة أسبوعية تحمل شعار "" الوفاق الفرنسي الإسلامي "" ظهرت في 12 سبتمبر 1935 في قسنطينة من طرف محمد الصالح بن جلول ، وقد أصبحت لسان حال فدرالية النواب المسلمين الجزائريين ، وتعتبر هذه الجريدة بمثابة انعكاس للانتلجانسا بطريقة حديثة و عصرية [1] ، لكنها كانت موجهة للنخبة فقط.

وترتبط هذه الجريدة أساسا بالدكتور محمد الصالح بن جلول هذا الرجل الذي تعتبره التقارير الفرنسة الرجل الجديد ، قائد الشباب فقد اكتسب خبرة سياسية و صحفية من جريدة **صوت الأهالي** لرابح زناتي بحيث شهدت مكانته على المجال السياسي منحنى تصاعدي في غاية السرعة عن طريق صوت الأهالي ويواصل التقرير [2] :<< بمرور الوقت أصبحت عنده تصرفات القائد ، يتحرك كثيرا ، ينتقل في دائرته ، ينظم إضراب الجباية في بلدية عين مليلة ، يذهب إلى باريس في 1933، على رأس وفد،...، ينظم في العودة الحركة الأولى استقالة المنتخبين ، في هذا الوقت أحس أن الثمرة ناضجة لأخذ رئاسة الفدرالية ، منذ فترة السيد سيباسان و أصدقاؤه العقلاء الذين قاموا بتوبيخ عملية إيفاد الوفد إلى باريس، امتنعوا عن الظهور في لملتقيات ، لتجديد أعضاء المكتب ... بعملية ماكرة بن جلول يبايع كرئيس لفدرالية النواب المنتخبين ،لكن بن جلول سرعان ما انسحب من "" صوت الأهالي"" بسبب عدم تقبله زناتي مرشحا

[1] -Haddad : op-cit، p p 254-255.

[2]-C.A.O.M ، 9h38 ،**note individuelle des renseignements**(**benjaloul**)، 25 septembre،1942.

للفدرالية وكون صوت الأهالي ستصبح منافسا كبيرا لبن جلول فقام بتأسيس "" الوفاق"" رفقة أعوانه ، عباس وسعدان ، لخضاري ، ...>> .

و رغم مرجعية هذه الجماعة باعتبارها نتاج المشتلة الفرنسية إلا إنها في كتاباتها و حتى في مقالاتها الصحفية لم تبدي رفضا للإسلامأو التنازل عن الأحوال الشخصية بل كان محو تقاطعها مع اتجاهات الحركة الوطنية حول المسألة الوطنية و مرجعياتها و الذي وجدت حله في ضرورة الإدماج.

اهتمت جريدة الوفاق بالمسائل الثقافية ، وحيث من خلال تصفحنا لأعدادها لاحظنا اختلافا في المواضيع مع الفصل في مواضيع أخرى ، خاصة مقالات بن جلول و فرحات عباس فرغم كون الأول في نظر فرنسا :<< طبيب جيد ، لكن فاقد كليا للمعنى الأخلاقي ، لا يمكنه امتلاك برنامج ، و لكن ذو جدارة في الجانب السياسي ، عنيف ومسيطر غير قادر على الوفاء بالوعود (...) مصاب بمرض الكذب ...>> ، إلا أنه لم ينسلخ كثيرا في مقالاته عن الإسلام و لاعن مجتمعه رغم أفكاره التقدمية.

ركز بن جلول في مقالاته عن التذكير بالعلاقة الأبدية لجزائر و فرنسا و عن احتواء الثانية للأولى بل ونلمس مستوى سحر كلمة إدماج على فكر بن جلول حيث صرح في إحدى أعداد الوفاق [1] :<< بين فرنسا و نحن توجد قضايا ومسائل ، لكنها مسائل عائلة واحدة ، ولا نسمح لأحد بالتدخل بيننا>> لكن ورغم هذا الرأي إلا أن عناصر هذه النخبة أبدوا اغتياظا كبيرا من عدم دمجهم ورفضهم [2] :<< متى سيقرون بمعاملة ابن هذا البلد كإنسان ، لنا كرامتنا ، لنا شخصيتنا ، و سيأتي يوم ، حيث الصبر لا يطاق و لو آتى من أعلى شخصية إدارية>>.

وقد وجهت النخبة نداءا للمجتمع الفرنسي في جريدة الوفاق معتبرين أن الإدماج هو قناعة من الأنا و قبول من الأخر ، وكان المقال بعنوان "" نداء إلى فرنسيي الجزائر "" جاء فيه [3] :<< ... نحن نرسل نداء إلى كل الفرنسيين ، العائلات و الأمهات ، لكل الفرنسيين أباء العائلات الذين يروننا ، مثل أولادهم

[1] -C.A.O.M،15h2،B .M.P.I.A.**l entente** ،13avril 1939.

[2] -C.A.O.M، 15h2 ، B.M.P.I.A،**l entente**، 3 aout 1939.

[3] -C.A.O.M ، 15h2،B.M.P.I.A،**l'entente**، 22 juin 1939.

الحقيقيين يعيشون ، يعانون و يأملون ننادي لكل هؤلاء الفرنسيين في الجزائر مهما كان رأيهم السياسي لرفقاء الدراسة و الجامعات و نطلب منهم أن يمحوا الحقد من كل القلوب ، وان يمشوا قدما نحو تصرف طيب و عادل ، أخوة جزائرية و عظمة فرنسا ، إذن فرنسيي الجزائر هذا ما ينتظره 06 ملايين جزائري منكم >>.

و بالنسبة لقضية الأحوال الشخصية فالنواب المسلمين لا يرونها حجر عثرة أمام الإدماج ، فهم يطالبون بالإدماج عن طريق الحقوق و بالتالي يصبحون فرنسيين مسلمين ، و قد كتب الوفاق مقالات حول قدسية القانون الشخصي بالنسبة لهم كمسلمين ، ونفس النظرة لدى فرحات عباس فرغم تكوينه الثقافي إلا انه أراد صنع مجتمع مثقف حديث مسلم ، فهو نفسه كان يريد من نفسه هذا النموذج أن يصبح جزائريا فرنسيا لكن ليس بالتذكر لأصله و قد سعى ليؤكد للكولون أن الجزائري يستحق المواطنة الفرنسية لأنه يستطيع التحكم الثقافة الفرنسية و قد دخل في صراع مع الكولون حيث وصفهم في إحدى مقالاته في الوفاق [1] :<< المعمر في الجزائر ليس بإنسان انه حيوان ، وانه سيئ السلوك ، ولأجل خير هذه الأمة يجب أن يختفي >>.

لقد لاحظنا أن هناك فرقا واضحا بين بن جلول و فرحات عباس في طرح القضايا الثقافية ، حيث كانت مشاركات بن جلول الصحفية حولها قليلة جدا تفتقر للجرأة و الاهتمام و ذلك لأنه رجل يهتم بالسياسة ومهووس بالانتخابات وضع لقب قائد لأنه كان يرى في أتاتورك مثالا له ، بالرغم من وقوفه إلى جانب المسلمين في قضية اليهود أوت 1934 بسبب تعنيفه لمفتش الشرطة تجاه أعمال اليهود حيث غرم ب 100 فرنك و شهر سجن مع وقف التنفيذ [2] :<< من باب كونه صحفيا فإنه حسب بعض المعاصرين له قلم لامع [3] :<< عمل كصحفي وهو شاب صغير، (...) صقل مواهبه ، بساطته وحسه النقدي ، جاء نتيجة الصبر ، هو صحافي ممتاز أكثر منه خطيب يمتلك ذوق الأفكار الرائعة ...>>.

---

[1] -C.A.O.M، 15h2،B.M.P.I.A، **l'entente**، 18 mai 1939.

[2]- C.A.O.M 9 H 38 , op-cit p6.

[3]-ibid، p4.

في حين أن عباس الصحفي يتميز كثيرا عن بن جلول فرغم ما قيل عنه و كتب إلا أن هذا لا يعني مجانبة الحقيقة فكتاباته كلها لا تتنكر للدين الإسلامي و الشخصية الإسلامية ، حيث أنه في المقالات التي جمعت في كتاب الشاب الجزائري عبر بعلنية عن احترامه و انجذابه للإسلام كما أنه صرح عن مرجعيته فرغم اعترافه لما قدمته له المدنية الفرنسية و الكتب الفرنسية من عقلانية و تفاسير عملية إلا أنه يعتبر الإسلام عقيدته الخالصة التي تعطي لحياته معنى فهو" الوطن الروحي"[1] .

تعتبر قضية الصراع المزدوج بين الإسلام و المواطنة الفرنسية أساس مشروع الإدماج ، خاصة في مرحلة الثلاثينات و التي مثلت مرحلة التحول من المستعمرة إلى المقاطعة كما أنها مرحلة الإيمان بأن فرنسا باريس "" حقوق الإنسان"" فرنسا الديمقراطية غير فرنسا الجزائر ، فرنسا الاستعمارية ، فنظرة النخبة كانت تتمحور حول الاستعانة بالأولى ضد الثانية و بالتالي منع حدوث اصطدام مع الإدارة الاستعمارية مع أولوية المطالبة بتحسين الأوضاع الاجتماعية و اختبار منهج إيديولوجي يقوم على الدمج بين الإسلام و الثقافة الفرنسية .

وبما أن عباس كان في مرحلة الثلاثينات يبحث عن الذات الجزائرية فقد طالب بترقية المجتمع الجزائري ودمجه في نظيره الفرنسي ، ومن منطلق المواطنة لكن طالب بالحفاظ على الأحوال الشخصية الإسلامي ة ، ويعتقد بعض المؤرخين أن عباس و بن جلول قد تقربا أكثر من الإسلام و العروبة و بفضل العلماء الذين أعطوا معنى جديدا للإسلام الصحيح [2] ، وهذا ماجعل عباس يدافع عن العلماء و عن الدين الإسلامي ومن ذلك المقال الذي كتبه في جريدته الوفاق ليوم 27 فيفري 1936 م (فرنسا هي أنا) و قد بين في مقاله هذا أن تعليم اللغة العربية و الإسلام يسمح بالاستنارة و التفتح و الخروج من الدروشة [3].

ومن جهة أخرى رفضت الوفاق كل الإساءات الموجهة ضد الإسلام و معالمه و اعتبارها ذات قدسية مثلها مثل الشعائر المسيحية رافضين فكرة تطرف الأديان ، حيث مثلا تطرقت إلى عملية إصلاح الكنائس المسيحية و ترميمها في حين أن المساجد الإسلامي ة تتضرر حتى تتهاوى ، كما تطرقت إلى قضية خطيرة و هي رفض المسلمين الانضواء تحت الصليب و هذا بعد تجاوزات خطيرة حيث عبرت في 16 فيفري

[1] - de la barre ،op-cit، p4.
[2] -، Abbas :le jeune algérein،op-cit،p p89-90.
[3]- De la barre ،op-cit، p 37.

1939 في أعمدتها [1] :<<نقبل أن نكون تحت العلم الفرنسي الملون ، وخوذة فرنسية أو الديك الشجاع و ليس تحت صليب ، نطلب أن تكون أسماء المسلمين راسخة >>.

كما رفضت الوفاق قرار 8 مارس 1938 م والذي منع تعليم القرآن حيث عبرت عنه :<< إن قرار 8 مارس 1938م ، خرج من قانون مشترك ، و الذي يمنع تدريس القرآن و الذي ينبغي أن يكون حرا كما هو حر التعليم الديني المسيحي آو العبري>>.

احتج أعضاء الفدرالية بشدة حول مصطلح "" الفرنكو المسلمين "" لأنه بالغ الخطورة بفصل النخبة المسلمة عن المجتمع و الدين [2] ، فلم تعتبر هذه الأخيرة الثقافة أو التعليم الفرنسي مسحا لانتمائها ، وهم في فترة الثلاثينات مقلدين للثقافة الفرنسية و ليسوا مثقفين فرنسيين ، واعتبروا مصطلح مسلمي فرنسا أرحم بكثير من الفرنكو مسلمين فهو يحدث نوعا من التشويه لصورة الشخصية الوطنية الإسلامية ، هذا ما جعل عبد العزيز كسوس يحذر في مقال فرنسا من خطواتها تجاه المسلمين الجزائريين [3] :<< فرنسا ستفقد الواجهة أمام بقاء الإسلام ...>>.

أن الفكر الليبرالي الفرنسي كان المرجعية القاعدة بالنسبة لهؤلاء إلا أنهم حاولو في أحيان كثيرة العودة إلى الإسلام كمحاولة للتوفيق بينه و بين المبادئ الليبرالية كحال عباس ، فهو مدين للثقافة الفرنسية ومتمسك بالإسلام ، و يعتبر لوك دو لابار بأن هؤلاء المطورون لهم عقلية لائكية وغريبة مع إحساس وشعور بالانتماء إلى الإسلام ، لقد فهموا أن الإسلام يضعف مكانتهم لذلك عملوا أن يكون للإسلام مكانة مميزة في مطالبهم رغم طغيان المطالب الاجتماعية و السياسية [4].

ومن جهة أخرى تأثرت كتابات عباس في الوفاق بما كان يكتبه الأمير خالد في جريدة الأقدام ، حيث كانت الوفاق قريبة من الطرح القائم حول دمج الجزائر بفرنسا و عباس والأمير خالد يتشاركان في ثقافتهما الفرنسية و إخلاصهما للتقاليد الإسلامية ، كما أبدت هذه الجماعة إعجابا بحركة كمال أتاتورك

[1] -**L'entente**، n24، 27 fev 1936.
[2] -C.A.O.M، 15h2،B.M.P.I.N.، **l'entente**، 16 fev 1939.
[3] -C.A.O.M، 15h2،B.M.P.I.N.، **l'entente**، 8 avr 1939.
[4] -C.A.O.M، 15h2،B.M.P.I.N.، **l'entente**،27 avr 1939.

أين استهوتهم التجربة اللائكية ، لكن لا ينبغي ذلك تطبيقه على وضعيتهم الشخصية في الجزائر بحيث يرى بنيامين ستورا أن النخبة هذه أعجبت بالانتصارات العسكرية لأتاتورك ، رغم أن حركته قضت على الخلافة الإسلامية ، إلا أن هذه الصورة لم ترتبط في ذهن النخبة بقدر ما ارتبطت بصورة المحرر من الاحتلال [1] ، وتستنتج هذا من خلال المقالات التي حرروها في هذا الإطار ومن هذا المثال طالبوا بفصل السلطة عن الدين .

دعا فرحات عباس ورفاقه إلى التوفيق بين الإسلام و المواطنة الفرنسية ، فالإسلام بالنسبة لعباس كان يعني التمسك بأصالته و المدنية الفرنسية كانت تعني الحداثة ، و رغم الانتقادات التي وجهت إليهم حول التناقض الفكري لهؤلاء إلا أن رفاق عباس ظلوا يناضلون من أجل إيجاد جزائري مسلم العقيدة و فرنسي الجنسية ، هذا ما جعل الأغلبية من النخبة لا يفضل الجنسية الفرنسية مع التخلي عن الأحوال الشخصية والدين الإسلامي ، ولعل أبرز مثالا في هذا الاتجاه السيد فرحات عباس و كذلك محمد الصالح بن جلول .

أما المتجنس رابح زناتي المحسوب عل المتطرفين الذين وقفوا ضد الدين مواقف مشينة فقد اقتصرنا على نقل مقال له من جريدته صوت المستضعفين ذلك أنه عبر بعمق عن حقيقة موقف زناتي و أشباهه من الإسلام جاء فيه [2] :<<إن الدين هو العائق الأساسي في طريق تقدمنا لأنه يعطل مسار تقدمنا البطيئ ، فهو يحارب الأفكار التقدمية و يوقف كل عملنا إلى درجة أنه صار بشكل جزءا لا يتجزأ منا ، واليوم إذا أردنا تغيير طريقتنا في العيش و أن نحقق التقدم الذي يسمح لنا أن نقوم في قلب الحضارة المعاصرة و ليس في هامشها فلابد أن نغير ولا بد أن نرفع عنا وصاية الدين الإسلامي " و لأغراض سياسية (الانتخابات) أو الأغراض أخرى وهو مايؤكده بقوله [3] :<< إننا نلاحظ أن جميع أعداء فرنسا يستعملون الإسلام لتحقيق أهدافهم الخفية>>.

---

[1] - De la barre ،op-cit، p35.

[2]-**la voix des humbles**،decembre 1927، pp 13-19.

[3] - Znati : **le probleme**، **Algérien**، vu par un indigenes renseignement coloniaux ، N O G ، pp 117-135.

ومن جهة أخرى و تدعيما منه لمشروع الإدماج فهو يستنتج ملاحظة قوية وهو عدم إسقاط التجربة الرومانية في بلاد المغرب القديم (على اثر الاحتلال الروماني والسياسة الرومانية) على حالة الجزائر بل البحث عن طريقة أخرى لتسريع الإدماج بنجاح و تفسيره في ذلك جاء على لسانه قائلا [1]: << يمكن ان تكون غير صالحة لعصرنا ذلك أن الرومان لم يكن في مواجهتهم القوة الكبيرة للإسلام ...>> ،وهي دعوة صريحة لإقصاءالإسلام من الجزائر و التوجه نحو العلمانية في إطار سياسة النزع الثقافي و الديني للمحتوى الفكري و الحضاري للجزائر لتسهيل عملية الإدماج و تعويض ما انتزع وفق العقلية الفرنسية .

ب- جريدة المساواة و الجمهورية الجزائرية (l’ égalité/ la république algérienne):

يرتبط ظهور جريدة المساواة أساسا بحركة أحباب البيان و الحرية ، التي تأسست بعد رفض بيان الشعب الجزائري هذا الأخير الذي شكل قضية حقيقية في تفكير فرحات عباس السياسي و نضاله الطويل [2] وقد تحددت أهداف هذه الحركة حسب ما لخصها فرحات عباس في :

- الدفاع عن البيان كمهمة عاجلة.
- نشر الأفكار الجديدة لحركة أحباب البيان و الحرية .
- استنكار الاستبداد و التنديد بالعنصرية العرقية و جبروتها .

أما وسائل نشاطها وعملها فهي إسعاف كل ضحايا القمع و الاضطهاد و القوانين الزجرية الاستثنائية الجائرة واقتناع الجماهير بشرعية الحركة ، و خلق تيار موازي للبيان مع الترويج لفكرة إنشاء دولة جزائرية وتأسيس جمهورية مستقلة فيدراليا مع جمهورية فرنسية جديدة مناوئة للاستعمار ، وخلق روح

---

[1] -ZNATI . OP-CIT ، p117-135

[2]- عن نص البيان عد إلى :

Le Manifeste du peuple algérien (**10 fev1943**)، document inédits du mouvement national، textes fondamentaux(1943-1945)، n12 nov 1983، I.R.boite n13، A.W.C.pp4-19،

Anonyme du Manifeste a la république algérienne ،ed، libération ; Alger 1948،p p25-43.

التضامن بين كل الجزائريين اليهود والنصارى و المسلمين و بث روح الشعور و المساواة ورغبة التعاون بينهم في السراء والضراء[1] .

وتفعيلا لأهداف هذه الحركة أسس فرحات عباس جريدة المساواة لسان حال الحركة في 15سبتمبر 1944 م ، و التي كانت وسيلة للأهالي ووجودها لترجمة تفكير الجزائريين بوفاء فهي ضلت من أجل ما هو صحيح وعادل و اتخذت شعار "" المساواة بين الأشخاص و الشعوب و الأعراق"" [2] ، و بالرغم من اهتمامات هذه الجريدة بالسياسة الجزائرية في مكانها الطبيعي بين الأمم باعتبار الأهلي الجزائري إنسانا وباعتبار الأهالي شعب موجود ، لهم خصائصهم الشخصية و المعنوية كبقية الشعوب الإنسانية و هذا لمحو الدونية الملصقة بالشعب الجزائري و تأكيد جذورهم المعنوية و المادية في التاريخ .

في العدد الأول 15 سبتمبر 1944م ركزت الجريدة على تأكيد أربع حريات أساسية في إطار الشروط الإنسانية، التي يجب تطبيقها على الأهالي باعتبارهم بشرا ذوي حقوق :

1- البعد عن الخطر.

2- التفكير في إطار عقلي أو ديني .

3- البعد عن الحاجة.

4- القدرة على التعبير بحرية.

كما دافعت هذه الجريدة عن مبدأ أن حرية الصحافة هي الشرط الأساسي للديمقراطية الحقة.

صدرت هذه الجريدة في البداية بأربع صفحات و بعد مدة تحولت إلى ثماني صفحات ، كان رئيس تحريرها محمد العزيز كسوس القلم اللامع في جريدة الوفاق إلى جانب فرحات عباس و الذي عرف بجرأته

---

[1] انظر القانون الاساسي و اهداف الحركة في **status des amis du Manifeste et la liberté**، document inédits du mouvement national textes fondamentaux، A.W.C.n12، 1983، pp27-31.

[2] - **l'égalité**، n 1، 15septembre 1944، نقلا عن ليلى بن عمار بن منصور ص146.

الصحفية في المقالات السياسية في إطار إيديولوجية الحزب ، وقد استمر إلى غاية 1948 م حيث غير بأحمد بومنجل [1] .

اهتمت هذه الجريدة كما أشرنا أكثر بالقضايا السياسية و مسألة التجمع و الوحدة فيه الاتجاهات بصفة عامة ، وكانت طريقة طرحها أكثر حدة هذا مالاحظناه مقارنة بنوعية و طريقة طرح هذه المواضيع في جريدة الوفاق ، وهذا دون أن ننسى خصائص هذه المرحلة فهي بداية تحول إيديولوجي عند هذه النخبة ، التي أصبحت ترى الإصلاح كمشروع غير مطلوب في هذه المرحلة كما بينت المواضيع السياسية المتناولة عن بداية فهم للأساس الاستعماري المعمول به خاصة ، و أن الحزب دخل مرحلة الوعي بالحرية الذاتية للجزائر و هو ما عبر عنه فرحات عباس قائلا [2] :<< (...) و عليه وصلنا إلى حد حق لنا فيه أن نرتاب في رشد الفكر الفرنسي نفسه ، بل نتهمه بالعجز و الإفلاس (...) إن المسألة مسألة امتهان و ازدراء ، فإن من وراء اضطهاد جماهيرنا الشعبية ، إننا لم نطق صبرا لتحمل هذه الإهانة التي لم يرض لها ولا يقبلها لا الشعب الجزائري ، ولا الأحزاب الوطنية وكان الفراق و الطلاق مآل هذه السياسة التي أدت بفرنسا إلى الانفصال عن الشعب الجزائري و في حقيقة الأمر أنه منذ 1948 لم تبق أي صلة بين الجزائر و فرنسا ...>>.

وفي إطار الخط الإيديولوجي الجديد للحزب و في إطار التقارب السياسي مع الاتجاهات الأخرى تحت شعار "" يعيش التجمع"" ساند هذا الاتجاه الحزب الثوري و طالبت جريدة المساواة في العدد 36 في 18 أوت 1946 ، إطلاق سراح مصالي الحاج كما طالبت في نفس العدد برفع اللامساواة كما طالبت بترسيم اللغة العربية في الجزائر و استقلالية الدين و المعتقد الإسلامي رسميا [3] .

كما اهتمت جريدة المساواة بالأوضاع الاجتماعية باعتبار أن المجتمع سيصبح مركبا أساسيا للجمهورية الجزائرية الديمقراطية المزمع المطالبة بها ، لهذا كان هناك اهتمام بالمشاكل الاجتماعية حيث ذكرت– ليلى بن عمار بن منصور– بأنها ركزت على مشكل المجاعة في الجزائر ، إضافة إلى مشكل الأمية ،

---

[1]-Ben Ammar :op-cit، p 149.

[2]– عباس : ليل الاستعمار ، المصدر السابق ، ص 225.

[3]- Ben Ammar : op-cit، p 155.

و هذا المطلب بالذات اهتم به الاتجاه كثيرا وكان مفصلا في برنامجه لسنة 1935 كما ذكرنا سابقا ، كما صاغوا مطالب الأهالي و المتمثلة في التعليم العام اللغة العربية و قد كتب عباس [1]، في هذا العدد في جريدة المساواة، بأن اللغة العربية لها الحق في التواجد في الجزائر و هو يتساءل إذا ما كانت ملغاة في الجزائر و قد كتب العزيز كسوس مقالا في نفس الجريدة يؤكد فيه على أن الجزائر يجب أن تثمن في إطارها الطبيعي[2] ، وفي نفس الإطار الاجتماعي ، اهتمت الجريدة في صفحاتها بالفئة الشبانية لأن أساس مشروع المجتمع الجديد حيث أفردت الصفحة السابعة من صفحاتها للحديث عن الشباب في إطار ركز معنون ب "" الشاب الجزائري"".

أثرت مرحلة ما بعد 1946 م في نشاط و تفكير هذا الاتجاه الذي اتخذ من شعار الثورة بالقانون مبدأ عمل و تطبيق الانتخابات كوسيلة متاحة للنضال ، لوحظ هذا الاتجاه مناهضته للاستعمار الفرنسي واعتبر الصحافة وسيلة لكفاح الوطني ، وأمام التحول الجديد الذي سار بعد المساواة إلى الإدماج إلى المطالبة بتأسيس جمهورية جزائرية ديمقراطية اجتماعية ، كنتيجة احتقان مرحلي لهذا الاتجاه بعد فشل سياسته السابقة حتى أنه لم يعد ينظر لفكرة حمل السلاح كعمل إرهابي مرفوض حيث صاغ عباس فكرته حول هذه النقطة قائلا [3] :<<الإنسان المستعمر الذي يحمل السلاح لكي يتحرر من الاستعمار ليس إطلاقا بتمرد، إنه مناضل من أجل سبب صحيح >>.

أصبح تصور هذا الاتجاه للإطار العام للعمل السياسي و أهدافه تسير بصفة جزئية على الأقل مع الاتجاه الثوري ، حيث تغيرت صورته عن مفهوم التعايش الاجتماعي و السياسي و الثقافي إلى صورة الاستقلال الذاتي ، وبناء على هذا تقدم منتخبو الاتحاد الديمقراطي بمشروع دستور"" الجمهورية الجزائرية"" وذلك قبل إقرار دستور الجمهورية الفرنسية الرابعة ، وقد وضع جون لاكوتير أهم نقاط معالم هذه الجمهورية الجزائرية وقد اخترنا المواد التالية [4] :

---

[1] - Ben Ammar : op-cit ، p 149.

[2]-Ibid.

[3] -Ibid،p 174.

[4] _jean la couture ;**cinq hommes et la france**،ed du seuil ،paris ،1961 ،op-cit، p 269.

<<**المادة الأولى** : تنص على أن فرنسا تعترف بالجمهورية الجزائرية وسيادتها وحكومتها و ألوانها الوطنية.

المادة الخامسة :تساوي السكان في الجزائر بدون تمييز في العرق أو في الدين .

المادة التاسعة :اللغات الرسمية في الجمهورية الجزائرية هي الفرنسية و العربية ، و يكون التعليم باللغتين إجباريا في كل الأطوار>>.

إن الملاحظ على هذه المواد الأساسية أو حتى المواد الأخرى تركيزها على الصورة السياسية للجمهورية دون التعمق في تحديد توجهاتها الثقافية ، وقد اقتصر الأمر على عموميات فصل الدين عن الدولة كمطلب تقليدي سابق ، كما لاحظنا في المادة التاسعة الاهتمام بترسيم اللغة الفرنسية في الجمهورية الفرنسية كما أنها نفس الملاحظة بالنسبة لإحدى المواد المتعلقة بحقوق الفرنسيين في الجزائر ، ورغم مساعي عباس وزملائه الذين حاولوا جاهدين تقديم المشروع في المجلس الفرنسي مع ضمانات مرفقة بالدستور و الموضحة في مواده ، وأدلوا بتصريحات شجاعة ترفض اعتبارهم فرنسيين [1] ، و لكن المجلس لم يأخذ مقترحات لاتحاد الديمقراطي مأخذ الجد بل و أكثر من ذلك كان رد النائب جاك شوفالييه منتقدا دستور الاتحاد الديمقراطي قائلا [2] :<< إن جعل تعلم اللغة العربية يعني دفع المسلمين أكثر للإسلام يعني تمتين العلاقة في الجامعة العربية ، وكل الذين يريدون استقلال الجزائر>>.

فجاء دستور الجزائر 1947م ملغيا لمساعي الاتحاد الديمقراطي أين اعتبر الجزائر جزءا من فرنسا على مساواة المسلمين و الأوروبيين ، وعد اعتبار الأحوال الشخصية عائقا للتجنس ، بالرغم من بقاء التميز في المجالس الانتخابية فيما يتعلق بالعدد بين الأهالي الجزائريين و الفرنسيين ، ووفق المستجدات السياسية والاديولوجية التي وصل إليها الحزب تم استحداث جريدة جديدة مكان المساواة ، وهي الجمهورية الجزائرية ، تماشيا و سياسة الحزب خاصة و انه سيخوض معترك الحياة الانتخابية كثورة قانونية لتجسيد هذه الجمهورية ، و تذكر ليلى بن عمار بن منصور بأن جريدة الجمهورية الجزائرية قد تأسست في فيفري 1948م ، و قد ضمنت في طاقمها الصحفي أقلاما جريئة تمثلت أساسا في : أحمد بومنجل ، علي

---

[1] – بو عبد الله : المرجع السابق ، ص 145.

[2] – نفسه ، ص 151.

بومنجل ، أحمد فرنسيس ، وقدور ساطور ، علال سعدون ، وأحمد بن زاوي [1] ، وقد اعتبرت ليلى بن عمار بن منصور هذا الاتجاه منذ 19 مارس 1948 ، اتجاها تحرريا ثوريا لتأسيس الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الاجتماعية حيث وجهت في نفس الجريدة في 19 مارس 1948 العدد 18 نداء للجزائريين للكفاح من أجل الجمهورية الجزائرية [2] .

وقد ركزت هذه الجريدة على العمل السياسي خاصة بعد عملية تزوير الانتخابات في عهد نيجيلان، أين سنبدأ المعركة الانتخابية و يتأكد من إفلاس سياسة التنازلات و الحلول الوسطى [3] ، قد عرضت هذه الحقائق على أعضاء المؤتمر الذي انعقد بمدينة سطيف في أيام 25-26-27-28 سبتمبر 1948 و الذي أكد فيه الحزب على نقطة نضال جديدة في توجه الحزب ثقافيا بعد إقراره بأن الاتحاد الديمقراطي يؤكد على الوحدة المغاربية في إطار اتحاد شمال إفريقيا[4] ، بل و دعا عباس في هذه السنة (1948) الشعب الجزائري حسب ليلى بن عمار إلى المقاومة المسلحة في حال رفضت فرنسا الاستقلال الذاتي و هي نقطة عدم التفاهم التي أدت إلى انفصال بين عباس و العزيز كسوس في طريقة النضال [5] .

و بالتالي فإننا نلاحظ أن هذه الجريدة هي انعكاس لما يحدث من تطورات في هذه المرحلة خاصة و أن اتجاه اهتم بالمسألة السياسية لأن الاستقلال الذاتي و تأسيس جمهورية جزائرية ديمقراطية اجتماعية كفيل بتحقيق كل القضايا الثقافية و الاجتماعية في إطار مؤسسات الدولة المزمع خلقها ، عكس الفترات السابقة أين كان الإيمان بالإدماج و الشراكة في إطار الفرنسي و بالتالي الاعتراف بغطاء سياسي أوحد هو فرنسا ، لذلك كان النواب المسلمين يكافحون من أجل تساوي الجزائريين مع الفرنسيين ليصبحوا مواطنين داخل الدولة الفرنسية ،وقد تأكد جليا التحول الإيديولوجي الحاصل في الحزب خاصة بعد وصوله لمرحلة الجمهورية الجزائرية و عودته للطريق الصحيح .

[1] -Ben Ammar : op-cit، p 189.

[2] -Ibid، p 176.

[3] -**La république algérienne**، n 280، 16 nov 1951.

[4] -Abbas : **regard sur le present et l'avenir de l'Algérie**،rapport presenter par farhat abbas au premier congrésde l U D M A ،ed libération alger،1948، pp 1-32.

[5] - Ben Ammar : op-cit، p 244.

المبحث الثالث : اللغة العربية و التعليم في برامج وصحافة الاتجاه.

1- وضعية اللغة العربية :

يعتبر أبو القاسم سعد الله اللغة أداة لنقل الثقافة ووعاء لجميع ماتشمله هذه الثقافة من تقاليد و أعراف و عقائد و تصورات و أساليب للتعبير ، وهي بهذا المعنى وعاء للثقافة و الأداة الأساسية في عملية التطبيع و التنشئة الاجتماعية التي تم من خلالها بناء الفرد ، إذا لها علاقة وثيقة بالثقافة و الثقافة لها علاقة وثيقة بالهوية و الشخصية الوطنية فمن فقد لغته فقد هويته ، ذلك بأن الفرد يتأثر باللغة التي يتكلمها بحيث يمتد التأثير ليشمل نمط تفكيره و تصوراته ومشاعره[1] .

ومن منطلق أن اللغة العربية هي لغة القرآن الذي يستمد أصلها منه ومن ثم بالإسلام[2] ، فقد عمل المستعمر على قطع الصلات الحضارية و التاريخية التي تربط الجزائريين بلغتهم كونها الاسمنت الذي يضمن تماسك الوحدة الوطنية و العروة الوثقى التي تربط بين الإحياء و الأموات و بها يكتب سجل التاريخ فقد وصل إلى قناعة أنها لغة مقدمة عند الأهالي ، لا سيما أنها لغة القرآن و الحضارة الإسلامية التي ساهمت فيها الجزائر و استنتجوا مدى تعايشها مع البربرية فاستعجلوا في الإعلان على أنها لغة ميتة و أجنبية في الجزائر.

و لتجسيد سياسة النزع اللغوي ضد اللغة العربية حاربها الاستعمار كما يحارب الأهالي و ذلك إما بإصدار المراسيم تارة و بالقوة تارة أخرى و أصبحت اللغة العربية لا تظهر سوى في المساجد و محظورة في الإدارة، فالوثائق الرسمية تكتب باللغة الفرنسية فحسب إحدى التعليمات الصادرة عن الحاكم العام جاء فيها [3]:<<ان الجزائر لن تصبح حقا مملكة فرنسية إلا عندما تصبح لغتنا هناك قوية ، والعمل الذي يترتب إنجازه هو السعي وراء نشر اللغة بين الأهالي إلى أن تقوم مقام اللغة العربية بينهم>>.

---

[1]- أبو القاسم سعد الله :"**من حضارة الشعر إلى حضارة العلم**"، مجلة الفكر (تونس) ، العدد4(1986) ، ص 73.

[2]- أنور الجندي : **الفكر و الثقافة المعاصرة في شمال افريقيا** ، الدار القومية للطباعة و النشر ، القاهرة 1965، ص 123.

[3]- ساطع الحضري : **ماهي القومية ؟** ، دار العلم للملايين ،1976 ، بيروت ، ص 73.

نظمت فرنسا أمورا لتعليم فجعلته فرنسيا خالصا في اللغة و المناهج و التسير العام ابتداء من مراحله الابتدائية ، صرح مارسيه بقوله [1] :<< لما أخضعناهم أقمنا نظاما تعليميا للأطفال الجزائريين فإننا لم نقرأ حسابا البتة للغة العربية في المدارس الخاصة بالأهالي>>.

رغم هذه المعاينة الظاهرية لقضية اللغة في برامج الليبراليين ووجودها كمطلب مدافع عنه كعنصر انتماء سواء عن قناعة أو بتأثير من جمعية العلماء ومن ذلك أن المعتدلين (التيار التعاوني) في الاتجاه الليبرالي لم ينسلخوا من مجتمعهم و بالتالي بقي لهم رابط تجاه الإسلام و التقاليد التي حاول الاستعمار اختزالها وتحويلها بمرور الوقت إلى فلكلور يمكن ممارسة كما يمكن الاستغناء عن هذه الممارسة لتندثر بمعنى تصبح قضية شخصية ، من هذا المشهد التاريخي ينطلق لوك دولابار في تحليله في تقريره حول الحركة المطلبية للنخبة المتفرنسة (عباس ورفاقه) حيث يرى بأن ارتباطهم بالإسلام و اللغة العربية ما هو إلا شيء ظاهري فقط في إطار احترام المشاعر العامة [2] .

لكن من جهة أخرى يحلل محمد حربي هذه النقطة في كون هناك قناعة بما تعلق بالمسألة الثقافية والشخصية الوطنية بصفة عامة خاصة في فترة الثلاثينات أين تنامي الشعور الوطني خاصة بعد صدور الظهير البربري في المغرب الأقصى ، ويتجه هذا الاتجاه إلى الدفاع عن الشخصية العربية الإسلامي ة كجزء من النخبة الوطنية ، خاصة و أن الاستعمار يعمل جاهدا للتشكيك فيها و في مقوماتها [3] .

كما يمكن التنويه إلى أن توجهات هذه النخبة الثقافية قد استقامت في فترة الثلاثينات (نهاية سنة 1936) نتيجة وصولها في نضالها السياسي إلى طريق مسدود حيث لم تستطع فرنسا تقديم ما كانت تعد به هذه النخبة بسواء عن عدم فهم لمطالبها أو التظاهر بعدم الفهم و السبب عائد إلى ضغوطات المعمرين على الإدارة الفرنسية في الجزائر و الحيلولة دون فتح أي منفذ للاستجابة لمطالب هؤلاء و النتيجة كانت عقم نضالهم و عدم قدرتهم في النهاية على تقديم شيء للمجتمع الجزائري .

[1] – محمد مزالي : " **الاصالة و التفتح**" مجلة الثقافة(وزارة الاعلام و الثقافة ، الجزائر) ، العدد 8، 1972، ص 12.

[2] -Luc de la barre ، p عد إلى تقرير

[3] – Harbi : L'algérie et son distinArcontéreed, paris,1982, p 75.

2- اللغة العربية بين إعادة الاعتبار و منافسة اللغة الفرنسية :

يقول أحد الكتاب المغتربين الجزائريين [1] :<< الكتابة بلغة الأخر بما فيها الفرنسية تجعل من الكتاب والكاتب بشكل آو بآخر ملكا لأصحاب تلك اللغة >>، وهو تحديدا ما جسدته المشاريع الثقافية الفرنسية من خلال النخبة التي فرنستها أو طبقت عليها سياسة النزع الثقافي ، باستبدال لغتهم الأم (العربية) باللسان الفرنسي ، وهو حال هذا الاتجاه و الذي تتبعنا انتماءه الثقافي و سجلنا كيف كانوا ذوي ثقافة فرنسية عن طريق المدرسة الفرنسية ، و هو وضع كان يعيه جيدا عناصر هذا الاتجاه فعلى لسان فرحات عباس وصف هذه البيئة بقوله [2] :<< كنا مدعوين لاكتساب المعارف بلغة ليست لغة طفولتنا ، ولم نتمكن من الحصول على أولويات اللغة الفرنسية ، فإن دراسة أية مادة أخرى سوف لن تؤت ثمارها >> ، وهو لا يعني أنه فرنسي (لأنه عباس) أبدا لم يتجنس فهو ككل بني جيله أصحاب ثقافة فرنسية... أعطتهم الثقافة الفرنسية معنى راقيا للحياة [3].

لكن و بالرغم من الانبهار الحضاري باللغة الفرنسية و التي وصل الحد ببعضهم إلى التصريح [4] :<< أتكلم الفرنسية ، أظن أني أحلم بالفرنسية أكتب بالفرنسية فلماذا لا يقبلونني إذن في العائلة الفرنسية ...>> إلا أن هذا لم يعني إقصاء اللغة العربية من الجزائر أو منع تدريسها لأبناء الأهالي ، فهي لم تشكل مشكلا هوياتيا للإدماجيين (المعتدلين طبعا) وهو ما جعلهم يبدون مواقف واضحة منها ، وذلك منذ تأسيس فدرالية النواب بالرغم من تبنيها الإدماج في المرحلة الأولى من نضالها، إلا أن برامجها لم تخل من مطلب احترام اللغة العربية حتى أن نجم شمال إفريقيا اعترف للإدماجيين بدورهم في المطالبة بالتعليم باللغة العربية ، و يزداد حرص الفدرالية على هذا المطلب على اثر المؤتمر الإسلامي الجزائري و حتى الاتحاد

---

[1] - أحمد زيتوني :"" **وجدنا أنفسنا داخل الفرنسية فبقينا مهمشين**""، جريدة الثقافي ، العدد 23 ،اوت 2007، ص 04.

[2] - بريفيلي : المرجع السابق ، ص 50.

[3] - رياض الصيداوي : **صراعات النخب السياسية و العسكرية في الجزائر ،الحزب الجيش الدولة- 2-**، الحوار المتمدن ، العدد 1854،14مارس 2007، ص 12.

[4] - عبد الحميد زوزو: **الدور السياسي للهجرة إلى فرنسا بين الحربين 1914-1939** ، نجم شمال افريقيا وحزب الشعب ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 2007 ، ص 138.

الشعبي الذي أسسه عباس ، حيث سيبدأ الاتجاه نحو الجماهير الشعبية و صرح في هذا الصدد [1] :<< إن النصر يتطلب قوة تكتل في الأسواق و المقاهي وحتى الأكواخ الحقيرة قادرة أن تتحول إلى معاقل فنحن نريد أن تحافظ الجزائر على مظهر محترم على لغتها و أخلاقها وكذا تقاليدها>>.

ومن الوثائق الوطنية التي تضمنت مواقف واضحة من قضية اللغة العربية بيان الشعب الجزائري 1943 و الذي اشترك فيه مختلف الاتجاهات الوطنية و أوكلت مهمة صياغته لعباس ، حيث ورد مطلب :<< الاعتراف باللغة العربية لغة رسمية على قدم المساواة مع اللغة الفرنسية >>، وقد ألحق بمطلب من ملحق البيان مفاده << حرية تعليم اللغة العربية>> ، غير أنه ومن خلال مقال الأستاذ أبو القاسم سعد الله في مجلة الكلمة فقد استغرب عدم ذكر أحباب البيان و الحرية لمطلب ترسيم اللغة العربية [2] ، ولا ندري هل لذلك علاقة بالتوجه السياسي للحركة(أولوية) أو لأن كل هذه الاتجاهات قد فصلت في قضية اللغة و لا داعي لترديدها ، في حين أن عباس يعود من خلال الاتحاد الديمقراطي ليطالب بضرورة إعادة الاعتبار للغة العربية كلغة وطنية رسمية [3] :<< التعليم الإجباري و المجاني لجميع أطفال الجزائر ، والنضال من أجل ترقية اللغة العربية باعتبارها اللغة الوطنية و الرسمية ، ولأنها بالنسبة لإسلام مثل الكنيسة بالنسبة للمسيحية >> ، وقد رد المطلب كمادتين استعجاليتين ، ويرى أبو القاسم سعد الله بأن جهل فرحات عباس باللغة العربية الفصحى لم يمنعه من التقرب من مطالب الشعب و رموز سيادته بل و أسس جرائد بالعربية مثل الوطن [4] .

وبفضل النشاط المكثف لحركة الوطنية ومطالبة الأحزاب و المنظمات بجعل اللغة العربية رسمية أذعنت السلطات الفرنسية سنة 1947 لهذا المطلب و أقرت إجبارية تعليمها و معاملتها على قدم المساواة مع الفرنسية ، لكن هذا القانونلم يطبق شأنه شأن فصل الدين عن الدولة و قوانين الانتخابات

[1] -Ageron :"Ferhat Abbas et l'evolution politique de l'Algérie musulmane pendant la deuxieme guerre mondiale "(revue d'histoire maghribine)، n4 ، juillet 1975 ،tunis، p125.

[2]- أبو القاسم سعد الله : **"اللغة العربية في مواثيق الحركة الوطنية "**، مجلة الكلمة ،السنة الاولى ، العدد4 ، يناير 1993 ، ص 12.

[3] -farhatabbas ; Regards sur le present et l' avenir de lAlgerie،ed libération ، Alger 1948.

[4]- سعد الله : **اللغة العربية** ، المرجع السابق ، ص 11.

وذلك بفضل وجود أشخاص مثل نيجيلان، ويشير كذلك أبو القاسم سعد الله إلى نقطة هامة وهي تغييب اللغة العربية كهدف في بيان أول نوفمبر 1954[1] .

3- التعليم و المدرسة فضاء للتقولب :

آمن الإدماجيون– فدرالية النواب- بأن الجزائر ستبعث من المدرسة و من العلوم التقنية و أن بذور الحرية تكمن في طوايا العقل ، كما كانوا يؤمنون أيضا بأن تعاونا حقيقيا بين الشبان الجزائريين و الأحرار الفرنسيين سيقضي شيئا فشيئا إلى إنشاء ديمقراطية حقة [2] .

إن عمل المحتل على تلخيص ثقافة المجتمع الجزائري العريقة في كونه فلكلورا فقط سواء بشكله المادي أو بأشكال أخرى هي ما دفعت بالنواب المسلمين إلى الدفاع عن قضية التعليم ، و الأخذ بالتقنيات الحديثة مع إبراز الذات و الثقافة المحلية خاصة إذا علمنا أن للفلكلور تأثير على الدين حيث يمكن للدين أن يوضع في الموروث الشعبي و يختفي جوهره العقائدي ، و تستبدل شعائره بطقوس أخرى هذه الصورة التي حاول من خلالها المستعمر فلكلرة الثقافة الجزائرية بهدف محوها و جر الدين في نفس الطريق بسببية التلازم ، وهو ما دفع بعباس إلى المطالبة بالتعليم الإجباري.

إن التعليم الذي نادى به النواب يحاكي التعليم المقدم للفرنسيين ، خاصة و أن نوعية التعليم المقدمة للأهالي كان بمجد التاريخ الفرنسي ، و يعتمد أكثر على العلوم الزراعية و الفلاحية عامة لأغراض مهنية بحتة ، خاصة و أن أعضاء الفدرالية مؤمنين بالعلم و اعتبروا العلم البعد السادس في الإسلام ، وهو ما عبر عنه فرحات بمنطلقات تدرجت من(المدرسة – الطريق – المستشفى) و إيمانا منهم بأن الجزائر ستبرز من التعليم (المدرسة) و العلوم التقنية ، وأن بذور الحرية تكمن في طوايا العقل كما كانوا يؤمنون أيضا بأن تعاونا حقيقيا بين الشبان الجزائريين و الأحرار الفرنسيين سيقضي شيئا فشيئا إلى إنشاء ديمقراطية حقة [3] .

[1]- سعد الله : **اللغة العربية** ، المرجع السابق ، ص 12.

[2]- الجمعي خمري : **حركة الشبان الجزائريين و التونسيين (1900–1930)**، ج 2 ،اطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه الدولة في التاريخ الحديث ، و المعاصر ، جامعة منتوري قسنطينة ،2002-2003 ، ص 414.

[3]- نفسه،المكان نفسه.

و في إطار المشروع الاستعماري القاضي بإبعاد المجتمع الجزائري عن ثقافته الدينية (الإدماج) ، كان من الضروري توفير فضاءات لتجسيده وكان أوسعها المدرسة ، وذلك بتقديم تعليم متطور للأهالي قائم على التراتبية الاجتماعية ، التي تحكم المجتمع التقليدي بمعنى أنه لم يكن موحدا و إنما اعتمد المشروع على تقسيم المجتمع إلى فئتين فئة النخبة و الطبقات الشعبية ، هذا التحيز الاجتماعي طبق في المدرسة كذلك ، وبالتالي كان هناك نوعين من التعليم ، حيث سمح لأبناء الأعيان من متابعة التعليم عبر مراحله المتطورة و التي تركز على ولوج المهن الإدارية و التجارية ، إما الطبقات الشعبية فقد وجد أبناؤها لتعليم مرتبط بمحيطهم ، وهو ما عبر عنه هاردي حيث كتب قائلا [1] :<< نحن ملزمون بالفصل بين تعليم خاص بالنخبة الاجتماعية تعليم طبقي يهدف إلى تكوينها تكوينا منظما في ميدان الإدارة و النجارة و هي الميادين التي اختص بها أبناء الأعيان (...) و ثانيها تقديم تعليم شعبي خاص بالجماهير الفقيرة ، يتنوع بتنوع الوسط الاقتصادي ففي المدن وجه تعليم نحو المهن اليدوية خاصة مهن البناء ، أما في الأرياف فوجه التعليم نحو الفلاحة وفي المدن الساحلية وجه نحو الصيد البحري و الفلاحة ، و بخصوص المواد التي تخلل هذا التعليم الطبقي في اللغة الفرنسية ...>>.

انصهر المطورون في المشروع التعليمي الفرنسي بل و أصبحوا يلحون في مطالبهم على ضرورة تعليم الأهالي في المدارس الفرنسية ، لأن تسخير هذا الفضاء وسيلة لتمدينهم ، وصياغة مصيرهم الفكري وعليه هناك قاسم مشترك بين الاستعمار و المطورين ، خاصة في نظرتهم للدين واللغة العربية [2] .

وقد عبر فرحات عباس في وصف له لأهمية التعليم و اللغة الفرنسية قائلا [3] :<< كنا مدعوين لاكتساب المعارف بلغة ليست لغة طفولتنا ، وما لم نتمكن من الحصول على أولويات اللغة الفرنسية فإن دراسة أية مادة أخرى سوف أن تؤت ثمارها>>.

[1]- محمد عابد الجابري : **التعليم بالمغرب العربي** ، لمركز الثقافي العربي ، المغرب ، 1989 ، ص ص 17-18.

[2]- حاجي : المرجع السابق ، ص 421.

[3]- بريفيلي : المرجع السابق ، ص 50.

و إننا نلاحظ طيلة نشاط الفيدرالية ومطالبها بالتعليم لم نجد ذكرا لاحتجاج بخصوص نوعية التعليم المقدم لأهالي أو حتى الكتاب المدرسي الموجه إليهم و لأنها كانت في كثير من الأحيان تصاغ بالعامية (بلغة ركيكة) لتعليم الأطفال و هو ما شارك به محمد صوالح بمؤلف بالعامية موجه للتدريس .

هذا ولم يتنكر الليبراليون للثقافة الفرنسية التي يعتبرونها جزءا من التراث الجزائري [1] (وهذا في إطار مفهومهم للقومية و يدافع محمد حربي عن هؤلاء كنوع من إنصاف للتاريخ قائلا :<< (...) كانت تحذوهم عزيمة صادقة و قوية للإصلاحا لأخلاقي و الفكري و لإيجاد وعي أوضح من وعي القوميين بكل ما هو بال في الهياكل التقليدية و بتأثيراته السلبية ، وعلى وضعية المرأة وعلى الشخصية الجزائرية (...) فتهجماتهم على استبداد الأعيان و شعوذات الأولياء كانت صافية ...>>[2] .

لكن من جهة أخرى نوهوا بدور الثقافة الفرنسية و تبنوها كمظهر حياتي وثقافي باعتبارها جزءا من سياسة التشارك ، بل واعتبروا اللغة الفرنسية سبب خلاصهم من عصور الظلام و ذات فضل في توعيتهم وألبسوها ثوب المخلص ، ونلمس ذلك من خلال تصريح عباس قائلا [3] :<< يقولون إني موال لفرنسا ، ولكن الصحيح أنني صاحب ثقافة فرنسية مثل أغلب الذين عاصروا جيلي (...) لقد أعطتني الثقافة الفرنسية معنى راق للحياة و جعلتني أدرك قيم الديمقراطية و الإنسانية الحقيقيتين لذا بقيت وفيا لها >>.

يؤمن فرحات عباس بأن نهضة الجزائر ستولد من المدرسة و لهذا اهتمت الفدرالية بالعلم و التعليم وشخصيته ،وطالبت في برامجها بحق التعليم للأهالي الجزائريين باعتبارهم أهلا للتعلم مع الإقلاع عن خرافة التفوق الجنسي ، كما أنه يؤمن بأن تطور المجتمع المسلم مرهون بالأخذ من التقنيات الحديثة ، فهو لا يعتبر المدرسة الفرنسية خطرا على الشخصية الوطنية ، ويعطي مثالا باليابان الذي اقتفى أثر أوروبا دون أن يتنكر لتقاليده [4] ، كما أن هذه النخبة دعت إلى التعليم الأهلي للغة الفرنسية للتقرب من الفرنسية بحيث لا يوجد هناك حسب عباس جزائر فرنسية دائمة دون تحرير الأهالي[5] .

---

[1]- زوزو : المرجع السابق ، ص 138.

[2]- حربي : المرجع السابق ، ص 109.

[3]- الصيداوي : المرجع السابق ، ص 12.

[4]- عباس : المصدر السابق ، ص 145.

[5] - la couture ،op-cit، p 274.

أما بالنسبة للتعليم العربي في المساجد فقد فصل فيه أعضاء الفدرالية من باب أنه لا شيء يخص المسلمين فيما بينهم كما أنهم اعتبروا قرار ميشال تطاولا على الدين ، وقد كتب عباس في هذا الشأن مقالا نشره في الشهاب جاء فيه [1] :<< فهذا التطاول ماس بديننا و بحرية ضميرنا و نحن نحتج بكل قوانا ضده، لقد اهتم ميشال بمسألة لا دخل له فيها (...) و إنما مسألة الطرقيين و العلماء شيء يخص المسلمين يفصلونه كيف ماشاءوا ، ونحن معشر الشباب مع العلماء و ضد الطرقيين و المساجد لله و تبقى مفتوحة لكل واحد منا ، و الإسلام للمسلمين لا لرجال الإدارة ، نحب أن يقودنا في ديننا رجال ذوو قدرة و عرفان كالأستاذ عبد الحميد بن باديس و الأستاذ العقبي و إن حرمنا من اختيارنا لأنفسنا ، من هو أحق بالقيادة لديننا فما علينا إلا أن نغلق المساجد>>.

و نستنتج من هذا المقال القرب الواضح بين الفدرالية و جمعية العلماء- استثناء بن جلول بسبب قضية كحول لاحقا — و بين عباس و الجمعية ، وهو استنتاج يؤكد ما قاله سعد الله عن تأثير العلماء على النخبة في الجانب الديني .

و يرى إبراهيم لونيسي بأن عباس طبق مبدأ فصل الدين عن التعليم من منظور أنه يفضل اعتماد اللغة الفرنسية لأنها لغة التقدم مع إعطاء مكانة للغة العربية ، لكن بصفتها لغة الدين الإسلامي و ليست لغة الشعب و يرى نفس الكاتب بأن عباس [2] :<< يفضل ترك ما يتعلق بالدين و الشخصية للمدارس الحرة (...) يسمح لمختلف الطوائف و الأعراق ببناء مدارس خاصة لها تتكفل ثقافتها و قيمها الدينية ، أما المدرسة العمومية فتبقى مدرسة لائكية بمفهوم فرحات عباس أن تلقن العلوم فقط ، و يجب أن تكون بعيدة عن الدين مع إعطاء فترات للتلاميذ لتلقي التربية الدينية ، أما في المدارس الحرة أو داخل المدرسة العمومية >>، لكن رغم هذه النظرة ناهضت الوفاق سياسة اللاعدل المطبقة على الطلبة من الأهالي ذوي الشهادات في المسابقات الوظيفية لأسباب عنصرية خاصة في مجال القضاء [3] .

[1]- عباس :"**منع التعليم الديني بالمساجد** "، الشهاب ، المجلد 9 ، 1937/1936 م ، ص 265.

[2]- Ben Ammar، op-cit، p149.

[3] -C.A.O.M،15h2، B.M.P.I.B.M.P.I.A، **l'entente**، 20avr 1939.

تصور النواب المسلمون برنامجهم في مجال التعليم في جريدة الوفاق (1935) و المتضمن [1] :

– زيادة عدد المدارس الابتدائية في المدن .

– خلق مدارس ريفية لكل دوار و يكون لها مؤسسة مدرسية .

– تطوير التعليم المستوى المتوسط و الابتدائي و العالي ، وأكثر التعليم المهني التقني.

– تطوير التعليم باللغة الفرنسية مع التعليم باللغة العربية و الذي يكون عاما ومستحدثا و المدارس يجب أن تكون متفرعة مع فتح مدارس قرآنية و مدارس خاصة.

– زيادة عدد المنح .

– توجيه الطلبة إلى الجامعات المتروبولية .

– من أجل أبنائنا ، التعليم باللغة العربية يطرح أولا مع التطور الثقافي مع ما يتماشى و التعاليم الإسلامي ة الحقة ، و إعطائها اهتماما للحفاظ على مجتمعنا.

4 – تأثير جمعية العلماء المسلمين :

يتصور الطاهر عمري في دراسته "" حول النخبة الوطنية و مشروع المجتمع "" بأن توجه جيل النخبة الوطنية الجزائرية إلى الدفاع عن العروبة و الإسلام نابع من موجة التوجه الجماهيري نحوها ، وهذا ما أثر على مواقف النخبة المفرنسة و توجهها بالنسبة لكل ما تعلق بالمجتمع ، سواء بطريق القناعة آو بطريق الحسابات السياسية فعوض أن تقوم النخبة المفرنسة بقيادة الجماهير صارت هي نفسها مقادة [2] ، بل ويؤكد لوك دولابار هذه النظرة بتأكيد الانتماء العروبي الإسلامي لهذه النخبة بدون معارضة وماهذه الموجة إلا من تأثير ونشاط جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

---

[1]-Ben Ammar ، op-cit، p 198.

[2]– عمري: **المرجع السابق** ص 438.

كان هناك تقارب واضح بين جمعية العلماء المسلمين الجزائريين و أعضاء الفدرالية فيكفي مثلا أنه العديد من نوادي و جمعيات جمعية العلماء حوت عناصر من الفدرالية كناشطين فيها ، و قد كانت بداية الارتباط الوحيد بين الجمعية و الفدرالية في فترة الثلاثينات بواسطة بن جلول الذي يصفه أحد المصادر بأنه [1]: << زيادة على العلاقة الأسرية التي كانت تربطه بالشيخ ابن باديس فإن ظهوره كمنافس و بديل للنواب الأكثر تقربا من الإدارة و كمدافع مستميت عن حقوق الجزائريين >> ، وقد توطدت العلاقة أكثر بعد حوادث قسنطينة (1934) ، أين وقف بن جلول إلى جانب المسلمين و دافع عنهم إضافة إلى شخصية الدكتور سعدان الذي نشط في البداية ببسكرة و قد استعان كثيرا برجال الجمعية تحديدا شخصية محمد خير الدين ، وكان ثقل العلاقة قد طبق أكثر مع فرحات عباس هذا الرجل المفرنس لغة وثقافة لكنه المتمسك بانتمائه للإسلام قد أعجب كثيرا بابن باديس و حركته الإصلاحية خاصة فيما تعلق بدعوتها إلى العلم وتقبل التقنيات الجديدة التي أظهرتها الحضارة الأوروبية و بمحاربتها للطرقية و التخلف وبكل ما قامت به من فتح للمدارس و المساجد و النوادي ، فمقاله الذي أنكر فيه وجود الشخصية الجزائرية و الذي رد عليه ابن باديس كان سبب في توطد العلاقة بين الرجلين حيث وجه ابن باديس عباس للاطلاع على مصادر تاريخ الجزائر باللغة العربية ، وبذلك كانت بداية تحول فكر عباس وبداية التشكيك في الإدماج خاصة بعد انشقاقه عن بن جلول و تأسيس حزب الاتحاد الشعبي الجزائري (1938) و قد ارتكز في تأسيسه [2] :<< على مناضلي وتلاميذ الحركة الإصلاحية و على طلاب الثانويات و الكليات لتوجيه الطبقات الشعبية و الريفية>>.

إن عدم انسلاخ عباس ورفقائه (من التعاونيين) عن الانتماء للإسلام هو ما قربهم من الجمعية حيث أن بعض عناصر النخبة المفرنسة كانت في حملاتها الانتخابية إلى التأثير بعنصر الإسلام للتأثير على الناخبين الجزائريين يزكي الطاهر عمري بأنه مثلا كان بوقلي حسن من تلمسان أحد المرشحين للانتخابات يعد الجماهير بأن يضع الإسلام فوق أي اعتبار و ذلك بقوله :<< إنني أريد حرية العبادة و حرية التعليم

[1] -Mohamed Abdoune : **témoignage d'un militant du mouvement nationaliste**،eddahleb، 1990.

[2]- أحمد بوقجاني : جمعية العلماء الجزائريين ودورها في الحركة الوطنية وثورة التحرير الجزائرية ، (1945-1956) ، رسالة ماجيستير في التاريخ المعاصر ، معهد التاريخ جامعة الجزائر ، 1998-1999، ص 100.

العربي و الاحترام الكامل للعائلة المسلمة و كل ما يمس بالدين (...) ذلك بأن الإسلام جزء لا يتجزأ يؤخذ كله أو يترك كله ، إذ لا يمكن أن نكون نصف مسلمين >>، وطالب في ختام خطابه بتمثيل عادل للعنصرين العربي و الفرنسي في جميع المجالس الانتخابية [1] .

كما كان لتدخل الإدارة الفرنسية الاستعمارية في الشؤون الأهلية الإسلامية و اللغة العربية بمختلف القرارات سببا مباشرا في التقارب الإيديولوجي بين الطرفين و من ذلك أن قرار فيفري 1933 القاضي بغلق المدارس الحرة و المساجد في وجه العلماء المصلحين جعل النواب الجزائريين في مختلف المجالس المحليين يتعاطفون مع العلماء [2] ، كما طالب النواب بضرورة التعليم العربي الحر كحال التعليم الفرنسي و حرية استخدام المساجد للوعظ و الإرشاد ، وحرية الصحافة العربية ، حيث صادق الليبراليون (بن جلول وسيبسان) على لائحة ألحوا فيها على ضرورة فتح المدارس الإسلامي ة الحرة لكي تعلم اللغة العربية والعلوم الإسلامية.

لكن رغم هذا التأثير الإصلاحي بقي أعضاء النخبة المفرنسة يتأرجحون في أفكارهم خائفين غير واثقين من مكان الحقيقة مشككين في الهوية و الشخصية الوطنية ، فيرى بنجامين ستورا بأن عباس مثلا و حتى وإن لم يقف ضد التعليم الديني لعلماء الإصلاحيين و طالب بحرية التعليم فإن ذلك – في رأيه- كان من منطلق المطالبة بحرية التعبير عن جميع الأفكار بما فيها الدينية و ذلك انطلاقا من مرجعية أفكاره الجمهورية[3]، لكنه من جهة أخرى لم يتنازل عن المشروع الحداثي الفرنسي و نشر الثقافة الفرنسية في الجزائر حيث ذكر نارون عمار بأن عباس أشار و كأنه يحذر فرنسا من انتشار اللغة و التعليم العربي في الجزائر بسبب الفارغ الذي تركته الثقافة الفرنسية مذكرا الوزير الفرنسي رينيه بشعارات الجمعية حول استحالة وجود جزائر فرنسية ، وكأنه فعلا لايوجه تحذيرا حول تطور المشروع المجتمع خارج الإطار السياسي و الثقافي الفرنسي الذي حرص عليه عباس كثيرا[4] ، وفي نفس السياق يلخص حربي و يختزل علاقة هؤلاء المفرنسين

[1] – عمري ، المرجع السابق، ص 439.

[2] – نفسه ، ص 439.

[3] -Stora،op-cit : p 58.

[4] -Naron : op-cit، p 52.

بالعلماء كونهم من طبقة برجوازية واحدة بمعنى وجود علاقة مصلحية بينهما بسبب التجذر العميق للعلماء في الأوساط الشعبية.

المبحث الرابع :قضية الهويـــــــة :

1- صدمة الاستعمار وسؤال الهوية في الجزائر :

أدى الوجود الاستعماري بمجرد وصوله إلى المنطقة إلى خلق واقع يتميز بازدواجية في البنيات الاجتماعية السياسية و الاقتصادية وحتى الثقافية بين نمطين مختلفين ومتعارضين يتمثلان في النظام التقليدي ، الذي ترسخ عبر قرون طويلة في واقع مجتمعات المنطقة و بين نظام حديث فرض نفسه بقوة الحديد و النار واستطاع في غضون وقت قصير أن يقوم بتفكيك الركائز الاقتصادية و الاجتماعية التي تقوم عليها النظام التقليدي مهددا بزواله نهائيا ...، كانت تلك التحولات من العمق بحيث استطاع النظام الحديث أن يهيمن بشكل كاسح في كل من السياسة و الاقتصاد و المجتمع في مجمل بلدان شمال إفريقيا ، حيث أدت التحولات التي فرضها الاستعمار في الجزائر إلى بروز نوع من الأزمة العميقة من منظومة القيم التقليدية القائمة على نظام وقيم الجماعة إلى نموذج أخر يقوم على الفردية داخل المجتمع في إطار عملية التحدث التي أصبحت واقعا معاشا ومصيرا محتوما لم تفلح حركات المقاومة أن تغير فيه شيئا ، وفي ظل هذه الظروف اختفت البنيات التقليدية (القبيلة) و تم تعويضها بنيات جديدة (البرجوازية الجديدة)[1] .

أمام هذا المشهد التاريخي أضحت الحركات السياسية في الجزائر أمام منعطف تاريخي يصفه الكوخي بأنه :<< غاية في الصعوبة و التعقيد و صار يتجاذبها نموذجان ثقافيان مختلفان أولهما أوروبي (فرنسي بالأساس) ، فرضه واقع الاستعمار و التحولات الدراماتيكية التي صاحبته على جميع المستويات ونموذج آخر قومي عروبي مشرقي(...) جرى استقدامه إلى المنطقة لمواجهة توغل النموذج الأوروبي و هيمنته انقسمت النخب المحلية بين النموذجين فكان جزء منها يسافر إلى باريس للدراسة و التشبع بقيم الحضارة الغربية في حين كان الجزء الآخر يسافر إلى القاهرة للاحتكاك أكثر بالنموذج المشرقي و بالتالي ظهر نموذج مجتمعان مختلفان فرنسي/ أهلي>>[2].

---

[1]- محمد الكوخي: **سؤال الهوية في شمال إفريقيا** ، افريقيا الشرق ، الدار البيضاء ، المغرب ، 2013 ، ص 344.

[2]- نفسه ، ص ص 399-340.

تعتبر الاحتفالات المئوية (1930) مرحلة تكتسي أهمية بالغة باعتبار أنها مثلت حدا فاصلا بين الماضي والحاضر إذ يظهر أن تراكم التجارب الاستعمارية و تجارب المقاومة السياسية الجزائرية وآخرها مشروع الأمير خالد كل هذه العناصر حسب – الطاهر عمري- جعلت الاستعمار يخرج نهائيا من إشكالية الفهم إذ جعل يركز على محاولات مسخ المجتمع الجزائري بالترغيب في الإدماج من ناحية و الترهيب من خطر العروبة و الإسلام من ناحية أخرى [1] ، لهذا اعتبرت هذه الاحتفالات بمثابة محاربة علنية لوجود شخصية جزائرية أو كيان جزائري ناكرا في نفس الوقت ، انتماءها للأمة العربية لجرها نحو الإدماج في الذات الفرنسية ، وهي إجابة علنية كذلك لمشروع شكيب أرسلان حول الوحدة العربية .

إن الصدمة الاستعمارية التي خلقت للسؤال الهوية في الجزائر حسب محمد الكوخي[2] :<< أدى إلى اندلاع الروح الوطنية في صفوف فئات مختلفة من الشعب الجزائري ، كانت تلك علامة على تشكل نخبة جديدة تمثل الحركة الوطنية الجزائرية و التي كانت بوادرها الأولى بدأت في الشكل منذ نهاية الحرب العالمية الثانية مع انتقال مركز الثقل في حركة النضال ، ضد الاستعمار من البوادي إلى المدن و الحواضر مع بروز الأحزاب السياسية و النقابات العمالية و الصحافة الوطنية (...) و كانت هذه النخبة الجديدة تتكون من (...) مناضلين السياسيين من البرجوازية المدنية و جلهم ذوو تكوين فرنسي أطلق عليهم اسم المتطورون من أمثال فرحات عباس ...>>.

2- الهوية في خطاب فرحات عباس:

تعتبر مسألة الهوية بمختلف أبعادها من بين القضايا الشائكة المطروحة خاصة على مستوى النخب، و لعل صعوبتها تزداد أكثر في الظروف الاستعمارية أن الدين و اللغة و الوعي القومي قد تبلورت كملامح للشخصية الوطنية في ظل الصراع مع فرنسا، و بالمقابل كان الاستعمار في حد ذاته سببا في خلق طرح مشكل الهوية من خلال خطاباته وممارسته في فترة الثلاثينات، و التي كانت أخصب الفترات التي طرح فيها مشكل الهوية يشكل عنيف نوعا ما من طرف فرحات عباس خاصة إثر الاحتفالات المئوية المستفزة لمشاعر

[1]- الكوخي، المرجع السابق ، ص ص 361-362.
[2]- نفسه، ص ص 355-356.

الجزائريين ، وكان دعاة الإدماج قد راهنوا على هذه الاحتفالات و اعتبروها فرصة لتدعيم مراكزهم وتحقيق أهدافهم بالحصول على المواطنة الفرنسية والمساواة مع الكولون [1] . ورغم جهودهم المتواصلة لدمج الجزائر في فرنسا و الإشادة بالرسالة الحضارية لفرنسا بل ووصلوا إلى حد التنكر و الاستخفاف بالتاريخ الجزائري وقد جاء على لسان الشريف سيبسان رئيس المندوبية المالية [2] :<< إن الأهالي ليس لهم غير الاندماج في المجتمع الفرنسي أنخمسة ملايين نسمة من الجزائريين مرتبطون بمصير الوطن الأم فرنسا >> .

يتفق الإدماجيون بمختلف تياراتهم في نقطة التنكر لهوية الجزائر و من ذلك أن الجزائر عاشت قبل الاحتلال فراغا سياسيا وكانت عجاجا من القبائل المتناحرة و لم تعرف يوما أي تنظيم سياسي مهما كان نوعه وهذا الرأي يتطابق و الطرح و الإيديولوجية الاستعمارية الفرنسية كمبرر تاريخي وحضاري لغزوها الجزائر و بالتالي فلقد تطفل هؤلاء على الهوية الفرنسية من باب أن لا هوية لهم .

كانت فترة الثلاثينات حقبة خصبة بالأحداث خاصة الاحتفالات المئوية لاحتلال الجزائر ، وظهور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين و إعلان حزب نجم شمال إفريقيا عن ثوريته و استطاعت النخبة الجديدة الانفصال و تأسيس فيدرالية النواب على حساب النخبة الوراثية وما هذه الأحداث سوى دليل على فشل الاستعمار في السيطرة على الوضع خاصة بعدما دعا ابن باديس إلى عقد جبهة وطنية تجمع الجزائريين وتقف في وجه الاستعمار وفي ظل التحولات نشر فرحات عباس في 27 فيفري 1936 في العدد 24 من جريدة الوفاق العربي الإسلامي مقاله المشهور فرنسا هي أنا[3] ، وكان هذا المقال ردا على تصريحات جريدة الوقت ، المتطرفة التي اتهمت في مقالاتها أن الحركة الوطنية هي التي كانت وراء الاضطرابات التي حدثت في الجزائر [4] .

---

[1]-" Le centenaire de la conquête de l'Algérie،" **la voix des humbles**، n68 dec1928 .

[2] -Cherif sisbane، note **sur les reformes désirées par la fédération des élus des indigènes du département de Constantine**، imprimerie brahim، Alger ، 1931، p p 8-14.

[3]- farhat abbas ; « **en marge du nationalisme، la France est moi** » ، l'entente franco-musulmane ، n 24 jeudi 27 fev 1936.-2- انظر الملحق رقم

[4] - Kaddache : op-cit، p 367 .

يتخيل الزواوي بغورة في دراسته عن الخطاب الفكري في الجزائر بأن المقال الذي حرره عباس قد انتقد دون مراعاة الظروف التي صنع فيها بمعنى الظرف و السياق التاريخي الذي حرر فيه مع التركيز على فقرات دون أخرى و التي تفسر الدوافع وراء ذلك[1] ، يعتبر المتفهمون للمقال (إن صح التعبير) بأن فرحات عباس قد ميز بدقة بين الدولة و فكرة القومية المرتبطة بالأمة فمادام أن الفكرة الأخيرة لم تظهر إلى الوجود إلا في القرن 19 فإنه من المنطقي حسب عباس ألا يعرف الجزائريون عبر تاريخهم دولة الأمة الجزائرية وما عرفوه عنها أنها إمبراطورية إسلامية أو إمبراطورية عربية و دول لم يكن مبنية على أسس قومية ومادام أن الفكرة القومية قد اكتشفها الجزائريون وهم موالون للدولة و الأمة الفرنسية فلماذا لا يلحقون بهذه الأمة بناء على رغبة في العيش المشترك بينهم و بين الفرنسيين .

كما أن عباس دافع فيه عن العلماء من التهم الموجهة إليهم يلومهم وهابيين و قوميين عرب ، مبينا أن تعليم اللغة العربية و الإسلام يسمح بالتفتح و الاستنارة و الخروج من الدروشة و هو ماكان يجب على فرنسا أن تقوم به في نظره إلا أن فرنسا حرمت الأهالي و تركتهم للجهل و الأمية [2] .

أحدث المقال ردود أفعال عنيفة حيث اتهموا عباس بسقوطه في الإيديولوجية الاستعمارية الناكرة للهوية الوطنية و التي تقوم على أن الجزائر لم تحتل إلا أنها لم تكن تتمتع بالسيادة وكانت دوما نهبا للأجنبي و أن يوم احتلالها كانت في فوضى ومتاهة ، وهي إشارة لدعاية الفراغ السياسي و الحضاري ،وقد أشار مالك بن نبي في مذكرات شاهد على القرن [3] :<< اطلعت على المقال و رأيت اسم صاحبه قطعا لم تهزني صدمة مثل التي هزتني ذلك اليوم منذ قرأت عنوان المقال "" فرنسا هي أنا "" و رأيت اسم صاحبه فرحات عباس >>، ويضيف مالك بن نبي أنه حرر مقالا شيقا رد فيه على عباس و أنه أرسله إلى الأمين العمودي لنشره في جريدة "الدفاع "لكن هذا الأخير لم ينشره بحجة أنه سيحطم مستقبل عباس في الحلبة السياسية [4] . ومن جهتها اتهمت جريدة الدفاع الناطقة بالفرنسية و المقربة من جمعية العلماء فرحات عباس

---

[1]- الزواوي بغورة : **الخطاب الفكري في الجزائر بين اللغة و التأسيس** ، دار القصبة للنشر ، 2003، ص 146.

[2]- بنفسه، ص 131.

[3]- مالك بن نبي :**مذكرات شاهد على القرن** ، دار الفكر ، دمشق ، 1984 ، ص 360.

[4]- نفسه،ص 366.

بالمولاة لفرنسا و الولاء لها وكتبت مخاطبة إياه [1] :<< لست سوى عبد رومي خاضع للأوامر الاستعمارية>>.

و الحق أن أعنف رد فعل جاء من طرف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين على لسان ابن باديس في افريل 1936 مقالا في الشهاب بعنوان كلمة صريحة ، فبعد أن عقد مقارنة بين الطرقية الممثلة في شخص عليوة الذي كان ينادي "" أنا الله"" و بين فرحات عباس الذي قال "" أنا فرنسا"" ، أكد ابن باديس في كلمة صريحة وجود الأمة الجزائرية منذ أقدم العصور ومبينا عناصرها و هو ما يعني أن للجزائر هوية ، وكيانا تتميز بهما عن فرنسا و ذلك في إطار لا تصورات الأساسية لابن باديس القائمة على التمييز بين الجنسية السياسية و الجنسية القومية فالأولى خاصة بالحقوق المدنية في إطار الاتحاد مع فرنسا أما الثانية فتتصل بالمميزات و المقومات الشخصية من لغة و عقيدة و تاريخ [2] ، و قد جاء هذا الرد من ابن باديس بناء على طلب فرحات عباس لإقناعه بوجهة نظره لأن عباس لم يجد خلال دراسته ومطالعته أي أثر لهذه الشخصية و هو رجل واقعي لا يؤمن إلا بالملموس و هنا طالبه ابن باديس بان يتماشى وواقعيته و أن يطلع على تاريخ الجزائر باللغة العربية ، ليجد أنها كانت دولة ذات حضارة [3].

هذا وقد نشر فرحات عباس مقالا آخر في نفس الفترة يشرح و يفسر فيه أفكاره السابقة لكنه لم يثر نفس الحدة من ردود الأفعال[4] ، لكنه رد فيما بعد في كتاب ليل الاستعمار على هذه العاصفة بقوله [5] :<< في هذه المرحلة كانت لي مواقف سياسية اليوم يستغلها المحللون للدلالة على أن الوطنية ليست لها جذور عميقة سوء النية واضح ، موقفي في ذلك الوقت معروف جدا لا يكفي ذكر بعض الجمل من مقالاتي كحجة ضد سياسة كانت يجب على الأقل ربطها بواقع تلك المرحلة .

[1] - عبد القادر حميد :**فرحات عباس رجل الجمهورية** ، دار المعرفة ، الجزائر 2001، ص 65.

[2] - نفسه ،ص 65.

[3] - بوقجاني : لمرجع السابق ، ص ص 99-100.

[4] -Ferhat Abbas :" **en marge du nationalisme،doctrine et réalité**،" la voix des humbles ، n 167،avr 1936.

[5] - عباس ، ليل الاستعمار ، المصدر السابق، ص 154.

لكن بالرغم من انتقاد الجمعية لعباس إلا أن هذا الأخير كان متعقلا في علاقته مع العلماء خاصة وأنهم في صراع مع بن جلول و استغل الفرصة لربط علاقاته أكثر بهم وهو ما فسر زيارته لمكتب الجمعية أين قدم تفسيره عن المقال ، وقد جاءت زيارته هذه لمناقشة فكرة المؤتمر الإسلامي ، فكتب ابن باديس مقالات بعنوان حول كلمتنا الصريحة ومما جاء فيه [1]:<<و إنا لنشهد أن من أكمل الرجال الذين رأينا همتهم الهمة العليا و شرف النفس و طهارة الضمير (...) فالسيد فرحات عباس لم يتألم و لم يتكدر و سلك مسلك كبار رجال السياسة الذين يحبذون النقد و ينصاعون لكلمة الحق >>.

إن هذا الرجل الذي تعلم في المدرسة الفرنسية و تكون حسب فلسفتها ومفكريها فلابد من أن نتذكر بأن عباس و أمثاله درسو عن الأدب الأوروبي فقد كان عباس كان يقرأ لشاتوبريان[2] و ديدرو[3]، وقد انتقد عباس كثيرا ما كتبه الفرنسيون عن الوجود الإسلامي العربي في الجزائر ووصفوا العرب بالعصابات لكنه أثنى على كتاب نزهاء كتبوا عن تاريخ شمال إفريقيا أمثال شارل أندري جوليان وشارل روبير أجيرون ، كما أنه قارن بين الوجود العربي الإسلامي و الوجود الروماني الذي تتخذه فرنسا نموذجا في الجزائر بقوله [4] :<< اتسم الاستيطان الروماني أو الفرنسي بالسيطرة و القهر لكن مع الإسلام لم تتغير هذه الأرض لا في شكلها و لا في شخصيتها ولا ملكيتها>> ،كأنه يضع مصطلحا شبيها بالإدماج الإسلامي و الإدماج الفرنسي .

إن هذا الرجل ومن شابه من رجال الفدرالية لم ينقطعوا عن ماضيهم نهائيا ولا عن انتمائهم ، فعباس قد عبر يوما ما عن هذا يقوله [5] :<< إن الإسلام سيبقى معتمدنا بالأكيد وهو الاعتقاد الذي يعطي معنى لحياتنا و لوطننا الروحي و أن قانون الأحوال الشخصية الإسلامي ة هو بلادنا الحقيقية >>.

---

[1]- محمد الميلي :المرجع السابق ،ص 45.

[2]- **Chateaubriand** (1768-1848) من كبار الكتاب الفرنسيين ومن رواد الحركة الرومانطقية من مؤلفاته (آخر بني سراج، مذكرات ماوراء القبر –رحلة إلى أورشليم ، أنظر **المنجد في اللغة و الاعلام** ، ط12، دار الشرق ، بيروت ، 1976،ص380.

[3]- ديدرو (1713-1784) فيلسوف فرنسي نشر مبادئ الفلسفة العقلانية ، أنظر المنجد ، المرجع السابق ، ص 294.

[4]Abbas .le jeune algerienop-cit،p131

[5]Ibid ،p39

كما أن الاسم المستعار الذي كان يمضي به مقالاته ابن سراج لم يكن عبثا حيث أراد عباس استرجاع الماضي بأمجاده من خلال تحديث الحاضر كما عبر عن انتمائه للحضارة العربية الإسلامي ة ، مع إعجابه بالثقافة الفرنسية ، فالمهم هو التوجه تقدما وليس البكاء على الأطلال [1].

3/ مقومات الهوية عند الليبراليين :

يقول رينان :<< (...) لا يكفي العرق و اللغة و الدين و الجغرافيا ووحدة المصالح و الضرورات العسكرية لتشكيل قومية (...) لأن القومية مبدأ روحي يتشكل من إرث لذكريات غنية و الرغبة في العيش المشترك ، والاستمرار في اغتناء ثرائنا الذي تلقيناه(...)>>، تأثرت النخبة المفرنسة بمبدأ رينان في العيش المشترك باعتباره العامل الأساسي في تشكل أي أمة ، و بناء على هذه النظرية القومية الفرنسية ، فإن عباس وزملاءه لا يرون إي مانع في إلتحاق المسلمين الجزائريين بالأمة الفرنسية إن رغبوا في ذلك و يمتزجوا مع الفرنسيين لكن شريطة أن يكون ذلك بناء على رغبة كلا الطرفين في العيش المشترك و هذا بغض النظر عن الاختلاف و التمايز في الدين أو اللغة أو العادات و التقاليد مادام أن هناك تقارب سيتم تدريجيا بين الطرفين و أن الزمن كفيل بردم الهوة الموعودة بينهما [2] .

ترفض هذه النخبة بناء أمة و قومية اعتمادا على العامل الديني لأن القومية الإسلامية – في نظرهم – غلطة تاريخية إذ ليس من المفروض على أبناء بلد واحد و أرض واحدة أن يكونوا من دين واحد ومن ذلك رفض مفاضلة طرف على حساب طرف آخر و أن إلحاق الجزائر بالأمة و الدولة الفرنسية لن يكون إلا بهؤلاء العرب و البربر و ليس فقط بالأوروبيين الذين يعيشون فيها [3]، وما هذا في رأينا سوى ردا من عباس على سياسة فرنسا التي اعتمدت على تشكيك المجتمع الجزائري في هويته من خلال فكرة الاثنته التي استقاها من المشهد اللغوي في الجزائر .

---

[1] – الميلي :المرجع السابق ، ص47.

[2] – ابراهيم لونسي : المرجع السابق ص 354.

[3] – نفسه ، ص355.

و يميز عباس وزملاؤه في الحزب جيدا بين الدولة وفكرة القومية المرتبطة بالأمة ، حيث يرى رابح لونيسي [1] :<< مادام أن الفكرة الاخيرة لم تظهر إلى الوجود إلا في القرن 19 ، فإنه من المنطقي- حسب عباس- أن لا يعرف الجزائريون عبر تاريخهم دولة –الأمة الجزائرية وماعرفوه هي "" إمبراطورية إسلامية"" أو "" إمبراطورية عربية"" و دول لم تكن مبنية على أسس قومية ومادام أن الفكرة القومية قد اكتشفها الجزائريون وهم موالين للدولة- الأمة الفرنسية فلماذا لا يلتحقون بهذه الأمة بناء على الرغبة في العيش المشترك بينهم وبين الفرنسيين ؟>>.

كما أنه يتصور تطور المجتمع الجزائري في إطار جزائري وهوما عبر عنه لاكوتير- عن عباس – [2]:<< المسلم الجزائري لا يطلب سوى أن يكون جزائريا مسلما ، الوطنية و المواطنة الجزائرية هي التي تعطيه الأمن>> ،وقد عبر عن نظرته هذه أكثر بعد تأسيس الاتحاد الشعبي [3] :<< نحن نريد أن تحافظ الجزائر على تشكيلتها الصافية وعلى لغتها وعاداتها ...>>.

كان فرحات عباس رغم هذه التعليمات مستعدا حتما للتنازل و التضحية بكل شيء حتى بهوية في سبيل ترقية الجزائريين و إخراجهم من الوضع المزري الذي وضعهم في الاستعمار بضغط من الكولون و قد برر نظرته هذه في كتابه : الاستقلال المصادر أن الوضع المتردي للشعب الجزائري قد حتم عليهم إنقاذ بكل الوسائل المتوفرة [4] وبقيت نظرته حتى بعد بيان فيفري 1943.

كما يحلل غي بريفيلي هذه الصورة ، حيث يرى أن [5] :<< هذا الشعب الغارق في بؤسه ليس لديه ما يخسره عندما يصبح فرنسيا ، بل سيحظى بكثير من الامتيازات>> أما مالك بن نبي فيرى بأن نيل الهوية الفرنسية التي يبحث عنها هؤلاء أصبحت ملجأ لإنهاء حالة المعاناة ، و التفرقة العنصرية التي

---

[1] -لونيسي : المرجع السابق ، ص 356.

[2] – la couture ، p 285-288.

[3] – Ibid، p 277.

[4] – Ferhat Abbas : **l'indépendance confisqué** (**1962-1978**)،ed،flammation- paris 1984 pp182-184: عد إلى

[5] – غي بريفيلي: **المرجع السابق** ،ص 188.

يعانيها المجتمع و طريقة للتحرر فالمستعمر (الأهالي) يبحث عن التحرر عندما يقبل بتحطيم ذاته و عندما يحتضن أفكار سيده فإنه يحقق في النهاية تدميره الخاص [1] .

إن رفض النخبة اعتبار الإسلام عنصر هوية مرده إلى التحليل الذي قدمه حاجي و الذي استنتج في دراسة بأن المحتل ومنذ عشرينات القرن (20م) يعمل على إبراز الإسلام على أنه مجرد فلكلور يلوّن الحياة المحلية وما ينم عن هذا التوجه ذلك الدعم و التشجيع لبعض رموز الإسلام الطرقي و تسهيل نشاطاتهم المتمثلة في إقامة الطقوس و الولائم و إحياء الأعياد و المناسبات الدينية وكل على طريقته الخاصة، كذلك إظهار الأولياء كممثلين للإسلام تجب طاعتهم و تقديسهم على غرار البابوات والقساوسة في العصور الوسطى بأوروبا ، ومادام للمجتمع الجزائري أولياؤه فإن لكل بلد عربي ولياؤه أيضا مما يعني أن هناك إسلام جزائري ، وإسلام مغربي و إسلام تونسي وهلم جرا و بالنتيجة الإسلام ليس بعامل وحدة بل منظومة حكم [2].

و بالتالي فهذا الطرح ينطبق كذلك على اللغة بمعنى لا وجود للغة مشتركة موحدة ترتبط سياسة الاثنية و التعدد اللغوي و نهايته لا وجود لهوية ما أشارت إليه فرنسا هو الهوية البربرية التي سلبها العرب الفاتحون وفي نفس الوقت فإن الهوية البربرية قد فرض عليها الإسلام و العربية بالقوة و إن مكانها هو الحظيرة المسيحية [3] .

كما أن تفضيل الفرد ثقافة على ثقافة و فكر على فكر ولغة على لغة هو نوع من نكران الهوية في نظرنا من جهة و من جهة أخرى – حسب حاجي- التشبث بلغة و تقمص روح الثقافة التي تحملها سيتبعه ولاء سياسي لأصحابها و ذلك يوسم – في الجزائر بالفرنكوفيلي- إن ارتمى في أحضان اللغة الفرنسية[4] .

[1]- مالك بن نبي : المصدر السابق ، ص ص 188-189.
[2]- حاجي : المرجع السابق ص ص 431-432.
[3]- نفسه ، ص 434.
[4]- نفسه ، ص 438.

أما فيما يتعلق بالانتماء العروبي الإسلامي وموقف هذه النخبة منه فقد ذكر يحي بوعزيز في كتابه حول الإيديولوجيات السياسية بأن نظرية العيش المشترك بقيت مسيطرة على فرحات عباس حتى عندما اعترف بوجود الأمة الجزائرية بكل مقوماتها و التي تشترك فيها مع تونس و المغرب القصى و يؤكد ذلك ما جاء على لسانه حين قال في 1946 في تقريره إلى المؤتمر الوطني الأول للاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري[1]:<< إن الجزائر لا يمكن أن تنفصل عن الجارتين الشقيقتين المغرب و تونس اللتين تربطهما بالجزائر الجغرافيا و التاريخ و اللسان العربي و الدين و الاقتصاد >> ، رغم أن فدرالية النواب قد أشارت مسبقا في جريدة الوفاق إلى فكرة الدعوة للوحدة العربية[2] .

رغم أن غلاة النخبة المفرنسة رفضوا فكرة تشارك المقومات أو للاعتراف بالوحدة العربية و قد عبرت عنه جريدة صوت المستضعفين مجيبة عن مشروع شكيب أرسلان حول الوحدة العربية ، وقد جاء في إحدى مقالاتها باسم حسان 1932 ، هل بالإمكان قيام الوحدة العربية اليوم ؟ وهل الإمكان تحقيق حلم شكيب أرسلان [3] (...) لا نعتقد ذلك لأن مفهوم وحدة عربية لا يتوافق مع الواقع ذلك أن الشعوب المسماة عربية أو الناطقة بالعربية ليس لديها رابطة عرقية تسمح بقيام هذه الوحدة ...>> ، لكن يحق لنا التعقيب على هذا المعنى ومنه هل يتوافق إذا الوحدة مع فرنسا ؟ هل بيننا وبين فرنسا رابطة عرقية للوحدة معها؟ لا طبع إذا هذا تناقض وقع فيه هؤلاء لكن لا خوف على السياسة الاستعمارية التي تداركت الموقف بسياسة الاثنية بربر/ عرب .

بالنسبة لمحمد العزيز كسوس فإن هذه الوحدة مع فرنسا تأخذ دور الوساطة كمفهوم تطبيقي لهمزة الوصل التي سيعبها هؤلاء المثقفين بالفرنسية (النخبة) بين الثقافيتين / المجموعتين الجزائرية (عربية/ بربرية)/ الفرنسية.

1- يحي بوعزيز: **الايديولوجيات السياسية للحركة الوطنية من خلال ثلاث وثائق جزائرية**،ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر 1986، ص 70.

2- C.A.O.M،15h2،B.M.P.I.A ،**cité dans le journal l'entente**، 13 juillet 1939.

3- Hassan : **l'unité arabe**،in ، la voix indigéne، n 174 novembre 1932.

وهو ما عبر عنه في كتابه حول الحقيقة حول القلق الجزائري مما نقله عنه جون دي جو [1] :>> هذه الجزائر لن تصبح فرنسية بالكامل إلى أن يأتي يوم يستفيد فيه المثقفين المسلمين من حقوق المواطنة لاعبين دورهمزة وصل بين فرنسا ، التي ستصبح معلمتهم و الجزائر المسلمة و التي ستستمر في كونها أمهم...>>.

إلا أن فرحات عباس في مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية قد تخلى عن فكرة العيش المشترك مع الأمة الفرنسية لأنه اكتشف رفض الجزائريين و الفرنسيين لها على حد السواء للعيش المشترك وعلى اثر ذلك أصبح يؤمن بأمة جزائرية لها مميزاتها و خصائصها ووصل لمرحلة اكتشاف الأمة الجزائرية وفي التاريخ وقد اتضحت هذه الرؤية من خلال صحيفة الجمهورية الجزائرية و اعتماد علي الحمامي الذي كان عضوا في الاتجاه الاستقلالي و انضم بعد ذلك إلى الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري و أصبح مؤرخا رسميا للجريدة كتب كثيرا عن توجهات الحزب و الأمة و القومية المغاربية حيث كتب ابن خلدون ، وابن تومرت ، والأمير عبد القادر و ابن باديس و المقراني و الأمير خالد كإبراز لوجود هوية قومية مغاربية متميزة مختلفة عن تراث المشرق العربي [2].

---

[1] -Jean dejeaux : **situation de la littérature magribine de la langue française** (**1920-1978**) ،O.P.U.hydra ،Alger ،1982، p26.

[2]- لونيسي :ص 387-388.

المبحث الخامس :المشروع الثقافي الحداثي في بعض كتابات اللبيراليين:

تعتبر هذه النماذج التي اخترناها للحديث عن المشروع الحداثي عند اللبراليين في غاية الأهمية باعتبارها أحسن من أسهب في الكتابة عن هدا المشروع الحلم وقد عكست كتابات هؤلاء نظرتهم الحقيقية للمشكل الثقافي الجزائري في الفترة الإستعمارية ،و لهذا اخترنا لهم أهم كتاباتهم سواء كانت سياسية أو حتى أدبيةأو تاريخية .

رابح زناتي : هوس الإندماج الثقافي (1877-1952)

رابح زناتي ولد في تاويرت الحاج (ببلدية مختلطة لفورناسيونال) في 1877 ومات في قسنطينة في 1952 صار معلما ثم مدير مدرسة ابتدائية في عمالة قسنطينة ، بعد أن بدار المعلمين في بوزريعة (1892-1895) ، وتقاعد من التعليم في 1928 و الاعتنق الجنسية الفرنسية في 1923 وشارك سنة 1922 في تأسيس صوت المستضعفين التي صار أمينا عاما لها في 1925 وفي 1924 شارك في تأسيس ودادية المواطنين الفرنسيين من أصل أهلي ، التي أقامها في قسنطينة الدكتور الطيب مرسلي الذي سيكون نائب رئيس لها في 1930 وفي 1929 انسحب من جريدة صوت المستضعفين ليؤسس صوت الأهالي ، والتي حملت شعار الوحدة الفرنسية المسلمة للدفاع عن مصالح الأهالي و أصبح مديرا لها ، وقام بتوظيف ابنه آكلي وهو محامي كمساعد له في 1931[1] .

يقر جون دي جو بأن رابح زناتي آمن كثيرا بشعار الكل من أجل فرنسا ، و هذا ما حاول إظهاره في مؤلفاته سواء :<< المشكل الجزائري كما يراه أهلي>> (1928) أو روائيته الخطابية <<بولنوار الشاب الجزائري>> (1945).

[1]- يحياوي مرابط : **المرجع السابق** 2010،ص ص 555-556.

1- المشكل الجزائري كما يراه أهلي : "Le probleme Algérien , vu par un indigéne"

وقد حاول من خلال هذا الكتاب أن يركز على تأكيد فكرة الإدماج و الذوبان في الثقافة الفرنسية و إنبإمكان الجزائريين أن يكونوا من أكبر الحضارات في العالم بخطوات عملاقة حيث تهدف أفكار هذا الكتاب إلى إقناع فرنسا بفرنسة الجزائر ، وإعطائها وسيلة للاختفاء وراءها للوصول إلى هدف آخر هو إلحاق الضرر بفرنسا بل يحرض فرنسا على عدم الاكترات لعامل الدين كحجر عثرة أمام عملية الإدماج و البحث عن طرق أخرىللإدماج[1] .

2- رواية بولنوار الشاب الجزائري (1945) :

Znati Rabah et Akli : bou el noaur , le jeune algérien , Alger , la maison " du livre ,1945".

يحوي الكتاب 226 صفحة .

قد يكون السؤال المطروح هنا لماذا اعتمدنا هذه الرواية الأدبية للزناتي ؟

ببساطة إن هذه الرواية انعكاس نفسي و عقلي لشخصية الكاتب وهذه الرواية في الحقيقة شبيهة جدا في أفكارها بكتابه حول المشكل الجزائري لكن الفرق في كون الأخير مصاغ بأفكار سياسية أما الرواية فهي انعكاس ثقافي بالدرجة الأولى و شخصية البطل حللت بطريقة دقيقة شخصية رابح زناتي وموقفه من مجتمعه و نظرته للمسألة الثقافية ككل .

إن هذه الرواية لزناتي مع ابنه [2] هي في الحقيقة ليست رواية أدبية بقدر ما هي خطاب ثقافي اتخذ شكل قصة مأخوذة من السيرة الذاتية للكاتب الذي يرفض في جوهر الرواية الانضباط العائلي التقليدي داخل المجتمع (المجتمع المحافظ) هذا البطل (بونوار) الذي اصطدم بانغلاق المجتمع الذي أنكر عليه بلوغ

[1]- Znati : « **le probleme Algérien vu par un indigene** »،rensiegnements coloniaux،N6 193،، pp 117-135.

[2]- Jean Dejeau ; op-cit، p22..

الآفاق التي أتاحتها المدرسة الفرنسية وهو ما تعلق بالتأثير على الذهنيات الجزائرية (بالأفكار الغربية) مع تقبل فائدتها (المدرسة) المادية [1] .

يرى "جون ديجو" بأن هذه الرواية تكشف صورة الرغبة المرضية في الإدماجالهوياتي في فرنسا حتى أنه يقول بأن البطل في الرواية سرعان ما اندمج مع هوية زملائه الفرنسيين ، فهي تصور النضال الثقافي و الحضاري من أجل الفرنسة كما أن هذا الهذيان الثقافي اتسم بنقل ايجابيات المجتمع الفرنسي و تأثيراته و بالمقابل منه عكس صورة سلبية للجزائريين (الأصل) (المتخلفين الجاهلين البربريين...) ، وتصور كذلك رغبة النخبة الشبيهة بزناتي المنسلخة عن أصلها وهوسها بالآخر و ثقافته متنازلين وغير معترفين بثقافتهم قائلا (في الرواية) :<< نحن أتينا إلى هنا لتعلم الفرنسية لنصبح كالفرنسيين ...>>[2]، كما اعتبرت هذه الرواية تحذر الثقافة العربية في المجتمع الجزائري بسبب رفض ثقافة الآخر ، لذا يجب تجاوزها [3] .

رغم أن هذه الرواية (الخطاب الثقافي) صدر في 1945 أي بعد نهاية الحرب العالمية الثانية إلا أنه يجدر بنا الإشارة إلى أن زناتي لم يتجاوز الزمن ففي حين عرفت النخبة المفرنسة مرحلة انتقالية في أفكارها (ولو بصفة محدودة)، إلا أنها غيرت بعض القناعات و استطاعت فتح باب تأثير العلماء المسلمين عليهم إلا أن الزناتيان على حد تعبير يحياوي مسعودة مازالا مقتنعان بالاستعانة بفرنسا الديمقراطية ضد فرنسا الاستعمارية ؟ ، ومثل ذلك تفريق رابح زناتي بين مصطلح فرنسيي الجزائر (المعمرين) و فرنسيي فرنسا (الفرنسيون الأحرار) .

لكن تبقى شخصية زناتي رابح الحقيقية وظله في الرواية (بولنوار) منسلخة عن المجتمع الجزائري حاول أن يعطي من نفسه نموذجا يحتذى به ، للإدماج في الثقافة الفرنسية و أن يلعب دور همزة الوصل (الوسيط الثقافي) بين المجموعتين / الثقافيتين لأنه دور النخبة المفرنسة لكنه في النهاية (نهاية الرواية) يقول

[1]– أنظر يحياوي مرابط :المرجع السابق ، ص 556 ومابعدها .

[2] – Znati : le probleme algérien ،op-cit، pp 46et 58.

[3] – Jean Dejeux : **bibliographie methiodique et critique** ، **de la littérature algérienne de langue française** (**1945-1977**) ، S.N.E.P .Alger ، p 48.

دي جو يبقى (بولنوار) مرفوضا من الأهالي ومن الأوربيين الفرنسيين وبالتالي فإن الضحية الواحدة في المجموعتين الثقافيتين هو المثقف المتخرج من المدرسة الفرنسية [1] .

3- أفكاره :

طالب رابح زناتي فرنسا بتطبيق كل القوانين الفرنسية المقررة على الجزائر منذ 1830، وبالإدماج و التجنيس الكلي للجزائريين ، فالإدماج في تصوره يعني الانصهار التام في البوتقة الفرنسية إلى درجة تنعدم فيها كل خصائص وملامح الأهالي المسلمين وتنخفض إلى درجة الصفر للوصول إلى أقصى حد من الاندماج الكلي في فرنسا ، ومن جهة أخرى لم يخف لائكيته وتفانيه في الدفاع عن فصل الدين عن السياسة و الإسلام عنده كباقي الديانات السماوية الأخرى ليس لها سلطة التشريع على البشر لاسيما في المجال السياسي ، فهو يرى مثلا ان الحداثة في أوروبا لم ترق وتتطور إلا بعدما وضعت العلاقة الفاصلة بين الدين و الدولة أي بعد أن توارت الكنيسة من المسرح المدني و السياسي [2] .

ومن جهة أخرى أقر بأن فرنسا قد احترمت الوضعية الإسلامي ة في الجزائر :<< فرنسا لم تجرح أبدا ضميرنا ، فرنسا قادتنا و لكن القرآن في أيدينا ، فرنسا احترمت معتقداتنا و أخذت دائما بعين الاعتبار عاداتنا و تقاليدنا وساهمت في تقوية ديننا (...) سنضع مصيرنا مع فرنسا>>[3] ، وقد طالب زناتي الأهالي الجزائريين التحلي بالحس الوطني العفوي و المطلق لخدمة فرنسا و كان هذا التعبير غداة التجنيد للحرب العالمية الثانية بل ووصل به الحد إلى تشبيه حالة الحرب بالمحنة المشتركة بين فرنسا و الإسلام[4] .

تبنى زناتي شعار"" الإسلام الجزائري"" وهي نفس الأطروحة الفرنسية الرامية لفصل الجزائر عن باقي أجزاء العالم العربي و الإسلامي و بالتالي تسهيل ربطها بأوروبا ، هذا ما دفع به إلى التفريق بين الإسلام

---

[1] – Dejeux op cit : p 25.

[2]– خمري : المرجع السابق ، ص 463.

[3] – C.A.O.M.15h2.B.M.P.I. GG.A.mois de septembre 1939 ، cite dans : **la voix indigène**،7 septembre 1939، p 106.

[4] – Ibid.

الجزائري و الإسلام المطبق في المشرق العربي و يتصور رابح زناتي أن التخلف الذي تعاني منه البلدان الإسلامي ة يعود إلى التلازم الديني و الروحي مع حياتهم الاجتماعية و السياسية و قد قال : انه في الوقت الذي جرى فيه الفصل بين الزمني والروحي في أرجاء واسعة من المعمورة فإن الإسلام القوي ببساطة لا يزال يحتفظ بهذه الوحدة التي أصبحت تؤرقه في سبيل ترقيته بحيث يستحيل علينا ذلك بدون المساس بهذه الوحدة على غرار ما حدث في عدد من بلدان العالم المتحضر [1] .

4- آراءه حول المجتمع الجزائري :

تميز زناتي بشخصية قوية و جرأة في الإدلاء برأيه إذ لم يتوقف قلمه عن التعبير في مختلف القضايا الثقافية خاصة تلك المرتبطة بالإدماج و التماهي في فرنسا و قد اعتبرت السلطات الفرنسية صوت المستضعفين ومثيلاتها من الصحف بمثابة الوحدة المثالية للشعب الفرنسي المسلم في شمال إفريقيا[2] .

وفي إحدى التقارير الفرنسية لشهر افريل 1939 تعنون الجزء الخاص بمشاعر الأوساطالإسلامية :<< فرنسا هي وطن المسلمين الجزائريين >> على أعقاب هذا الوصف ناشد زناتي فرنسا ، إن كانت حسب رأيه فعلا هي وطن للجزائريين قائلا[3]:<<....ننادي ، مستعمرين ومستعمرين بالدفاع عن نفس المبادئ : كل المدرسة الفرنسية ومعلميها الفرنسين ، علموا رجالنا ، هم رجال كالكل ، النخبة المسلمة الجزائرية ، ...، ليس لها سوى هدف :الإدماج، ...، الصريح المخلص الوفي في العائلة الفرنسية ، وعلى فرنسا احتضانها بصراحة ، فكيف تقبل بسخاء على مائدتها العائلية ستافسكي[4]وويدمان[5] و ترفض بكل احتقار زناتي وقاسي ، كقيمة معنوية و ثقافية عالية...>>.

---

[1]–خمري : المرجع السابق ، ص 464.

[2] -C.A.O.M.15h 2،B.M.P.I.، la voix indigenes، septembre 1939.

[3] - C.A.O.M.15h 2،B.M.P.I.، cité dans le journal ،**la voix indigéne**،6 avril 1939.

[4] – **ألكسي ألكسندراستفسكي**: يهودي الاصل قام بعملية اختلاس بتاريخ 1933/12/25 حين كان على رأس القرض البلدي الفرنسي في فرنسا (حاجي ، المرجع السابق ، ص 415).

[5]– **أوجين وادمان** : كان رئيس عصابة ، ودخل السجن عدة مرات ، حاجي ، ص 415.

كما أشار زناتي في إطار حديثه عن المجتمع و الإدماج إلى عنصر المرأة حيث شجع على تحرر المرأة على الطريقة الأوروبية وهذا ما كان باديا في روايته السابقة كما أنه صرّح بأنه ضد تقوقع النساء الجزائريات فهل المرأة المحافظة على شرفها ودينها وحشمتها و لباسها متقوقعة؟[1] .

أم أنه يدعوا إلى امرأة سافرة تخجل من انتمائها لمجتمعهاالأهلي البسيط متحررة بشكل أوروبي : الحفلات الليلية ، الخمر ، المصادقة ،...، هذا التحرر الذي يدعو إليه هو حداثة في حقيقة المصطلح لكن هذه الحداثة تأخذ بالمعنى مفهوما أجنبيا بعيدا عن قيم المجتمع الجزائري فقد عكست مثلا جميلة دبيش في روايتها "" ليلى"" صورة المرأة المتحررة المتنصلة من المجتمع نهائيا حيث ذكرت في مقاطع (ليلى):<< أخاف في الدوار كل شيء يظهر لي انه من زمن آخر>>، مضيفة :<< هناك قوانين سألتجئ إليها و سأتحرر من هيمنتكم >> ، هذا طبعا تنكر منها[2] للأعراف و التقاليد الاجتماعية البالية التي تحرم الإنسان من سعادته حسبها ؟.

هذا و قد توافقت طروحات زناتي مع طروحات جريدة صوت المستضعفين حول تحرر المرأة مستدلين بالثورة الكمالية و قد جاء في إحدى مقالاتها المعنونة : الثورة التركية و المرأة المسلمة جاء فيه [3] :<< إن إحدى أهم خصائص الثورة التركية هي تحديدها للمرأة المسلمة و هذه المبادرة تحسب لتركيا بين دول الإسلام كلها (...) فالفتيات التركيات من عائلات برجوازية تلقين تعليما و تربية في المدارس التركية و الفرنسية صرن يرفضن أن يقين في بيوت مغلقة بعد أن تعلمن الاختلاط بالأوروبيات و بعد أن قرأن الكتابات و الروايات المعاصرة...>> .

كما أنه ذمّ أولئك المتطورين من النخبة الذين يدعون الإدماج و الحداثة الأوروبية وهم لا يطيقونه في حياتهم قائلا [4] :<< نحن تقريبا متعودون على تذبذب فكري لدى بعض الأهالي المثقفين الذين في كتاباتهم خطاباتهم ينادون بإدماج المرأة المسلمة الجزائرية لكنهم يحبسون بعناية نسائهم و بناتهم>> وما

[1] - C.A.O.M.15h 2،B.M.P.I.، cité dans le journal **la voix indigene**، 15 juin 1939.

[2] - يحياوي مرابط : المرجع السابق ، ص 325.

[3] - **la voix des humbles** ، n 66 ، novembre 1928.

[4] - C.A.O.M.15h 2،B.M.P.I.، cité dans le journal **la voix indigéne**، 11 mai 1939.

هذه إلا صورة متفوقة لدى هؤلاء من عملية تحرير المرأة التي تبقى مرتبطة بأعراف و تقاليد و مجتمع و أكبر من ذاك وذاك القوانين الإسلامية الشرعية .

2- فرحات عباس : من خلال كتاب الشباب الجزائري وجريدة الوفاق .

تعتبر مقالات الشاب الجزائري دفاع عن الأهالي ورد على اتهامات ظالمة تضمنتها صحافة النخبة الاستعمارية ، لقد كان فرحات عباس في كتابة يحتمي في نظره بفرنسا الديمقراطية ضد فرنسا الاستعمارية (...) تمثل فرحات عباس لقضايا بلاده في وقته فقد كتب عباس عن الوطنيين و عن الأهالي و دافع عنهم بحماس ناقش في الشاب الجزائري التعليم الجزائريين كما عالج الإدماج و شروطه و المساواة في ظل الشريعة الإسلامي ة و دافع عن الإسلام ورموزه [1] .

1/الإسلام الوطن الروحي للمجتمع الجزائري :

ظهر فرحات عباس في مقالاته في الشاب الجزائري خلال الثلاثينات كمثال للمثقف الجد حداثي و المسلم ، في نفس الوقت ، كان يريد أن يكون جزائريا فرنسيا ، لكن ليس بنكران أصالته و الانسلاخ عن مجتمعه ، فقد دافع عن هذا الأخيرانطلاقا من الدعوة إلى دمجه في المجتمع الفرنسي بصفة جماعية و ليس بصفة انتقائية (البرجوازية الجزائرية) ، وكانت مطالبه بالإدماج المشروط أهم ميزة فيه ومن ذلك استحالة فصل الشخصية الإسلامي ة عن الجزائريين و دحض كل الاتهامات المسيئة للإسلام التعصب الإسلامي .

يعتبر عباس النظام الاجتماعي الإسلامي دقيقا من باب أن الإسلام[2] :<< هو عقيدة بسيطة بلا أي زخرفة إنه دين الأسرة التي هي خلية النظام الاجتماعي ، إنه النظام الذي يقام على أخلاق المساواة إن الإسلام هو الديمقراطية تابعة للثقافة ، فرجل العلم هو الإنسان النبيل ، هو العبقرية العلمية ، هو الإنسان الأعلى ، كما أنه يمزج في تصوره للمجتمع الجديد تركيبة تتزاوج بين الإسلام و الحداثة ومن ذلك أن الإسلام صالح لكل مكان و زمان ، يجمع صفات الديمقراطية : المساواة و العدالة و بهذا يفسر عباس انتشاره في بلاد المغرب :<<إن هذا النجاح ليس هو ثمرة المصادقة ، ولا القوة أن الفضل فيه يرجع إلى

---

[1]- عباس ، **الشاب الجزائري** ، المصدر السابق ،ص9.

[2]- نفسه، ص84.

إيديولوجية المساواة في الإسلام ، و إلى سمو أخلاقه و إلى عمل حكامه الذين أنجزوا عملهم بنزاهة (...) >> ، مناديا فرنسيا إلى ضرورة إتباع سياسة المساواة و العدالة التي هي قيم من قيم الإسلام و التي أسماها بالأسلمة قائلا [1] :<<إن عملية الأسلمة ، هذه ينبغي أن تفرض نفسها بطرقها كنموذج على فرنسا إذا كانت فرنسا ترغب حقا في القيام بعمل دائم و يكون له معنى>>.

دافع فرحات عباس عن التاريخ و الحضارة الإسلامي ة في شمال إفريقيا ، ردا منه على لويس برتراند صاحب فكرة إفريقيا الاتينية حيث اعتبر عباس الفتوحات الإسلامي ة و تفوق الفاتحين المسلمين مقارنة بالغزو الروماني للبلاد الإفريقية التي لم يحملوا إليها سوى الخراب و التفقير للفلاحين الذين انتزعت منهم أراضيهم فعاشوا في عبودية إلى أن جاء الفاتحون المسلمون لتخليصهم من عبودية روما وقهرها و احتقارها لكن من رفض الولاء لها و نعتتهم بالبرابرة [2] .

دعى عباس إلى مجتمع متمسك بأصالته ومتفتحا على المدنية الفرنسية التي كانت تعني الحداثة ، فيمكن حسب رأيه المزاوجة بين الإسلام و المواطنة الفرنسية وجعلها تركيبة المجتمع الجديد و الوصول بهذه التركيبة إلى خلق جزائري مسلم العقيدة و فرنسي الجنسية .

2/ مشروع نحو وضعية أفضل :

يعتبر فرحات عباس من الأوائل الذين فتحوا باب النقاش حول أزمات ومشاكل المجتمع الجزائري وباستعمال صفة الشاب الجزائري في أدبيات الحركة الوطنية في فترة العشرينات و الثلاثينات كدلالة على الجيل الجديد من المثقفين الجزائريين من خريجي المدرسة الفرنسية وذلك في مقالاتمتفرقة له نشرها في الصحف مابين 1922 و 1930 ثم جمعها ونشرها سنة 1931[3].

طرح فرحات عباس مجموعة من القضايا الجريئة فقد انطلق من كتابه من مبدأ الدفاع عن حق المساواة بين الجزائريين و الفرنسيين و بالتحديد قانون التجنيد الإجباري للجزائريين خاصة لأنه كان تميزا عن

---

[1]– عباس ، **الشاب الجزائري** ، المصدر السابق ، ص 78

[2]–هذه خلاصة أفكار وردت في مؤلفات عباس : حرب الجزائر و ثورتها ، الشاب الجزائر ، تشريح حرب.

[3]– أحمد منور : **الادب الجزائري باللسان الفرنسي ، نشأته وتطوره وقضاياه** ، ديوان المطبوعات الجامعية ، 2007، ص 99.

الفرنسيين في المدة ، وقد تنكرت فرنسا لفضل الجزائريين في الحرب العالمية الأولى ، وادعت أن عدد القتلى الجزائريين لا يتجاوز 0.657 بالمئة مقابل 2.509 بالمئة للأوربيين ؟ ، ويجيب عباس عن هذه النقطة دفاعا مشرفا حيث قال [1] :<< الذين ماتوا من الأهالي وهم يؤدون واجبهم ، لا يوجد من بينهم إلا 21 ممن يحسنون القراءة والكتابة فحسب ، 21 فقط كانوا يعرفون لماذا كانوا يقاتلون ... أما الآخرون فقد انتزعوا من أكواخهم ليسلحوا ببندقية و يهبوا للقتال ... و قد ماتوا...>>.

كما تطرق إلى قضية الفلاحين إلى فرنسا ين أصبحوا عمالا (بروليتاريا) يقول في هذا [2] :<< من النتائج التي أسفر عنها الاستعمار بلادنا ظهور نمط اجتماعي كان غير معروف في العالم الإسلامي ، ألا وهو النمط البروليتاري >> ، وناقش عباس عمق مسألة وضعية المثقف المسلم و العراقيل التي تعترضه و التهجمات المستمرة و المحقرة له من الوسط الاجتماعي الفرنسي و بالخصوص من طرف الصحافة تحديدا مجلة إفريقيا اللاتينية [3] .

في إطار تخفيف وطأة الواقع الاستعماري على الجزائريين و تحسين أوضاعهم سواء الفكرية أو المادية و السير بهم نحو الحداثة و الخروج من دائرة الأهلي الحقير إلى دائرة القدرة على التفوق و التحضر كحال الأوروبي و إنهاء خرافة تفوق الأعراف و الأجناس و تخلف الجزائري وعدم قدرته على مواكبة الحداثة تخيل فرحات في كتابه الشاب الجزائري كارثة مراحل مبدئية للخروج من دائرة التخلف و قد لخصها في :

أ/ التعليم المهني :

أشرنا سابقا إلى مطالب عباس وزملائه بخصوص أحقية التعليم و اجباريته للتجنيس بالعربية و الفرنسية و قد احتل هذا المطلب حيزا معتبرا في أدبيات هذا الحزب خاصة في جريدة الوفاق التي ركزت على التعليم المهني لأبناء الجزائريين مطالبة فرنسا بتوفير معلمين يكونون مسلمين نوعا ما باللغة العربية ليسهل

---

[1]– عباس : الشاب الجزائري ، المصدر السابق ، ص 43.

[2]عباس : المصدر السابق ، ص 51.

[3]– عد إلى مقال ""المثقف المسلم "" ، الشاب الجزائري ، ص ص 60-68.

على الأبناء الجزائريين تلقي المعلومات ، ألحت على تفير مطاعم مدرسية وعلقوا على هذا المشروع آمالا عريضة في التحويل الفكري و المادي للمجتمع الجزائري إذ تم تطبيقه بالعناية المطلوبة [1] .

يعرف فرحات عباس المدرسة المهنية بأنها :<< المكمل الضروري للتعليم فعندما لا يكون ممكنا لفلاحنا أن يعيش من الرعي باستغلاله المراعي الواسعة لبلدنا يصبح خاملا و كسولا >>، وتركيزه هنا على الفلاح باعتبار تخصصه أساس الحرف المهنية المرتبطة بالأرض أساسا و التي هي أصل الانتماء ، كما يقترح فرحات عباس بناء مدارس مهنية متخصصة من أجل إخراج أكبر عدد من الجزائريين ذوي مهن متعددة [2] :<< فالمسألة تتمثل في بناء مدارس حيث يكون ذلك ضروريا فإنشاء مدرسة للصيادين أو البحارة في عنابة أو جيجل أو بجاية أو مستغانم أو دلس ستعطي نتائج ممتازة>>، و قد تدخل هذه النقطة في ماتعلق باحتكار الاوربيين ميدان الصيد البحري بحكم الخبرة و المعرفة عكس الجزائريين الذين يرتبطون أكثر بالأرض لهذا اقترح بناء مدارس فلاحية مهما كانت فائدتها يقترح أن تبقى تابعة لتنظيم الملكية و الأهلية و للقرض الفلاحي ، وتزويد الفلاح بالعتاد الحديث كحال الأوروبي ، وتكون نتيجة هذه النهضة المهنية [3] :<< يكون للجزائر هذا النمو في اليد العاملة الخاصة بها ، يبقى تنظيم العمل لفائدة الجميع دون التخلي عن مصلحة الفرد إن الأجرة هي تشجيع للعمل ، وهي مصدر الأمان للبلد>>، هذا هو دور المدرسة الفرنسية – من المفروض- <<أعينيا من أجل أن نستعيد كرامتنا ، أو استعيدي مدارسك>>، هكذا خاطب عباس فرنسا [4] .

ب/ الطريق :

ترتبط الطريق في تصور عباس بالإنتاج أساسا حيث يشيد عباس بشبكة الطرقات التي هيئت من طرف الإدارة الفرنسية في الجزائر باعتبار أن الطرقات جزء هام من البني التحتية ، فرغم اهتمام الإدارة الفرنسية بربط مناطق سكن المعمرين خصوصا بالشبكات الطرقية الكبرى ، إلا أنها في نظره تبقى خطوة

---

[1] -"**l'enrichement du pays par l'équipement national**" in l'entente 30/01/1936.

[2]- عباس : : الشاب الجزائري ،مصدر السابق ، ص 138.

[3]-نفسه ، ص 138.

[4]- نفسه ، ص 127.

محفزة لتوسيع شبكة الطرقات و المتعلقة بالجزائرية حيث :<< ينبغي أن تكون مربوطة بدورها بالطرق الكبرى ، فالطريق سبيل التقدم ، وبفضلها يغير الأهلي وسائل تنقله ويضاعف تنقله ومبادلاته>>[1] ، وهي عامل مؤثر في حركية المجتمع الجزائري ومحفز نحو الإنتاج و استخدام وسائل النقل الحديثة آنذاك بدل الرسائل التقليدية و تتوسع بذلك المبادلات بين الجزائريين و الفرنسيين – لما لا – خاصة في إطار داخلي (كالتجارة الداخلية مثلا) .

ج/ المستشفى :

الرعاية الصحية جانب مهم في تطور المجتمع وهي تحتوي عناصر مكملة ببعضها (المشفى كبناية الطبيب ، المرض ، النقل الاستعجالي للمرضى ، الدوا...) كانت الخارطة الصحية للمستشفيات متوفرة فقط في المدن الكبرى بحكم التواجد الاستيطان للمعمرين طبعا ، أما في القرى و المداشر و الأرياف النائية فلا وجود لها ، فالجزائري في هذه المناطق عندما يمرض يشفى بقدرة إلهية ، فكيف إذ بهذه الصورة لا يقول عنا المعمرون إننا كالحيوانات ؟.

باعتبار عباس فرحات صيدليا داخل مهنة الطب إلى جانب عدد من أعضاء حزبه في قطاع الطب، يقدم عملية إحصاء افتراضية لمسيرة المستشفى و توسعها قائلا [2] :<< ينبغي أن يكون هناك علاج للأهالي و لا يمكن أن نتوقف عند مستشفيات المدن الكبرى فالأهلي يوجد في الريف وكل قرية ينبغي أن يكون لها مشفاها و لكل دوار عيادة لكل خمسين ألف ساكن مستشفى ، ولكل دوار عيادة لكل خميسن ألف ساكن مستشفى ، ولكل ثلاثة آلاف عيادة و ليس في هذا الطلب مبالغة ، ولابد من مضاعفة الدوائر الطبية ،...، فالطبيب واحد لا يكفي بقرية يساوي امتدادها دائرة من الدوائر الفرنسية>>.

كما أشار عباس إلى ضرورة توفر الرعاية الصحية في العمل : المصانع و الموانئ و المؤسسات التجارية و الصناعية من كل الأخطار حتى من الآفات الاجتماعية و ضرورة توفير الغذاء الكامل الكافي

[1]- عباس :**الشاب الجزائري** ، المصدر السابق ، ص 138.

[2]- نفسه، ص 139.

للعامل مع توفر شروط النظافة اليومية حيث يعطي وصفا مضحكا [1] :<< أليس عيبا أن ترى في الشوارع الجميلة لمدينة الجزائر مخلوقات بشرية يغطيها الفحم الوسخ ، وحمالوا المين لميناء البؤساء ؟ إنهم يكونون وسخين أحيانا إلى درجة أن المسافر يعاف أن يحملوا له أمتعته>>.

لكنه يدافع من جهة عن طبيعة الأهلي فهو إنسان قبل كل شيء ، مسلم و المسلم نظيف بطبيعة الدين الإسلامي (الوضوء) يحب النظافة لأنها من الإيمان بكفي فقط أن نوفرها له ، فهذه الأمور في تعبير عباس هي من بسط متطلبات العدالة الإنسانية .

كما اعتبر عباس المشكلة الثقافية عنصرا هاما في عملية تحديث المجتمع الجزائري من منظور ارتباطها بالأخلاق و الاحترام أولا بين الجزائريين و الأوربيين كما أنه قدم مجموعة من المبادئ التي هي في الحقيقة مطالب فكرت من قبل في برامج الفدرالية لكنه قدمها في إطار مشروع تحديث المجتمع الجزائري المسلم و الذي نشره في الشاب الجزائري ، وقد تعلقت المبادئ به .

1- تحترم كل الأديان و تطبيق كل القوانين التي صدرت إلى مبدأ فصل الكنيسة عن الدولة و عن الدين الإسلامي .

2- تدار المنشأت الدينية تحت مراقبة الدولة من قبل الطائفة الإسلامي ة التي يكون لها فيها حق الاستعمال الحر فاشراف الهيئة الدينية المعينة رسميا .

3- تلغى كل إجراءات القوانين الاستثنائية التي تضرب اللغة العربية مشبهة إياها باللغات الأجنبية ، فاللغة العربية يجب أن تعتبر لغة رسمية على قدم المساواة مع اللغة الفرنسية.

4- تطلق حرية التعليم الديني و يلغى قانون 8 مارس 1938 الذي يمنع إنشاء أي نوع من المدارس الحرة الإسلامي ة دون تصريح من عامل العمالة .

5- تلتزم الدولة الحياد في تأويل العقيدة الإسلامي ة.

[1] – نفسه. الصفحة نفسها

رغم المساعي الجدية و العملية من فرحات عباس لهذه الخطوات التحديثية لكنه ظل و كأنه لم يفعل شيئا و ذلك بسبب تحركات المعمرين الذين يقفون عقبة كؤود أمام تحسين أو إصلاح تجاه الجزائريين لتبقى الجزائر فرنسية .

المرأة في مقالات جريدة الوفاق :

اعتبرت المرأة و الاهتمام بها كعنصر فعال يعول عليه في تحديث المجتمع ، إذ أنها من المواضيع التي تطرقت لها الوفاق من الجانب الديني و الثقافي ،وقد لاحظت التقارير الفرنسية الأرشيفية و تتبعت اهتمام الجرائد الوطنية بهذا الموضوع حيث اعتبرت المرأة المسلمة وممارساتها اليومية و تحررها مشكلا ، حيث أن موضوعها لا يزال المادة الأساسية للعديد من المقالات و قد أوردت مقاطع لمقالات من الوفاق عن هذا الموضوع ، ولكن رغم اهتمام هذه الجريدة و أعضائها بهذا الموضوع لاحظنا أنه عولج باحتشام من طرف هذه النخبة ، وقد يعود هذا حسب الدكتور خمري [1]: << إلى إحساسهم بأن الوقت لم يحن بعد للانفتاح على تشجيع المرأة للدخول في معترك الحياة الجديدة ، واكتفوا بأخذ المبادرة بأن أرسلوا هم بناتهم إلى المدرسة الجديدة و قد يعود ترددهم في قضية المرأة حتى لا يصطدموا مع المحافظين و المجتمع الأهلي ، الذي لايزال غير محضر لمثل هذا النوع من الظواهر الجديدة >> ، وتتأكد هذه النظر في المقال الذي كتبت الوفاق[2] :<< نقول هذه اللحظة أننا مع تطوير و تكوين المرأة المسلمة في لغتها الأم ، اللغة العربية ، والسؤال الأكثر أهمية فيما يخص التحرر أما الحجاب فلم يطرح بعد>> ، ونظرا لاهتمام هذه النخبة بالمرأة و اعتبار الفصل في الموضوع تحررها صعبا و لن يتسنى حاليا فقد قررت اجراء مؤتمر إسلامي بهذا الخصوص حيث كتب بن جلول [3] :<< لقد أعلنت من قبل لبعض من الأصدقاء المناضلين أن شكل المرأة المسلمة سيطرح تقريبا في حدود **1942** أني اقترحت في هذا الشأن تحت إشراف فدرالية المنتخبين و التجمع الفرنكو مسلم استدعاء لأكبر مؤتمر الذي سينعقد في الجزائر في قسنطينة أو في تونس ، أين

[1] – الجمعي خمري: **حركة الشبان الجزائريين و التونسيين1900–1930** ،دراسة تاريخية مقارنة ،ج2 ،،اطروحة لنيل شهادة دكتوراه الدولة في التاريخ الحديث و المعاصر ، جامعة قسنطينة ،2003–2004، ص 457.

[2] -C.A.O.M،15h2،B.M.P.I.N.، **l'entente**، 1 juin 1939.

[3] -C.A.O.M،15h2،B.M.P.I.N.، **l'entente**، 15juin 1939.

سيتشارك متدينين مسلمين ومندوبياتإسلامية من كل الدول الإسلامي ة في العالم سيطرح المشكل و سيدرس ويحل في محله>>.

كما أبدى عباس قابليته لتحرير المرأة و يعتقد أن قضية الحجاب يستجاب لها بصفة طبيعية عندما تتثقف المرأة [1] ، كما دعت الوفاق إلى تكوين تعليمي للفتيات المسلمات بالعربية و ذلك لدمجها في العائلة ، وليكون لها مكانها في المجتمع و حتى من جانب الوجود الإنساني كما دعت إلى رفع مستوى تعليمها للمتوسط [2].

3- محمد صوالح : جزائر عصرية بفضل الثقافة الفرنسية

1- التعريف به :

هو صوالح بن محمد بن معمر ،طالب قديم بمدرسة المعلمين حصل على شهادة الباكالوريا سنة 1984، حامل دبلوم من المدرسةالعليا للآداب سنة 1898 ثم مترجم قضائي سنة 1898 حاصل على دكتوراه الآداب أستاذ في الثانوية و المدرسة العليا للتجارة و المعهد الزراعي بالجزائر .

* تعاون في وقت مبكر مع فريق نشرية التعليم الأهلي ومن المؤسسين للتعليم الفرنسي العربي للتجارة بالمدرسة العليا للتجارة.

* ألف حوالي 22 كتابا باللغة العربية النظامية و العربية الشفاهية و باللغة الفرنسية ومن بين هذه المؤلفات:

* تمارين وطرق تدريس العربية النظامية سنة 1900.

* اللغة العربية الشفاهية مع السيد فلوري .

*الملحق المعرب سنة 1903.

---

[1] -C.A.O.M،15h2،B.M.P.I.N.، **l'entente**، 22 juin 1939.

[2]- mostafa haddad : l'emergence de l'algerie moderne, t1 , 1 ^{eu}ed I , Guerfi , batna , 2001 , p 255..

*دروس تحضيرية للعربية الشفاهية (خاصة بالمعلمين) 1905.

*المجتمع الجزائري الأهلي في جزئين (1937).

كما انه نال عضوية في أنشطة كثيرة نذكرها منها :

*عضو لجنة الدفاع عن حقوق الإنسان في الجزائر [1].

*عضو قيادي في حركة الشبان الجزائريين في الجزائر العاصمة .

مؤسس جرائد منها :

*المستقبل الجزائري 1920/04/29 بالجزائر و اختفت في 1920/04/23.

*مستقبل الجزائر ظهرت سنة 1921 بالجزائر و اختفت في 1921/02/04.

*لنصيح ، ظهرت في الجزائر في 1921/7/8 واختفت في 1922/10/27 وهي جرائد ناطقة باسم الاتجاهالإدماجي.

كما انه شارك في تأسيس بعض الجمعيات الثقافية و الخيرية منها :

*جمعية الطليعة و تأسست سنة 1895 بالجزائر العاصمة أسسها رفقة ابن تامي.

* الجمعية التوفيقية (1908ثم 1911) بالجزائر ، لذلك أسسها مع ابن تامي وكان لها فروع في جيجل ومعسكر[2].

هذا ويذكر أبو القاسم سعد الله بأن المعلومات المتعلقة بصوالح قليلة جدا ، حتى في ما يتعلق بتجنسه من عدمه ، و يذكر بأن أول إشارة حوله تعود إلى 1907 حيث كتب مقالا في المجلة الإفريقية عن الصوم عند المالكية مستخرجا ذلك من رسالة ابن أبي زيد القيرواني ، ثم إشارة أخرى في 1915

---

[1]- حول مؤلفاته بالتفصيل عد إلى تقديمه لمؤلفه حول المجتمع الاهلي.

[2]- عد إلى خمري : حركة الشبان ،ج2، المرجع السابق ، ص ص 507-508.

عندما كان في بوردو وحسب سعد الله فإنه قد يكون مجند في الحرب و قد يكون اشتغل مترجما أو ملحقا بالجنود الجزائريين لرفع معنوياتهم و التأثير عليهم حتى لا ينضموا للألمان و العثمانيين [1] .

- كتاب" المجتمع الأهلي في شمال إفريقيا 1937":

رغم أنه يصب في تعريف الفرنسيين بخواص المجتمع في البلدان الثلاث من تقاليد ودين وعقائد وتاريخ و فلكلور ، إلا أن في طياته ملمح مشروع تحديث يظهر في إشارته للتأثير الأوربي على الأهالي ثم دور الحكومة الفرنسية من خلال أعمالها في الجزائر (مدارس، مؤسسات ، ...) ثم نتيجة هذا التطور على مستوى حياة الجزائريين ، وكانت لصوالح اقتراحات تغيير في حياة المجتمع بنوع من النقد لاحداث التطور في الجزائر مركزا على التعليم .

1/ حول المدرسة :

يؤمن صوالح بأن المدرسة الفرنسية استطاعت أن تحدث تغييرا جذريا في الذهنيات داخل المجتمع الجزائري ، كما يرى بأن الاحتكاك لفترة طويلة مع الأوروبيين أنتج في حياة الأهالي تحولات هامة و يذكر أن هذه التحولات كانت تلاحظ أكثر من المدن و في منطقة القبائل أين كان عدد المدارس الفرنسية أكثر بالنسبة إلى المناطق الأخرى[2] ، ويضيف :<< المدرسة الفرنسية قد أحدثت تغييرا جذريا في عقلية و مجتمع الأهالي ، أثرت بالإيجاب على إنتاج الأهالي في كل ميادين الحياة الاجتماعية ... نسبة حضور المسلمين إلى المدرسة يفوق 90 بالمئة ...>> ، كما أنه يعطي مثالا عن بعض المبادرات الفردية في المدن حيث كان بعض الأشخاص يهبون بيوتهم لتحول غلى مدارس بنفقاتهم الخاصة ، كما أنهم خصصوا مساعدين لتعليم الفرنسية لأبنائهم ، وكان هذا المثال – حسب صوالح- ناجحا في القبائل أحسن منه في المناطق العربية [3] .

---

[1]- أبو القاسم سعد الله : **تاريخ الجزائر الثقافي (1830– 1954)** ج 6، دار الغرب الاسلامي ، 1998 ، ص 261.

[2] - mohammed Soaleh : **la sociétéindigene de l Afrique du nord**(،**Algerie**،**Tunisie** ،**Maroc**، **Sahara**)،3 eme partie ،Alger la typo-litho et gulescarbonelediteurs،1937 ، p 382 et p 484.

[3] -ibid : p 382.

2- التعليم المهني :

نال هذا الموضوع نصيبا وافرا من التحليل و النقاش عند الليبراليين باعتبار هذا النوع من التعليم بإمكانه إعطاء نوع من التعليم المتوسط للجزائريين في حدود الكتابة و القراءة كمبادئ أولية إلى جانب مبادئ الفلاحة و المهن الأساسية و التجارة و الحدادة و البناء مرفقة طبعا بورشات خاصة مع تعليم القرآن الكريم و الفرنسية و استخدام اللغة العربية لتوصيل المعارف لأبناء الريف و المناطق النائية و قد راهن صوالح وزملاءه كثيرا على هذا المشروع و سبق الإشارة إلى نفس النظرة عند عباس .

يتصور محمد صوالح أن المشكل الاجتماعي الذي سماه (الياولاد) و يعني بالمصطلح الأولاد الذين لم يزاولوا التعليم في المدرسة بسبب الظروف الاجتماعي أو بسبب طردهم أو توقفهم عن المدرسة و تجمعهم في حرفة مسح الأحذية في الشوارع وهو يرمي بالاهتمام على المرأة (الأم) لأنها لو كانت تمتهن حرفة في المدارس التعليمية المهنية الفرنسية لحالت دون هذه الوضعية حث يقول :<<(...) يبيتون على عتبة أبواب المطاعم ، على أسطح المقاهي عددهم كبير ، هم يتامى ، متخلى عنهم ، أمهاتهم سيئات ليس لهم أية حرفة ، تفرض عليهن التقاليد المكوث في البيت (...) ماداموا بعيدين عن المدرسة يتلقون دروس الشارع الأليمة...>>[1] .

إنه يحاول في هذا المثال اقتراح حل لمشكلة التشرد بتشجيع الأولاد على التوجه للمراكز المهنية و يشيد من جهة أخرى بالمدرسة الفرنسية و نظامها ومن ثم فائدتها في المجتمع مركزا على عنصر المرأة محاولا إخراجها من قوقعة التقاليد و الأعراف الاجتماعية مقترحا إدماجها في التعليم المهني بما أن هذه المرأة ستكون يوما ما ربة منزل وعنصرا فعالا في المجتمع و حسب رأيه فمن لعصرنة القيام بالأعمال المنزلية ورعاية العائلة ، و بالتالي يقدم لها تعليما مهنيا خاصا يقوم على تعليمها الأفعال ، و النظافة ، الخياطة و الطرز والنسيج الأهلي ، و بالنسبة للتلاميذ الكبار فإنهم يزاولون الدروس التكميلية للتعليم المهني و المسمى

---

[1] - soaleh ,op-cit،pp 365-366.

بالمدارس اليدوية ، حيث يقول : تؤخذ أعمال الفتيات من كل منطقة خاصة ماتعلق بالزرابي و النسيج : زربية قرقور ، قسنطينة ، سطيف وبجاية ، زربية القيروان ،...، لتشارك في معارض بباريس [1] .

3- المدرسة و تكوين المرأة :

يشير صوالح مشيدا بالمدرسة الفرنسية إلى أن تطور وضعية المجتمع الأهلي منوطة بمدى نشر التعليم وهو الذي يؤثر على المطور المرأة لأنها أساس تربية الأولاد وهي المسؤولة عن نوعيتهم الاجتماعية و الثقافية وقد قدم صوالح مثالا يقارن فيه بين تونس و الجزائر في مجال تعليم و تحضى المرة معتبرا أن نسبته كانت أكبر في تونس عنها في الجزائر ، كما أنه ألح على ضرورة نشر مدارس البنات في كل المناطق بالجزائر توضع على رأس المدارس معلمات لا يختلفن في تفانيهن عن المعلمين الأوربيين ، و قد حدد صوالح النتائج الايجابية لهذا التعليم قائلا :<< عندما تتخرج البنت من المدرسة تقوم ، هي نفسها بممارسة تأثير داخل وسطها العائلي ، ولا يخفى أنه لكي يحدث التطور الحقيقي و النهائي في الظروف المادية و المعنوية للحياة الاجتماعية لابد من قيام المرأة ، مثلها مثل الرجل بدور الريادة ، لأن المرأة في النهاية هي السيدة في المنزل ، وطالما لم تقم المدرسة بتنوير عقل المرأة الأهلية ، ولم تقم بتهذيب سلوكها وعواطفها ، فإن عملنا و اتجاه الحضارة سيبقى في السطح و ليس في الأعماق>>[2] .

4- اقتراحاته حول اللغة :

رغم التكوين الثقافي الفرنسي لصوالح و أمثاله ورغم عدم وجود كتابات له باللغة العربية عدى الموجهة للتعليم بالعامية ، إلا أنه قدم مواقف مؤيدة لتعلم اللغة العربية حيث طالب بتدريس اللغة العربية بغير المعربين لأن المسلمين ينظرون نظرة تعاطف مع من يحاول الحديث بالعربية وخصوصا من يحاول كتابتها من الأجانب ويرى أنه مادام التعليم الفرنسي لم يصل إلى كل السكان من الجزائريين فإن تعليم العربية يظل

---

[1]- soaleh ,op-cit، p 383.

[2] - soaleh op-cit، p 384.

ضروريا حتى بالنسبة للأوربيين الذين يحاولون أن يقيموا علاقات الأهالي لأنه كلما كان هناك فهم صار هناك تفاهم [1].

كما أنه عند تناوله للمشكلة اللغوية في الجزائر و بطرح تساؤلا حول أهداف الحكومة الفرنسية من السعي إلى تهميش اللغة العربية و المساهمة في تخلفها ، وقد أرجح ذلك إلى الأطروحات ذات الاستلهام السياسي و الديني و التي جاءت من باريس ووجدت آذانا صاغية بين الأوروبيين في شمال إفريقيا ، حيث أنه يرى بأن هناك محاولة لفصل الجماهير البربرية عن الكتلة الإسلامي ة من اجل تنصيرهم أو لأجل وضعهم في مواجهة صريحة مع العرب ، وحيث فشلت هذه إلا بمحاولات – حسب صوالح- صاروا يتهمون اللغة العربية لغة القرآن بالعجز ، وبالعائق أمام تطور الأهالي و أمام النقدم الحضاري :<< لقد كان الحقد على هذه اللغة دفينا إلى درجة أن بعضهم استنكر على الحكومة الفرنسية اعتمادها على العربية في التعامل مع الأهالي>>[2] .

---

[1]- soaleh ,op-cit، p 468.

[2] - ibid، p 472.

خاتمة الفصل :

من خلال دراستنا لهذا الفصل توصلنا إلى النتائج التالية :

– لعبت المرجعية الثقافية للاتجاه الليبرالي دورا في التكوين الثقافي و الايديولوجي لأعضائه باعتبارهم النخبة التي خلقتها السياسية الاستعمارية الفرنسية لتبني مشروع الادماج و تطبيقه في الجزائر فهم أساسا نتاج المشتلة الاستعمارية الفرنسية (المدرسة) ، كما ساهم الانتماء الاجتماعي لهؤلاء دورا في توجههم الفكري و الثقافي و الذي إرتسم بتفرنس هؤلاء لكن بدرجات مختلفة و متفاوتة حيث ظهر ادماجيون متطرفون أعلنوا انسلاخهم عن المجتمع الجزائري عرقا و لغة ودينا وهوية .

– رغم التوجه الثقافي المفرنس لهؤلاء ، إلا أنهم أبدوا بعض المواقف من المسألة الثقافية ، حيث لم ينكروا الإسلام دينا خاصة الإدماجيون المعتدلين المعروفين بحزب فرحات عباس ، ولو كان من منظور أن الإسلام هو وطن روحي حيث ظلت هذه الفئة تعمل و تفكر في إطار الإسلام بسبب تقاطعهم مع جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في مراحل تاريخية ، كما طرح هؤلاء نظرية المصالحة بين الإسلام و المسيحية من منظور ليبرالي وفي إطار مشروع الإدماج فهم لا يرهنونه بمبدأ التخلي عن الأحوال الشخصية ، وقد اهتمت أدبيات هذا الاتجاه بالقضايا الثقافية تحديدا الصحافة و البرامج السياسية حيث أوردت الإسلام كمبدأ يجب احترامه على أساس قدسية الأديان ، كما دافعت جرائد الحزب عن التعليم الحر ووقفت ضد قرار 8 مارس 1938 المانع للتعليم القرآني ، وإلى جانب دفاعهم هذا طالبوا بضرورة تعليم الجزائريين في المدارس الفرنسية ايمانا منهم بأن نهضة الجزائر ستولد من المدرسة رغم ذلك بقوا متمسكين بمظهر الحياة الفرنسية رغم أن المتطرفين منهم رفضوا الإسلام و العروبة كمكونات لشخصية المجتمع الجزائري الجديد بعد تماهيه في الثقافة الفرنسية .

– بالرغم من تلاقي الادماجيين في بدايتهم بمختلف مستوياتهم الايديولوجية في نقطة التنكر لهوية الجزائر ، لكن يظهر أن تأثير فترة الثلاثينات بما حملته من زخم سياسي قد أثر على توجه النخبة الإدماجية الجديدة في إطار البحث عن الذات ، ومن ثمة مفهومها للهوية الجزائرية ، حيث عرضوا نظرية سياسة التشارك أو العيش المشترك بين الجزائريين و الفرنسيين مع عدم اعتبار الدين عنصر مشكل للهوية ، فهو بالنسبة لهم

منظومة حكم وليس عامل وحدة ، إلا أنه بعد الحرب العالمية الأولى ، ونتيجة سياسة الانسداد الاستعمارية تجاه النخبة الوطنية ورفض الطرفين سياسة التشارك و استحالتها تحول المفهوم إلى الأمة الجزائرية في إطار الوصول للمرحلة الثانية وهي اكتشاف الأمة الجزائرية .

– لقد عكست أدبيات بعض أفراد هذا الاتجاه موقفهم من المسألة الثقافية في الجزائر خاصة ماتعلق بالمؤلفات الخاصة و حاولوا تصور أسباب المشكل الثقافي ثم محاولة تقديم الحلول كاقتراحات لتحقيق الحداثة في الثقافة الجزائرية المستقبلية ، غير أن وجهات النظر كانت مختلفة بين النماذج التي تناولناها بسبب درجة الإستيلاب الثقافي الفرنسي و قد اتفقت هذه النماذج في الوسائل لكنها اختلفت في التصورات العامة للمشكل الثقافي و عكست كتابات البعض الضياع و الاندماج الثقافي و عند البعض تبني الثقافة الفرنسية بما حملت وحاول فرحات عباس تقديم مشروعه الحداثي الثقافي في اطار استيعاب ثقافة الآخر وفق خصوصيات الأنا ، غير أنها بقيت آراء و تصورات شخصية .

الفصل الثاني :

اهتمامات أدبيات الاتجاه الإصلاحي بالمسألة الثقافية

المبحث الأول : المرجعية الثقافية للاتجاه الإصلاحي.

المبحث الثاني : مظاهر التوجه الثقافي للجمعية من خلال مطالبها.

المبحث الثالث : إهتمامات صحافة الجمعية بالمسألة الثقافية.

المبحث الرابع : الكتابة التاريخية والهوية .

يعالج هذا الفصل اتجاه مهما في الحركة الوطنية الجزائرية وهو الاتجاه الوسطي ممثلا في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين و التي عبرت بوضوح وقوة عن مواقفها من المسالة الثقافية ومنصبة نفسها مدافعة عن الهوية والشخصية الوطنية رافضة أي مساس بها آو أي ثقافة بديلة ، معتمدة على وسائل فعالة طويلة المدى محاولة في نفس الوقت امتصاص سموم الاستعمار من اجل خلق التفرقة الاثنية واللغوية والعرقية بين الجزائريين لتسهيل عملية إعادة قولبة جديدة لمجتمع ليس بجزائري .

المبحث الأول : المرجعية الثقافية للاتجاه الإصلاحي :

1-تأثيرات الحركة الإصلاحية الحديثة في المشرق :

عرف العالم الإسلامي ظهور حركة واسعة كانت تهدف إلى إيقاظ الشعوب الإسلامية من سباتها، و دفعها إلى مجاراة الدول الأوروبية في تقدمها و قد رأت أنه ليتقدم العالم الإسلامي يجب تحرير العقل من الموروثات القديمة و الشوائب التي غلفت الإسلام [1]، هذا و قد مثل هذا الاتجاه ثلاث شخصيات مسلمة كبرى كان لها الأثر في حركة الإصلاح الإسلامي في العصر الحديث : جمال الدين الأفغاني و محمد عبده و محمد رشيد رضا ، فقد مثلت حركتهم رد فعل متوازن للتحدي المزدوج الذي كان على العالم الإسلامي أن يواجهه منذ القرن التاسع عشر ألا وهو تدهور المجتمعات و الدول الإسلامية بل و الحضارة الإسلامية ككل من جانب الهيمنة المتزايدة للغرب على العالم الإسلامي عسكريا و تكنولوجيا من جانب آخر ، فبينما دعا بعض المصلحين المسلمين – مثل دعاة الحركة الوهابية في الجزيرة العربية و التي تستمد تعاليمها من مبادئ أحمد بن حنبل في القرن الثامن للميلاد و ابن تيمية في القرن الرابع عشر [2] ، بالإضافة إلى الحركة المهدية في السودان – إلى حركة إصلاحية تقوم فقط على القرآن والسنة و بعض التقاليد الإسلامية في حين نادى آخرون من دعاة الإصلاح مثل زعماء حركوا التنظيمات في الدولة العثمانية إلى إصلاح يستند فقط على القيم الغربية ، أما الجماعة الوسط من دعاة الإصلاح المسلمين ، والتي تزعمها الأفغاني ومحمد عبده و رشيد رضا ، فقد نادت بإصلاح يقوم على كل من الوحي الإسلامي

1- قلعجي : المرجع السابق، ص 173.

2- أحمد صاري :**شخصيات و قضايا**، المرجع السابق ، ص 80 .،

و بعض ما انتجته الحضارة الغربية ،و إلا فإن مصير العالم الإسلامي سيكون الانهيار كما رأت هذه الحركة الإصلاحية أن تداعي الأوروبيين على العالم الإسلامي مرده انتهازهم فرصة عدم التزام المسلمين بدينهم ومن ثم سعوا إلى تدمير الوحدة الدينية للشعوب المسلمة [1] .

قامت الحركة الإصلاحية الإسلامية للأفغاني و عبده على الاعتماد على جريدة العروة الوثقى التي ركزت على الإصلاح الديني و التربوي دون السياسي أما جريدة المنار فاهتمت بالإصلاح السياسي، غير أنهما تلتقيان في النزعة السلفية اعتمادا على القرآن و السنة ، كما كانت كلتاهما حربا على التقليد الأعمى في المسائل الدينية الذي كان متفشيا بين المسلمين ، إذ دعتا إلى فتح باب الاجتهاد بل وممارسته بالفعل في المسائل الفقهية التي تعرضتا إليها [2].

إن مفهوم ومضمون الحركة الإصلاحية هو تحقيق النهضة الإسلامية باتباع القرآن و السنة والاستفادة من بعض منجزات الحضارات الأخرى، و على الأخص الحضارة الغربية ، رغم الاختلاف الحاصل بين المصلحين في الوسائل المعتمدة في الإصلاح فقد ارتكز مفهوم الإصلاح عند الأفغاني على الإصلاح السياسي ومنه دعا إلى جامعة إسلامية في المقابل تعلق الإصلاح عند محمد عبده بالجانب الديني والتعليمي مقللا من ، ولعل أهم ما ميز بين حركتي محمد عبده و الأفغاني فيما يخص الإصلاح السياسي هو تباين مواقفها من إصلاح النظم السياسية في الدول الإسلامية و التحرر من الاستعمار و الوحدة الإسلامية [3].

2–دور الزيتونة في تكوين جيل المصلحين الجزائريين :

من بين أكثر البلدان المغاربية تأثرا بهذه الأفكار الإصلاحية لمحمد عبده [4] <<تونس>> و التي تبوتقت في جامع الزيتونة العتيق و الذي يرى فيه علي الزيدي أن:<< له فضل في الحفاظ على الشخصية

1– هاني : المرجع السابق ، ص 57.

2– نفسه ، ص 61.

3– جمال الدين الافغاني : **الاعمال الكاملة** ، ج 2،جمع وتحقيق محمد عمارة ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، بيروت ، لبنان ، 1979، ص 26.

4– محمد علي دبوز : **نهضة الجزائر الحديثة و ثورتها المباركة** ، ج 2، ط1، المطبعة العربية ، الجزائر ، 1981، ص 31.

العربية الإسلامية أثناء الاحتلال الفرنسي و كان له الفضل في قلب التيار الجارف في الجزائر نفسها لفائدة العروبة و الإسلام بواسطة جمعية العلماء المسلمين ، ومعهد ابن باديس و الطلبة الجزائريين الذين زاولوا تعلمهم في الزيتونة تونس >>.

لقد تمتع الشبان التونسيون بحرية الاحتكاك مع الشبان المصريين من خلال الجرائد التي كانت تدخل مصر مثل الإسلام و المصور و اللطائف [1] ، في ظل الأحداث التي كانت يعيشها العالم الإسلامي ، خاصة وأن عناصر النخبة التونسية لا تزال مشدودة إلى الجامعة الإسلامية و أفكار الإصلاح أمثال علي ومحمد باش حمبة ، عبد العزيز الثعالبي ....[2] ، وكانت تصل تأثيراتهم إلى الجزائر عبر الصحف التي توزع إلى قسنطينة و سكيكدة وعنابة ، كما زارت البعض الشخصيات التونسية الجزائر و أغلب الظن أن الشبان الجزائريين كانوا يطلعون على هذه الصحف [3] .

تميزت الحياة الثقافية في تونس بالانتعاش خاصة مع اتصالها و تفاعلها الدائم مع ما كان يدور في المشرق العربي و في مصر على وجه الخصوص من أفكار إصلاحية جديدة أو بوادر نهضة فكرية عربية إسلامية ونستطيع تحديدها في المنار و التي اهتمت بأوضاع تونس – التعليم و الإصلاح الديني – إضافة إلى الجرائد التونسية التي كانت تردد الأفكار الإصلاحية مثل الحاضرة لعلي بوشوشة ، وكان لظهور الجمعية الخلدونية و إقبال العديد من الطلبة الزيتونيين على دروسها دور في زيادة استقبال الأفكار الإصلاحية التي زادت صلابتها بزيارة محمد عبده الثالثة إلى تونس في 1903 و التقائه بشخصيات تونسية مثل الشيخ سالم بوحاجب و محمد الطاهر بن عاشور إضافة إلى عودة عبد العزيز الثعالبي من الأستانة ومصر ، و على الأفكار الرائجة بهما [4] ، و يعتبر الثعالبي من الشخصيات التي تأثرها ابن باديس ووصفه بأنه [5]: <<لا الزعيم التونسي فقط و إنما الزعيم الإفريقي و علم العروبة و الإسلام فيها ورمز الوحدة بين أبنائها >>.

---

[1]– علي الزايدي :" **الوضع العام بالتعليم الزيتوني حتى اصلاح سنة 1951**"، المجلة ا التاريخية المغربية ،السنة 11 ، العدد 33-34، جوان 1984 ، تونس ، ص 78

[2]– وثائق نصية و شفوية :**رجال الدين والحركة الوطنية ، تونس ، 1881–1938** ، **أحداث الثلاثينات من خلال الذاكرة** ،المعهد الاعلى لتاريخ الحركة الوطنية، تونس ، 1993 ، ص 138

[3]– أحمد صاري : المرجع السابق،ص 81.

[4]– صالح الخرفي :" **الزيتونة في قلوب الجزائريين** "، الحياة الثقافية، السنة 22، العدد 82 ، فيفري 1997، ص 12.

[5]–نفسه: ص 11.

إلى جانبه كان الشيخ محمد الطاهر بن عاشور مثالا لسفير الدعوة الإصلاحية في تونس و في جامع الزيتونة تحديدا و كان من أبرز الشخصيات التي أثرت في التلاميذ الجزائريين في الزيتونة إلى جانب زميله المؤرخ المعروف البشير صفر الذي قال عنه ابن باديس [1] : <<و أنا شخصيا أصرح بأن كراريس (البشير صفر) الصغيرة الحجم الغزيرة العلم هي التي كان لها الفضل في اطلاعي على تاريخ أمتي و قومي و التي زرعت في صدري هذه الروح التي انتهت بي اليوم لأن أكون جنديا من جنود الجزائر >>.

كان التلاميذ الجزائريون في الزيتونة شديدي الاعتزاز بالزيتونة و المجلة الزيتونية دائمي الحنين إلى ربوعها و على رأسهم ابن باديس الذي صرّح بقوله [2] :<< .....وأنا تلميذ من تلامذة الزيتونة ، أن أغتبط بالمجلة الزيتونة خاصة و يحق لي و أنا جندي من جنود الإصلاح الإسلامي العام أن أسرّ سرورا خاصا بتعزز معاقل الإصلاح بهذه المجلة>> ، وكان نفس شعور خريجي الزيتونة الجزائريين بعده أمثال نعيم النعيمي و محمد خير الدين ، عبد الحميد حيرش [3] :<< تونس قبلة الجزائر العلمية و مآزرها الذي تآزر إليه في النوائب ومنارتها التي تشرف منها على الشرق و أنواره فلا عجب إذا حرصت جمعية العلماء على تمتين الحبال الواصلة بين الجزائر و بينها و على توضيح مايخفى من أحوال الجار على جاره و إزالة مايلبس به سيئ القصد و سيئ الفهم على صحيح العقد وحسن القصد>>.

كما عبر الزاهري أحد كتاب الجزائر و شعرائها و خريج الزيتونة في أواسط العشرينات و أحد الأوفياء لها [4]: << و أنا مدين لكلية جامع الزيتونة بتونس ، فقد تخرجت فيها و أحرزت على شهادة التطويع وما تراه في الجزائر من حركة العلم والأدب و الإصلاح الديني هذه أيضا مدينة لجامع الزيتونة فكثير من رجال هذه الحركة الوطنية قد تخرجوا من الزيتونة و أحرزوا على شهادتها العلمية >>.

ورغم تكون الشيخ محمد البشير الإبراهيمي بالحجاز و المشرق العربي و كان من الممكن أن تطغى عليه نزعة التعاطف مع المعاهد التي تعلم بها فإن إيمانه بالدور الذي لعبته الزيتونة في الحياة الفكرية بالجزائر

---

[1]-- صالح الخرفي: المرجع السابق ، ص 13.

[2]- نفسه، ص 15.

[3]- نفسه، ص 12.

2- محمد عابد الجابري :" **صفحات مشرقة من التواصل الثقافي بين تونس و الجزائر(2)**"،الصباح ، 29 جوان 2000.

والدعم المعنوي الذي رفدت به حركة جمعية العلماء و المناصرة المتتابعة التي انجرت للجزائر من الزيتونة ومشايخها و كثيرا ما افتخر بانتسابه للزيتونة من خلال تتلمذه على يد بعض المشايخ الذين تخرجوا منها واستقروا في الحجاز حيث كثيرا ما كان يردد [1] :<<فأنا لم أتخرج من الزيتونة ولم أقرأ في الجامع حرفا ولكنني تخرجت بالمدينة المنورة على أضواء كواكب الزيتونة في وقته ولا أحابي الشيخ محمد العزيز الوزير التونسي رحمه الله فكانت لي بسببه صلة بالزيتونة...>>.

لقد اشتدت الروابط الثقافية و العلمية بين جامع الزيتونة و العلماء المصلحين الجزائريين الذين تخرجوا منها و أسسوا فيما بعد جمعية العلماء المسلمين ،و ذلك بعد تأسس معهد ابن باديس سنة 1947م بقسنطينة الذي أنشئ بجهود الأهالي ليكون بمثابة الفرع الزيتوني ، حيث كان نظام التعليم به يسير وفقا لبرامج الموضوعة من قبل نظارة الجامع الأعظم و لضمان هذه الحركية فقد نادي الإبراهيمي إلى تدعيم هذه العلاقة من خلال دعوة نظارة الجامع إلى الاعتراف بالحركة العلمية الناشئة في الجزائر، بل وشد أزرها و تعزيز انتسابها للزيتونة هذه الأخيرة التي كان يخشاها الاستعمار لما لها من تغلغل في الأوساط الدينية و الاجتماعية ،و قد تدعم معهد ابن باديس بالكلية الكتانية التي حصلت بدورها على الاعتراف من الزيتونة و لم تتوقف العلاقة عند هذا الحد بل كانت مصداقية الشهادات التي تنال في معهد ابن باديس والكلية الكتانية لا تحض بالاعتراف من قبل الإدارة الفرنسية فيضطر التلاميذ الجزائريين لخوض امتحانات في تونس وذلك لأن شهادات الزيتونة "شهادة الأهلية ،التحصيل و العالمية معترف بها من طرف الإدارة الاستعمارية[2] .

ابتدأت رحلات الهجرة الجزائرية لطلب العلم في تونس في النصف الثاني من القرن ال19 و قد اشتدت عند بداية القرن 20 تحديدا ابن باديس والشيخ الحاج ناصر كروش ثم الشيخ أبو اليقظان من وادي الميزاب ، في حين توجه كل من الطيب العقبي و البشير الإبراهيمي إلى المدينة المنورة و الشيخ العربي التبسي إلى الأزهر ، ولما رأت الإدارة الفرنسية ما للزيتونة من أثر في النهضة العلمية الإصلاحية في الجزائر و

[1]- محمد عابد الجابري ، المرجع السابق ، ص

[2]- نفسه.

رأت شراسة العلماء الذين تخرجوا منها فربطت الهجرة إليها برخصة خاصة صعبة لا تعطى للتلاميذ بل يضطرون للسفر مشيا على الأقدام وكان ممن سلكوا هذه الطريق محمد علي دبوز [1] .

3- التحولات داخل الجزائر المستعمرة:

لقد كانت هناك محاولات فردية وفئوية نهاية القرن 19 و بداية القرن 20 لأحداث الإصلاح في الجزائر و المرتبط بالفكر فحسب رأي أبو القاسم سعد الله فإن الأصول الأولى للعلماء تعود إلى فترة ما قبل الحرب العالمية الأولى :<< حين كان مصلحون من رعيل آخر يخوضون في المسائل العقلية والاجتماعية>> [2] وكان يتقدمهم عبد القادر المجاوي الذي قاوم بقوة البدع والخرافات و كان رجل إصلاح ديني تخرج على يديه الكثير أمثال حمدان لونيسي الشيخ الأول لابن باديس إضافة إلى المولود بن موهوب(1866-1939) و الذي يعتبر من رواد النهضة الفكرية والثقافية و هو من أبرز من مهد لظهور الحركة الإصلاحية في الجزائر في بداية العشرينات من خلال جهوده التعليمية لأحياء الثقافة العربية والإسلامية [3] .

إن حديثنا في البداية عن تسليم معظم المؤرخين بمدى تأثير النهضة العربية في مؤسسي الحركة الإصلاحية كان محل نقاش بين المؤلفات حول مدى التأثير لكن في نظرنا فإن حركة محمد عبده قد أثرت بصفة جزئية في رعيل الإصلاحيين لجمعية العلماء، لكن ليس بالهالة التي رسمها المؤرخين حولها ، وهذا ليس معناه إجحاف في حق الرجل وجهوده فتأثيره كان في تونس بالزيتونة وشيوخها الذين تتلمذوا مباشرة على يد محمد عبده و أثروا بدورهم على تلاميذهم خاصة الجزائريين منهم و نخص بالذكر محمد الطاهر بن عاشور .

لقد نقل لنا محمد الطاهر فضلاء في مؤلفه دعائم النهضة الوطنية الجزائرية مقالا لابن باديس مؤرخا ب24 أفريل 1933 في جريدة السنة معنونا ب :عبداويون ؟ثم وهابيون؟ ثم ماذا ؟لا ندري و الله:

1- دبوز : المرجع السابق ، ص ص 20-21.

2- أبو القاسم سعد الله :" **العلماء الجزائريون (1919-1931)**"، المجلة التاريخية المغربية، العدد2، مطبعة الاتحاد العام التونسي للشغل ، تونس ، جويلية ، ص 152.

3-صاري: **شخصيات و قضايا** ، المرجع السابق ، ص 7.

[1]<<...لما قمنا بهذا و أعلناه قامت علينا و على من وافقنا قيامه أهل الجمود و الركود و صاروا يدعوننا للتنفير و الحط منا<< عبداويين>> دون أن أكون- و الله يوم جئت قسنطينة قرأت كتب الشيخ محمد عبده إلا القليل... رأينا واجبا علينا أن نقوم بالدعوة العامة إلى الإسلام الخالص و العلم الصحيح إلى الكتاب والسنة و كانت هذه المرة غضة الباطل أشد و أصبحت الجماعة الداعية إلى الله يدعون من الداعيين إلى أنفسهم <<الوهابيين>> ولا والله ما كنت أملك يومئذ كتابا واحد لابن عبد الوهاب ولا أعرف من ترجمة حياته إلا قليل ووالله ما اشتريت كتابا من كتبه إلى اليوم...>>.

أما عن زيارة الشيخ محمد عبده إلى الجزائر و مدى تأثيرها فقد تناقلت بعض المصادر كلاما فحواه إلغاء الاستعمار الفرنسي لفاعلية هذا الرجل ،حيث ذكر لنا باعزيز بن عمر إثر سؤاله ابن باديس عن هذه الزيارة جوابه [2] :<< إن زيارة الشيخ محمد عبده للجزائر وتونس كانت شبه رسمية و قد أوعزت السلطات الاستعمارية إلى من وظفتهم في المساجد والمدارس من الأئمة و المفتين و المدرسين بالالتفاف حوله حتى يحصوا عليه حركاته و سكناته وكل صغيرة أو كبيرة من كلماته و أقواله ... وكان درسه الذي ألقاه بالجامع الكبير في العاصمة في تفسيره سورة العصر درسا ضيقا لم يتسع ألا لهؤلاء الرسميين من أئمة و مفتين ومدرسين و ليس من بينهم عالم حر يستطيع أن يتبادل معه الرأي خارج هذا الدرس في أحوال المسلمين بصورة عامة و الجزائريين منهم بصورة خاصة ...>>.

و بالرغم من أن أبو القاسم سعد الله ذكر بأن عبده قام بزيارة إلى قسنطينة وهو الأمر الذي لم يذكره على مراد في مؤلفه حول الحركة الإصلاحية و يضيف سعد الله بأنه قد يكون قد استقبل هناك من طرف ابن الموهوب و حمدان الونيسي لكنهما تأثرا فقط بأفكار عبده المتعلقة بمحاربة المبتدعة و الجهل ونشر تعاليم الدين الصحيحة [3] لكن رغم تأثر ابن الموهوب به إلا أنه لم يستطع تفعيل هذه الأفكار بسبب وظيفته كإمام للجامع الكبير بالعاصمة [4] .

[1]- محمد الطاهر فضلاء: **دعائم النهضة الوطنية الجزائرية** ،ط1، دار البعث ، قسنطينة 1984، ص ص 84-85.

[2]- باعزيز بن عمر: **من ذكرياتي عن الامامين الرئيسين عبد الحميد بن باديس ومحمد البشير الابراهيمي**، ط2،منشورات الحبر ، الجزائر،2007،ص61.

[3]- صاري : **شخصيات وقضايا**، المرجع السابق، ص 23.

[4]-نفسه، ص ص 27-28.

إذن فإن زيارة محمد عبده للجزائر كانت مقيدة برسميات الإدارة الفرنسية و كانت محدودة من طرف الشخصيات المستقبلة له و يؤكد لنا محمد الطاهر فضلاء هذه الفكرة حيث ذكر بأن هذه الزيارة [1] :<< تحققت داخل سياج حديدي ضربه الاستعمار الفرنسي عليها حيث اشترط منذ البداية عدم التدخل في الشؤون السياسية من قريب أو من بعيد الأمر الذي أدى بالشيخ محمد عبده إلى التصريح وهو على أرض الجزائر بأن السياسة من السوس الذي ينخر عظام كل الحركات التحررية ...، فكانت ضربة عنيفة أمام كل الاتجاهات التحررية في البلاد >> مضيفا [2] :<< لهذا قرروا التحرر من كل تبعته للحركة الإصلاحية التي يحمل لواءها في مصر و جعلها مقصورة على إصلاح التعليم في الأزهر و تصحيح العقيدة الإسلامية في التوجيه الديني في الأمة الإسلامية كلها>>.

إننا نوافق سعد الله في مفهوم الحركة الإصلاحية و العلماء في الجزائر ، حيث أن مفهومهم يختلف عن مفهومه في بقية العالم العربي الإسلامي و الذي اقتصر على الإصلاح الديني التقليدي ، كان يعني في الجزائر المستعمرة اللاهتمام بالحياة الاجتماعية و السياسية بمعنى انه شمل القومية [3] .

و بالرغم من كون الإصلاح كعملية دينية و تعليمية و تاريخية قد ظهر قبل القرن 20 في الجزائر وكان له إعلامه إلا أن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي حملت هذه الراية من بعد تختلف أشد الاختلاف عن المبادرات السابقة سواء كانت فردية أو فئوية ، فالحركة الباديسية التي ظهرت بعد 1919 قد غطت على ماعداها لأسباب عديدة يحللها سعد الله في شخصية الشيخ ابن باديس في حد ذاته و إلى دعم زملائه له والظروف التحررية التي كانت سائدة[4] .

إن هذه الحركة الإصلاحية لم تشبه في مضمونها ولا شكلها حركة النخب التي سبقتها من الحركات الإصلاحية سواء داخل الجزائر أو خارجها، أو حتى التي عاصرتها و إنما هي حركة إصلاحية نبعت من آلام و آمال هذا الشعب وكانت حركة استقطبت أسباب النهضة ووسائلها [5] .

---

[1]- فضلاء: المرجع السابق ، ص 82.

[2]- نفسه : ص 83.

[3]- سعد الله : المرجع السابق ، ص 152.

[4]-نفسه ، ص نفسها .

[5]-فضلاء : المرجع السابق، ص ص 88-89.

و يوافق مؤرخون ومفكرون هذه النظرة ، حيث ذكر علي الكنز بأن الحركة الوطنية بمختلف توجهاتها قد نمت في كافة البلدان في عزلة ثقافية نسبية أما في الجزائر فهي عمليا مطلقة [1] ، إذن فهو يلغي أي تأثير ثقافي خارجي بمعنى أنها ارتبطت بالظروف الداخلية في الجزائر و هو ترجيح و تحليل مقبول ومعقول جدا، وهو رأي أكد عليه الدكتور فهمي جدعان الذي يرى بأن مشروع ابن باديس الإصلاحي جاء نتيجة للظروف التاريخية التي تمر بها الجزائر المستعمرة و لم يجيء نتيجة تأثر مباشر بأفكار محمد عبده[2] .

تميزت الحركة الإصلاحية التي قادها ابن باديس في الجزائر باختلافها عن الحركة الإصلاحية الكلامية المجردة ،التي قادها محمد عبده في المشرق العربي باعتبار أن أساس حركة ابن باديس نابع من روح الأمة في حد ذاتها و قد تأثرت كثيرا بالاهتمامات العلمية الزيتونية [3] ،بل و أكثر من هذا فالدراسة النقدية المقارنة التي أنجزها الدكتور عبد الكريم بوصفصاف حول ابن باديس و محمد عبده قد توصل فيها إلى أنه رغم أن ابن باديس وحركته اتهموا بالعبداوية، إلا أن مشروعه الإصلاحي الأساسي الذي ارتكز على وسائل صلبة ومدروسة قد كانت نتيجة للظروف التي مرت بها الجزائر المستعمرة ،و لم يأت مشروعه نتيجة تأثره المباشر و المعتبر بأفكار محمد عبده ،و أن ابن باديس يصرح بأن قراءته لمحمد عبده قد جاءت متأخرة على مشروعه لذلك فهي تستند على القرآن و فهمه العميق و العودة إلى المسار الحضاري للحياة الإسلامية الأولى منذ نشأة الدولة الإسلامية[4] .

هذا ويرى علي مراد بأن الأحوال السيئة في أي بلد [5] :<< تؤدي إلى كبح الحركية الجماعية وهدر الإمكانيات المادية والقضاء على الآمال، و تشجيع هيجان العناصر المعادية للمجتمع و تحميل

1-علي الكنز : المرجع السابق ، ص 32.

2- فهمي جدعان : **أسس التقدم عند مفكري الاسلام في العالم العربي الحديث** ، ، دار الشروق ،عمان 1988، ص ص 461-462.

3- عبد الكريم بوصفصاف:**الفكر العربي الحديث و المعاصر محمد عبده و عبد الحميد بن باديس نموذجا**،ج1،دار الهدى،الجزائر.2005.ص .441

4-بوصفصاف :المرجع السايق ، ص 442.

5- مراد : المرجع السابق .ص 35.

الإسلام الإخفاقات والإهانات، فإنه في هذه الحال ينبري رجال ليرفعوا عقيرتهم بالصياح باسم صوفية سياسية ودينية و ليفرضوا أنفسهم كقوميين ومصلحين>> و نؤكد هذا القول بمنال معهد الحياة بالقرارة.

غير أنه يرفض فكرة عدم تأثير محمد عبده في عملية الإصلاح في الجزائر فهو يرى بأنه الرجل [1] << الذي جعلهم يشعرون بإيقاع الشرق الإسلامي و ساعدهم على استيعاب التوجه الإصلاحي للإسلام المعاصر بشكل سريع وهذا منذ 1903، و ظهرت ثمرات هذا التأثير في عبد الحليم بن سمايه>>.

فعلي مراد قد زاوج بين الظروف التي عاشتها الجزائر و حتمية الإصلاح التي رفدت متابعة من الشرق.

إن الظروف التي عاشتها الجزائر في ظل الاستعمار كانت كفيلة إلى حد بعيد بإصدار صرخة لضرورة الإصلاح و نحن لا نقصد هنا الأوضاع الاقتصادية أو الاجتماعية ، بل نقصد أمرا غاية في الخطورة وهو الثقافة –الانتماء–الشخصية – فحركة الاستشراق و سياسة الغزو الثقافي و الفكري التي تميزت بها الثقافة الفرنسية قد عرفت تجسيد حقيقيا في مستعمرة الجزائر ،و أصبحت هذه الأخيرة نموذجا يستدل به على سياسة فرنسا الثقافية ، التي شنت حربا ثقافية على ركائز المجتمع الجزائري فالاستعمار ليس فقط مواجهة عسكرية بل هي صدام بين حضارتين و ثقافتين و لغتين و دينيين ، وكانت اللغة العربية أول ما بدأت مواجهته وذلك عن طريق تشجيع اللغة الفرنسية و العامية [2] .

كانت هذه الحرب الثقافية على الجزائر شرسة و ضعت في مخططها تشويه البنية الفكرية و الثقافية و الحضارية للشخصية الوطنية الجزائرية و كان ثقل المهمة يراهن على اللغة العربية ، فتدخل المستشرقين كان من أهم عوامل حركة الصراع الثقافي و السيطرة على التعليم و توجيه مناهجه وبرامجه و اختيار مادته ،و كان هذا الوضع واضحا و مفهوما للعلماء المصلحين الجزائريين و على رأسهم ابن باديس الذي كان مشروعه الإصلاحي نابعا من وعيه بأهداف فرنسا و الوسائل المستخدمة في ذلك، ثم طرق المواجهة لهذا رمى بثقل مشروعه على التعليم العربي ، هذا الواقع لم يقم بشرحه محمد عبده أو الأفغاني بل و لم تكن

1- مراد : المرجع السابق ، ص 37.

2- الطيب ابن براهم : المرجع السابق ، ص ص 143-145.

الظروف في الجزائر مماثلة في مصر فانجلترا لم تأت بمشروع مصر انجليزية كما فعلت فرنسا في الجزائر لهذا كانت الظروف في الجزائر كفيلة لوحدها لظهور الإصلاح بالرغم من أن المؤرخين يشيرون إلى ظروف أخرى كالاحتفالات المئوية و القوانين الفردية ...لكن في نظرنا فإن الاستشراق كمشروع كان أهم دافع لظهور الإصلاح كرد فعل دفاعي. من جهة أخرى كان ضروريا مواجهة رجال الزوايا و الطرق الصوفية التي أصبحت يدا من أيدي الاستعمار الفرنسي لذلك لابد من قطعها .

ويجدر بنا الإشارة إلى دور الريف في عملية تكوين الكوادر الثقافية و الاجتماعية فقد ساهم إلى حد بعيد في تبلور الإيديولوجية النضالية و ذلك بوجود هياكل ثقافية : المدارس القرآنية و المعاهد الدينية وكان من جهة أخرى مظهرا من مظاهر الصمود المعنوي و الثقافي في وجه الاستعمار و قد كانت مهمته، تغذية الحقد ضد الاستعمار حسب لوكونت فايان و عدم الترخيص في تعليم القرآن و عليه فحركة الإصلاح الديني قد نمت وتطورت بالجزائر بفعل هذه الهزة التي أحدثها في مجال التوجيه الديني مما سمح بإطلاق قوى و طاقات كانت مقيدة بقيود الجماد والانغلاق[1] .

و قد تبلورت هذه المؤثرات في ظهور الحركة الإصلاحية في الجزائر –الاتجاه الوسطي- بتسمية جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في 05 ماي 1931 بعد خطوات و سنوات من الإعداد و الفهم العميق لمعنى الإصلاح ووسائله وبعد دراسة و تحليل لوضع المجتمع الجزائري، و الطرق الكفيلة لإصلاح هذا المجتمع المشكلة لعل نادي الترقي كان أهم وسيلة حيث اعتبر منارة ثقافية و ذو بعد عربي اسلامي وكان من أهم الخطوات الممهدة لظهور الجمعية و اتخذت منه مقرا لنشاطها ومنبرا لإلقاء المحاضرات الإصلاحية [2] .

أشارت بعض الدراسات التاريخية إلى احتمال تأثر الحركة الباديسية بحركة الإخوان في مصر خاصة و أن الحركة الإسلامية التي تزعمها حسن البنا ظهرت في 1928 إلا أننا لم نلحظ إشارة ابن باديس لهذا التنظيم الذي ظهر قبل الجمعية بثلاث سنوات و قد يعود ذلك إلى عدم التشابه في النهج الإصلاحي للتنظيميين حيث اعتمدت حركة الإخوان المسلمين في مصر على الفرد المسلم و ذلك بتربيته إسلاميا و

1–محمد ابراهيم الميلي : ا"**لبعد الريفي في الثورة الجزائرية**" ، الاصالة ، العدد 22، السنة 3 ، اكتوبر –نوفمبر 1974 ، ص 58.

2– صاري : **شخصيات و قضايا** , المرجع السايق .ص 117.

روحيا و جسديا ، كما أنها تميزت بطرحها الشمولي للإسلام باعتباره دين و دولة و لم تخصص فيه [1] ، حسب ظروف و طبيعة كل بلد إسلامي ، عكس الجمعية التي اهتمت كانت شاملة و عميقة في إصلاحها حتى أنها دخلت معترك السياسة .

إن الأكيد أن العلاقات الفكرية و الثقافية مع مصر كانت موجودة و تأكدت أكثر في الثلاثينات،خاصة مع تسرب مجلة "الرسالة" إلى الجزائر ، لكن الحديث عن العلاقة مع الإخوان تأكدت رسميا في سنوات الخمسينات عن طريق الإبراهيمي الذي كانت ولا علاقة مع هذا التنظيم و الذي ألقى الكثير من الخطابات في مقر" الشباب المسلمون" وتحت رئاسة صالح حرب و قد روى نجله أحمد طالب الإبراهيمي عن هذه المحاضرات [2] << و أذكر خاصة محاضرة ألقاها عند الإخوان و كان يجلس في الصف الأمامي كل من حسن الهضيبي و سيد قطب و عبد القادر عودة و عبد الحكيم عابدين و سعيد رمضان و محمد الغزالي ،وكان موضوع المحاضرة حديثا لرسول الله صلى الله عليه وسلم : <<خذوا الرجال بالحق ولا تأخذوا الحق بالرجال >>غير أن مقالات شبيبة الجمعية في جريدة المسلم الجزائري و البصائر لم تخلو من بعض الأفكار و الإيحاءات الاخوانية حتى أن مالك بن نبي قد أشاد كثيرا بحركة حسن البنا و من ذلك أن حركة الإخوان أعطت دفعا جديد لقيمة القرآن الذي أصبح قوة فعالة لتغيير الإنسان و قد كتب بن نبي مقالا في 1953 عن الإخوان في (الشباب المسلم) [3] .

هذا و قد اصطدمت الحركة الإصلاحية لابن باديس بحركة العلماء الإصلاحيين التقليديين على رأسهم بن عليوة، و يكمن مشكل الصراع هنا في اجتماع الحركتين من حيث المرجعية الفكرية النابعة من فكرة الإصلاح الداخلي، خاصة و أنهما تزامنتا و الإرهاصات الأولى للظهور بمعنى المحاولات الفردية والفئوية الأولى في مرحلة الانتظام الجمعوي.

1– ابراهيم لونيسي :المرجع السابق ,ص 97 .

2– احمد طالب الايراهيمي : **مذكرات جزائري ج2** ، احلام ومحن (1932-1956) دار القصبة للنشر ،الجزائر 2006 ،ص ص74-75.

3 – Haçan el bana : "**l homme qui allume le flambeau de la revoulution**" ,le jeune musulman n 16,27/02/1953.

عرفت الطريقة العليوية في بدايتها بتبنيها للنهج الإصلاحي، وهو الشبيه بنهج ابن باديس لكن الاختلاف يكمن في كون هذه الطريقة رجعية منغلقة أمام الأفكار التجديدية في مجال الإصلاح سواء القادمة من المشرق إثر الصحوة العربية الإسلامية و نقصد تأثيرات محمد عبده ورشيد رضا (...) أو حتى الاطلاع على التطور العلمي الحاصل في أوروبا ، وبالتالي فإن دعوتها للإصلاح لم يتعدى الميدان الديني حتى أنهم لم يمتلكوا منهج إصلاح محدد و كامل من حيث الأهداف و الوسائل و إنما كانت عبارة عن" إصلاح الزوايا" المندثر ، غير أن إقرارها بضرورة الإصلاح الديني كان منذ 1923 عن طريق جريدتها لسان الدين و ذلك قبل ظهور الجمعية بسنوات و ذلك عندما كتب[1] :<< إن تشكيل حزب ديني يتخلل فروعه سائر القطر الجزائري يتألف من رجال مخلصين في أعمالهم صادقين في أقوالهم يبذلون في سائر تأييد مشروعهم النفس و النفيس خطتهم في ذلك المناضلة عن الدين و المحافظة على المروءة...>>.

و قد ازداد الصراع بين ابن باديس و هذه الحركة بعد أن اتهمهم بمحاولة اغتياله في 1926 [2] ، لكن رغم ذلك و بعد الدعوة لمشاركة العلماء لتأسيس جمعية إسلامية إصلاحية كان بن عليوة أحد المشاركين فيها غير أنه انشق عن ابن باديس في 1932 و أنشأ جمعية علماء السنة ، في ديسمبر 1932 برئاسة المولود بن الصديق الحافظي الزاهري ، و أسس معها نادي الإخلاص و صحيفة الإخلاص لكنها حلت نفسها في 1935 ، هذا و قد إتهم التقليديون جمعية العلماء بكونها [3] << الملحدة (...) المدجلة باسم الإصلاح الديني لتهديم الدين و بالعلم المجرد الظهور و انتزاع الخطوة الشعبية بقصد انتزاع القيادة الدينية من أصحابها التقليديين حبا للسيطرة و جمع الأموال ....>> .

في حين كانت الجمعية ترى بأن محور الصراع مع الاتجاه التقليدي هو هذا الإنسان الجزائري البسيط الذي تريد تحريره من استعباد الطرقية كما اتهمتها الجمعية بمحاولة فرض التجهيل و التضليل في المجتمع ، خاصة بعد وفاة بن عليوة في 1934 و تعويضه بعدة بن تونس الذي أسس جمعية أحباب الإسلام في

[1]- لونيسي: المرجع السابق,ص 79 .

[2]- حول هذه الحادثة راجع : احمد حماني :**صراع بين السنة والبدعة او القصة** الكاملة **للسطو بالامام عبد الحميد ابن باديس** . ج1. دار البعث قسنطينة .1984، ص 61-68 و ص 93-155 .

[3] - لونيسي : المرجع السابق . ص 82، أنظر ملحق رقم -3-

1948 و التي عرفت عضوية العديد من الأوربيين[1] ، و كانت في وجهة نظر التقليديين وسيلة للدعوة الإسلامية في صفوف الأوروبيين غير أن الجمعية اعتبرتها وسيلة لتتغلغل من خلالها فرنسا عن طريق هؤلاء الأعضاء الجواسيس لكن رغم التنظيمات و الوسائل المتوفرة للنشاط إلا أنهم لم يستطيعوا مجاراة الجمعية التي كانت أكثر غزارة في الإنتاج الفكري و الإصلاحي فهي جمعية منظمة حوت قانون أساسي و برامج و أهداف ووسائل متنوعة للإصلاح.

كما عملت الجمعية ضد ما أسمتهم بفقهاء البلاط و هم الأئمة الذين كانوا يعينون من طرف الإدارة الفرنسية حسب درجات التجسس و الولاء لفرنسا ، حتى أن جمعية العلماء أفتت بعدم جواز الصلاة وراء هؤلاء وهو مازاد أعداد أعداء الجمعية و الذين أصبحوا يحرضون الإدارة الاستعمارية على قمع الإصلاحيين .... لكن كان هناك مفتين جمعوا بين صفات التنوير و العلم مثل عبد الحكيم بن سماية و المولود بن الموهوب و قد أشار الأستاذ رابح لونيسي إلى أن هناك موظفين أكثر ولاءا للإدارة الفرنسية من هذين و يشير إلى المفتي المالكي كحول بن دالي الذي اغتيل في 1936 و قد تميز بالكفاءة العلمية حتى قيل أنه لو سخر قلمه لخدمة الدين و العلم و الوطن لقدم فوائد عديدة لأنه كان متعلما وكان خلفه أبو القاسم الحفناوي كذلك رجل علم و الذي عرف بكتابه تعريف الخلف برجال السلف (1948) و هدفه تنظيم الموظفين السبب لدى الاستعمار و قد رفضت هذه الودادية مطلب الجمعية و المتعلق بفصل الدين عن الدولة و قد نالوا في هذا مساندة الطرقيين [(2)] .

5- التيار التجديدي في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين (شبيبة جمعية العلماء):

بالرغم من تشكل الجمعية من العلماء العروبيين المعتدين باللغة العربية و بالثقافة و المرجعية الإسلامية إلا أن هذا لم يمنع من ظهور شباب مزدوجي اللغة (عربية/فرنسية) ذوي نزعة و مرجعية إسلامية، وهم أما خريجي معاهد جمعية العلماء أو خريجي المدارس الفرنسية كحال أحمد طالب الإبراهيمي ومالك بن نبي و قد تجسدت الحركة التجديدية من خلال الشباب الجزائري ، و التي فتحت أبوابها

[1]- عوض الله بن حسن مصطفى البحيصي : **من أعلام الإصلاح الديني : الشيخ العلامة عدة بن تونس المستغانمي** ، المطبعة العلاوية ، ط1. مستغانم 1995. ص ص 119-120.

[2]- لونيسي : المرجع السابق . ص ص 87-88.

للمفرنسين ذوي المرجعية الإسلامية و هذا نابع من ألمهم تجاه أولئك الذين يترددون على المدرسة الفرنسية و يبتعدون شيئا فشيئا عن مقومات الشخصية الوطنية فكانوا يجسدون الاستلاب الإيديولوجي و هذا نتيجة للظاهرة الاستعمارية في الجزائر خاصة أولئك الذين يعانون من مركب الاغتراب في الوسط الذي نشؤا فيه و بدأوا في الابتعاد عن عادات و تقاليد شعبهم و يقول في هذا أحمد طالب الإبراهيمي[1] :<< و لأول مرة اتضحت في ذهني أهداف التعليم الاستعماري : فصل البلاد عن ثقافتها الأصلية و إتباعها بثقافة دخيلة تنهل منها حتى تصبح مجرد أداة للهيمنة الاستعمارية >> .

وقد كانت أحسن وسيلة للدفاع هو إنشاء جريدة باللغة الفرنسية تكون وسيلة للتأصيل و قد صدر العدد الأول منها في 6 جوان 1952 بعد تزكية من إدارة الجمعية [2] ،وقد ركزت على إبراز عقلانية الإسلام و صلاحيته لكل زمان ومكان وفعلا استقطبت اهتمام شخصيات هامة أمثال عمار أوزقان ، مصطفى الأشرف ومالك بن نبي و غيرهم و تظهر النزعة الإسلامية في نوعية المواضيع التي تحويها و قد كانت موزعة بين:" في ضوء القران"و"الحديث "لعلي مراد و مقالات لأوزقان حول" التنصير و المشروع البربري" . و قضاء خاص نشر مقالات حول "التعليم الفرنسي الاستعمار "لمحمد الشريف الساحلي أما مالك بن نبي فقد كان قد بدأ خط التفكير في الحركة الإسلامية انطلاقا من فكر حسن البنا [3] . وبالتالي فقد اتضح له منهج مطور عن منهج العلماء في الإصلاح منطلقه دراسة معمقة لواقع المجتمع الجزائري وأسباب انحطاطه فكان ابن نبي من المقتنعين بقاعدة أن الفكرة الدينية رافقت دائما تركيب الحضارة خلال التاريخ و بالتالي فان مشروعه قائم على أساس إشكالية مطروحة حول كيفية إعادة بعث الدين الإسلامي باعتباره ، المركب الحضاري بالنسبة للمسلمين و الذي بإمكانه القيام بدوره كما في عهد الدولة الإسلامية وبالتالي فالمنهج المعصرن قائم على جعل المسلم في الجزائر حضاري و فعال [4] فهو ينتقد الحركة الإصلاحية

---

[1] احمد طالب الإبراهيمي : المصدر السابق ,ص 71

[2] **Le jeune mesulman, n1, 06 juin 1952**. -4- أنظر الملحق رقم

[3] – احمد طالب الإبراهيمي : المصدر السابق ، ص ص 71-72.

[4] –لونيسي : المرجع السابق , ص 106.

لأنها [1] :<< لم تستطع أن تترجم إلى لغة الواقع فكرة الوظيفة الاجتماعية للدين و الممثلة في جعل المسلم فعالا في حياته >> ، و قد أراد انتقاده للجمعية بعد مشاركتها في المؤتمر الإسلامي 1936 .

[1]- مالك بن نبي : **وجهة العالم الاسلامي** ، ترجمة عبد الصبور شاهين ، دار الفكر ، دمشق ، 1969 ، ص 65.

المبحث الثاني : مظاهر التوجه الثقافي للجمعية من خلال مطالبها :

مثلت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الاتجاه الذي حافظ و دافع عن الهوية الوطنية الجزائرية، فصحيح أنها لم تكن ثورية كالنجم أو حزب الشعب لكنها ثورية بمنظور أهم، فهي طالبت بالاستقلال الثقافي و تحقيق التطور الحضاري ،لأن الحضارة في مفهوم الجمعية هو إعادة بناء الحياة برؤية فكرية تقوم على المعرفة و الإيمان و العمل و التي تحقق الحضارة و بالتالي فإنه و انطلاقا من مبادئها فقد صاغت هذه النتيجة عن طريق الاهتمام بالدين و اللغة العربية و المجتمع الجزائري .

أ – الإسلام :

إن الفرضيات الأساسية التي كان المستعمر يسعى إلى تحقيقها ميدانيا من خلال الكتابات التاريخية و الانتروبولوجية ، تلك الفرضية القائلة بأن الدين الإسلامي لا يمكنه أبدا مواكبة العلم و التطور ، أي أن الدين الإسلامي مناهض للمدنية على اعتبار أن أخطر ما اتضح لهؤلاء الباحثين أن الإسلام هو سر المقاومة مادام متأصلا لدى المجتمع الجزائري لن يكتب الدوام للاستعمار، هذا ما جعل الإدارة الاستعمارية تستغل بذكاء القائمين على الطرق الصوفية و رجال الدين و كذلك شيوخ الزوايا، لما يتمتع به هؤلاء من نفوذ روحي و تأثير عميق و فعال على فئات المجتمع الجزائري ، حيث تم استغلال ظاهرة و معتقد الأولياء الصالحين و المرابطين لضرب الإسلام و يتم ذلك باختراق النظم الدينية (الزوايا الدينية) و تشريحها لتفكيك معالمها و تأثيراتها الايجابية .

إن تصفح ما كتب عن الإسلام كدين و عن الجزائريين كمتدينين يتضح حجم المؤامرة و المحاولات الجادة لخلق القطيعة بين الإسلام المعتقد الصحيح و المجتمع الجزائري كممارس له، مع فصل الإسلام في الجزائر عن بقية الإسلام في الأمة الإسلامية [1] .

هذا ولم تكتف الإيديولوجية الاستعمارية المعتمدة على الدراسات و الأبحاث في مجال الاستشراق أو البحث الانتربولوجي بتدنيس الإسلام ، بل أصبحت تلصق بالعرب صفات الهمجية و التقوقع كصفات

---

[1] – نور الدين كوسة :" **دور الدراسات الانتربولوجية الاستعمارية في تفكيك البنية الاجتماعية و الثقافية للمجتمع الجزائري** "، حوليات التاريخ و الجغرافيا ، المدرسة العليا للأساتذة ببوزريعة ، الجزائر ، أعمال الملتقى الثاني حول مظالم الاستعمار الفرنسي في الجزائر يومي 17–18 أفريل 2007 ، ص ص 154–155.

متوارثة وملازمة له عبر قرون [1] . و بالتالي فان هذا الجنس وقف حجر عثرة أمام المشاريع الثقافية الفرنسية في إطار حرب الحضارات شرق/ غرب.

في ظل هذا التسارع التاريخي للمتغيرات الثقافية في الجزائر، و بما أن الحرب في الجزائر في نظر فرنسا هي حرب صليبية و مع توفر هذا الطرف (غرب)، ظهرت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين كممثل للإسلام (شرق) محاولة ردع كل ما من شأنه المساس بالمقومات الوطنية .

إن مرجعيات الخطاب العلمائي – كما أشرنا سابقا – هي مرجعية دينية خالصة سحبت معها مبادئ الهوية القائمة على اللغة العربية و العمق التاريخي للمجتمع الجزائري بقيمه، التي تربطه بالعالم الإسلامي الأرحب الذي يشكل أمة ،وكونهم ربطوا نشاطهم و انتماءهم بالمجتمع فباتوا جزءا منه . هذا المجتمع الذي تعرض كثيرا للسلخ عن هذه المقومات التي قولبت شخصيته القاعدية و التي حللها الدكتور عبد السلام فيلالي بكون :[2] << الفرد الجزائري لم يعد يستطيع تعريف نفسه لا ضمن الإطار الفرنسي لأنه يظل مرفوض لا يستحق حتى تعريفه كمواطن بالحصول على الجنسية أو بالاعتراف بهويته الوطنية ، إن هذا الزيغ دفع إلى الواجهة مسألة إعادة تعريف الذات من خلال التوجه إلى إحياء عناصر ثقافته عن طريق بعث وعي وطني من خلال العمل الثقافي سواء عبر المنابر الإعلامية أو عبر النشاط التربوي و التعليمي بالاستناد إلى التراث العربي الإسلامي >>.

و يحق لنا إذا اعتبار هذه الحركة الإصلاحية بمثابة الصحوة الثقافية غير أنها تقولبت في ظروف صعبة، أمام حالة الاغتراب التي خلقها المستعمر كمرجعية ومنهاج للقيم الإسلامية، و قد دفع هذا بالعلماء إلى جموح يهدف إلى تجديد الدين و تطهيره من الخرافة و محاربة الطرق الصوفية ،التي أكدتها الطرق المرابطية معتمدين على إسلام بسيط و سهل الفهم و الممارسة إسلام مليء بالطموح و الأمل رافض للخضوع مناد بالحرية ، قاعدته ماض حافل بأمجاد الأجداد، رافضين في نفس الوقت الصورة الكاريكاتورية للمسلم المرتبطة بأبعاد التخلف، رافضين التماهي في فرنسا ثقافيا و هذا لا يعني الصدام المباشر مع فرنسا و لا يعني الخيانة الوطنية بل يمكن القول بأنها سياسة (شعرة معاوية)[3].

---

[1]- أوليفي لوكورغرانميزون : **الاستعمار الابادة**،ترجمةمسعود حاج مسعود واخرون ،دار القصبة ،الجزائر ،2007، ص 132.

[2]- عبد السلام فيلالي : **الجزائر الدولة والمجتمع** ،دار الوسام العربي ،الجزائر ،2013 ،ص 183 .

[3]- نفسه، ص ص 185/184

ركز الخطاب الإصلاحي في مطالبه وطيلة مراحل نشاطه حتى ثورة التحرير على الإسلام الذي كان أول مبدأ شرح في القانون التأسيسي للجمعية [1] :<< الإسلام هو دين الله الذي وضعه لهداية عباده وأرسل به جميع رسله و كمله على يدي نبيه محمد >>.

كما نددت بسياسة الحكومة الفرنسية في الجزائر و التي أصبحت تتدخل في كافة شؤون الديانة الإسلامية ، غير مراعية في سلوكها نص الدستور الفرنسي الذي منح الحرية الدينية لسائر الملل و الذي صير الدولة لادينية لائكية لا شأن لها بالأديان لا إيجابا و لا سلبا[2] ، ومنذ سنة **1931** و الجمعية تطالب باسم الأمة الجزائرية المسلمة بفصل الدين عن الدولة وكما طبقته الحكومة على شعب فرنسا سعت إلى تطبيقه على مستعمراتها لكن الاستعمار وجد صعوبة في تطبيقه في الجزائر لأنهم تصادموا وقانون الشريعة السلامية الذي يتعارض و أحكام النظام الفرنسي خاصة فيما تعلق بأحكام الأحوال الشخصية والميراث [3]، غير أن الوالي العام شاتينو صرح بغير ذلك قائلا:<<إن الحكومة تريد فصل الدين عن الدولة لكن المسلمون مختلفون فيما بينهم فلمن نسلم هذا الدين أ للعلماء أم للطرقيين أم للموظفين الدينيين ؟>>.

هذا وقد حاولت السلطات الفرنسية ترويض القضاء الإسلامي، حتى أصبح بعض القضاة يرجعون إلى اللوائح التي يضعها وكلاء الحق العام الفرنسيين، و لا يستندون للنصوص الفقهية هذا ما جعل جمعية العلماء تطالب بوضع حد لهذه الحالة المرفوضة بالقوة مع تطبيق قانون **1907** (فصل الدين عن الدولة)، كما أثارت سياسة تعيين أشخاص لا علاقة لهم بالدين على رأس هيئات دينية غضب العلماء ،بل ووصل الحد إلى تنصيب ميشال نفسه رئيسا للجمعية الدينية الإسلامية بالجزائر[4].

ظلت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين تطالب بفصل الدين الإسلامي عن السلطة الفرنسية، لكن بعض المعادين لها رفضوا هذا المطلب كما هو حال المفتي محمد العاصمي الذي حث على ضرورة إبقاء المساجد تحت تصرف فرنسا، ووصل به الحقد على جمعية العلماء إلى تقديم تقرير باسمه موجه لأعضاء

---

[1]- محمد خير الدين : **مذكرات** ، ج 1 ، دار الضحى ، الجزائر 2002 ،ص 109

[2]-محمد خير الدين :"**هل في الجزائر حرية دينية**" ،**البصائر** ،السنة الثالثة،العدد120،جويلية 1938 .

[3]- محمد حمزة :**مواقف ابن باديس السياسية من خلال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين1931-1940** ، مذكرة لنيل شهادة الماجيستير في التاريخ الحديث المعاصر ، المدرسة العليا للأساتذة في الآداب والعلوم الإنسانية ، بوزريعة ، 2000-2001 ، ص 67 .

[4]-نفسه ، ص 69.انظر ملحق رقم -5-

المجلس الجزائري الذي لم يؤسس بعد جاء فيه .<< لا تسمعوا لهذه الجمعية و ألغوا في طلبها لعلكم تغلبون و تؤمنوا إلا لمن تبع الإسلام الجزائري الذي اوحت به فرنسا إلى أوليائها >>.

و الواقع أن قضية فصل الدين عن الدولة ذات نظرتين، بالنسبة للاستعمار الفرنسي و التي تتمثل في نظرة دينية صليبية و أخرى استغلالية استعبادية، و لعل تصريحات الكاردينال لا فيجري عند احتلال الجزائر تؤكد هذه النظرة عندما صرح بأن الجزائر أرض خصبة للمسيحية .

كما ركزت الجمعية على المطالبة باسترجاع الأوقاف الإسلامية و تسليم إدارتها للمسلمين، و لمواجهة سياسة الاختراق الديني قامت الجمعية بتكوين مجلس قضائي أعلى من القضاة المسلمين ذوي الكفاءة وسلطة مستقلة عن الإدارة الفرنسية، و لما استطاعت الجمعية في مرحلة ما التحرر من الطرقية و أعوان الإدارة الفرنسية ،أصبح مطلب استقلالية الشؤون الدينية من بين أهدافها الرئيسية ،هذا ما شجعها أكثر على إصدار الفتاوى المتعلقة بأوضاع و أحوال الجزائريين المسلمين و رفض الاعتراف بالأئمة المعينين من طرف فرنسا، بل وتحريم الصلاة و راءهم و عدم قبول الفتاوى و الأحكام الصادرة من موظفي المساجد .

تميزت نظرة العلماء للإسلام بكونه أساس قوة و جمع الجزائريين، و هو الكفيل بإنقاذ المجتمع الجزائري الذي يعاني من عمليات تشريح و تغيير متواصلة من طرف الاستعمار ، والذي يشجع السلبية فيه والفساد، غير أن الجمعية و من خلال برامجها حاربت هذه السلبية بمهاجمة البدع و الوعدات و الخرافات ومنكرات الولائم، و بالتالي فقد بشرت بفجر إسلام جديد أساسه الاعتقاد الصحيح و الربط المتين للجزائريين بالأصل و التاريخ و بالعالم الإسلامي [1] .

لم تكن أهداف العلماء موجهة فقد ضد فرنسا و مشاريعها بل كانت كذلك تواجه الطرقية المتعاونة مع فرنسا و ذلك نابع من قناعة راسخة لدى العلماء بأن سبب مايجرى للجزائر مرده الارتداد عن الدين مقارنين بذلك المجتمع الجزائري و المسلمين في عصورهم الأولى، فنتيجة للابتعاد عن نهج السلف عم الفساد ، و لا يصلح الأمر إلا بإحداث تغيرات جذرية فيه، لكن دون دخول معركة مباشرة مع الطرقين متبعين أسلوب الحجة و النقاش و التوضيح ، وترك الاختيار للشعب لينحاز لمن يثق فيه ، واتبعت الجمعية ذلك بأعمال و مآثر لصالحه هذا ما جعل الشعب يسير خلفها وهو السر الذي فهمه فرحات عباس لاحقا

1- بوقجاني : المرجع السابق ، ص 18.

عندما قال [1] :<< إن جمعية العلماء قدمت الملموس من الأعمال ووفرت للناس ما يقوم على مصالحهم من مدارس لتعليم أبنائهم و نوادي ومساجد و إعانات و غيرها بينما نحن اقتصرنا على الوعود و الأقوال في الحملات الانتخابية>>.

غير أن إنشاء الجمعية على أثر السلف كان من الجوانب الأقل حداثة ،حسب علي الكنز الذي يرى بأن الجمعية استمدت الكثير من التراث الإسلامي والحضارة الإسلامية، إلا أنها اقتصرت على أخذ و انتقاء العوامل الأقل حداثة وعصرنة، و بالتالي استمدت من الشرق العناصر المحافظة و الرجعية محاولة بعث الفكر السلفي .[2]

استغلت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين فرصة مشروع بلوم فيوليت و انعقاد المؤتمر الإسلامي الجزائري في جوان 1936 م [3] للمطالبة بفصل الدين الإسلامي عن الحكم الفرنسي .

حيث جاءت مطالب الجمعية الفردية في كراسة المؤتمر كما يلي[4] :

1 – المساجد: تسلم المساجد للمسلمين مع تعيين مقدار من ميزانية الجزائر لما يتناسب مع أوقافها ، وتتولى أمرها جمعيات دينية مؤسسة على منوال القوانين المتعلقة بفصل الدين عن الحكومة .

2 – التعليم الديني : تؤسس كلية لتعليم الدين و لسانه العربي لتخريج موظفي المساجد من أئمة و خطباء ومدرسين و مؤذنين و قيمين و غيرهم .

3 – القضاء : ينظم القضاء بوضع مجلة أحكام شرعية على يد هيئة إسلامية (....) و إدخال إصلاحات على المدارس التي يتخرج منها رجال القضاء، غير أن الجمعية تعرضت لهجوم شرس من البعض لمشاركتها ، كحال على حشلاف الذي اتهم الجمعية بالخطأ عندما شاركت في المؤتمر، و رأى بأن المطالب المتفق عليها اندماجية و هي أكبر غلطة ينزلق فيها الاتجاه الإصلاحي حيث أراد العلماء الخوض في السياسة لكنهم دخلوها من الباب السلبي .

---

[1]– وقجاني : المرجع السابق ، ص 45.

[2]– الكنز : المرجع السابق ، ص ص 37-38.

[3]– **البصائر** ، السنة الأولى ، العدد 23 ، 12 جوان 1936 .

[4]– محمد البشير الابراهيمي : **آثار الامام محمد البشير الابراهيمي ، ج 1 ، 1929 –1940**، جمع وتقديم نجله الدكتور أحمد طالب الابراهيمي دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، 1997 ،ص 275 .انظر كذلك حول مشاركة الجمعية في المؤتمر الاسلامي علي حشلاف : **المواقف السياسية لجمعية العلماء المسلميين الجزائريين من خلال صحفها 1931–1939** ،رسالة ماجستير معهد الاعلام والاتصال ،جامعة الجزائر ،1994 ،، ص 177.

وقد رد الإبراهيمي على هذه الأباطيل بكون مطالب المؤتمر كانت تدور حول الدين و الاجتماع و السياسية و الاقتصاد ، وإذا كان هناك رجال فكر وسياسة و فلاحين و تجار لمناقشة مسائل السياسة والاقتصاد [1] :<< فمن للمطالب الدينية و ما يتبعها من اللغة العربية غير العلماء ؟ (....) إن جمعية العلماء هي المؤتمنة عن الدين واللغة العربية و إليها يرجع الفضل في إحيائهما بهذا الوطن>>، في حين رأى الطاهر عمري بأن عريضة مطالب لعلماء المقدمة إلى مكتب المؤتمر كان يعني رفع سلطة الاستعمار عن المجتمع الجزائري، و تمييز هذا الأخير عن فرنسا و لعل هذا ما فهمه محمد خير الدين عندما قال [2] :<< فليخرس المتشدقون الذين لم تزل بقاياهم تقول بلا خجل و لا حياء إن جمعية العلماء طلبت الإدماج في فرنسا>>، وفي مذكرة قدمتها الجمعية للحكومة الفرنسية سنة 1950 ، طالبت فيها بالنظر في قضية فصل الدين عن الحكومة الجزائرية فصلا حقيقيا و تسليم مؤسساته و أوقافه إلى أيدي الأمة الإسلامية، مع تأسيس مجلس إسلامي أعلى مكون من شخصيات يمثلون الأمة في دينها. و بعد سنة أي بتأسيس الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحقوق و احترامها 1951 و في إطار نشاط الجمعية فيها طالبت صراحة بتحرير الدين الإسلامي من رقابة الاستعمار [3] .

1- الإسلام والتجنيس :

تعتبر قضية التجنيس من المسائل التي ناقشتها الحركة الإصلاحية خاصة في مرحلة العشرينات و الثلاثينات و ذلك لخطورتها على الشبيبة الإسلامية وعلى هويتهم وبالحديث عن هؤلاء المتجنيس فإن أحمد صاري يذكر الحملة الدعائية التي شنتها الجمعية ضدهم خاصة من طرف الشيخ عبد الحميد بن باديس الذي رفض التجنيس الكلي أو المطلق[4] ،فالنسبة إليه لا يوجد تناقض مابين أن يكون الجزائري فرنسا يتمتع بجميع حقوقه وفي نفس الوقت محافظا على شخصيته [5]:<< نحن جزائريون مسلمون نحافظ على جزائريتنا و إسلامنا ونحن فرنسيون نقوم نحو فرنسا بكل واجباتنا>> ، إضافة على مشاركة بقية أعضاء الجمعية في

---

[1]- الابراهيمي : المصدر السابق ، ص 258 .

[2]- عمري : المرجع السابق ، ص 350.

[3]- عمار بوحوش : **التاريخ السياسي بالجزائر من البداية و إلى غاية 1962** ، ط 1 ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت 1997، ص 270.، حول مطلب فصل الدين عن الدولة والذي تقدم به الإبراهيمي في فرنسا سنة 1950 ، أنظر الملحق رقم -6-

[4]- صاري ، **التجنيس** ، ص 189.

[5]- نفسه ، ص ص 189-190.

إثراء نقاش هذه المسألة ، حيث ساهم أحمد توفيق المدني بنصيب وافر من ذلك و قد طرح طريقتين أمام هؤلاء [1] :<< أما الطريق الأول فهو طريق التجنس والتنازل عن القومية و اللغة و نبذ التاريخ و التقاليد و الدخول في جنسية جديدة هي جنسية العنصر الغالب و الاندماج فيها وقبول ما يتبع ذلك التجنس و الاندماج ،... ولغة جديدة وعقلية جديدة ودعاة هذا الطريق يبثون دعوتهم بجد ونشاط يكتبون و يخطبون و يحادثون وينشرون الصحف والمجلات باللغة الفرنسية و المتشبعة بالأفكار الفرنسية>>.

هذا و قد احتدم النقاش حول هذه القضية في بداية الثلاثينات خاصة أمام اعترافات المفرنسين ، تحديدا زناتي بفشل مساعيهم للانضمام للعائلة الفرنسية ورفضهم من الطرفين الجزائري و الفرنسي ، هذا ما شجع ابن باديس في 1930للعودة إلى الحديث عن هذه المسألة ، مستغلا طبعا هذا اليأس من طرف هؤلاء – صوت المستضعفين- ثم طرح النقاش مرة أخرى إثر المؤتمر الإسلامي كفكرة بديلة و ذلك بأن يتجنس الجزائريون بالجنسية الفرنسية دون التخلي عن الأحوال الشخصية و حرصت الجمعية على ضمان المحافظة على هوية الجزائريين ويبدوا بأن هذا هو سبب رفض الإدارة للمشروع [2] .

لقد أصدرت الجمعية فتاوى دينية في هذه القضية وهي قائمة على تحريم التجنس ومن مبدأ تلك الفتاوى أن [3] :<< التجنيس هو صيرورة المسلم من جنس غير المسلمين برفضه لأحكام الإسلام الإلهية و إيثاره لأحكام وضعية بشرية حتى أنه يصير من يوم إمضائه للعقد القاضي بارتحاله من أسرة الإسلام إلى أسرة غيره – لاحق له في الإسلام و تشريعه ولا في تحليله وتحريمه ولا في آدابه وتاريخه ولا في أحسابه وأنسابه ، لأنه تركها مختارا راغبا في سواها كارها لها>>.

كما أقرت الجمعية في فتوى لها باسم ابن باديس بوجوب التوبة من التجنس حيث حكمت بأن[4]:<< التجنيس بجنسية غير إسلامية يقتضي رفض أحكام الشريعة ومن رفض حكما واحدا من أحكام الإسلام

---

[1]- صاري ، **التجنيس** ، ص 190.

[2]- كريمة عرعار :**دور رجال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في حشد دعم المشرق العربي للثورة التحريرية** ،مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث و المعاصر ،جامعة الحاج لخضر باتنة،2005-5006، ص 21.

[3]- فضلاء : المرجع السابق ، ص ص 157-158.، أنظر كذلك نبيل بلاسي:**الاتجاه العربي الإسلامي و دوره في تحرير الجزائر** ،الهيئة المصرية العامة للكتاب ،1990 ، ص 111.

[4]- فضلاء : المرجع السابق ، ص 160.

عد مرتدا عن الإسلام بالإجماع فالمتجنس مرتد بالإجماع ، فالتجنس يجري تجنسه على نسله فيكون قد جنى عليهم بإخراجهم من حظيرة الإسلام و تلك الجناية من شر الظلم و أقبحه>>.

لكن من جهة أخرى يؤكد علي مراد بأن العلماء الإصلاحيين قد أعلنوا طوعا بأنهم يحترمون الاختيارات الشخصية للمتجنسين ويعلنون روح التسامح في الإسلام مستشهدين بقوله تعالى:<<لا إكراه في الدين >> ، ويرى بأن العلماء قد احتجوا ضد المتجنسين على تلك الدعاية التي قاموا لكسب المزيد من التجنيس عن طريق تشويه صورة الإسلام ، لكنهم من جهة أخرى اسفادوا من اعترافات زناتي حول الوضعية النسبية للمتجنسين و المطالبين به حيث صرحوا [1]:<< إن المتجنسين ينتمون إلى شعبنا أحب من أحب وكره من كره ، ونحن دائما تربطنا بهم صلات الدم حتى وان سعوا إلى قطع هذه الصلات ، فنحن نتألم لمآسيهم مع أننا راضون بالدرس الذي استمدوه من تجربتهم ،إنا لنشيد بصراحة زناتي و الشجاعة ، والذي كشف الواقع وأعفانا من كل محاججة...>>، خاصة و أنها وجدت مساندة من جمعية الطلبة المسلمين لشمال إفريقيا حيث أصدرت في 28 فيفري 1930 بباريس قرارا مبعثه الاعتبار التالي [2] :<< يبدو لنا ان من يتنكر لقانون الأحوال الشخصية ، والحال إن المتجنسين إذ احتفظ بالعقيدة لايعلنه رفض قانوننا الشخصي من تلقاء نفسه كما دافعت جمعية الطلبة المسلمين لشمال إفريقيا في إجتماعها سنة 1934 عن التعليم العربي الحر والمدارس القرآنية >.

2/ اللغة العربية و التعليم الحر : كمنطلق صمود ثقافي :

تعتبر اللغة العربية في نظر العلماء لغة الإسلام الرسمية و لغة المسلمين الدينية و لغة الأمة الجزائرية، و يقتضي وجوب تعلمها مع وجوب المطالبة الاجتماعية بحرية تعلمها خاصة مع مواقف فرنسا المعرقلة لتعليمها ،و ذلك لكونها مفتاح الدين و جزء منه لذلك توجب الحفاظ عليها وجعلها من المهام الأساسية التي شغلت الجمعية و من ذلك أنها سبب إحياء أو إلغاء الشخصية الوطنية ،و لأنها قناة لفهم الدين فهما صحيحا كما كان في جهوده الأولى و لا يتسنى ذلك إلا باللغة العربية.

إن ممارسة اللغة العربية و المطالبة باحترامها و إنشاء الصحف بها واعتبارها هي اللغة التي تعبر عن شخصية الجزائر، كلها من المبادئ الأساسية التي قامت عليها و تضمنها دستورها و خطب رجالها ،وكانت

[1]- مراد : المرجع السابق ،ص 494.

[2]- نفسه ، ص 493. حول مطالب سنة 1934 ، أنظر الملحق رقم -7-

مدار مدارسها و معلميها و كان شعار جمعية العلماء المحفوظ لدى تلاميذها (الجزائر وطننا ، الإسلام ديننا و العربية لغتنا)[1] .

تجسدت حركة أو مرحلة التعريب الحقيقي في الجزائر بتأسيس الجمعية ، حيث كانت لها تجربة رائدة كان لها انعكاساتها في الثورة التحريرية، و مست التعليم و الإدارة و الثقافة بشكل عام و الفضل فيها يعود للحركة الإصلاحية التي خلفت مدرسة جزائرية صامدة[2] ،هذا ما ساعد على وجود عناصر داخل الجبهة – رغم انتماءاتها الحزبية– تدافع عن اللغة العربية و تضاعف قوة هذه المجموعة منذ التحاق جماعة العلماء بالجبهة، و تولى بعض أعضائها مراكز قيادية أمثال الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي و محمد الصالح يحياوي، و منذ سنة 1971 قام هواري بومدين بشن حملة تعريب في الجزائر سواء المتعلقة بالوثائق أو الإدارة أو المراسلات، و هي المهمة التي أوكلت إلى عضو جمعية العلماء محمد الصالح يحياوي [3] .

اتسمت مبادئ الجمعية ومطالبها بالثبات ، وبقيت محافظة رغم تغير الظروف معتمدة على المسجد و المدرسة و النادي و الصحافة و الاحتجاجات خاصة فيما تعلق بمنشور **ميشال** و قرار **رينيه** ، وظل مطلب المحافظة على العروبة و الإسلام و التعليم العربي الحر للبنين و البنات و ترسيم اللغة العربية و حرية الصحافة [4]، ملازما لوجود الجمعية و تزامن هذا ومقاومة الجمعية للقوانين الفرنسية كقانون 8 مارس 1933 القاضي بمنع التعليم العربي و قانون 20 جانفي 1935 القاضي بمنع و سلب حرية النوادي من الجزائريين [5]، و قد تمسكت بنفس المطالب في كراسة المؤتمر الإسلامي 1936 و التي تبناها المؤتمرون جميعا.

تجسدت مطالب الجمعية ميدانيا رغم العراقيل الفرنسية و الاضطهاد ، حيث شيد معهد ابن باديس في 1947، و إلى جانبه عشرات المدارس العربية الحرة إلى جانب نشاط صحفي واسع و نوادي تهتم بنشر التعليم بالعربية في المدن و القرى ،هذا ولوحظ أن اللافتة المعلقة في أول اجتماع لجمعية العلماء كانت[6] : << نريد حرية التعليم و الاعتراف باللغة العربية مثل الفرنسية >> ، كما أكدت على رد الاعتبار للغة

---

[1]– أبو القاسم سعد الله :" **اللغة العربية في مواثيق الحركة الوطنية** "، **الكلمة** ، السنة الاولى ، العدد 4 ، يناير 1993 ، ص 10.

[2]– عبد الرحمان سلامة : **التعريب في الجزائر من خلال الوثائق الرسمية** ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1981 ، ص ص 28، 30.

[3]– الصيداوي : المرجع السابق ، ص 11.

[4] –Jaques Carret : l «**’association des oulama reformistes** , **d’algerie** , **l’Afrique et** l’asie , revue politique social et economique ، 3 eme trimestre année 1958 .p 31.

[5]– خير الدين : المصدر السابق ، ص 290. انظر الملحق رقم –8–.

[6]– أبو القاسم سعد الله : **اللغة العربية** ، المرجع السابق ، ص 10.

العربية لأنها مصطفاة لتكون وسيلة الله في مخاطبة البشر و هي بذلك تدحض مزاعم الاستعمار بأنها لغة متخلفة و جامدة في إطار التطور العلمي و الحضاري في المنظور الاستعماري[1] ، بل هي لغة حية و مواكبة لكل تطور و زمان ، والجدير بالذكر و الإشارة إن الجمعية حافظت على نقاء و فصاحة اللغة العربية ، وكان أغلب رجالها من ذوي الفصاحة و البيان، انتخب بعضهم مراسلين او دائمين في مجامع اللغة العربية بالمشرق العربي [2] ،ووقفت ضد محاولة الاستعمار تقسيم اللغة العربية إلى كلاسيكية ميته و دارجة ولغة عربية حديثة [3] ، و نود الإشارة إلى نقطة هامة و هي نظرة العلماء للغة الدارجة فقد ذكر علي الكنز في مؤلفه بأن العلماء يتعالون و يحتقرون العامية فعربيتهم تتعالى على اللغة الشعبية بنوع من الاحتقار و رفض التعامل بها [4] .

غير أننا لا نوافقه هذا الطرح بهذه الصيغة، الصحيح أن الجمعية تؤيد العروبة على حساب العامية لكن لماذا؟ ، و لعل خير جواب ما أورده عثمان سعدي الذي يرى بأن اللهجة العامية الجزائرية تعتبر أفقر اللهجات قدرة على التعبير في العالم العربي، فمقارنة مثلا بسوريا فاللهجة المحلية لم تنفصل عن لغة المدرسة و اللغة العربية ،استمرت في الاستعمال في مدارسها و إدارتها وسائر مظاهر الحياة كما في كل الدول العربية أما في الجزائر فالعكس تماما، فقد تحولت اللغة الرسمية إلى اللغة الفرنسية و بالتالي حدث انفصال بين لغة المدرسة و الإدارة و العمل و لغة الشارع، فلم تبق أمام اللهجات سوى اللغة الفرنسية تستمد منها المفردات المستخدمة في الحياة اليومية، و هذا اختراق خطير للهجة العامية الجزائرية و بالتالي كان يجب الردع بالحفاظ على اللغة العربية كمظهر من مظاهر الصمود اللغوي[5] .

ومن سوء التقدير فإن الاستعمار لم يتشبث فقط باللغة كمشروع لتحقيق النزاع الثقافي الجزائري بل كانت هناك وسيلة غفلت عنها الجمعية وهي الفنون، تحديدا الغناء و الموسيقى الإذاعة والمسرح ، فهي ليست بسيطة كاللغة يمكن شطب كلمة غير مرغوب فيها بالقلم ، صحيح لا يمكن أن تلغى الأغنية الجزائرية و تعوض بالأغنية الفرنسية، لكن يمكن التدني بالأغنية الجزائرية إلى مستوى الرداءة و نفس الشيء

[1]- سعدي : المرجع السابق ، ص 92.

[2]- بوقجاني : المرجع السابق ، ص ص 21-22.

[3]- حمادي : المرجع السابق ، ص 27.

[4]- الكنز : المرجع السابق ، ص 25.

[5]- سعدي : المرجع السابق ، ص 94.

المسرح و الإذاعة ، و بمرور الوقت رداءة الأداء الجزائري و ينتج عنه كره لكل ما هو أصالة و فلكلور و التحول للأخر . هذه الثغرات السامة لم تنتبه لها الجمعية و ركزت فقط على العربية و لم تهتم بالفنون لأنها في نظر العلماء حرام ومن أعمال الشيطان و هكذا استطاع الاستعمار اختراق هذا القطاع من الثقافة بدون ردع أو مجابهة [1] .

غير أن ما يحسب لصالح العلماء و جهودهم هو تشكيل اتجاه أدبي جزائري صرف ،لا يعتمد فقط على الاغتراف من المشرق بل يعتمد كذلك على تعليم محلي مزود بكوادر و إطارات أدبية جزائرية ، و قد كان لصيحة كثير من الكتاب و الأدباء الجزائريين صدى لدى الشباب إلى الكف عن التقليد سواء للمشرق أو الغرب، كحال الصيحة التي أطلقها محمد خير الدين في الاجتماع العام لجمعية العلماء في 1935م ، حيث ألح على دور الأدباء في الاعتماد على أنفسهم و إنتاج الأدباء الجزائريين، سواء السابقين أو المعاصرين حتى يكون لهم أدب جزائري خاص بهم بعيد عن التقليد و المحاكاة ، و يكون للجزائر أدباء تتباهى بهم [2] .

وفي الجانب الصحفي كان للجمعية صحف تصدر باللغة العربية مثل البصائر و الصراط والشريعة و السنة، و لم تنشر جريدة أو صحيفة بالفرنسية إلا بحلول الخمسينات عندما شعرت بالحاجة إلى التغلغل في أوساط الشباب المثقف بالفرنسية ، فأنشأت جريدة الشباب المسلم و كان من أقلامها البارزة مالك بن نبي ، مصطفى الاشرف ، عمار أوزقان و احمد طالب و علي مراد و هي صادرة بالفرنسية ، ركزت على اللغة العربية و حضارة العرب و الإسلام و هي موجهة للذين لا يحسنون اللغة العربية[3] .

3-موقف الجمعية من اللغة الفرنسية :

تعتبر الحركة الإصلاحية في الجزائر ممثلة في جمعية العلماء المسلمين متميزة في نهجها الإصلاحي وحتى التعليمي و هي ليست بالحركة المتوقعة على مبادئها ناكرة التحضر و العصرنة بل العكس من ذلك فهي حركة متفتحة على أسباب التطور في حدودها يتوافق و الوضعية الدينية و الاجتماعية وفيما يتعلق بالقضية

[1] - سعدي : المرجع السابق ، ص ص 94-95.

[2]- مراد مزعاش : **جهود جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في خدمة اللغة العربية في الجزائر 1931-1954** م ، ماجستير شعبة اللغة العربية و الدراسات القرانية ، جامعة الامير عبد القادر للعلوم الاسلامية ، قسنطينة 2001 ، ص 148.

[3]- سعد الله : **اللغة العربية** ، المرجع السابق ، ص 11.

اللغوية فإن الجمعية لم تجد حرجا في طلب تعليم اللغة الفرنسية وقد يكون هذا لسببين أوجزهما علي مراد في[1] :

1- اقناع شيوخ الجمعية ، بأن اقتصار نشاطهم على اللغة العربية (الأحادية اللغوية) ليس بالعامل الكافي لإعداد المربي و المعلم الكفء المراد تكوينه من أجل مشروع (الجيل الأمل) داخل المجتمع الجزائري.

2- ربما أثروا الواقعية على التشدد العقيدي و أنهم ركنوا إلى عدم مجابهة تطلعات الشبيبة الإسلامية التي كانت في الغالب تشعر فعلا بأنها منجذبة إلى الثقافة الفرنسية و بالتالي فقد وصلوا إلى قناعة مفادها أن الحركة التعليمية التي تبنتها الجمعية تفرض الإلمام باللغة الفرنسية في إطار التكوين الكامل للتلاميذ فكان تطعيم المدارس الحرة بمعلمي اللغة الفرنسية ينطوي على نوع من التسامح اللغوي وتقدير للثقافة الفرنسية ، و الظاهر أن الجمعية -حسب الطاهر عمري [2] - لم تستطع التفوق على اللغة الفرنسية لأنها ببساطة أصبحت ذات مكانة اجتماعية ، لكن من جهة ومن دون مجانية للحقيقة فإن إهمال فرنسا لتعليم الأهالي كقانون إجباري كما فعلت مع الأوربيين بإجبارهم فرضا على التعليم ، في حين أبقته مفتوحا للأهالي حسب الرغبة ، حيث يقول رينيه ليسبي[3] :<< من حيث المبدأ ، التعليم الابتدائي العام ، إجباري بالنسبة للفرنسيين مفتوحا لكل من يطلبه مهما كان العرف و الجنسية و الدين المحمول>>، وقد عاد بالسلب على الإدارة الفرنسية وتوجه أبناء الأهالي لمدارس الجمعية رغم الحقيقة المرتبطة بالمكانة الاجتماعية و التي تطرح أولوية مكانة المتعلم بالفرنسية عن المتعلم في مدارس الجمعية.

يذكر باعزيز بن عمر صورة لانفتاح ابن باديس على التعليم و اللغة الفرنسية كونه يراهما صورة للإفادة من جانب ولا ينظر إليها من باب الصدام و الصراع حيث يذكر بأن جمعية معلمي اللغة الفرنسية من المسلمين عقدت مؤتمرها السنوي بقسنطينة فانتهز أستاذنا عبد الحميد بن باديس فرصة انعقاد هذا المؤتمر و أقام حفلة تكريم لأعضائه و ألقى فيها خطابا جاء منه[4] :<< إننا نلتقي معكم في ميدان نشر العلم و إعداد نشئ الأمة لخدمة الجزائر و النهوض بالشعب الجزائري إلى مستوى الشعوب الراقية إن مجتمعنا في حاجة إلى العلم فمن نشره باللغة الفرنسية فقد خدمه ومن نشره باللغة العربية فقد خدمه ، ومادام العلم

[1]- مراد : المرجع السابق ،ص ص 422.

[2]- عمري : المرجع السابق ،ص ص 319-320.

[3] -Rene Lespès ; **op-cit** , p 187.

[4]- بن عمر : المصدر السابق ، ص 85.

واحدا فلا ضير في تعدد لغاته (...) إن على المدرستين العربية و الفرنسية في الجزائر أن تتعاونا على توجيه أبنائنا نحو هدف واحد وهو خدمة وطنهم ورفع شأن أمتهم ونجاحها يتوقف طبعا على مقدار ما بيديه المعلمون مناد منكم من الاستعداد للتعاون و التفاهم بينهم وإذا أبت أوضاعنا إلا أن ينشأ كثير من أبنائنا نحو هدف واحد وهو خدمة وطنهم ورفع شأن أمتهم(...) و إذا أبت أوضاعنا إلا أن ينشأ كثير من أبنائها في مدارس أجنبية في لغتها عن قوميتهم ودينهم و لغتهم وتاريخهم فإن من واجبنا جميعا أن نأبى إلا توحيدهم و إخضاع ما تعلموه من لغات الأجانب لصالحهم وصالح شعبهم>>.

أما الإبراهيمي فلا يعترض على اللغة الفرنسية كلغة علم وثقافة لكن ليس كلغة تفكير حيث يقول [1]: << إننا لا ننكر على أبنائنا الجزائريين تعلمهم لأي لغة أجنبية متى اتسع وقتهم لذلك ولكن ننكر عليهم الفراغ الذي يبدو لنا ولهم في تكوينهم الفكري وهو جهلهم لغة وطنهم وقومهم وجعل لغة المستعمر لغة تفاهم بينهم وبين شعبهم >> ، في حين يعتبر محمد حربي بان اللغة العربية هي دعامة الدين و تجديدها لا يهدف إلى وضعها في مستوى المزاحمة مع اللغة الفرنسية بل جعلها بمثابة الحاجز أمام التأثيرات الأجنبية [2].

4- التعليم العربي الحر :

إن وظيفة التعليم عند العلماء بالجزائر ووظيفة العالم على العكس من ذلك ، فظروف الجزائر جعلت للتعليم طابعا كفاحيا ، ضد الاستعمار فاكتسى طابعا نضاليا و سياسيا تحت أشكال ثقافية [3]، كما أنها آمنت بدور التربية و التعليم في خدمة الشعب الجزائري و إيقاظه من سباته وحفظ تراثه منذ تأسيسها سنة 1931 ، وهي تؤسس المدارس الحرة لتعليم وتربية النشء فيتعلمون اللغة والدين الإسلامي ، كما أنهم يتلقون معارف أخرى كالتاريخ و الجغرافيا و الحساب وقامت الجمعية ، ببناء المساجد الحرة البعيدة عن السيطرة الفرنسية ليتفقه أبناء الجزائر وليعرفوا جيدا تاريخ بلادهم لأن الاستعمار الفرنسي كان هدفه القضاء على دين ولغة وتاريخ هذه الأمة.

[1]- بن عمر : المصدر السابق ،ص 117.

[2]- محمد حربي : **الثورة الجزائرية سنوات المخاض**، تعريب نجيب عباد ،موفم للنشر ، الجزائر ،1994 ، ص 118.

[3]- بوقجاني : المرجع السابق ،ص 42.

صبت الجمعية اهتماماتها على التعليم العربي و الديني لأن التعليم العربي الحر كان محصورا في دائرة ضيقة بالنظر إلى أساليبه وكتبه ولذلك فقد قامت الجمعية بجهود كبيرة لتوسع ذلك التعليم عن طريق إنشاء مكاتب حرة للتعليم المكتبي للصغار وتنظيم دروس في الوعظ و الإرشاد الديني في المساجد وتنظيم محاضرات في النوادي غايتها التهذيب وشؤون الحياة العامة [1] ، هذا ما جعل السلطة الفرنسية تتفطن إلى خطر العلماء لأن أصحاب الزوايا و المرابطين كان لهم دور في تحذير الإدارة الفرنسية بما أن مكانتهم أصبحت في خطر لذلك حاربت مدارس الجمعية ونواديها وحتى المساجد ، وقامت يوم 4 جانفي 1938 هذا الانغلاق الذي هلل له أعداء الإبراهيمي و إعداد الجمعية[2] ، إلى جانب هذا الإجراء و تقيدا لنشاط العلماء ، أصدر وزير الداخلية شوتان قرارا رسميا في 8 مارس 1938 يمنع تعليم اللغة العربية في الجزائر و مما جاء في ذلك القرار أن اللغة العربية تعتبر لغة أجنبية ، غير أن الجمعية واصلت نشاطها التعليمي حيث أحصى عامل عمالة قسنطينة في سنة 1938 ، عدد مدارس الجمعية في عمالة قسنطينة 85 مدرسة تضم 4049 تلميذا مسجلا ويسيرها معلمون مصلحون أما في عمالة الجزائر فقد بلغ عدد مدارسها عام 1938، 68 مدرسة تضم 9063 تلميذ [3] .

لقيت مدارس جمعية العلماء إقبالا واسعا من التلاميذ لجزائريين الذين تهافت أولياؤهم على إرسالهم إلى التعليم الحر في مدارس الجمعية و التي فاق عددها سنة 1946 ، 130 مدرسة و يشير أبو القاسم سعد الله ، إلا أن الجمعية اتخذت مبدأ رئيسا في التعليم وهو شعار (الجزائر وطني و الإسلام ديني و العربية لغتي) و قد لقيت هذه الدعوة استقطابا من الجيل الجديد و الطبقة الوسطى التي كانت واعية سياسيا ، وقد تحققت بعناية خلال سلسلة من المدارس و الجرائد و النوادي الثقافية ثم خلال الوعظ و الإرشاد في المساجد ، وقد ساعدت الأموال الشعبية الحرة على فتح هذه المدارس (الإعانات) ، لكن اقتصر التعليم المسجدي على الكبار [4] .

---

[1]- البشير الابراهيمي : **سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين المنعقد بمركزها العام بنادي الترقي بالجزائر** ،دار الكتب ،1982 ، ص 24.

[2] – **Bulletin mensuel d'information concernant la politique indigéne dans le département d'oran , mois de janvier 1938 ,S.L.N.A , archive historique w de c .**

[3]- عبد الكريم بوصفصاف : **جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقاتها بالحركات الجزائرية الاخرى(1931–1945)** ، دراسة تاريخية وايديولوجية مقارنة ، منشورات المتحف الوطني للمجاهد ، المؤسسة الوطنية الاتصال و النشر و الاشهار ،الجزائر،1996، ص ص 137-138.

[4]- سعد الله : **الحركة الوطنية ج 2**، المرجع السابق ،ص 400.

5- مناهج التعليم المعتمدة :

اعتمد العلماء طريقة سهلة وحديثة في تعليم اللغة العربية محاولين تطهيرها من الدخيل و الاستعمالات الهمجية ، كما كانوا يعلمون القرآن في هذه المدارس و لكن بتفسير حديث ، أما التعليم في النوادي الثقافية فقد كان الهدف منه التربية وتلقين الشجاعة و الخطابة و النظرة العلمية ، وكانت كتبهم المقررة تختار لفائدتها وسهولتها وحداثتها كم اعتمد منهاج التدريس حسب سعد الله على [1]:<< تدريس تاريخ العرب الحديث إلى الجزائر وكانوا ينشرون القول بأن العرب ، هم الذين اكتشفوا أمريكا وأنهم كانوا أول من حاول الطيران وكانوا يمجدون الفتوحات و يتذكرون بحزن وشوق انجازات المسلمين الجزائريين في العصر الذهبي للإسلام وكان العلماء يشعرون بتأخر الجزائريين بالمقارنة إلى الانجازات الأوروبية العلمية و كانوا يدعون إلى العودة إلى القرآن...>>.

هذا وقد تزامنت هذه النشاطات التعليمية للجمعية و عملية إصلاح التعليم في الزيتونة و الذي كان يقوم – حسب ابن باديس- على طرق عقيمة تعرض المسائل بلا نقد أو عقل تعتمد على الحفظ و التقليد و بالتالي فقد خالف التعليم الذي نادى به ابن باديس التعليم الزيتوني معتمدا على تقويم العقل و إطلاق حريته وتهذيب الروح و تربية الذوق و تزويد المتعلم بمعلومات عامة تثقف ذهنه وتجعله يلم بنواحي التفكير الإنساني وسيره في عصره وقد لخص باعزيز بن عمر عناصر الطريقة الجديدة في[2] :

- التعبير العالي ، النقد و التمحيص اغرس ملكة التفكير الصحيح في التلميذ .
-العناية بتهذيب روحه ، جعله يعيش في عصره من غير أن يقطع الصلة بماضيه .
-بث روح العمل و النشاط فيه.

كما اهتم باديس بتكوين جيل مميز من المعلمين من حيث الجانب المعرفي و المنهجي مع الاهتمام بحالته المادية و قد بين ابن باديس معيار تكوين شخصية المعلم الكفئ بناحيتين هامتين [3]:<< الناحية الفنية والناحية الخلقية ، فأساس الأولى الاقتدار على التعبير و الإباحة في دقة ووضوح وجودة إلقاء وتوفر مادة واطلاع واسع على أساليب التربية المدنية أما الثانية فأساسها ، حب الحق وسلامة الذوق وهدوء الطبع

[1]- سعد الله : **الحركة الوطنية ج 2**، المرجع السابق ، ص ص 400-401.
[2]- بن عمر : المصدر السابق ، ص 40.
[3]- نفسه، ص 43.

والبعد عن الغلطة ثم الإلمام بتاريخ تطور التعليم وتوجيه الطفل في المدرسة توجيها تراعى فيه ميوله مع ربطه بمجتمعه>>، وقد رأيت الجمعية السير على هذا المنهج الجديد المعصرن في التدريس و قد اتضح ذلك في احد اجتماعات المعلمين الأحرار حيث تعددت نقاط الاجتماع على محاور تعليمية دقيقة وممنهجة وعصرية في نفس (1937) الوقت نستطيع منافسة الطرق الفرنسية في التعليم وقد كانت حول [1] :

- وسائل توحيد التعليم .
- أسلوب التعليم .
- أسلوب تربية الناشئة.
- خلاصة تجاربهم في التربية والتعليم.
- الكتب وهل الأحسن اختيار كتب مصرية أو تأليف كتب تتفق مع الروح الجزائرية .
- رأيهم في تعليم البنت المسلمة ووسائل تحقيقه.
- التعليم المسجدي ووسائل تنظيمه وترقيته.

و بالنسبة لقضية التأليف التي أشير إليها في إطار الاختبار فقد فضل ابن باديس في حياته إتباع مبدأ(التعليم قبل التأليف) فهو يرى بأن [2] :<< الشعب ليس في حاجة إلى تأليف الكتب بقدر ماهو في حاجة إلى تأليف الرجال ... إن أعداد معلم واحد لحق يتصدى لمحاربة الجهل الفاشي في ربوعنا لخير لمجتمعنا من ألف كتاب...>>.

6- معهد ابن باديس :

لما كان التلاميذ يتلقون تعليما ابتدائيا من السنة الأولى إلى السنة الخامسة و أمام الاقبال المتزايد على التعليم أصبح المتخرجون من السنة الخامسة يتوجهون إلى المعاهد التونسية و المغربية لإتمام التعليم الثانوي فما فوق في علوم اللغة العربية و للتخفيف من أتعاب التنقل إلى خارج البلاد طلبا للعلم قررت جمعية العلماء المسلمين إنشاء معاهد للتعليم الثانوي في كل من قسنطينة و الجزائر ووهران نستقبل خريجي المدارس الحرة بما في ذلك المدارس التي أنشأتها و تشرف عليها حركة انتصار الحريات الديمقراطية في بعض

[1]-محمد الميلي : **ابن باديس وعروبة الجزائر** ، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر ،1980،ص ص 148-149.

[2]- بن عمر : المصدر السابق ،ص 35.

المدن و كل التلاميذ الذين لهم مستوى السنة الخامسة ابتدائي و أسفر القرار عن إنشاء معهد ابن باديس في قسنطينة سنة 1947[1] .

يقول الشيخ محمد خير الدين في هذا 2:<< وهنا تبلورت فكرة إنشاء معهد ابن باديس في قسنطينة ولم يكن من الممكن أن نعود إلى التعليم بالجامع الأخضر لأنه لم يكن لدينا رخصة للتعليم فيه كالتي كانت للإمام ابن باديس ، فجمعنا التبرعات و اشترينا دارا كبيرة كانت ملك أحد أفراد ابن الفقون ، وأثثنا هذه الدار وجهزناها بالطاولات و المقاعد و البسط ووضعنا البرامج و عينا المدرسين الأكفاء و تولى إدارة المعهد الشيخ العربي التبسي تساعده لجنة من الأساتذة >> ، وقد تم تعيين التبسي كما ذكر مديرا للمعهد أما النائب فكان الشيخ محمد خير الدين وقد حقق المعهد نجاحا كبيرا مما أجبر الجمعية على توسيع المكان و الدخول إلى الجامع الأخضر و الجامع الكبير الممنوع التدريس فيها وفق قرار منع المساجد على الجمعية الذي صدر في 27 فيفري 1933[3] .

لكن الجمعية أصرت على فتحهما وكان الشيخ محمد خير الدين على رأس طلبة الجامع الكبير و الشيخ العباس على رأس طلبة الجامع الأخضر و قد تزايد عدد التلاميذ بشكل سريع بهدف التحصل على الشهادة النهائية من المعهد وهي تعادل الشهادة الأهلية التونسية و يحصل عليها التلاميذ بعد دراستهم في المعهد مدة أربع سنوات [4].

و الحق أن معهد ابن باديس كان عنوان النهضة العلمية و الثقافية رغم عراقيل السلطات الاستعمارية التي كانت تمنع المعلم الذي تعيينه جمعية العلماء من أن يقوم بواجبه في المدرسة الحرة ، هذا وقد افتتح المعهد أبوابه و استقبل الطلاب الذين تخرجوا من السنة الخامسة من المدارس المنتشرة في أنحاء الوطن وقد كان من بين الأساتذة المشرفين : أحمد حماني ، عبد المجيد حيرش ، بن الشيخ الحسين ، نعيم النعيمي ،

---

[1]- محمد علاق : "**التعليم الحر أثناء الثورة ، معهد عبد الحميد ابن باديس نموذجا** "، جريدة البصائر ، السلسلة الرابعة ، السنة 7، العدد 343، 11-18 جوان 2007 ص ص 15-16.

[2]- خير الدين : المصدر السابق ،ص 170.

[3]- محمد الطاهر فضلاء : **التحريف و التزييف في كتاب حياة كفاح** ،ط1، دار البعث ،قسنطينة ،الجزائر ، 1982، ص 448.

[4]- خير الدين ، ج 1، ص ص 170-171.

أحمد حسين ، عبد اللطيف القنطري ، ثم التحق بهم في السنة الثانية (1948) الشيخ عبد الرحمن شيبان وعبد القادر الياجوري ، ومولود النجار [1] .

و يذكر محمد علاق بأنه حدث نوع من التعايش و الاحتكاك بين الطلاب في قسنطينة ذوي الانتماءات المدرسية المختلفة بين طلبة المعهد الكتاني و طلبة المدرسة الفرنكو إسلامية و ثانويات الإدارة المتواجدة في قسنطينة و عندئذ ظهر انتماء بعض الطلبة إلى جمعيات تنتمي إلى الأحزاب السياسية التي كانت تنشط في الساحة الوطنية مثل حركة الانتصار و الاتحاد الديمقراطي ومنهم من سار على نهج الجمعية ، لكن حرصهم على متابعة الدروس في المعهد جعلهم يولونهم الأولوية القصوى وقد أثمر المعهد دفعات من الطلبة المتخرجين أرسلوا إلى كليات ومعاهد في البلدان الشقيقة لمواصلة تعليمهم وكانت أول دفعة متخرجة سنة 1949 و أرسلت إلى الزيتونة باعتبار المعهد فرع للجامع الزيتوني ,أجريت لهم امتحان الشهادة الأهلية وكانت نسبة النجاح 98 بالمئة [2] .

7- حركة التهذيب في فرنسا :

رغم الانتقادات السياسية التي تهاطلت على الجمعية إثر مشاركتها في المؤتمر الإسلامي كونه مؤتمر مخدوعين يتسم بطابع الإدماج الذي لم تتفطن له الجمعية حقيقة مكسبا هاما خطوة عريضة في نشاطها لإصلاحي حيث و أثناء زيارة وفد المؤتمر إلى باريس لتبليغ كراسة مطالب المؤتمر استطاع ابن باديس الوقوف على حقيقة بعيدة غير معروفة و غير متفطن لها وهي المهاجرين الجزائريين ، حيث لاحظ ابن باديس ظروفهم السيئة من جهة ومن جهة أخرى بتخوف من تأثيرات الحياة الثقافية و الاجتماعية للمهاجرين في باريس و التي قد تؤدي إلى ذوبانهم و اندماجهم في الوسط الفرنسي و بالتالي فقد كانت محطة المؤتمر الإسلامي مناسبة فتحت للجمعية باب النشاط في فرنسا و الوقوف على مشاهد البؤس و الانحطاط الأخلاقي و البعد عن الحياة الروحية و الدينية للمهاجرين الجزائريين[3] .

[1]- علاق : المرجع السابق ،ص 15.

[2]- علاق : المرجع السابق ، ص15 ، انظر كذلك أحمد الخطيب : **جمعية العلماء المسلمين الجزائريين واثرها الاصلاحي في الجزائر** ،المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ،1985 ، ص ص 215-216.

[3]- سعيد بورنان : **نشاط جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في فرنسا(1936-1956)** ،دار هومة للطباعة و النشر و التوزيع ، الجزائر ،2011 ،ص 73.

هذا وقد ذكر الشيخ أحمد حماني بأن العمال المغتربين طلبوا من ابن باريس الاهتمام بأحوالهم قائلا [1] :<< زار فرنسا وفد المؤتمر الإسلامي الجزائري وكان من ضمنه ابن باديس و إخوانه من العلماء ... اجتمع العلماء ابن باديس و التفوا حوله و طلبوا منه أن يهتم بهم و أن يحبذ لهم بعض رجاله ليحفظوا فيهم الإسلام و العروبة و الوطنية الجزائرية، ولما تحقق ابن باديس من الخطر الذي يمكن أن يهدد الدين و الوطن من انقلاب حالهم و إهمالهم لهم لبى نداءهم وعيّن للقيام بهذه المهمة الشيخ الفضيل الورثيلاني>>.

بعد وصول الورثيلاني إلى فرنسا في 22 جويلية 1936، أسس أول فرع للجمعية على شاكلة نادي سمى (جمعية نادي التهذيب) ، في باريس وضواحيها ، واستطاع أن يؤسس لهذا النادي ستة فروع تتواجد في المناطق المكتضة الجزائريين وحتى من المغرب الأقصى و تونس ولما أحس الورثيلاني بصعوبة وثقل المهمة الملقاة على عاتقه وخاصة للدعم زار الجزائر في 1937 التقى شيوخ الجمعية ، وطلب إيفاد مجموعة من الدعاة و المعلمين لمساندته في نشاطه فاستجابت الجمعية و أوفدت مجموعة من الشيوخ منهم : الشيخ حمزة بوكوشة ، وأوفدته إلى مقاطعة الرون و الشيخ محمد علي الهاشمي إلى سانت إتيان و الشيخ فرحات ابن الدراجي إلى مرسيليا و هذا سنة 1938 ليلتحق بعد هذه السنة مجموعة من الشيوخ إلى فرنسا[2] .

كان محور مهمة نادي التهذيب هذا التهذيب و التعليم ، و قد تم هذا في أقسام دراسة لتعليم اللغة لعربية ومبادئ الإسلام ، وفي النوادي كذلك لسماع محاضرات دينية و اجتماعية وتوجيهية إلى جانب تعليم القراءة و الكتابة و تعليم المحرمات و المبيحات ودروس الوعظ و الإرشاد خاصة أمام القضايا الدينية و الاجتماعية المطروحة و التي لم تجد حلها إلا عند جمعية العلماء كحالة الإلحاد مثلا أو قضية الزواج المختلط ، ووضعية أطفال هذا الزواج (من أب جزائري و أم أوروبية) حيث يذكر عبد الكريم بوصفصاف أن بمنطقة باريس مثلا سجلت بين (1941-1944) 15 ألف حالة ولادة أطفال جزائريين وسجل جامع باريس في نفس الفترة ،6 آلاف حالة ختان للجزائريين [3] ، و الرقم (المثال) يدل على تزايد عدد الجالية الجزائرية المهاجرة في فرنسا ، ومن ثم مشاكلها العديدة سواء الدينية أو الاجتماعية فهي عبارة عن مجتمع داخل

---

[1]- أحمد حماني : **شهداء علماء معهد ابن باديس** ، قصر الكتاب ، لجزائر ، 2004، ص 82.

[2]- بورنان : المرجع السابق ،ص 82.

[3]- عبد الكريم بوصفصاف : **جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية1931 -1945**)،ط1،دار البعث، قسنطينة ، الجزائر ،1981 ، ، ص ص 343-344.

مجتمع و بالتالي يستوجب الصراع لقيادته و توجيهه توجيها صحيحا وفق أصله و ثقافته و إلا جرفه تيار الديمقراطية نحو اللائكية والتماهي في المجتمع الفرنسي و بالتالي خسارة شريحة واسعة من شأنها أن تدعم ذويها من فرنسا ومن جهة أخرى نشاط الجمعية على مستوى هذه الجالية هو دليل على تمسكها بالجزائريين باعتبارها ولية أمورهم في الدين الإسلامي محافظة على ثقافتهم و أصلهم على هويتهم من التيارات المختلفة.

لقد فتح نادي التهذيب بابا واسعا للنشاط الثقافي و الإصلاحي لجمعية العلماء في فرنسا فرغم غياب الأرقام و الإحصائيات حول عدد التلاميذ بالسنوات إلا أن المصادر تجمع على الجهود الجبارة لهذا النادي سواء على مستوى الأطفال من أبناء العمال الجزائريين و ذلك لإرسالهم إلى النوادي لتلقي القراءة و الكتابة و تعاليم الإسلام حماية لهم من الانصهار [1] ، في المدينة الفرنسية ، ونود الإشارة هنا إلا أن نشاط الجمعية في وسط العمال هو جزء مهم في التكوين العقيدي والثقافي بالنسبة للجزائريين الناشطين فيما بعد في النقابات العمالية الفرنسية أو في إطار الحزب الشيوعي الفرنسي ، ومن جهة أخرى على مستوى يقول الأستاذ محمد الصالح بن عتيق [2] :<<... ووصفت النوادي برنامجا محكما للدروس و المحاضرات وكان الإقبال عليها مشجعا لنا و أصبح الكثير من العمال يترددون عليها ويتعلمون فيها تعليما منظما حسب البرنامج المسطر للمستوى الابتدائي و الثانوي و يتلقون بصفة خاصة التاريخ و السيرة النبوية و الرياضيات وما إلى ذلك من العلوم المختلفة...>>.

لكن و أمام اندلا ع الحرب العالمية الثانية و احتلال ألمانيا لفرنسا توقف نشاط هذه النوادي رغم بعض المحاولات لإعادة إحيائها غير أن ظروف الحرب حالت دون ذلك .

وعن موقف الاتجاه الاستقلالي المتأصل في فرنسا بزعامة مصالي الحاج فإنه في بداية تغلغل الجمعية عن طريق نادي التهذيب ساند هذه النوادي ووفر لها الدعم المادي و الحضور العمالي لكن بعد سنة **1936** أبدى عناصر النجم تخوفهم من تجذر الجمعية في فرنسا و الانفراد بالطبقة العمالية هناك هذا ما جعل الاتجاهين يتصادمان – لكن هذا الصدام هو من حيث المنهج وليس من حيث الجوهر- وقد وصل الحد

[1]-بورنان : المرجع السابق ، ص ص 85-86.

[2]- محمد الصالح بن عتيق : **أحداث ومواقف في مجال الدعوة الاصلاحية و الحركة الوطنية بالجزائر** ، منشورات دحلب ، الجزائر 1990، ص 84.

إلى تقديم مصالي الحاج انتقادات للجمعية خلال التجمع الذي عقد في 28 نوفمبر 1936 بفرنسا و قد منع الورثيلاني الذي كان حاضرا من الدفاع و رد انتقادات مصالي لهم ، و قد استقرت العلاقة نوعا ما بتدخل الأمير شكيب أرسلان بتقريب الطرفين حيث عرف الجمعية بأنها حامية الدين و اللغة والتاريخ و الاتجاه الاستقلالي بحامل مشعل الكفاح [1] .

هذا وقد استمر نشاط الجمعية في فرنسا حتى بعد سنة 1950 حيث قام كل من البشير الإبراهيمي والعربي التبسي بالسفر إلى فرنسا كمبعوثين عن الجمعية من أجل التأكد على مبدأ اتفاق الاتجاهات الوطنية حول تعلم اللغة العربية والعلوم الإسلامية كما تصور علماء الجمعية في فرنسا تأسيس نخبة مزدوجة اللغة إضافة إلى التكوين في العلوم النقدية والفن الثقافي وهي وجهت نظر تطابقت مع نظرة ممثلي الاتحاد الديمقراطي الذين سافروا بدورهم إلى فرنسا [2].

[1]- بورنان : المرجع السابق ،ص ص 260-262.

[2]- C.A.O.M 81 F767, de la présence à paris des dirigeants de l'Associations des oulémas d'Algérie , le 6 décembre 1950 archives d'antre-mer (Aix- en Provence)

المبحث الثالث :اهتمامات صحافة الجمعية بالمسألة الثقافية :

ظهرت الصحافة في الجزائر مع الاحتلال الفرنسي حيث ظهرت صحف ناطقة باللسان الفرنسي حاكت في طباعتها و إصدارها الصحف في فرنسا و بالتالي هي امتداد لها [1] ، وكانت أول صحيفة أصدرت ذات طبعة إعلامية عسكرية (بريد الجزائر) و قد صدر أول عدد منها في جويلية 1830 و تعتبر تاريخيا أول تجربة صحفية في شمال إفريقيا حيث عرف لأول مرة آلة الطباعة و طبع الصحافة و قد كان لهذه التجربة انعكاسات على مسار النشاط الصحفي حيث ظهرت بعد توقف هذه الجريدة صحف أخرى كالمرشد الجزائري (27 جانفي1832) و بعدها النشرة الرسمية لعقود الحكومة في 20 أكتوبر 1834[2] .

و تعتبر جريدة المبشر (1847) بداية لظهور الصحافة العربية في الجزائر ومن ذلك أن السلطة الفرنسية أدركت ضرورة التواصل مع الأهالي الجزائريين خاصة ما تعلق بالتعليمات و المعلومات الموجهة إليهم ، و بالتالي ستكون واسطة بين السلطة و الأهالي و كانت هذه المحاولة من طرف الجنرال ديماس [3] .

طبعت هذه الجريدة باللغتين الفرنسية مع ترجمة لهذا الجانب بالعربية لكن بأسلوب ركيك ، وما لفت نظرنا هنا و رغم سلبيات الإخراج الصحفي بالعربية إلا أن هذه الخطوة كانت بداية تقريب الأهالي من مشاكل عصرهم، و بداية خوضهم النشاط الصحفي الذي كان حكرا على الكولون و بعض المفرنسين من الأهالي، ومع بداية النصف الثاني من القرن 19 حدث نوع من التطور في الصحافة حيث ظهرت حرية التعبير الصحفي من خلال الانتقادات الموجهة للحكومة الفرنسية من خلال الجرائد ،وما كان لهذا إلا أن ساعد المثقفين الجزائريين على استيعاب مفهوم (الحق) في الدفاع عن مطالبهم [4] .

---

[1]- الخطيب : **جمعية العلماء** ،المرجع السابق ،ص71.

[2]- عواطف عبد الرحمان : **الصحافة العربية في الجزائر** ، دراسة تحليلية لصحافة الثورة الجزائرية 1954-1962، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1985، ص ص 25-26.

[3]- الزبير سيف الاسلام : **الاعلام و التنمية في الوطن العربي** ، ط 2 ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1986 ، ص 17.

[4]- عبد الرحمان : المرجع السابق ، ص ص 28-29.

و بالنسبة للصحافة الجزائرية فإن بداية القرن العشرين هي البداية الفعلية خاصة مع استفادة المثقفين من التجربة الصحيفة في صحف المعمرين خاصة في جريدة المبشر و الأخبار و إلى جانب عامل الاحتكاك و الاستفادة تحكمت عوامل عديدة في ظهور الصحافة الوطنية في الجزائر شكلت في مجملها زخما ثقافيا سواء أن أشرنا إلى قانون التجنيد الإجباري، وما أحدثه من اضطراب وسط الأهالي ، أو بعد زيارة محمد عبده إلى الجزائر في 1903 و التي كانت بمثابة تشجيع للفكر الإصلاحي الإسلامي ، كما لا ننسى دور الصحافة الفرنسية في خلق الوعي الصحفي لدى النخبة الجزائرية المثقفة باللغة العربية أو الطلاب المتخرجين من الزيتونة و قد أخذ هؤلاء و هؤلاء على عاتقهم مهمة تطوير الصحافة في الجزائر .

إن الصحافة كأسلوب تعبير ثقافي و حضاري قد ارتبط خصوصا بعوامل خارجية أكثر منها داخلية ، و قد نستطيع تصنيف ظهورها ضمن الاحتكاك الثقافي أو المزج الثقافي خاصة في إطار الهجرة نحو الخارج و التقليد الثقافي (الغالب على المغلوب) .

لهذا كان كل ما ينتج كتابيا في الفترة الاستعمارية مزدوجا بين الفرنسية كلغة تأثير و استبدال اللسان المحلي و بين العربية كلغة صمود ثقافية و سياسية، و عليه فقد ظهرت بعض الصحف الناطقة بالفرنسية كالرشيدي و الإسلام ، و بعض المؤلفات شخصية كمؤلفات الشريف بن حبيلس ... ، أما الكتابة بالعربية فقد تطورت في مجال الصحافة خاصة و ظهرت جرائد مثل الجزائر و كوكب إفريقيا إضافة إلى كتابات ابن خوجة و المجاوي و بن أبي شنب [1] .

و يرى أبو القاسم سعد الله بأن ظهور الاتجاهات السياسية في الجزائر كان له دور في تفعيل الكتابة باللغتين ،و أصبح لكل اتجاه صحافته بالعربية و الفرنسية و لكل اتجاه مجموعة من الصحافيين و الكتاب و يضيف سعد الله بأنه[2] :<< من الطبيعي أن يكون إنتاج جمعية العلماء معظمه بالعربية بينما غلبت على إنتاج غيرها الفرنسية >>.

---

[1]- **المقاومة الوطنية و الحركات السياسية حتى ليلة نوفمبر 1954 ، حزب جبهى التحرير الوطني ، المنظمة الوطنية للمجاهدين ، الطريق إلى نوفمبر كما يرويها المجاهدون** ، مج 1 ، ج 1 ، ديوان المطبوعات الجامعية ، ص 154.

[2]- نفسه .

ويعود هذا طبعا إلى المؤثرات الثقافية التي خلقت كل اتجاه من جهة ،ومستوى التأثير الثقافي الفرنسي على كل اتجاه فيعتقد علماء الاجتماع و الانتربولوجيا بأن مشكلة المستعمرات تمثل مشكلة العلاقات بين ثقافية وطنية و أصلية و ثقافة أجنبية ، فعندما يستخدم الغالب (الاستعمار) أساليب القهر و القوة لإدخال عناصر ثقافته تتحول هذه العدوانية في الفرض الثقافي إلى تحويل العناصر الثقافية المحضورة بالنسبة للسكان الأصلية، و التي يركز عليها الاستعمار للتعويض و سياسة النزع الثقافي رموز تستقطب الاتجاهات الثورية و تلهب حماس الناس للتعلق بها أكثر ،في حين تكون فئة أخرى مقابلة بالامتثال لما تفرضه عليها الفئة الغالبة و تكون درجة الامتثال متفاوته بين التقليد دون المساس بقيمها و تقاليدها [1] ، و بين التماهي و الذوبان و التي تؤدي إلى الانفصام الثقافي أو الانحراف الثقافي.

اتسمت هذه المحاولات الجديدة من طرف النخبة مفرنسين / معربين بعدم التناسق و غياب الاحترافية في العمل الصحفي لنقص الخبرة من جهة ومن جهة أخرى تعتبر فترة ما بين الحربين (1919-1939) فترة تشكل الاتجاهات الوطنية السياسية التي كانت مختلفة في إيديولوجياتها و اتجاهاتها الاجتماعية و هذا ما خلق نوعين مختلفين بين ذوي الثقافة الفرنسية / وذوي الثقافة العربية.

وفي هذه المرحلة ظهرت الصحافة الجزائرية المستقلة عن الصحافة الفرنسية باللغتين ،حيث كان ظهور الصحافة باللغة الفرنسية بعد الحرب العالمية الأولى تأثرا بالأمير خالد، و قد ظهرت العديد من الجرائد و الصحف كالإقدام ، التقدم و الدفاع ، صوت الأهالي ، الوفاق الفرنسي الجزائري ، و هي في مجملها لا تعبر عن اتجاه واحد بل هناك تداخل في التحرير حيث نجد كتاب المقالات في أي جريدة ذات توجه معين من اتجاه مخالف تماما وقد كانت المواضيع الاجتماعية و بعض من المواضيع الثقافية نقاط تقاطع و توافق بين هؤلاء .

أما عن الصحافة باللغة العربية فقد لاحظنا غزارة مواضيعها و سرعة ظهورها و توقفها و من ذلك ظهور جريدة النجاح ، الشهاب ، البلاغ الجزائري ، صدى الصحراء ، البصائر ... ، و رغم هذا التعدد

[1]- محمد السويدي : **مفاهيم علم الاجتماع الثقافي ومصطلحاته** ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1991 ، ص ص 157-158.

الصحفي الذي يعتبر خطوة في النشاط و الوعي الثقافي إلا انه عانى من عدم التوافق الإيديولوجي و اللغوي و الفكري في الطرح ومرده هذا إلى التكوين الثقافي لكل اتجاه كما عرضناه في الفصل الأول.

– اهتمامات جرائد الجمعية بالحفاظ على مقومات الشخصية الوطنية :

اعتبرت الصحافة المكتوبة من أهم الوسائل التي اعتمدتها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في نشاطها كحال بقية الاتجاهات الوطنية الأخرى و حسب أبو القاسم سعد الله فإن عبارة << الصحافة الوطنية>> ، في العهد الاستعماري هي الصحافة المعبرة عن الاتجاهات الوطنية سواء منها المتطرفة أو المعتدلة و سواء كانت بالعربية أو الفرنسية ، لكن و رغم اتسام الصحافة الوطنية التي ظهرت في بداية القرن العشرين بالركاكة في الأسلوب و الطرح ، ظهرت صحافة الجمعية بمستوى راق ، فإضافة إلى استعمال العلماء للمدارس للحفاظ على اللغة العربية ، و تكوين المثقفين ، فالصحافة قد هيأت الأرضية المناسبة للمصلحين لإقناع المجتمع بالتغيير و قبوله و الابتعاد عن الاعتقادات الباطلة ، إضافة إلى الاهتمام بالدفاع عن الأرض و الدين و اللغة ، ولهذا وصفت الجمعية بحاملة راية البيان العربي بكفاحها من اجل العودة بالمجتمع[1] .

– المنتقد:

وخليق بنا التطرق لجريدة المنتقد رغم أنها نشطت قبل التأسيس الرسمي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين فقد أظهرت هذه الجريدة استعداد العلماء للولوج في النشاط الصحفي كما أظهروا جرأة و مستوى ثقافيا عاليا وفهما صحيحا لهذا الميدان فقد عبرت في افتتاحية عددها الأول [2] :<< باسم الله ثم باسم الحق و الوطن ندخل عالم الصحافة العظيم ، شاعرين بعظم المسؤولية التي نتحملها فيه مستهلين كل صعب في سبيل الغاية التي نحن إليها ساعون و المبدأ الذي نحن عليه عاملون >> ، ويقول ابن باديس

---

[1]– سعد الله : أبحاث و آراء ، ج 3 ، المرجع السابق ، ص 87. انظر حول نظرة الادارة الفرنسية للجمعية :
lietnant -colonel betbeder ; le réformisme algerien et l association des oulamas d Algerie , revue lAfrique et l Asie ,1 er triméstre ; anneé 1948,pp40-41

[2]– **المنقد** : **العدد الاول** ، **2 جويلية 1925** ، تقديم وتصحيح عبد الهادي قطش ، دار الهدى ، عين مليلة الجزائر ، 2005 ، ص 05.

واصفا جريدته المنتقد التي لم تعمر سوى 18 أسبوعا [1] :<< برزت جريدة المنتقد تحمل فكرة الإصلاح الديني بتنزيه الإسلام عما أحدثه فيه المبتدعون وحرفه الجاهلون ، و بيانه كما جاء في القرآن العظيم و السنة المطهرة ، وعمل به السلف الصالحون معلنة أن المسلمين بذلك وحدة تصفو عقائدهم و تزكوا نفوسهم و تستقيم أعمالهم و ينبعثون عن قوة و بصيرة في الأخذ بأسباب الحياة الراقية >> ، و قد عنيت هذه الصحيفة ببعث الأمة الجزائرية و تذكيرها بماضيها الأصيل و أمجادها و لغتها ودينها الإسلامي ومن ذلك أن امة تنسى تاريخها و نفسها مآلها الاندثار و الانمحاء [2] .

اهتمت هذه الجريدة بالانتقاد كمنهج صحفي أساسه الحقيقة و الصدق و الإخلاص و النزاهة و هي في نظر الجريدة المبادئ الأساسية للصحافة الحرة الصادقة، التي تعتبر مظهرا من مظاهر رقي الأمم في ذلك العصر ، كما تعتبر [3] << الصحف مدرسة الشعب الكبرى عليها مدار حياته الاجتماعية في تبادل الآراء و طرحها على بساط البحث و محكها بميزان العقل البصير بالحوادث التاريخية (...)و الجرائد في البلاد الحرة يتصدى إليها رجال مقتدرون ، و متضلعون بالمسائل السياسية (....) ، فأمهات الجرائد و الصحف الكبرى تخدم الأمة و الوطن في هذه الظروف و غيرها خدمة لا تقدر و كيف لا وهي لسان الشعب تعبر عن الفكر العام ، وتنبه الجمهور إلى الواجبات الوطنية في الداخل و الخارج >> ، ويقارن صاحب هذا المقال في جريدة المنتقد هذا المشهد بواقع الصحافة في الجزائر ملاحظا أن [4] :<< بلاد الجزائر ضئيلة جدا في هذا الميدان ميدان الصحافة و الكتابة ، والنشر و هي ولو أن فيها بعض الأفراد متبعثرة يقرؤون الصحف الأجنبية لكن بهمة مريضة (...) و بعبارة أخرى لم تستفد الأمة من هذا الفريق فائدة تذكر على أنه مما يؤسس له أن يقرأ ، هذا النفر باللسان الأجنبي و يجهل اللسان العربي >>، ويعود بأسباب انحطاط الصحافة في الجزائر إلى تراجع الاهتمام باللغة العربية و الكتابة إضافة إلى غياب ترغيب العلماء ببسطاء الناس و تلامذتهم في القراءة [5] .

---

[1]- عبد الملك مرتاض : **نهضة الادب العربي المعاصر في الجزائر** ، 1925-1954، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر 1983 ، ص 98

[2]- نفسه ، ص 99.

[3]- **المنتقد ، العدد 4 ، 23 جويلية 1925** ، ص 56.

[4]- **المنتقد ، العدد 4 23 جويلية 1925** ، ص 57

[5]- نفسه ،ص 58 .

أما عن موضوعات هذه الجريدة فقد اتخذت جوانب متعددة أدبية إصلاحية و سياسية و إعلامية ، فقد أفردت جوانب خاصة للشعراء و الأدباء ليجودوا و يعرفوا بمنتوجهم الفكري كما اهتمت بترجمة الأعمال الأدبية الأجنبية إلى العربية ، في إطار التلاقح الثقافي [1] ، كما اهتمت كثيرا بالجانب الإصلاحي و هو الملفت كما لم تخلو مقالاتها من التأكيد على مصطلحات القومية الأمة الجزائرية ، المسلمون الجزائريون ، الوطن ، كما ركزت على التعليم و التعلم [2] ، ومن ذلك أن المدرسة هي المعمل الكفيل لصنع العقول و تربيتها وهي ترتبط في وظيفتها بالمكتبة العمومية لأنها جهود العقول [3] وقد كانت هذه المواضيع بمثابة وقوف على أسباب الانحطاط لتداركها خاصة و أن الجريدة مطلعة بمواضيعها على ما يحدث داخل الجزائر و خارجها ، ولم تكن المواضيع السياسية ذات الصبغة الدينية و نعني المتعلقة بالدين الإسلامي بعيدة عن الجريدة ، فقد حسمت في كون الأمة الجزائرية جزء من الأمة العربية الإسلامية مبرزة بذلك فهما عميقا لمفهوم القومية ، مع وعي كبير بضرورة فصل الدين عن الدولة (الإدارة الفرنسية) مع تكرار دائم المصطلح وطننا الجزائري ،إضافة إلى مواضيع ثقافية أخرى ذات بعد اصطلاحي مع سرد دائم لإخبار العالم و الجزائر.

لقد ختم العدد الأخير من المنتقد سلسلة الأعداد بالتركيز في المقال الأخير (معامل العقول) على ضرورة اعتماد الجرائد و امتهان الصحافة، لأنها مدرسة للعام الخاص و معرض عقول الأمم و تجعل الفرد ابن يومه ، إضافة إلى الاهتمام بالنوادي الأدبية و المجامع العلمية [4] .

أسهمت المنتقد بشكل كبير في عكس أوضاع الجزائر بتصوير الواقع كما أولت اهتماما بالجانب الإصلاحي و التربوي و الدفاع عن الإسلام، كما تناولت شؤون المجتمع بالنقد بالإشارة للجوانب السلبية فيه و التنبيه لآثارها و الدعوة لمعالجة الخلل بهدف التقويم والإصلاح .

[1]- انظر **مثلا قصيدة الشبح الاسود ، المنتقد ، العدد 3 ، 16 جويلية 1925** ، ص ص 54-55.

[2]- انظر أعداد المنتقد ، 1، 2، 9 .

[3]- **المنتقد ، العدد 18 ، 29 أكتوبر 1925** ، ص ص 304-304.

[4]- نفسه **المنتقد ، العدد 18 ، 29 أكتوبر 1925** ، ص ص 304-304.

– الشهاب:

حوت مجلة الشهاب مجموعة من الكتاب في أعدادها، لكن كانت هناك أسماء جريئة في كتابتها كحال ابن باديس الذي كان المسئول عن هذه المجلة وكان يجد في الشهاب متنفسا لما يجول في عقله و قلبه ،أما مقالات الإبراهيمي فهي قليلة مقارنة بابن باديس كما أن مشاركته غير منتظمة و ذلك نظرا لاستقراره في تلمسان كونه مدرسا بدار الحديث، ومن جهة أخرى فقد برع الإبراهيمي في فنون الكتابة بجريدة البصائر في سلسلتها الثانية، كما انه اعتمد كثيرا على ابن باديس الذي كتب في التفسير و الحديث و سير الصحابة ، كما كتب في بعض القضايا السياسية و الاجتماعية المعاصرة آنذاك .

آمنت الشهاب بأن الصحافة [1] هي :<< لسان الضمير الناطق بما يجيش به الصدر و يخطر على البال، وهي أكبر عامل من عوامل النهوض وبها لا سواها فازت الأمم و نالت مناها و أحرزت غايتها وما تصبوا إليه من سعادة و هناء بعد شقاء و عناء و بها دون غيرها نهضت الأمم وفاقت من السبات العميق، و علمت أن عليها واجبات لابد من قضائها سواء كانت دينية أو وطنية أو اجتماعية أو غير ذلك >>.

هذا وقد تميزت مقالات الشهاب بابتعادها عن أسلوب التشكي المتعارف في صحافة ذلك الوقت و اعتماد الدراسة التحليلية لواقع الجزائر لمعالجة الوضع، كما عبرت مقالاتها عن عروبة الجزائر المسلمة المحافظة على شخصيتها الوطنية ، ويضيف الدكتور عبد الكريم بوصفصاف [2] :<< وفي هذه المجلة حلول لمشاكل كثيرة من مشاكل العصر الذي عاش فيه ابن باديس و لم تقتصر هذه الحلول على المسائل المحلية الجزائرية ولا الإفريقية الإقليمية ، و لا الشرقية الإسلامية فحسب بل حتى الإنسانية العالمية >>.

أما عن أهم الموضوعات المتعلقة ببحثنا فقد ركزت الشهاب في مقالاتها و أهدافها الحفاظ على مقومات الشخصية الوطنية بعناصرها الثلاثة الإسلام – العروبة – الوطن و هذا كدفاع ووقوف ضد المشاريع الفرنسية ، وقد تبنى ابن باديس فيما بعد هذه العناصر شعارا لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين و

[1]– **الشهاب ، المجلد 2 ، السنة الثانية ، 1344–1345 / 1926–1927** دار الغرب الاسلامي ، ط 1 ، 2001 ، ص 521.

[2]– بوصفصاف : **جمعية العلماء المسلمين الجزائريين و دورها** ، المرجع السابق ، ص 140.

لعل تفسير هذا الاهتمام بهذه العناصر راجع التي التأثر الكبير لابن باديس بالثقافة المحمدية و العربية و التي تجاوبت معها الجماهير، و كأنها ميزة صوفية نقية ولا تخلو الشهاب عن مقال عن هذه العناصر خاصة و إن ابن باديس المسئول عن كتابة افتتاحيات الشهاب ،و قد ركز موضوعات كتابته على الإسلام و العروبة في إطار الإصلاح خاصة مع ما آلت إليه الأمة الجزائرية فكانت نهضة الإصلاح في هذا الوقت ضرورية [1] :<< لتعيد ذلك التاريخ المداس ، وتلك المدنية الطاهرة تصديقا لخبر التجديد و علما بالسنية الكونية في رجوع الأمر بضده إذا انتهى لحده (...) >>.

كما ركزت الشهاب على الإصلاح الديني:<< إذ هو الركن الأعظم الذي عليه مدار حياتنا>> .

والحق أن ابن باديس اهتم بالكتابة عن الإسلام في الجزائر، باعتباره دينا و قومية في نفس الوقت لهذا نجده يركز على مصطلح الأمة الجزائرية باعتباره يحمل مدلولا دينيا و قوميا رافضا لأي تشويه أو تبديل للتماهي و الآخر، كما اهتمت الشهاب بالمجتمع و شرائحه ، ففي افتتاحية للشهاب من عام 1938شارحة أوضاعه و علله جاء فيه [2] :<< أعلن الشهاب من أول يومه و المنتقد الشهيد قبله أنه "" لسان الشباب الناهض في القطر الجزائري"" و لم يكن يوم ذاك من شباب إلا شباب أنساه التعليم الاستعماري لغته و تاريخه و مجده و قبح له دينه و قومه و قطع له كل شيء إلا منه أمله ، وحقره في نفسه تحقيرا ، و إلا شباب جاهل أكلته الحانات و المقاهي و الشوارع ومن وجد العمل منه ، لا يرى إلا آلة متحركة في ذلك العمل لأهم له من ورائه إلا نفسه ، فضلا عن شعوره بأمر عام (...) و الشباب حفظه الله للإسلام و العروبة فأقبل على تعلمها لكنه تعلم سطحي لفظي خال من الروح ، لا يعتز بماض ، و لا يألم بحاضر و لا يطمح لمستقبل .... إلا أفراد قلائل جدا هنا وهناك>>.

و في افتتاحية أخرى للشهاب من عام 1939 [3] (آخر سنة) عنونت ب << المجد للإسلام و العروبة و الجزائر >> ، ونلاحظ بان هذه الثلاثية وقوف وصمود ضد سياسات التنصير و التجنيس و الإدماج ، و أكثر من ذلك فقد عبرت الشهاب عن تمثيلها للقومية الإسلامية الجزائرية ، حيث صرح عن

[1]- **الشهاب ، المجلد الثالث ، 1345-1346هـ/1927-1928م** ، ص 43.

[2]- **الشهاب ، المجلد الرابع عشر ، الجزء الاول ، 1357هـ / مارس 1938** ، ص 1.

[3]- **الشهاب ، المجلد الخامس عشر ، الجزء الاول ، 1358هـ/ فيفري 1939م** ، ص 1.

ذلك بن باديس قائلا [1] :<< أن الشهاب معتز بخطته ، ثابت على مبادئه ، وهو يتشرف بأن يكون ممثلا للقومية الإسلامية الجزائرية ... ، إن هذه القومية الجزائرية التي لن تفنى ولن تزول ، والارتباط المتين لدولة الجمهورية ، إن هي مدت لها يد الصداقة و الولاء و الانعطاف ، وعاملتها معاملة ليست بالحركة الهدامة و لاهي بالحركة المثيرة المهيجة ، كلا إنما هي حركة امة تريد أن تحفظ نفسها و تصون ذكرى أسلافها و تحتفظ بمميزاتها و تراثها العتيق و تمد يد الصداقة و الولاء و الانعطاف الصديق لصديقه و إن كان لغيرها كرامة فليعلم ذلك الغير أن لنا كرامة نغار عليها ، و إن كان لغيرنا شرفا لا يريد أن تمتد إليه يد فليعلم ذلك الغير أن لنا نحن أيضا شرفا رفيع العماد لا نسمح بأن يدنسه أحد>>.

و رغم بعد جمعية العلماء المسلمين عن العمل السياسي – حسب تصريحاتها- إلا أنها وقفت في وجه المشاريع الفرنسية الرامية إلى الإدماج ومن ذلك مشروع (برنامج) فيوليت، حيث حذرت الشهاب على لسان ابن باديس من حقيقة هذا البرنامج في مقال مطولا مصرحا بكل جرأة في الشهاب:<< أيها الشعب الجزائري أيها الشعب المسلم ، أيها الشعب العربي الأبي ، حذار من الذين يمنونك و يخدعونك حذار من الذين يأتونك بوحي من غير نفسك ، وضميرك ، ومن غير تاريخك وقوميتك ومن غير دينك وملتك و أبطال دينك وملتك ، استوح الإسلام ثم استوح تاريخك ثم استوح قلبك ، اعتمد على الله ثم على نفسك ، وسلام الله عليك >>.

هذا وقد شددت الشهاب على ضرورة الإصلاحات الدينية ومن أهمها فصل الدين عن الدولة ، مع إهمال البدع و العادات و تأليف كتاب جامع ، إذ لا يدخلوا في عدد عن مقال جامع لهذه الأمور [2] ، كما اعتبرت الشهاب العلم جزءا من الدين الأخذ بأسباب الأول لفهم الثاني من الضروريات لما فيه من تمسك بالدين و العقل وحفاظ على اللغة لهذا نجد كما عظيما من المقالات التي تشجع التعليم و الأخذ بالعلوم الحديثة ومذ ذلك[3]:<<فالدين و الثقافة الإسلامية التي هي في الحقيقة غاية بالنسبة للعلوم الحديثة أقوى ذريعة أيضا لجعل هذه العلوم مصقولة بتلك الثقافة الشرعية و صالحة للحياة من جهة المدنية

[1]- **الشهاب ، المحلدالثالث عشر ، ج 3 ، 1356ه/ ماي 1937م** ، ص ص 165-166.

[2]- **الشهاب ، المجلد الحادي عشر ، 1354-1355ه/ 1936** ، ص 648.

[3]- **الشهاب ، المجلد الثامن ، 1350-1351 ه / 1932م** ، ص 36.

الخلقية التي طغت عليها في الحالة الراهنة المدنية المادية>>، كما أن الشهاب تعاتب لأمة الجزائرية على تراخيها عن دينها و لغتها [1] :<< فمن المخجل أن يظل المسلم مغلول اليدين أمام واجبه نحو لغته ، وتلك الوسيلة القوية ونحو دينه الذي هو أعظم وسيلة أيضا للانتفاع بالعلوم و المعارف انتفاع محمود من كل جهة دون أن يعوق الدين عن العلم ، ولا العلم عن الدين ، بناء على الإسلام جاء بتدعيم العلم و العقل ، وفي حين أن غير الإسلام من الأديان عدو لدود للعلم و العقل أيدنا هذا التراث العتيد كله ونحن واقفون موقف المتردد و المسرف في الكسل (...) فالمسؤولية بحذافيرها ترجع على أبناء هذا الدين الحكيم و هذه اللغة الجميلة ...>> ، ولعل اهتمام المصلحين بالتعليم مرده إيمانهم بأن صلاح المسلمين بصلاح العلماء و صلاح العلماء يكون بصلاح تعليمهم ، هذا التعليم المتشبع لأثر السلف الصالح و المأخوذ من القرآن والسنة [2] :<< و هكذا كان التعلم والتعليم – في القرون الفضلى- مبناهما على التفقه في القرآن والسنة (...) و قال الإمام ابن حزم في كتاب الأحكام وهو يتحدث عن السلف الصالح كيف كانوا يتعلمون الدين "" كان أهل هذه القرون الفاضلة المحمودة – يعني القرون الثلاثة- يطلبون حديث النبي – صل الله عليه وآله وسلم – و الفقه في القرآن و يرحلون في ذلك إلى البلاد فإن وجدوا حديثا عنه عليه السلام عملوا به واعتقدوه"" (...) >> في حين لاحظ نفس المصدر (الشهاب) بأن وضعية التعليم و اهتماماته ومصادره مختلفة و بعيدة عن الأصل فقد عبر عنه ابن باديس قائلا [3] :<< (...) هذا هو التعليم الديني – السني السلفي- فأين منه تعليمنا نحن اليوم و قبل اليوم بل منذ قرون و قرون ؟ فقد حصلنا على شهادة العالمية من جامع الزيتونة – ونحن لم ندرس آية واحدة من كتاب الله (...) ونحن بعد أن بينا تعلم الدين من سنة النبي – صل الله عليه و آله وسلم – ومن عمل السلف الصالح (...) فقد عقدنا العزم على إصلاح التعليم الديني في دروسنا حسب ما تبلغ إليه طاقتنا أن شاء الله تعالى >> .

ومن جهة واجهت الشهاب المشاريع الفرنسية الرامية إلى التفريق بين الجزائريين بسياسة عرب / بربر، أو بتفريق اللسان و الثقافة بين العروبة / الامازيغية و هو الأمر الذي أحدث صراعا وصداما ثقافيا داخل بعض الاتجاهات الوطنية (نجم شمال إفريقيا مثلا كما سبق ذكره) إلا أن ابن باديس لم يغفل عن هذه

[1]- **الشهاب ، المجلد الثامن ، 1350-1351 هـ / 1932م** ، ص ص 37 -38.

[2]- **الشهاب ، المجلد 1 ، ج 11 ، 1353هـ/اكتوبر 1934** م ، ص ص 478-481.

[3]-**الشهاب** ، المرجع السابق ، ص ص 478-481.

السياسة و أجابها بذكاء في افتتاحية الشهاب سنة 1938 م مفادها [1] :<< ما من نكير أن الأمة الجزائرية كانت أمازيغية من قديم عهدها (...) فلما جاء العرب و فتحوا الجزائر فتحا إسلاميا لنشر الهداية لا لبسط السيادة و إقامة ميزان العدل الحقيقي بين جميع الناس ، لا فرق بين العرب الفاتحين و الامازيغ أبناء الوطن الأصليين (...) ، فأقام الجميع صرح الحضارة الإسلامية يعربون عنها و ينشرون لواءها بلغة واحدة هي اللغة العربية الخالدة فاتحدوا في العقيدة و الملة كما اتحدوا في الأدب واللغة فأصبحوا شعبا واحدا عربيا متحدا >>.

كما اهتمت الشهاب بالحديث و التأكيد على الوطن الجزائري ، اعتباره جزءا مكونا للشخصية الوطنية لهذا أفردت مقالات عديدة تدافع عنه و تذكر بتاريخ أبنائه و بطولاتهم .

استطاعت الشهاب أن تصبح لسان المصلحين الجزائريين و نستقطب أهم العلماء و الادباء و الكتاب في ذلك الوقت، هذا ما جعل دعايتها الصحيفة ناجحة ومن ذلك عدم اكتفائها كنظيراتها بملاحظة الأحداث و سردها على صفحاتها ،بل تميزت بجعل قارئها يفكر في مصيره ووضعيته كأهلي جزائري مستعمر وهو ما صاغه علي مراد [2] :<< كان ابن باديس يفرض على قارئه لأول وهلة التأمل في مصيره الديني و السياسي جاعلا إياه يعي وضعه بوصفه مسلما جزائريا مستعمرا ، كان يقترح عليه مثالا للحياة الاجتماعية و الثقافية تحت شعار الوفاء العربي الإسلامي ، كان يدعوه إلى الإسهام في عملية إحياء، الشخصية الجزائرية و بعث الثقافة الوطنية العربية إزاء الإغراءات الكثيرة التي كانت تنطوي عليها الحضارة الغربية ومحاسن الفكر الفرنسي (...) كان ابن باديس يهيب بقرائه إلى التشبث بشخصيتهم وتقاليدهم و تاريخهم دون العدول مع ذلك عن التكيف الضروري مع التقدم العلمي و التقني >>.

هذا وقد حوت الشهاب مقالات ثقافية/ سياسة جريئة حول : الوطن و الوطنية و الجنسية القومية والجنسية السياسية كلمة صريحة حول كلمتنا الصريحة لمن أعيش ، مع وجود كم هائل من المقالات إلا أننا نرى بأن هذه المقالات هي الأكثر جرأة و أهمية و سنتناولها في فصلها .

[1]– **افتتاحية الشهاب ، المجلد الثالث عشر ، ج 12 ، 1356هـ/ فيفري 1938م .**

[2]– مراد : المرجع السابق ، ص 99.

– البصائر :

تعتبر البصائر – لسان حال جمعية العلماء – و ليست ملكا شخصيا من أهم الجرائد التي عبرت عن التوجهات الثقافية للجمعية و عبرت كذلك عن مواقف الاتجاه الإصلاحية سواء تجاه الإدارة الفرنسية الاتجاهات الوطنية ، كما نود الإشارة إلى دور الشهاب المدرسة في ظهور الأقلام الصحفية البارعة للجمعية و التمهيد بتناول مختلف القضايا المتعلقة بواقع الجزائر بالنقد و التحليل بكل جرأة و قد ظهرت مجموعة كبيرة كان على رأسها ابن باديس ، محمد البشير الإبراهيمي ، احمد توفيق المدني ، مبارك الميلي و الطيب العقبي ، ومحمد العيد آل خليفة حيث يرى علي مرّاد بأن هؤلاء [1] :<< الذين كان جلهم مشهورين بالاسم فقط ، قد لعبوا أدوار مختلفة جدا ووظائف متميزة للغاية في صلب مدرسة الشهاب و قد خدمت مواهبهم المتنوعة القضية الإصلاحية وفق طرائق تعبير مختلفة ، فقد كان بينهم العقائدي الرصين و الخطيب المصقع و السجالي المتحمس و الشاعر الملتزم و الصحافي >> ، فنظن بأن ابن باديس رغم شجاعته و جرأته النابعة من أوجه الإصلاحية (الدعوة) لم يكن له الفضل المنفرد في نجاح الشهاب و البصائر فلولا دعم العلماء المصلحين له لما استطاع ترسيخ أقدام الحركة الإصلاحية و توسيعها و فتح جبهات إصلاح ومواجهة عديدة .

آمنت جمعية العلماء المسلمين بأنه من وسائل نشر العلم في الجزائر في الغالب ثلاثة :**المدارس والجمعيات والصحافة** ، هذه الأخيرة التي كانت من أهم ركائز نشاطها بالنظر إلى الوضعية الثقافية والسياسية التي فرضت على الجزائر و لانجدها هنا وصفا لحالة الصحافة العربية أحسن وأبلغ مما عبر عنه الفضيل الورثيلاني في محاضرة ألقاها في المؤتمر الدولي للكتاب الأحرار [2] :<< أما الصحافة في الجزائر أيها السادة فلم تتمتع بجزء من حرية هذا القرن الزاهر سيما العربية منها فهذه الأخيرة مقيدة بقيود أحكم و أضغط من ذات السجون و يمكن أن تدركوا ذلك بسهولة إذا علمتم أن مجرد جرة قلم من الوالي العام

[1]– مراد : المرجع السابق ، ص 101 .

[2]– الفضيل الورثلاني : **محاضرة قيمة في المؤتمر الدولي للكتاب الأحرار** ، **البصائر** ، **السنة الثالثة** ، **العدد 101** ،25 فيفري 1938. أنظر الملحق رقم -9-

يعرضها على وزير الداخلية على سبيل التبرك ، ينسف بها أي صحيفة نسفا من دون محاكمة و لا أدنى استفسار >>.

وقد اتخذت من الآية الكريمة شعارا لها [1] :**<< قد جاء كم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمي فعليها وما أنا عليكم بحفيظ>> صدق الله العظيم** ، كما لاحظنا على الجريدة ايرادها عبارة "" **جريدة دينية** "" لتأثرها في بدايتها بالشهاب ثم لاحظنا بعد 1936 م إلغائها .

تعتبر البصائر نتيجة المحاولات الصحفية الإصلاحية حيث جمعت في مميزاتها الإصلاح و السياسية و الثقافية و الدين، وكانت منبرا حرا لإنتاج العلماء و المصلحين وواكبوا من خلالها مختلف القضايا في ذلك الوقت التي تعني بالواقع الجزائري، كما ردوا من خلالها على المشاريع الفرنسية و ادعاءاتها من جهة وعلى الطرفين من جهة أخرى ، كما لم تخلوا من الإبداع الأدبي و الشعري و الثقافي، هذا و قد صدرت في سلسلتين السلسلة الأولى تمتد ما بين 1935 إلى 1939 وكان الشيخ محمد خير الدين ، صاحب الامتياز فيها و رئيس تحريرها الشيخ الطيب العقبي أما السلسلة الثانية فصدرت ما بين 1947 – 1956 م و كان الشيخ البشير الإبراهيمي صاحب الامتياز فيها ورئيس تحريرها و يعتبر الشيخ عبد الحميد بن باديس – حتى وفاته – وثم الطيب العقبي و مبارك الميلي و الإبراهيمي ، احمد توفيق المدني أهم أقلام البصائر و يعتبر عبد المالك مرتاض جريدة البصائر [2] :<< أرقى صحيفة عربية ، ظهرت في وطننا حتى الآن من حيث الأناقة اللفظية و الروعة الأدبية>> ، و خليق بنا ملاحظة امتياز البصائر بأساليب راقية ولغة وسليمة ، وهذا ليس غريبا ما دام كتاب هذه الجمعية أغلبهم من خريجي جامع الزيتونة و الأزهر .

وعن المقالات و المواضيع المدرجة في أعداد البصائر السلسلة الأولى فهي تعالج مواضيع تدخل في إطار الحركة الإصلاحية ، وضمن أهداف جمعية العلماء كالتعليم العربي الإسلامي و التعليم الرسمي ، حرية المساجد و قضية فصل الدين عن الدولة كما انه كتبت حول الزوايا و هاجمتها و هاجمت أعداء الجمعية علاوة الإصلاح الديني .

---

[1]- **البصائر ،السنة الأولى ،العدد الأول ،27 ديسمبر 1935.**

[2]-مرتاض : المرجع السابق ،ص 112

من الطبيعي أن تعكس البصائر – لسان حال الجمعية- أهداف و غايات الجمعية من حفاظ على اللغة و الدين و التعليم في إطار الإصلاح، و هذا ما أكد عليه ابن باديس في مقال له بالبصائر جاء فيه :<< علم الناس كلهم أن غاية جمعية العلماء هي تعليم الناس أمر دينهم و تفقيههم فيه وتهذيبهم به و إصلاح ما فسد من شؤونهم العامة و الخاصة إصلاحا إسلاميا مستمدا من الكتاب و السنة و هدي صالح سلف الأمة بلسان هذا الدين الكريم ، اللسان العربي المبين إلى هذا دعت وفيه جاهدت ، ومن اجله والاها من والاها وعاداها من عاداها ومن جرائه هي تلقى الأذى و العنت و البلاء الشديد و يلقى خصومها الولاية و الرعاية و المدد و التاكيد ...>> ، كما دافعت البصائر بكل جرأة و علنية عن المقومات الشخصية و فضحت السياسة الفرنسية و مراميها في الجزائر القاضية بمحو التعليم العربي الإسلامي، و القضاء على رجال الدين المسلمين و التي توجت بقرار 8 مارس 1938 و قد لخصت البصائر منه السياسة:<< (...) ذنب عظيم هذا الذي يفسد الخطة الاستعمارية المرسومة التي ترمي إلى محو تعاليم الإسلام، و تعطيل اللسان العربي الذي عاش في هذا الوطن طيلة هذه القرون ، تلك الخطة الماكرة التي كان من بوادرها الظهير البربري في بلاد المغرب و التكثير من مراكز التبشير بالمسحية في بلاد القبائل و إبدال أحكام الإسلام ، عندهم وهو مسلمون بالقوانين الوضعية و العوائد العرفية ، حتى في الأحوال الشخصية >>.

كما وقفت هذه الجريدة مواقف مشرفة دفاعا عن التعليم العربي الإسلامي ومن ذلك اهتمام الجمعية في حد ذاتها بالتعليم العربي الإسلامي الذي هو رمز من رموز الأمة فإذا ما انقرض ، انقرضت معه الأمة فلم يقتصر نشاط الجمعية على تدشين أعلامها للمدارس و المساجد عبر القطر الجزائري ،بل هيأت لهذه النشاطات بعناية كبيرة في جرائدها ، فقد حوت البصائر عديدا من المقالات المنوهة بالتعليم و نادت من خلالها الجزائريين للدفاع عن دينهم الإسلام و لغتهم العربية [1] :<< في هذا العصر شاع فيه العلم بين سائر الأمم و أصبح حقا طبيعيا لكل إنسان كيفما كان جنسه ، ولونه أن يطالب بنصيبه في العلم لتكمل بذلك إنسانيته و تتهذب طباعه فيؤدي وظيفته في هذه الحياة كعضو نافع غير ضار (...) في هذا العصر الذي يسمونه عصر الثورة و المدنية (...) توصد المدارس الأهلية الدينية (...)، و نعلن لكافة المعلمين و

[1]- عبد الحميد ابن باديس:" **الزوايا و غاياتها**"، **البصائر، السنة 14، العدد 148 ،13 جانفي 1939**

الجمعيات الدينية أن يدافعوا لدى المحاكم الابتدائية و المحاكم العليا عن حقهم الذي خوله لهم القانون ، حيث يرجع الحق إلى نصابه ...>> كما وجهت الجريدة انتقادات لاذعة للمدارس الحكومية التي قالت عنها بعض الجرائد بأن لها الفضل في ازدهار اللغة العربية راعية خريجي هذه المدارس في برامج تعليمها ، وذلك ليشغلوا خاصة الوظائف الشرعية الإسلامية [1] .

كما شجعت من جهة أخرى الوقوف ضد القوانين الفرنسية القاضية بإيقاف التعليم العربي و الحد منه أن لو تطلب الأمر الدفاع عنه في المحاكم ، باسم الحق المخول لهم قانونا كما طالبت الجمعية بتطبيق القوانين المتعلقة بحرية الدين و فصله عن السياسة حسب المواد القانونية التي نصت عليها الإدارة الفرنسية كما شددت البصائر معلنة :

[2]<< و نستطيع أن نقول بكل صراحة أن جميع المكاتب القرآنية في القطر الجزائري ما هي أماكن متواضعة أنشأت بقصد تعليم القرآن و بعض قواعد أولية لديانة الإسلامية، فهي جديرة بن يطبق عليها قانون فصل الدين عن الدولة المذكور، و تعفى من طلب الترخيص و الإعانات احتراما لهذا الدين ورجاله و إبقاء للسمعة الحسنة التي تتمتع بها الأمة الفرنسية في العالم الإسلامي ...>> ،مطالبين و بإصرار الإدارة الفرنسية [3] << أن تتركنا أحرارا في ديننا نتعلمه وننشره كما نريد نحن لا كما تريد هي أسوة لجيراننا من المسحيين و الاسرائليين ...>> فالجزائر خلاف لبقية الدول الإسلامية (تونس و المغرب) لا تتمتع بأية حرية دينية [4] :<< فهل يوجد في الدنيا بلد كهذا البلد تقطنه أمة تدين بالإسلام، ولا رأي لها في تعلمه أو في تعليمه أو الإشراف على سيره و لها شخصية إسلامية معترف بها رسميا، و لكنها تنقصت من أطرافها فلم يبق منها إلا اسم الشخصية أو ماتلوكه الألسنة من الألفاظ وما يتراءى للناظر... إنها لتذهب نفسك حسرات على مصير الإسلام في هذه الديار، ثم يمتلك العجب من بقاء هذا القدر الضئيل من مظاهره في بلده حاله كما ترى ...>> .

[1]- محمد خير الدين :"**التعليم العربي الاسلامي بالجزائر**"،البصائر ،العدد 115 ،27ماي 1938 .

[2]- محمد خير الدين :" **على هامش التعليم الرسمي**" ، البصائر ، العدد 126 ، 12 أوت 1938.

[3]- محمد خير الدين :" **التعليم الاسلامي** "، البصائر ، العدد 118 ، 17 جوان 1938

[4]- محمد خير الدين :"**هل في الجزائر حرية دينية** "، البصائر ، العدد 120، 1 جويلية 1938.

و رغم هذه الصعوبات إلا أن البصائر أثنت على أعمال جمعية العلماء و جهودها في سبيل الدفاع عن المقومات الشخصية و الرموز الثقافية الجزائرية [1] :<< اللهم فاشهد فقد دعت جمعية العلماء إلى الدين و سعت في تبليغ سنة سيد المرسلين ، فإن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم و إن أسأتم فعليها (...) فأعينوهم رحمكم الله على الدعوة إلى الدين و إصلاح الأمة و قاوموا الذين يصدون عن سبيل الله ، ويبغونها عوجا ، فقد هدموا السنة >> ، كما وجهت الجمعية باسم ابن باديس نداء إلى شيخ الأزهر لتأسيس مجلس إسلامي أعلى في سبيل الثقافة الإسلامية، هذا المجلس الذي يعمل على تقوية الروابط بين المسلمين و تبسيط الدين لهم و يقرب وجهات النظر بين الطوائف الإسلامية [2] .

لم يكن صراع صحافة جمعية العلماء فقط ضد الإدارة الفرنسية الاستعمارية ،لكنه موجه ضد خطرا أكبر وهو الجمعية الطرقية (الطرقيون) و رجال الزوايا المنحرفين عن جادة الصواب، و الذين هاجموا الجمعية و رجالاتها ووصل بهم الحد إلى محاول اغتيال ابن باديس سنة 1926، و لكن ابن باديس لم يقصر في الرد عليهم حيث كتب مقالا في البصائر بعنوان **الزوايا و غاياتها** فضح فيها أهداف الزوايا و نواياها مقتبسة من الفصل الثامن من قانونهم قائلا [3] :<< غاية هذه الجمعية هي أولا المحافظة على نفوذ الزوايا و الطرق وعلى سحرتها و سمعتها ومكانتها (...) ، النفوذ ، الشهرة ، السمعة و المكانة ، فهل ابقوا من مظاهر السلطان و السيادة و الكبرياء و العظمة و الاستيلاء شيئا ؟.

هذه هي غايتهم أن يبقوا سادة على الناس و يبقى الناس مستعبدين لهم (...) فهذه التي أخرجت رؤساء الزوايا من جمعية العلماء بعد أن كانوا من المؤسسين لها، و الواضعين لقانونها الأساسي الباقي إلى يوم و بعد ما قضوا عامها الأول في عضويتها وهي التي باعدت بينهم و بين العاملين لنفوذ الإسلام و شهرة الإسلام و سمعة ومكانة الإسلام لغيره من الأفراد و الجماعات كائنا من كان ذلك الفرد و كائنة من كانت تلك الجماعة ...>> .

[1]- عبد العزيز الهاشمي : **"في وفد الجمعية بالجنوب"** ، البصائر ، العدد 95 ، 14 جانفي 1938 .

[2]- **البصائر** : **العدد 126** ، المصدر السابق .

[3]- ابن باديس : **الزوايا وغاياتها** ، البصائر ، المصدر السابق .

إلى جانب ابن باديس دافع بقية العلماء المصلحين بأقلامهم ضد الطرفيين في جريدة البصائر وكان دفاعهم قويا للإسلام ، ومن بين من كتب عنهم محمد خير الدين [1] :<<إنني أعلن صراحة أن هذه الزوايا لم تفعل في سبيل الإسلام شيئا يذكر فيشكر ، وإن فعلت فهو شيء طفيف لا يساوى فتيلا بالنسبة لما أخذته من المسلمين من أموال وماتمتعت به من الحظوة و التقدير الذي لا حد له >>.

أما رد الطرقين فكان بواسطة كاتب مجهول بعبارات السب و الشتم من جهة و تمجيد الزوايا من جهة ثانية فكتب [2] :<< لم يكن في الحسبان أن نخصص وقتا من أوقاتي العامرة لمنازلة الكويتب الجبان و أن أسدد سهام انتقاداتي الصائبة نحو قلبه النجس ، لولا أنه شوه وجه الحقيقة و صور القضية في غير صورتها و ألبسها غير حلتها وجاء شيئا فريا ، فأخذ بنعت الزوايا و رؤسائها ومريديها المعتكفين فيها إلى العبادة و الأذكار و التعليم بنعوت لا تتفق مع الكرامة (...) و ليس على خير الدين بعد الخطأ ، فهو المذبذب الذي لا غاية له و لا مبدأ و لا ثبات إلا الجري وراء مصلحته الشخصية (...) >> كما رد الطرقيون على لسان المراقب العام للجمعية الطرقية بقسنطينة على شكاوي الجمعية بخصوص قمع التعليم العربي و عرقلته ، إثر المقال الذي اعتمدنا عليه سابقا لمحمد خير الدين و المنشور في البصائر العدد 26 حول التعليم الرسمي فكان رد الطرقين [3]:<<كتب خير الدين مراقب جماعة "" الميعاد العصري "" مقالا طويلا العدد 126 من البصائر حول التعليم الرسمي (...) نقول لحضرة المراقب و شيعته أن هؤلاء العلماء الأعلام الذين نوهت بعلومهم على صفحات جريدتكم التي هي لسان حالكم، و ذكرت مالهم من أيادي بيضاء على أبناء الجزائر من جهة تعليمهم علوم دينهم ولغتهم (...) هل كانوا مع علمهم و فضلهم كما شهدت لهم بذلك خونة (...) >>.

عانت جريدة البصائر في فترة الحرب العالمية الثانية (1939-1945) من صعوبات كثيرة فقد توفي ابن باديس و انتقلت الرئاسة إلى البشير الإبراهيمي، كما تعرضت لشلل في نشاطها و ذلك سبب تجميد نشاط الجمعية وفق المرسوم الذي صدر في 27 أوت 1939 القاضي بمصادرة جميع الجرائد التي

[1]- محمد خير الدين : **الحقيقة و التاريخ ، في الزوايا** ، البصائر ، العدد 124 ، 29 جويلية 1938.

[2]- مؤرخ :" **للحقيقة والتاريخ في الزوايا**" ، النجاح العدد 2170 ، 3 اوت 1938.

[3]- المراقب العام للجمعية الطرقية بقسنطينة :" **شرذيمة البصائر تعترف بالطرق و رجالها الاعلام**" ، النجاح ، العدد 2178 ، 24 اوت 1938 .

تتعرض إلى قضايا الأمن الوطني [1] ، كما أوعز الدكتور عبد الكريم بوصفصاف حركة الركود في الصحف إلى أسباب أخرى حيث يقول [2] :<< وقد يعود هذا الركود في حركة الصحف إلى أسباب الحرب، ذلك أن قادة الجمعية قد اختاروا السكوت والحياد الايجابي لان فرنسا كانت في حاجة إلى تأييد العلماء في حربها مع الألمان، حتى تظهر للعالم أن شعوب المستعمرات الخاضعة لها تساندها ماديا ومعنويا وهذا ما كان ابن باديس و الأغلبية الساحقة من أعضاء المجلس الإداري للجمعية قد رفضوه في اجتماع **1938** م ، حيث أعلن ابن باديس بأنه لن يوافق على إرسال برقية التأييد إلى الحكومة و لو قطعت رأسه>> .

و بعد الحرب العالمية الثانية انطلقت **جريدة البصائر في سلسلتها الثانية** (**1947**) و استأنفت الجمعية نشاطها برئاسة الإبراهيمي الذي أعطى دفعا قويا و جديدا للجمعية و أبدع بقلمه و تسييره سواء للجمعية أو لجريدة البصائر و قد كتب في أول عدد من جريدة البصائر من السلسلة الثانية [3] :<< جريدة البصائر هي أحد الألسنة الأربعة الصامتة لجمعية العلماء ، تلك الألسنة التي كانت تفيض بالحكمة الإلهية، المستمدة من كلام الله وكلام رسوله و التي كانت ترمي بالشرر على المبطلين و المعطلين ، و كانت كلما أعتمد الظلم لسانا منها سل الحق لسانا لا ينثلم و لا ينبو و تلك هي السنة و الشريعة والصراط والبصائر>> .

و قد مجد الإبراهيمي مسيرة البصائر حيث وقف في مقالاته على دورها [4] :<< في القضايا الجزائرية وفي قضايا العروبة و الإسلام مواقف شريفة لم تقفها صحيفة عربية ولا أعجمية ، وقاومت الاستعمار بالتشنيع عليه وهتك أستاره و كشف سرائره و لم يثنها عن ذلك وقوع المكروه فضلا عن توقعه ، وكانت شجا في حلقه وغصة في لهاته و غيظا في صدره وخصما لا تلين قناته>>.

وقد عبرت البصائر الجديدة في عددها الأول عن الهدف الجديد لها :<< و اليوم وقد عادت جريدة الجمعية إلى الظهور وجب أن نحمل العدد الأول على وجه التذكير خلاصة من مطالب الجمعية التي هي

---

[1]– بوحوش : المرجع السابق ، ص 264 .

[2]– بوصفصاف : **جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقاتها** ، المرجع السابق ، ص 143.

[3]– **البصائر ، السلسلة الثانية ، العدد 1 ، 25 جويلية 1947.**

[4]– محمد البشير الابراهيمي : **اثار الامام محمدالبشير الابراهيمي ج 2 (1940–1952)**،جمع وتحقيق نجله الدكتور احمد طالب الابراهيمي ، دار الغرب الاسلامي ،بيروت ،1997 ،المصدر السابق ، ص 438.

مطالب الأمة العربية الجزائرية في أثر ما يعز عليها وهو دينها و لغتها >> ، وقد أجملت في عددها الأول أهم القضايا التي تستمر في الدفاع عنها وهي طبعا ما يتعلق بموضوعنا.

1- التعليم العربي :

عملت جمعية العلماء منذ تأسيسها على الاهتمام بالتعليم العربي و الحفاظ على اللغة العربية و القيم الإسلامية باعتبارها كلا متكاملا من أجل التعليم الديني و اللغة العربية [1] :<< هي لغة الإسلام الرسمية ، ثم فهي لغة المسلمين الدينية الرسمية (...) اللغة على الأمة الجزائرية حقان (...) حق من حيث أنها لغة دين الأمة بحكم أن الأمة مسلمة ، و حق أنها لغة جنسها بحكم أن الأمة عربية الجنسية ففي المحافظة عليها محافظة على الجنسية والدين معا ...>> ، ومن هذه الأهمية فإن جمعية العلماء المسلمين نادت في الحكومة الفرنسية باسم الأمة الجزائرية أن تلغى كل القرارات الدائرة المتعلقة بالتعليم العربي و استبدالها بقانون موحد عادل لا يكون من طرف واحد كالقرارات القديمة بل يكون للأمة رأي فيه و لجمعية العلماء اشتراك في وضعه ، كما أنها ترى في المحاولات الرامية لعرقلة التعليم العربي حرب ضد الإسلام و العربية وكان من بين لانجازات العلمية بناء معهد ابن باديس [2] : << للبصائر أن تفخر – في غير من – بما قدمته لمعهد عبد الحميد ابن باديس من خدمة له و تنويه بشأنه ، وتعد ذلك من أعمالها الصالحات لأنها تعتقد أن هذا المعهد هو المرحلة الثانية من مراحل النهضة العلمية ، التي بنى دعائمها رجال جمعية العلماء في عقد ونصف عقد من السنين>>.

2- الصحافة العربية :

وقد اعتبر محمد البشير الإبراهيمي ظهور البصائر نهضة صحفية في مسيرة الجمعية، و على مستوى الجرائد العربية في الشمال الإفريقي كما اعتبرها نموذجا فنيا راقيا، و قد لخص مواقف البصائر البطولية و الجريئة و الوطنية في نفس الوقت باعتبارها لسان حال الجمعية و ترجمان أفكارها وكل ما فيها من حسنات وما هي الأوضاع الشخصية عن المقومات .

[1]- **البصائر ، السلسلة الثانية ، العدد 1** ، المصدر السابق .

[2]- **" البصائر و معهد ابن باديس "** ، البصائر ، العدد41 ، 1948 .

3-قضية فصل الدين عن الدولة :

تجرأت البصائر في مقالاتها على فضح نوايا الاستعمار، و قد اعتادت هذه الشفافية منذ عهد ابن باديس و استمرت بعد الحرب العالمية الثانية في نفس التوجه، خاصة مع عناد الإدارة الفرنسية و رفض الانصياع لمطالب الأمة الجزائرية المتعلقة بحرية الدين الإسلامي وفصله عن السياسة و رفع القوانين الجائرة المتعلقة بهذا الجانب و قد عبرت البصائر في العدد الأول بأن [1] :<< فصل الدين عن الحكومة مبدأ جمهوري فرنسي و لكنه من أكذب المبادئ بالنسبة إلى دين الإسلام في الجزائر (...) ، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين باسم الأمة الجزائرية تريد بكل توكيد فصل الدين الإسلامي عن الحكومة (...) تريد الأمة فصل الدين عن الحكومة فصلا حقيقيا واقعيا لا مواربة فيه ولا تعمية ولا تضليل، و أن تنفض الحكومة يدها من الدين الإسلامي و تبرئ ذمتها من أوقافه فتسوى مع ممثلي الأمة الذين تختارهم هي لا الحكومة (...) أن الأمة أصبحت لا تثق بشيئ مما تمسه يد الحكومة من كل ما له علاقة بالدين ...>> كما أنها توضح جليا للإدارة الفرنسية بأن الأمة ليست بالغبية أو الواعية لسياسة فرنسا فقد أوضحت ذلك بأن [2]:<< هذه الحيل أصبحت مكشوفة و إنها شواهد على سوء النية و أن الأمة أصبحت على بينة من هذه المهازل و أن الأمة الإسلامية الجزائرية لا ترضى ببقاء الحالة على ما هي عليه، و لا ترضى بشيء من هذه الحلول التي تدبر في الظلام ولا يرضيها إلا فصل صريح تعلنه الحكومة في وضوح، وتترك المجال للأمة لتنظيم جمعياتها و تؤلف مجلسها الديني بحرية ثم تتقدم للمحاسبة و الاستسلام>> ، في خطاب ألقاه محمد خير الدين بمناسبة اجتماع الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحرية واحترامها بقسنطينة تطرق إلى قضية فصل الدين عن الدولة و قد اعتبر التدخل في شؤون الإسلام أشنع من الاستعمار حيث من جملة ما قاله [3] :<< لم يكتف بسلب ما بقي بأيدينا من الدنيا ، وطمس ما ترك الزمان لنا من معالم القومية بل تجاوزها إلى امتهان ديننا الإسلامي الحنيف، فانتزع أوقافه ومنع العلماء الأحرار من دروس الوعظ و الإرشاد في مساجدهم احتقارا منه لشعور المسلم و عدم مبالاة بعواطفهم الدينية (...) علينا جميعا أن نتعاون فإلى العمل و إلى الأمام >>.

[1]- **البصائر** ، **السلسلة 2** ، **العدد 1**، المصدر السابق .

[2]- نفسه.

[3]- **البصائر ،السلسلة 2، العدد 169 ، 10 سبتمبر 1951** .

4-المساجد :

أولت البصائر اهتماما كبيرا بالمسجد و الأوقاف باعتباره من الرموز الإسلامية و المساس بها معناه القضاء على الوجود المعنوي للإسلام ، فالمسجد لا يعدو كونه مكان للتعبد و إقامة الصلوات بل أن وظائفه تتصل اتصالا مكينا بالذاتية الإسلامية الجماعية و ذلك نابع من الدروس و المواعظ التي ترسل من خلاله إلى المجتمع الجزائري ،و الهدف منها غرس معاني القوة و الرجولة و التضحية و الفداء ونكران الذات و الذوبان في الفكرة العليا التي يعمل بها المسلم، و تبذل أقصى جهده كي تصبح فكرة عالمية تهيمن على العالم و تسيره و النتيجة تكون بعث جيل جديد واعي لوضعه التاريخي مدركا لضرورة حفاظه على شخصيته الإسلامية و الوطنية ليبقى [1] .

كما أنها استاءت ونددت بابتلاع أوقاف المسلمين و الاستيلاء على مساجدهم و إحالة بعضها إلى كنائس ومتاحف و مستودعات ، حيث تغيرت وضعية ووظيفة المسجد وخرج التصرف فيها من أيدي المسلمين إلى الحكومة الفرنسية و قد طالبت بضرورة تسليم المساجد تسليما مطلقا للمسلمين الجزائريين بدون تدخل من الإدارة، فلا تتدخل في تعيين الأئمة ولا في تكوين الجمعيات و لا في رئاستها ، واخطر ما في ذلك [2] :<< اختيار هيأة من دون استشارة الأمة ولا رضاها و أن أقرب هذه المناورات الحركة القائمة لتأسيس جمعيات دينية من الموظفين الرسميين و الأشخاص الحكوميين الذين لا تثق بهم الأمة و لا تطمئن إليهم في دينها ولا في دنياها، إن الأمة الإسلامية ترى أن المساجد و الأوقاف هما مسألة واحدة لا يمكن الفصل بينهما كالشخص وظله، و أن الأمة لا ترضى أن تستلم مساجدها فقيرة عرينة و لا ترضى أن يتولى المفاوضة عنها شخص و لا هيأة تختارها الحكومة و لا جمعيات دينية تكونها الحكومة >>.

كما أنها رفضت القرار الذي سنته فرنسا في نوفمبر 1944 و القاضي بإباحة مزاحمة المحاكم الفرنسية للمحاكم الإسلامية في دائرة نفوذها، و ما هذا القرار سوى تكملة لسياسة محاربة الدين عن طريق التطبيق على القضاء الإسلامي الذي تعتبره البصائر أكبر منصب بعد الإمامة العظمى وهو روح الدين [3].

[1]- محمد شرفة الاكحل :" **المسجد بين عصر الجمود و الانبعاث**" ، البصائر ، السلسلة 2 ، العدد 343 ، 2 ديسمبر 1955.

[2]- **البصائر** ، **السلسلة 2** ، **العدد 1** ، المصدر السابق .

[3]- حمزة بوكوشة : **القضاء الاسلامي بالجزائر** ، البصائر ، السلسلة 2 ، العدد 1 ، المصدر السابق.

5– النوادي و الجمعيات :

تعتبر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين النوادي الإسلامية التي تؤسسها أو تشرف عليها ما هي إلا حلقة ربط بين المدرسة و الجامع و تبرير ذلك:<< أن هناك طائفة عظيمة من شباب الأمة لا تجد الجمعية وسيلة لتبليغه دعوة الدين والعلم إلا في تلك النوادي ، وأن وضعية النوادي تعتمد على دخل مالي خاص من المشروبات المباحة التي تباع فيه ، فكان من حلقات تلك السلسلة الموضوعية لتطويق التعليم العربي من جميع نواحيه>> ، غير أن حركة تأسيس النوادي أزعجت كثيرا الإدارة الفرنسية فسارعت إلى تطويقها عن طريق سن قانون يمنع بيع المشروبات المباحة في النوادي و قد أرخ هذا القرار في 20 جانفي 1938م، و قد ردت البصائر على هذا القرار في أعدادها موضحة أن هدفه هو غلق النوادي الإسلامية لان الإدارة تعي أنها ليست محلات اجتماع عادية بل هي ملجأ لكل القائمين بالحركة فتلقى فيها المحاضرات و الدروس و تؤسس من خلالها الجمعيات ، ولهذا دافعت البصائر عن النوادي و الجمعيات لأنها وجه من وجوه نشاطها للدفاع عن المقومات الشخصية الوطنية و تربية جيل واع من شأنه أن يواجه الاستعمار، و رغم ذلك بقيت البصائر تتابع فتح النوادي و الجمعيات من طرف الجمعية[1] .

6– الاهتمام بقضايا المجتمع :

يعتبر المجتمع محور العملية الإصلاحية باعتباره الفاعل الذي سيقود العملية التغيريه مستقبلا (وعي بالإصلاح /ثورة) ،لهذا فقد أولت اهتماما بشرائحه المختلفة و ركزت البصائر على فئة الشباب لأنه النشء الجديد المعول عليه، و قد كانت من خلال مقالاتها كمثال الأب المرشد الناصح تدعوه إلى دينه و الدفاع عن لغته ومعرفة تاريخه و الحفاظ على خصائصه الحضارية ،و أن يزاحم و يماثل الأجنبي في العلم و العمل و لا يكون مثالا للصورة التي رسمها له الاستعمار خاملا عابثا متخلفا ،وان يكون مثالا يحتذى به على حد قول **للشاعر أحمد شوقي** [2] :

هل علمتم أمة في جهلها ظهرت في المجد حسناء الرداء

[1]- حول الجمعيات التابعة لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، انظر الملحق رقم -10-

[2]– الابراهيمي : ج2 ، المصدر السابق ، ص 439.

باطن الأمة من ظاهرها　　　إنما السائل من لون الاناء

فخذوا العلم على أعلامه　　　و اطلبوا الحكمة عند الحكماء

و احكموا الدنيا بسلطان فما　　　خلقت نضرتها للضعفاء

و اقرؤوا تاريخكم و احتفظوا　　　بفصيح جاءكم من فصحاء

كما اهتمت بالمرأة الجزائرية ، فهي ترى فيها صورة المرأة المتحضرة المعاصرة المثقفة و المتعلمة فهي جزء مهم في المجتمع ،وما لاحظناه هو دخول المرأة لعالم الصحافة في جمعية العلماء و كتابتها للمقالات الصحفية حول المرأة في حد ذاتها داعية إياها لتؤدي دورها في الحياة فمثلا وجدنا مقالا حول وظيفة المرأة في الحياة "" **للعالية لعلى بوعلي**"" ، فقد خصصت الحديث للمرأة الجزائرية لتفيق من سباتها و تؤوب لرشدها [1] : << ...وتعلم أنها امرأة من الجزائر و إلى الجزائر ، لا يحق لها أن تهمل مسؤولياتها وتفقد شخصيتها و ترضى بأن تبقى مجهولة الأصل (...) ولتساهمي بأفكارك لإنقاذ وطنك من براثن الذئاب (...) و كوني كأسماء بنت أبي بكر وهند بنت عتبة ... ليصحن في وجه كل مجاهد يريد أن يرجع القهقري و يفر من ساحة الوغى ...>>، كما بين هذا المقال من البصائر مستوى وعي المرأة المتعلمة في مدارس الجمعية و المستوى الثقافي و العلمي الذي كتب به المقال، كما عثرنا على مقال آخر ونحن نتصفح البصائر و لمسنا فيه رفعة أدبية و تعبيرا واعيا حول الفتاة الجزائرية في الماضي ووضعيتها في الفتوة الحديثة ، داعية المرأة الجزائرية للتعلم و المضي قدما [2] : << فالفتاة الجزائرية تتعلم القراءة و الكتابة و لكنها لا تجد أمامها الميدان الفسيح الذي تدرج فيه إلى أن تبلغ درجة الخطيبة أو الكاتبة>>.

وتعتبر الكاتبة **زهور ونيسي** – تلميذة جمعية العلماء المسلمين– في مقال لها بالبصائر أن الفتاة هي الركن الوحيد الذي يقول عليه في إنشاء جيل يتبع أخلاق الكتاب و الحديث ، فهي تأمل في الفتيات [3]

---

[1]– العالية لعلى بوعلي : "**وظيفة المرأة في الحياة**" ، البصائر ، السلسلة 2 ، العدد 343، المصدر السابق .

[2]– مليكة بن عامر :"**رسالة إلى روح فتاة**" ، البصائر ، السلسلة 2 ، العدد 276 ، 25 جوان 1954 .

[3]– زهور ونيسي :" **فائدة العلم العمل**" ، البصائر ، السلسلة 2 ، العدد 303 ، 28 جانفي 55.

:<< مداواة أدواتهن ومعالجة أمراض مجتمعهن فهن نور بنات جنسهن الضئيل في هذه البلاد الفاقدة لنور الحياة >>.

هذا وقد استمرت جريدة البصائر في الدفاع عن مقومات الشخصية الوطنية و تأكيد اعتبار الدين الإسلامي و العروبة أساس الشخصية رغم اندلا ع الثورة التحريرية .

جريدة الدفاع : « La défense »

وهي جريدة إصلاحية ناقدة أسسها الأمين العمودي في 1934 م تصدر كل يوم جمعة باللغة الفرنسية ودامت 5 سنوات، للدفاع عن التيار الإصلاحي وقامت بفضح النوايا الاستعمارية للشعب الجزائري ، وقد عرفها محمد الطاهر فضلاء أنها [1] :<< جريدة تكتب بالفرنسية مقالاتها الوطنية الصادقة و العمودي بها هو ذلك القلم السيال المناضل الذي هو مرتبط بعقيدة الوطن الإلهية و بالمبادئ القومية>> ، فإلى جانب كونها جريدة حرة تعتني بآراء النخبة المسلمة و الصديقة للأهالي ، حرصت على أن تكون جريدة إخبارية تتابع نشاطات جمعية العلماء المسلمين و قد نشرت العديد من المقالات المترجمة عن شيوخ الجمعية و عرفت بالنشاط الإصلاحي و شخصياتها ، لهذا فقد اعتبرنا الدفاع من بين الجرائد التابعة لجمعية العلماء فالأمين العمودي كان قريبا من جمعية العلماء حيث عينه ابن باديس منذ الاجتماع الأول كاتبا عاما للجمعية، و يدل هذا على الثقة المودعة فيه إضافة إلى كونه خريج المدرسة الفرنسية الإسلامية.

كما عرف الأمين العمودي مؤسس جريدة الدفاع من الكتاب النشطاء في جرائد الجمعية فقد كتب مقالات سياسية نقدية كما دافع كثيرا عن الجمعية ، (المنتقد ، الشهاب ، الإصلاح) ، كما أن العمودي لم يكن يفصل مصير الإسلام عن مصير البلاد و الجزائريين و كتب العمودي مواضيع بالغة الأهمية ، لم تكن مطروقة في الصحافة الإصلاحية خاصة قبل المؤتمر الإسلامي الأول [2] ، كما ساندت الدفاع جمعية العلماء في الوقوف ضد الطرقية و تبنت تحالفها مع (الطرقية) مع الاستعمار لإجهاض المشروع

---

[1]– محمد الطاهر فضلاء :" **محمد الامين لعمودي الكاتب الشاعر الاديب و الخطيب السياسي البارع**" ، الندوة الفكرية الثالثة ، الوادي ، ماي 1990، ص21.

[2]- Haddad :op-cit, p p 169/170.

الإصلاحي [1] :<< في سنة 1932 أوعزت تلك الإدارة لشيخ ذو شهرة ممقوتة من مشايخ المدرسة الرسمية، و عهدت إليه بإلقاء خطاب لا نظير له لشدته و لا مثيل لخبثه فألقاه فعلا في إحدى المآدب، و أبدي فيه هذه الفكرة الغريبة و هي أن العلماء يجب أن يكرسوا أوقاتهم كلها على الصلاة و تلاوة المصحف الشريف >>، إضافة إلى مقالات عديدة تتعلق بالمسألة الطرقية شارحا فيها مساهمة الطرقية في بناء و سقوط الدولة الجزائرية ، لكنها انحرفت عن مبادئ الإسلام الصحيحة ، إلى غاية فترة العشرينات و الثلاثينات [2] .

كما كتبت الدفاع عن التعليم ورفض سياسة التبشير و تشويه الشخصية الوطنية [3] :<< إننا نعمل و ندعو إلى التمسك بالشعائر الدينية و لتعلم الإدارة إن جميع المسلمين يتحلون باحترام مساجدهم >>.

– مجلة الشاب المسلم: Le jeune musulman :

ذكرنا مسبقا في الفصل الأول المتعلق بالمرجعيات الثقافية أن هذا الاتجاه داخل جمعية العلماء وهم في مجموعهم شباب تخرجوا من مدارس الجمعية أو تلقوا تعليمهم في أوروبا، فقد كانت مجلة الشاب المسلم تعبيرا عن ثورة فكرية نابعة من المرجعية الإسلامية لكنها أكثر حداثة و عصرنة ، مقارنة بالاتجاه العتيد للجمعية ، فهم يرون أن الجمعية محافظة على النمط الثقافي التقليدي .

تعكس هذه لجريدة أفكار و اعتقادات هؤلاء المثقفين المسلمين الإصلاحيين حيث ظهرت للوجود في 1953/1952 ،و لم يكن محرروها فقط من المغتربين بل ضمت الكثير من المفرنسين ذوي المرجعية الإسلامية و كتب فيها الشيوعيون (أوزقان) ، في حين أن الدكتور رابح لونيسي [4] يرى بأنها مجلة نابعة في الأصل من شباب المؤتمر الإسلامي، الذي أسسه لمين العمودي في 1936 ، أما رئيس تحريرها فهو أحمد طالب الإبراهيمي، و قد تفتحت المجلة على توجهات أخرى كمحاولة الإعطاء دفع تنويري ، كما أنه يرى

---

[1] –**la défence n 137**, **19 fev 1937**.

[2]– حول المقالات التي حررها العمودي عن الطرقية عد إلى الاعداد التالية :

La defence n14,27 avril 1934 /. n16 , 11 mai 1934/ . n17 , 18 mai 1934/ .n 20, 08 mai 1934 .

[3] – **LA Defence n 7**, **09 mars 1937**.

[4]– رابح لونيسي : المرجع السابق ، ص 95.

بأن هذا الاتجاه المحدث أعطى دفعا قويا بأفكاره المتفتحة على أفكار لغرب و المتماشية مع العصر ، و المتصفح لأعداد المجلة يلاحظ مقالات ممضاة من طرف مصطفى الاشرف و محند الشريف ساحلي ، و في العدد الأول أعد أحمد توفيق المدني افتتاحيته و يعتبر من الشخصيات القريبة لفكر بهؤلاء و قد تحدث في افتتاحيته عن موضوع عقلانية الإسلام [1] ، كما اهتمت المجلة بنقل مقالات علمية و ثقافية خارج الجزائر كترجمة مقالات عن السيد قطب في أعداد (أجزاء) [2] .

[1] -**le jeune musulman** , **n 1** , **6 juin 1952**.

[2] - **le jeune musulman** , **n 16** , **27 fev 1953**. : انظر مثلا

المبحث الرابع : الكتابة التاريخية و الهوية .

1- الهوية في الخطاب الباديسي .

إن دفاع جمعية العلماء المسلمين عن الهوية ما هو إلا نقيض للآخر الاستعماري الفرنسي الذي أراد فرض هوية جديدة في اطار صدمة الهوية التي ولدها الاستعمار ، ومجتمع جديد في اطار سياسة النزع الثقافي لهذا نجد بأن ابن باديس يميز بشكل دقيق بين مفهومين الدولة / الأمة ، حيث أنه يمكن أن تكون هناك أمة إلا أنها تملك دولتها إما نتيجة احتلالها أو أن تكون مندمجة مع أمم أخرى في دولة واحدة و أن ما يميز أمة عن أمة أخرى حتى و لو انتمت الأمتان إلى دولة واحدة ، هو وجود ثلاث عوامل : اللغة ، العقيدة ، التاريخ ، وهذا انطلاقا من فرضه مفهوم التمايز بين الأمة الجزائرية و الأمة الفرنسية [1].

1/ مفهوم الأمة عند العلماء :

قد حدد" Gabriel Esquer " مفهوم الأمة عند ابن باديس قائلا [2]:<< إن ما يكون أمة بالنسبة لابن باديس فهو الدين و اللغة و الاعتزاز بالماضي ، مادام أي الشعب لم يضيعها ، فهو حي حتى و إن كان مستعبدا ،...، وهو لا يقبل سوى بلغة واحدة عربية القرآن ، وفي النهاية يوقظ ذاكرة الماضي ...>> أن هذه العناصر التي حددها ابن باديس كمقومات ثابتة للهوية تجسدت في شعاره: (الإسلام ديننا ، العربية لغتنا ، الجزائر وطننا) ، هي جهود في إطار الدفاع عن الهوية الوطنية و التمسك بوجودها ضد المشاريع الفرنسية الرامية إلى استئصال الدين و قلب اللسان العربي ثم محو وطن اسمه الجزائر ، و بالتالي فإن هذه التركيبة الثلاثية متكاملة لايمكن فصل عنصر عن الآخر فالحديث عن عنصر يفضي بالضرورة إلى الحديث عن العناصر الاخرى فهي حسب عامر بغدادي تعبر عن كل مترابط في نسق حي متفاعل يجسد مفهوم الوحدة في اطار التنوع و تبرز في الوقت نفسه الزخم الحضاري الذي ميز المجتمع الجزائري على مر العصور وطبع تاريخه الزاخر بالمحطات الفاصلة التي شكلت نقاط ارتكاز قوية و نقلات كبرى في مسيرته ، والترابط بين تلك المكونات ، جنبها التلاشي و الاندثار [3] .

---

[1]- لونيسي : المرجع السابق ،ص 335.

[2] -Gabriel Esquer : **histoire de l(algérie (1830-1960)** , presses universitaires de France , paris 1960, p 64.

[3]- عامر بغدادي : **المكون العربي الاسلامي في الهوية الجزائرية** ،كنوز الحكمة ، للنشر و التوزيع ، الجزائر 2014، ص 30.

تولى العلماء المصلحون برئاسة ابن باديس مهمة تعريف الأمة الجزائرية وتصور هويتها ، ويرى محمد الكوفي بان العلماء قد لخصوا عناصر الهوية في عنصرين أساسين وهما الدين الإسلامي في مواجهة النموذج الثقافي الغربي و اللغة العربية في مواجهة لغة الاستعمار الفرنسية ، كما أن العلماء تصوروا الدولة الجزائرية الجديدة على أنها أمة إسلامية مكونة من أفراد يتجهون نحو العمل الجماعي ، ومتحررون من الروابط القبلية و الولاءات المبنية على النسب ، بذلك صنع العلماء وطنية لاتنفصل عن الإسلام وهو نفس التصور الذي ستعرف به جميع الحركات الوطنية في البلدان المغاربية بلا استثناء [1] .

غير أن هذا التعريف العلمائي للأمة لا يتوافق مع بعض التعريفات لشخصيات أخرى فمحمد عابد الجابري وهو أحد منظري القومية العربية يقرأ أ,لا بتعقيد مسألة الهوية وموقع الانتماء الديني فيها ، فهو يحذف الانتماء الديني مبرر ذلك بقوله [2] :<< أما الدين و الإسلام بصفة خاصة باعتباره دين الاغلبية فمع أنه مقوم أساسي للعقل الثقافي و الاطار الحضاري الذين يتحدد بهما مفهوم الأمة العربية ، فإنه أعم منهما لكونه يدخل أيضا كمقوم على هذه الدرجة من الاهمية أو تلك ، كقول و أطر حضارية أخرى...>>.

2- مقومات الهوية في فكر عبد الحميد بن باديس :

يرد الحديث حول الإسلام عند الامام عبد الحميد ابن باديس على وجهين أحدهما معينا بصفة أساسية بتوضيح العقيدة الإسلامية وشرح أبعادها الروحية ، والحض على التمسك بالفضائل الاخلاقية كما بينها القرآن والسنة النبوية و الافتاء في كل ما يتعلق بالمسائل التي يسأل عنها الناس ، و هذه كلها جوانب هامة تدخل في صميم المشروع الإصلاحي الباديسي ، اما ثانيهما فيتعلق بالإصلاح الديني بالمعنى الشامل للعبارة أي ذلك تغطي دلالته أيضا وبصفة لافتة الابعاد السياسية ذات المضامين الوطنية الصريحة وهو الذي كان الغاية الاولى لمهمة الكبرى التي وهبها الشيخ حياته كلها قبل تأسيس الجمعية وبعده ، وهذا الوجه يعني في فكره تعميق وعي الأمة بالمقومات الحضارية و الثقافية للاسلام ودوره بوصفه المشترك الاعظم لجميع عناصرها عبر الحقب و العصور في حفظ الكيان الجزائري من التدمير الذي يتعرض له والحفاظ على

[1]- الكوخي : المرجع السابق ، ص 357.

[2]- محمد عابد الجابري : **يقظة الوعي العروبي في المغرب : مساهمة في نقد السوسيولوجيا الاستعمارية ضمن كتاب تطور الوعي القومي في المغرب العربي** ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت 1986 ، ص 33.

مايسميه الشيخ الذاتية الجزائرية العربية الإسلامية التي ترمي مخططات المحتل إلى القضاء عليها[1] ، فالهوية هي نتاج صيرورة تاريخية تتولد عنها خبرات مشتركة تبناها أفراد المجتمع وتضمن استمرارية الأمة وخصوصياتها التي تتطور بالتحديث داخلها وليس من خارجها بالحذف والغضافة وهو ما رمت الجمعية إليه[2].

و لأجل هذا فقد شن ابن باديس ورفاقه حملة واسعة ، ضد الطرقين و المنحرفين بالدين عن مساره الصحيح مرسخين مظاهر الجهل والتخلف في المجتمع ، ولأنه يقصد المشاريع الفرنسية التي تحاول تحقيقها و بالتالي فهو جر العقيدة نحو الانحراف وفي هذا الإطار يكتب ابن باديس مقالا بعنوان مبدأنا السياسي جاء فيه [3]:<< نحن قوم مسلمون جزائريون ... نعمل على المحافظة على تقاليد ديننا التي تدعو إلى كل كمال إنساني ... وفي المحافظة على هذه التقاليد : المحافظة على أهم مقومات قوميتنا و أعظم أسباب سعادتنا وهنائنا لأننا نعلم أن الدين قوة عظيمة لايستهان بها >> ، ولهذا نفهم لماذا حرص ابن باديس ومجموعة العلماء معه على تحديد غاية الجمعية الأولى وهي نشر الدين الإسلامي على وجهه الصحيح البعيد عن البدع .

وأمام سياسة الاستعمار الرامية إلى محو الكيان الجزائري و الهوية الوطنية والقومية للشعب فإن ابن باديس يلجأ إلى تصنيف الإسلام وهو نوع من حيل التعبير بسبب عدم قدرته على التصريح العلني ردا على أعمال الاستعمار في حق الثقافة الوطنية حيث قسم الإسلام إلى نوعين وهما :

1) الإسلام الذاتي :

وهو الإسلام المبني على التفكير و البحث و التأمل ، وهو أساس نهضة الأمم و الشعوب يقوم على بناء القوال والأعمال و الأحكام ، وعلى الفكر ، فهو يدفع بالأمم نحو العمل في سبيل التقدم ، ويقول عنه الإمام [4]:<< أما الإسلام الذاتي ، فهو إسلام من يفهم قواعد الإسلام وفيه يكون المؤمن به هو من يبني ذلك كله على الفكر و النظر وهما اللذان بهما تنهض الأمم فتستثمر ما في السماوات وما في الأرض

[1]- **الثقافة العربية في القرن العشرين حصيلة أولية** ، مركز دراسات الوحدة العربية ، اشراف عبد الإله بلقزيز ، بيروت،2011، ص 49.
[2]- محمد العربي ولد خليفة : **المسألة الثقافية وقضايا اللسان والهوية** ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 2003 ، ص 293.
[3]- عبد الحميد بن باديس : **ابن باديس ، حياته وأثاره** ج3، اعداد وتصنيف عمار طالبي ، دار اليقضة العربية ،دمشق ، دار مكتبة الشركة الجزائرية ، الجزائر ، 1968 ، ص277.
[4]- ابن باديس : **مجلة الشهاب** ، **ج3، م14**، ص ص105-107، عدد 1357هـ/ فيفري 1938.

وتشيد صروح المدينة و العمران أما سبل التوصل إلى هذا الواجب فهو سبيل التعليم فلا يكون المسلم مسلما حتى يتعلم الإسلام فالمسلمون أفراد وجماعات مسؤولون عن تعلم وتعليم الإسلام للبنين و البنات للرجال و النساء[1].

2) الإسلام الوراثي :

وهو القائم حسب رأي ابن باديس على التقليد و الجمود وقاعدة (اسلم تسلم) وفيه يتبع الأبناء ما وجدوا عليه الآباء وهو لذلك يتسع لخرافات و البدع مع أن ابن باديس يعترف بقليل الفضل لهذا الإسلام لأنه بالوراثة حفظ للأمم الضعيفة شخصيتها و لغتها وشيئا كثيرا من الأخلاق ، إلا أنه حسب ابن باديس يحمل عيوبا كثيرة و خطيرة وهذا من خلال قوله [2] :<< ... لكن هذا الإسلام الوراثي لا يمكن أن ينهض بالأمم لأن الأمم لا تنهض إلا بعد تنبه أفكارها وتفتح أنظارها و الإسلام التقليدي مبني على الجمود و التقليد ، فلا فكر فيه ولانظر>>.

إن رؤية ابن باديس لدور الإسلام في الجزائر هي عقيدة أساسها الإيمان الصحيح تدفع أهلها إلى التأمل في أوضاع الأمة و العمل على نهوضها بالعلم و التعليم والعمل ، ولهذا كانت حركته المتمثلة في جمعية العلماء متميزة ومختلفة عن باقي حركات الإصلاح التي ظهرت في العالم الإسلامي فرغم المؤثرات العديدة سواء النهضوية أو الإصلاحية من الشخصيات أو الصحافة المشرقية إلا أنها كانت جزائرية محضة استعملت الإسلام ووظفته سياسيا وثقافيا بشكل دفعي ضد مرامي الاستعمار الفرنسي مبرزة قوة الإسلام في مواجهة كل ما من شأنه تدمير الشخصية الجزائرية .

ثانيا : العروبة :

يعتبر ابن باديس قضية العروبة عاملا هاما ومترابط إلى جانب الإسلام في رسم معالم الهوية الجزائرية فهو بأنه [3] :<< لاتوجد هناك رابطة أخرى تربط بين ماضي الجزائر المجيد و حاضرها الأغر ومستقبلها السعيد إلا هذا الحبل المتين الذي هو اللغة العربية لغة الدين ، لغة الجنس لغة القومية لغة الوطنية المغروسة ،

---

[1]- ابن باديس : **الشهاب** ، **ج3** نفسه .

[2]- رابح تركي : **الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الاصلاح الاسلامي و التربية في الجزائر** ، ط5، منشورات المؤسسة الوطنية للاتصال للنشر و الاشهار ، الجزائر ، 2001، ص 329.

[3]- **البصائر ، السنة الرابعة ، العدد 171، السنة الاولى ، 1358 هـ/22 جويلية 1939.**

إنها وحدها الرابطة بيننا وبين ماضينا وهي وحدها المقياس الذي نقيس به أرواحنا بأرواح أسلافنا و بها يقيس من يأتي بعدنا من أبنائنا و أحفادنا الميامين أرواحهم بأرواحنا وهي وحدها اللسان الذي نعتز به وهي الترجمات عما في القلب من عقائد ومافي العقل من أفكار وما في النفس من آلام وآمال ان هذا اللسان العربي العزيز الذي خدم الدين وخدم العلم وخدم الإنسان هو الذي نتحدث عن محاسنه منذ زمان ونعمل لإحيائه منذ سنين فليحقق الله أمانينا>>.

يرتبط مصطلح العروبة بمصطلح العربية فالمقصود بالعربية صيغة الوصف ويكون معناه نسبة الموصوف إلى العرب ومن هذا فقد ركز الإمام على الاعتزاز بالعرب وحضارتهم ويدافع عنهم أيما دفاع فهو يقول عنهم :<< ... و العرب مظلومون في التاريخ فإن الناس يعتقدون و يعرفون أن العرب كانوا همجا لايصلحون لدنيا ولا لدين ... هكذا يتخيل الناس العرب بهذه الصورة المشوهة>> ويقرّ بالعزة العربية و الأنفة الشامخة :<< فمن الطبيعة العربية نها لا تخضع للاجنبي في شيئ لا في لغتها ولا في شيئ من مقوماتها ...>> وهو بهذا يسقط هذه الصفة على الجزائريين (العزة العربية) ، حيث يقول فيها [1] :

أشعب الجزائر روحي الفدا	لما فيك من عزة عربية
بنيت على الدين أركانها	فكانت سلاما على البشرية

يقدس الإمام الرسول (ص) باعتباره رجل القومية العربية وقد كتب هذا الموضوع مقالا في جريدة الشهاب مقرا بأن الناطقين بالعربية مهما تفرقت أوضاعهم و أحوالهم وأصول أعراقهم فإنهم ، ضمن الإطار الإسلامي يشكلون أمة بأتم معنى الكلمة و أن هذه الأمة ، ذات قومية متميزة لن الانتماء إلى هذه القومية شرف كبير لأن فيها انتساب إلى الرسول ، وهو يبني نظريته على الحديث المشهور :<< ليست العربية بأحدكم من أب ولا أم و إنما هي اللسان ، فمن تكلم بالعربية فهو عربي>>، وهو يؤمن أشد إيمان بأن الرسول قد وهبنا الجنسية العربية مسبقا لكل من دخل الإسلام فنمو الأمة العربية محدد بعدد من يتكلمون لغتها[2] ، وبالحديث عن الجنسية فإنها كحال الإسلام يفصلها الإمام إلى نوعين وهذا التقسيم ينطلق فيه من

---

[1]– علي بن محمد: "**مقومات الهوية في فكر عبد الحميد بن باديس**" ،مركز دراسات الوحدة العربية ،الثقافة العربية في القرن حصيلة اولية ، ط1 ،بيروت ، 2011 ، ص 51.

[2]– بن محمد :ض 52.

واقع الجزائر منطلقا من مبدأ أنه لا بقاء لشعب إلا ببقاء مقوماته ومميزاته كالشأن في الأفراد حيث تقوم على:

1- الجنسية القومية :

وهي قائمة على ثوابت الأمة التاريخية وعلى المشاعر التي فطرت عليها حيث يعرفها الإمام [1] :<< هي مجموع تلك المقومات و تلك المميزات هي اللغة التي يعرب بها و يتأدب بآدابها و العقيدة التي يبني حياته على أساسها و الذكريات التاريخية التي يعيش عليها و ينظر لمستقبله من خلالها و الشعور المشترك بينه وبين من يشاركه في هذه المقومات والمميزات>> ، ويؤكد بهذا أن الأمة الجزائرية تمتاز كباقي الأمم بمقومات خاصة ومنها الجنسية القومية حيث يقول [2] :<< وقد دلت تجارب الزمان و الأحوال على أننا من أشد الناس محافظة على هذه الجنسية القومية و إننا مازدنا على الزمان إلا قوة فيها وتشبثا بأهدابها و أنه من المستحيل إضعافنا فيها فضلا عن إدماجنا أو محونا...>>.

2- الجنسية السياسية :

هذا النوع من الجنسية قد فرض من طرف الاستعمار الفرنسي على الشعب الجزائري ، أي فرض الغالب على المغلوب وفي هذا يقول [3]:<< و الجنسية السياسية أن يكون لشعب مالشعب آخر من حقوق مدينة و اجتماعية و سياسية مثل ماكان على الآخر من واجبات اشتراكا في القيام بها لظروف ومصالح ربطت ما بينهما...>>.

أما الوحدة القومية و الوحدة السياسية بين العرب : فقد أسهب فيها الإمام كثيرا خاصة في إطار النقاش الذي دار بين الأمير شكيب أرسلان و سليمان الباروني حول الوحدة السياسية للأمة العربية من المحيط الهندي إلى المحيط الاطلنطي ، وقد ناصر الإمام الأمير شكيب أرسلان الذي أقر بأن المغرب العربي وحدته وللمشرق العربي وحدته ويمكن أن تكون بينهما علاقات ، كما أنه يقسم الوحدة إلى نوعين : وحدة قومية

---

[1]- الميلي : **ابن باديس وعروبة الجزائر** ، المصدر السابق ، ص 177.

[2]- نفسه، ص 178.

[3]- نفسه ، الصفحة نفسها.

أدبية يرى بأنها متحققة لامحال ووحدة سياسية يرى أنها لا تكون إلا بين الشعوب التي تسوس نفسها، وأما الامم المغلوبة على أمرها فهذه لا تستطيع أن تضع أمرا لنفسها فكيف تستطيع أن تضعه لغيرها [1] .

الاحتجاج لعروبة الجزائر:

ماكان باستطاعة الشيخ أن يمضي في الدفاع عن عروبة الجزائر و الجهاد من أجل الهوية العربية الإسلامية بدون أن يثبت هذه الصفة بحجج تاريخية وبراهين مقنعة في ذلك الوقت الذي كان الاستعمار يعلم فيه أطفال الجزائر أن أجدادهم هم الغالبون ، وهم سكان بلاد الغال ، فقدم حججا وبراهين عن عروبة الجزائرية وعن كيفية تعربها ، يؤكد ابن باديس عن التمازج الثقافي و الحضاري بين العنصرين العرب/ البربر ويعترف مقتنعا أن الجزائر في جذورها التاريخية أمازيغية ويقول في هذا [2] :<< مامن نكير أن الأمة الجزائرية كانت أمازيغية من قديم عهدها ولم تستطع أمة في التاريخ أن تقلبها عن كيانها ، ولم تخرج بها عن مازيغيتها أو تدمجها في عنصرها بل كانت هي التي تبتلع الفاتحين فينقلبون إليها ويصبحون كسائر أبنائها...>> و يقر في نفس الوقت بالأصل البربري الامازيغي للجزائر دون أن ينكره لكنه يقر أيضا أن هؤلاء الامازيغ دخلوا في الإسلام وتعلموا اللغة العربية [3] :<< فامتزجوا بالعرب بالمصاهرة وقاسموهم في مجالس العلم وشاطروهم سياسة الملك وقيادة الجيوش وقاسموهم كل مرافق الحياة فأقام الجميع صرح الحضارة الإسلامية ... أصبحوا شعبا متحدا غاية الاتحاد ممتزجا غاية الامتزاج و أي افتراق يبقى بعد أن اتحد الفؤاد و اتحد اللسان>>، في حين كانت نظرة البشير الإبراهيمي واضحة حول كون الجزائر بلد عربي أما الأمازيغ فهم مسلمون عرب وقد أشار أحمد صاري في دراسة حول جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بأنها دخلت في صراع مع دعاة البربرية المدفوعين من طرف الإدارة الفرنسية وقد تبلور هذا الاتجاه في العشرينيات من القرن العشرين أين وقف موقفا معارضا ضد عروبة وإسلامية الجزائر وقد اعتمدت الجمعية في مواجهتها ضد هذه العناصر تدعيم الحركة الإصلاحية بعناصر إصلاحية من أصل قبائلي [4] .

[1]– الميلي : **ابن باديس وعروبة الجزائر** ، المصدر السابق ،ص 239.

[2]–نفسه ، ص 47.

[3]– نفسه ، ص 48.

[4] - Ahmed sarri : l'association des ulama musulmans algériens et l'administration française en Algérie , de 1931 A 1956, thèse pour l'obtention du doctorat nouveau régime , université de Provence 1990, p p 331-332.

حاول الاستعمار الفرنسي زرع التفرقة بين الجزائريين بزرع فكرة العرب الامازيغ بما تحتويه من فروقات ثقافية ولغوية وعرفية وعرقية و قد نبه الإمام إلى هذه السياسية مناضلا ضد تفكيك وحدة الشعب وقد كتب مقاله المشهور << ماجمعته يد الله لا تفرقه يد الشيطان>> وقد جاء فيه على وجه التعيين [1] :<< ان أبناء يعرب و أبناء مازيغ قد جمع بينهم الإسلام منذ بضعة عشر قرنا ثم دأبت تلك القرون تمزج ما بينهم في الشدة و الرخاء وتؤلف بينهم في العسر و اليسر وتوحدهم في السراء و الضراء حتى كونت منهم في أحقاب بعيدة عنصرا مسلما جزائريا أمه الجزائر و أبوه الإسلام ، وقد كتب أبناء يعرب و أبناء أمازيغ آيات اتحادهم على صفحات هذه القرون بما أراقوا من دمائهم في ميادين الشرف لإعادة كلمة الله وما أسالوا من محابر في مجالس الدرس لخدمة العلم ، فأي قوة بعد هذا يقول عاقل تستطيع أن تفرقهم>> ، ويحدد في نهاية مقاله تعريفا للعربي فهو ليس بالانتماء أو الأبوة فيقول :<< وليست العربية بأحدكم من أب ولا أم وإنما هي اللسان ، فمن تكلم بالعربية فهو عربي>>.

فهو يعطي استنتاجا عن مراحل الامتزاج العربي الامازيغي في الجزائر و يحدد العنصر بكونهما من المقومات الأساسية للشخصية الوطنية الجزائرية وتتمثل في [2] :

1- عنصر الامازيغ الذي احتفظ بوجوده قبل الإسلام في وجه حملات الاحتلال الأجنبي فأكد أصالته.

2- عنصر العرب الذين امتزجوا بالامازيغ في ظل الإسلام .

3- نتيجة هذا التمازج : الحضارة الإسلامية ، اللغة العربية.

ونتيجة بهذا التمازج الحضاري اكتسب الامازيغ اللغة العربية وتبنوها بل وأصبحوا يعلمون على نشرها بوصفها حاملة للإسلام وقيمه الامازيغ توجهوا طوعا لتعلم اللغة العربية لضرورات أملاها ارتباط الفهم الصحيح للدين بمعرفتها ، ولعل خير شاهد على ذلك هو وجود عدد ضخم من الزوايا في أعماق المناطق الجبلية و الصحراوية البعيدة وكان من الثابت أن اللغة العربية لم تكن في أي يوم من الأيام في حالة تصادم مع اللهجة الامازيغية التي ظلت شفاهية حتى العهد الاستعماري ، حيث بدأ استعمالها وصدرت بها طبعة مترجمة لانجيل لوقا بالحروف اللاتينية بغرض تنصير منطقة القبائل[3] .

[1]- الميلي : **ابن باديس وعروبة الجزائر** ، المصدر السابق ، ص 50.

[2]-نفسه ، الصفحة نفسها .

[3]- بغدادي : المرجع السابق ، ص ص 38-40.

ويذكر محفوظ قداش بأن اللغة العربية قد ترسخت في ربوع الجزائر ليس فقط باعتبارها لغة الدين بل بوصفها لغة الأغلبية الساحقة وسوادها في المجتمع وهنا كان نتيجة تقبل طوعي حر ، كما أنه – قداش- يشير إلى أن انتشار الإسلام عزز استعمال العربية التي توطنت أولا في المدن حيث أزاحت اللغة اللاتينية لغة الإدارة ، والتجارة يومئذ ولم تكن لها علاقة مباشرة باللغة الامازيغية الموجودة في الأرياف [1] ، وبالتالي لحم الإسلام مختلف العناصر بينما ظهرت العربية كعامل حاسم في تجانس تلك العناصر [2] .

– ابن باديس في مواجهة نكران الوطن الجزائري :

ونقصد هنا بمحاولة تشويه الهوية على وجه التحديد المقال الذي نشره فرحات عباس حول "" فرنسا هي أنا"" ، والذي نشره في جريدته الوفاق ومما جاء فيه :<< لو كنت اكتشفت الأمة الجزائرية لكنت وطنيا ... لن أموت من أجل الوطن الجزائري لأن هذا الوطن غير موجود لم أعثر عليه ، وقد سألت التاريخ ، سألت الأحياء و سألت الأموات وزرت المقابر فلم يحدثني عن هذا الوطن الجزائري أحد>>.

رد الإمام على هذا المقال بمقال عنوانه"" كلمة صريحة"" استغرب فيه حالة الفوضى التي عمت الوسط من فوضى الدين إلى فوضى الأخلاق إلى فوضى الاقتصاد إلى فوضى أشدها تأثيرا على حياة الأمة وهي فوضى التكلم باسم الأمة ، موجها حديثه للنواب الجزائريين المسلمين حيث قال [3] :<< لقد قام أحد النواب النابهين أنه فتش عن القومية الجزائرية في بطون التاريخ فلم يجدها أثرا ، وفتش عنها في الحالة الحاضرة فلم يعثر لها على خبر وأخيرا أشرقت عليه أنوار التجلي فإذا به يصيح فرنسا هي أنا>> ، مجيبا فرحات عباس بأنه ومن معه لا يمثلون الأمة الجزائرية و لا يتكلمون باسمها[4] :<< إننا فتشنا في صحف التاريخ وفتشنا في الحالة الحاضرة فوجدنا الأمة الجزائرية المسلمة متكونة موجودة كما تكونت ،ووجدت كل أمم الدنيا ، ولهذه الأمة تاريخها كافل بجلائل الأعمال ولها وحدتها الدينية و اللغوية ،ولها ثقافتها الخاصة وعوائدها و أخلاقها بما فيها من حسن وقبيح شأن كل أمة في الدنيا ، ولا تريد أن تصير فرنسا ولا نستطيع

[1] – Mahfoud Kaddache : **l'algérie medévale**,E.N.A.L.1992 ,p14.

[2]- ibid , p 19.

[3]- الميلي : **ابن باديس وعروبة الجزائر** ، المصدر السابق ص 190-191.

[4]- نفسه ، ص 192.

أن تصير فرنسا ولو أرادت ، بل هي أمة بعيدة عن فرنسا كل البعد في لغتها وفي أخلاقها وفي عنصرها وفي دينها لا تريد أن تندمج ، ولها وطن محدود ومعين هو الوطن الجزائري بحدوده الحالة المعروفة ...>>.

الكتابة التاريخية عند العلماء :

1- مبارك الميلي "" تاريخ الجزائر في القديم و الحديث"".

*** التعريف بالكاتب :**

هو مبارك بن محمد الإبراهيمي الميلي ولد في نواحي جبال الميلية بشرق الجزائر في 23 ماي 1896، حفظ القرآن الكريم و أتم حفظه على يد الشيخ أحمد بن الطاهر مزهود في جامع سيدي عزوز بأولاد مبارك، اتجه بعدها إلى مدرسة الشيخ محمد بن معنصر الشهير بالميلي بميلة ثم اتجه إلى قسنطينة و انضم إلى دروس الشيخ عبد الحميد بن باديس و أصبح من أهم تلاميذته ، توجه إلى تونس لمواصلة دراسة في الزيتونة ، نال شهادة التطويع سنة 1924[1] .

وقد اتخذ قسنطينة مستقرا له بعد رجوعه إلى الجزائر حيث عمل معلما في مدرسة قرآنية تأسست في مسجد سيدي بومعزة الذي كان يقع في نفس شارع مطبعة وادارة الشهاب وقد بقي في نفس المدرسة إلى غاية 1927، حيث غادر قسنطينة إلى مدينة الاغواط أين تأسس بها مدرسة تولى بها الاشراف على تعليم أبناء الجزائريين بنفسه وبعد الاقامة في الاغواط أين أسس بها مدرسة تولى بها الاشراف على تعليم أبناء الجزائريين بنفسه وبعد الاقامة في الاغواط فأدارها الشيخ مبارك الميلي بضغط من الادارة الفرنسية و أعوانها إلى بلدة بوسعادة إلا أنها أمرته مرة أخرى بمغادرتها ،وقد استقر بميلة أين كان له بها نشاط واسع حيث أسس جامعا وجمعية باسم النادي الإسلامي و جمعية حياة الشباب.

كما كانت له مساهمة في الميدان الصحفي وكان قلما لامعا في المنتقد والشباب ثم في السنة و البصائر التي تولى إدارتها بعد تخلي الطيب العقبي عن إدارتها في 1935[2] .كما كان عضوا بارزا في جمعية العلماء

---

[1]- الميلي : المرجع السابق ، ص 324-326.

[2]- فارس كعوان: **المؤرخون الجزائريون و نمو الوعي التاريخي(1830-1962)مساهمة في التاريخ الثقافي و الفكري** ،اطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في التاريخ المعاصر ،جامعة منتوري نقسنطينة ،2011-2012 ، ص 343-344.

المسلمين الجزائريين ملازما بجهوده و الإصلاحية ابن باديس إلى أن اشتد به المرضى لينتقل إلى رحمة ربه في 9 فيفري 1945[1] .

2- الكتاب :

يعتبر هذا الكتاب بمثابة بداية الكتابة التاريخية لتاريخ الجزائر الحديث ، وهو دفاع عن الأمة فهو لم يؤسس هذا الكتاب رغبة منه فقط في التأريخ بل كان هدفه وطنيا جاء ليرد به، على الطروحات الفرنسية المؤسسة للتاريخ الروماني في المنطقة ضد الوجود العربي الذي عمل على تخريبها[2] ، ومن جهة يعتبر البعض أن هذا الكتاب جاء ليدشن طريقة في كتابة التاريخ بقيت خطوطها ستود الدراسات التاريخية الجزائرية خصوصا المكتوبة منها بالعربية مع تطبيقات متفاوتة في دقتها وتمكنها[3] .

صدر الجزء الأول من هذا الكتاب سنة 1929 ، وقد كتب اسم المؤلف باسم مبارك بن محمد الهلالي الميلي، وقد طبع في قسنطينة وضم الكتاب بالكتابين : الأول ويضم مقدمات وثمانية أبواب ، تقنية التبويب هذه تدخل ضمن آليات البحث الجديدة ، وهذه الأبواب هي جغرافية الجزائر ، وقدماء الجزائريين في العصر الحجري ، وأصول البربر وقبائلهم و الفينيقيون و أخبارهم و البربر وملوكهم و أصول البربر مع الرومان ثم الوندال و الروم وعلاقتهم بالبربر ، أما الكتاب الثاني الذي خصصه للعصر العربي فيضم ستة أبواب حول الفتح الإسلامي في افريقية و يسميه الاستيلاء العربي [4] .

و يذكر أحمد حماني بأن الجزء الثاني منه يبدأ بالكتاب الثاني ويضم ستة أبواب هي تكوين الدولة الرسمية ثم دول أخرى كانت لها علاقات بالجزائر هي الأدارسة و الاغالية و الفاطميون العبيديون ثم الحديث عن بني هلال وهجرتهم وضم الجزء الثاني ايضا الكتاب الثالث وهو في العصر البربري و تناول فيه ثمانية أبواب هي بقية الفتوحات و الدولة الإسلامية المتوالية إلى أن وصل إلى بني زيان و القرن 16 وأراد الميلي الوصول بتاريخه إلى العهد الحديث لكن المنية خطفته بل وكان يأمل في الوصول بمشروعه إلى العصر الحاضر لولا بعض العوائق التي ذكرها أحمد حماني فقال :<<... وشغله في إتمامه أعمال الجمعية الكثيرة و الشاقة

1- مراد: المرجع السابق ، ص 106.

2- مرتاض : المرجع السابق ،ص 188.

3- المنور مروش :"" **القديم و الجديد في تاريخ الجزائريين القديم و الحديث للشيخ مبارك الميلي**"، مجلة نقد ، ع11، 1998 ، ص 33.

4- مبارك الميلي : **تاريخ الجزائر في القديم و الحديث** ، ج 1 ،دار الكتاب العربي ، 2007، ص 32.

وتوالي أزمات المرض الخطير السكري وجهله باللغات الأجنبية في هذه الفترة من تاريخ الوطن وقد سألته عام 1938 عن بسبب تأخره في إتمام مهمته فذكر لي هذه الأعذار ...>>[1] .

نال هذا المجهود التاريخي إعجاب رجال الجمعية وخصوصا ابن باديس وقد نوهت به مجموعة من الصحف و النوادي كما أورد الميلي في بداية الجزء الثاني ، إعجاب الأمير شكيب أرسلان بالجزء الأول حيث قال [2]:<< و أما تاريخ الجزائر فوالله ماكنت أظن أن في الجزائر من يفري هذا الفري وقد أعجبت به كثيرا>>.

وجهت لهذا الإنتاج انتقادات كثيرة تتعلق بأمور منهجية فقد أعاب عليه البعض عدم ذكر المرجع الذي نقل منه المعلومة ، وإذا فإن لا يذكر الصفحة أو بقية التهميش كما أشار بعضهم إلى عدم اعتماده على المصادر الفرنسية في مرحلة ما قبل التاريخ و اقتصاره على ابن خلدون[3] .

رغم هذه الانتقادات إلا أن قيمة هذا المنتوج تمكن في نه اهتم بالبعد التاريخي للجزائر ، حيث أبرز الانتماء الحضاري للجزائر ممثلا في البعد الامازيغي الذي تحدث عنه مبارك الميلي حيث أورد كلاما عن الامازيغية ، لكن من جهة أخرى أورد بعض المهتمين بالتاريخ ملاحظات حول وسم الميلي اسمه بالهلالي وهي قبيلة عربية وقد اعتبروا هذا تناقضا واضحا و كأنه يوحي رغم ما ورده في كتابه عن ميله للعرب لكي قد يكون هذا من بابا مواجهة السياسة الفرنسية الرامية لنشر الصراع الاثني ومحاولة تقوية الأطروحة البربرية لتشويه الهوية الجزائرية وفصل انتمائها الإسلامي و العروبي و بالتالي خسارة مفهوم القومية العربية .

كما يشير الميلي في كتابه أن الأمة الجزائرية ليست جزءا من الأمة الفرنسية ، ولا متأثرة بالوجود الروماني، كما دحض الأطروحة الفرنسية المبنية على أساس الفراغ الحضاري في المنطقة لتبرير الاحتلال فالجزائر ليست أرضا بدون رعية ، كما أنه رد على اهتمامات الفرنسيين المركزة على فترة ماقبل التاريخ الحديث عن حقيقة هذه الفترة في تاريخ الجزائر والتطرق للعصور الإسلامية التي اعتبرها غوتيه مظلمة ، وبالتالي تجاوزها الأعمال الأثرية الفرنسية وما هذا إلا محاولة لإخضاع تاريخ الجزائر ، أفضت الأرض وهي سياسة تتجه أحد أهم

[1]– أحمد حماني : **صراع بين السنة و البدعة** ، ج2، دار البعث ، ط1، قسنطينة ، 1984، ص 123.

[2]– الميلي ، **تاريخ الجزائر** ،المصدر السابق ، ج1، ص 5.

[3] – Saadedine Bencheneb :" **quelque historiens-arabes , modernes de l'Algérie**" , in revue africaine n 100,1956, p483.

مداخل تفكيك الهوية ومن ثم تشويهها فقد حاول الميلي ضرب الاستعمار بسلاحه – التاريخ- مع إنكار الحقائق التي ظلها يرددها ، كما أنه يصر على ضرورة الاعتزاز بماضي الجزائر وإعطاء الأولوية في الدراسات التاريخية للتاريخ الوطني وليس التاريخ الفرنسي.

ويصف محمد الميلي هذا العمل الذي قام به الشيخ مبارك الميلي [1]:<< ... بتلك الروح و الاعتزاز بكل الماضي قد أدى خدمة كبيرة إلى المسعى الوطني العام من أجل إعطاء مضمون هي لفكرة الوطن الجزائري الذي تكون عبر التاريخ ، ذلك المسعى الذي انتصر في النهاية على المسعى الاستعماري>>.

كما يؤكد الميلي في كتابه نفي ربط الجزائر بأوروبا من اجل فرنستها لكنه يجيب عن هذه السياسة بقوله : لن يلج الجنس في الجنس الآخر حتى يلج الجمل في سم الخياط وهو إشارة صريحة لرفض و استحالة سياسة الإدماج إن هذا الكتاب هو اجتهاد ذو مسعى وطني واضح من اجل توظيف التاريخ في إيقاظ الشعور القومي ، وفي خدمة مفهوم للوطن ومشروع للثقافة ودفاع عن وحدة التاريخ الجزائري [2] .

3- أحمد توفيق المدني : وكتاباته التاريخية .

هو أحمد توفيق بن محمد بن أحمد المدني القبي الغرناطي الجزائري ولد بتونس في نوفمبر 1899 ، والده هو محمد بن أحمد الذي ولد بالجزائر ، وتلقى علومه العربية بالجامع الكبير على يد عدد من كبار العلماء و المدرسين ، وجده هو أحمد بن محمد المدني كان أمين الأمناء بالجزائر العاصمة [3] ، وقد هاجرت أسرته من الجزائر العاصمة بعد احتلالها و إلى منطقة جرجرة ثم مرة أخرى هاجرت الأسرة إلى تونس وقد التحق مترجمنا بأحد كتاتيب تونس العاصمة وهم لم يتجاوز الخامسة من العمر ثم انتقل سنة 1909 إلى المدرسة الأهلية القرآنية ومنها إلى الجامع الأعظم للدراسة بجامع الزيتونة سنة 1913 ونظرا لحبه المطالعة فقد كان هذا عاملا في تكوينه التاريخي [4] .

كان أحمد توفيق المدني أحد أهم أعضاء الجمعية ومن بين المؤسسين الرواد حيث كان كاتبا للجنة التحضيرية لتأسيس جمعية العلماء الجزائريين فتأسست في 5 ماي 1931 وكان لأحمد توفيق المدني دور

[1] -الميلي ، **تاريخ الجزائر** ،المصدر السابق ، ج1،ص 120.
[2]- الميلي ، **تاريخ الجزائر** ،المصدر السابق ، ج1 ، ص ص 120-121.
[3]- أحمد توفيق المدني : **حياة كفاح** ، ج1، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1988 ، ص 13.
[4]- نفسه ، ص ص 13-14.

هام في تشكيلها وتنظيمها فتقلد منصب أمينها العام ورئيس تحرير جريدة البصائر لسان حالها إلى غاية سنة 1956 كما كان قد انضم إلى فريق تحرير جريدة الشهاب لصاحبها عبد الحميد بن باديس [1] ، وفي سنة 1956 سافر مع رفيقه الشيخ عباس بن الشيخ الحسين إلى القاهرة حيث كان يقيم الشيخ الإبراهيمي فأعلنوا رسميا الانضمام للثورة ، فعين عضوا في الوفد الخارجي لجهة التحرير وعضوا في المجلس الوطني للثورة ثم صار عضوا في الحكومة المؤقتة وعند الاستقلال ، 1962 عين وزيرا للأوقاف و الشؤون الدينية وسائد الحكومة التي أنشأها المجلس الثوري برئاسة العقيدة هواري بومدين سنة 1965 وعين سفيرا ووزيرا مفوضا في أكثر من بلد إسلامي وتوفيق المدني بالجزائر العاصمة يوم 18 أكتوبر 1983[2] .

اهتمامه بالتاريخ :

نشط أحمد توفيق المدني بمؤلفاته التاريخية في طرف تاريخي استعماري ونضالي شأنه شأن مبارك الميلي غير انه كان من الرواد الأوائل الذين أعطوا التاريخي الوطني بعدا مغاربيا ، هذا و يعتبر أحمد توفيق المدني ، صاحب المؤلفات العديدة حول تاريخ الجزائر في مختلف العهود خاصة و أن المدني كانت له ميولات وخبرة كبيرة في هذا المجال اكتسبها من توجيهات أستاذه حسن حسني عبد الوهاب بجامع الزيتونة إضافة إلى أن إتقانه للغة العربية و الفرنسية و ثقافته العالية المتفتحه دورا في تميزه و أثراء المكتبة الجزائرية بمؤلفاته العديدة[3] .

وقد أشاد عبد المالك مرتاض بمجهودات المدني في مجال الكتابة التاريخية وخدمة الرصيد الوطني قائلا [4] :<< يجب أن يعده التاريخ أحد المؤرخين الجزائريين الذين قامت على أكتافهم النهضة التاريخية في وطننا خلال فترة عصبية فلم يكد يفتر عن البحث في القضايا التاريخية التي تتصل بالشعب الجزائري منذ أن بدأ هذه البحوث سنة 1925 ، أن فضل المدني على التاريخ الوطني الجزائري إذن عظيم >>.

وقد اخترنا مؤلفين لأحمد توفيق المدني لإبراز الجانب التاريخي :

---

[1]- بوعزة بوضرساية : **رواد المدرسة التاريخية الجزائرية** ، دار الحكمة ، الجزائر ، 2007، ص 384-349.

[2]- نفسه ،ص 350.

[3]- لونيسي : المرجع السابق ،ص ص 364-365.

[4]- مرتاض : المرجع السابق ، ص 219.

أ/ كتاب : قرطاجنة في أربعة عصور : شمال إفريقيا قبل الإسلام 1927.

ظهر الكتاب سنة 1927 بتونس احتوى 176 صفحة تناول تاريخ الشمال الإفريقي خلال أربعة قرون تحت حكم قرطاج ، ذيل المدني هذا الكتاب بمجموعة من الخرائط و الصور من رسم عمر راسم ، أراد المدني من خلال تأليفه هذا الكتاب التعريف بتاريخ المنطقة لأن لها تاريخ عميق [1] :<< يخترق العصور إلى ما وراء ثلاثين قرنا ويجمع في صحفه المسطورة جل الحوادث الهائلة و الأعمال الجسيمة وينبؤك أنباء خبير بأنه قد عرفك المعرفة الصادقة ودرسك حق الدراسة قبل أن يعرف غيرك من الامم التي يملأ اليوم ذكرها أنحاء الأرض >> ويذكر المدني بأنه قام بتليف هذا الكتاب استجابة لارادة بعض أقطاب الحركة الإصلاحية أمثال عبد الحميد بن باديس و الإبراهيمي و الميلي خلال سنة 1925 ، حيث طلب منه الرد على مزاعم بعض الكتاب الغربيين و الفرنسيين الذين قاموا بدعاية مشوهة لهوية و أصالة المنطقة المغاربية وخاصة ماقام به لوري برتران لإثبات لاتينية المنطقة [2] .

ويستشهد رابح لونيسي بهذا الكتاب ليرد به على حربي و أمثاله الذين صرحوا بأن الاتجاه الإصلاحي أهمل تاريخ البربر قبل الإسلام فهو يرى في هذا الكتاب – لونيسي- نموذجا حيا لتاريخ المقاومات البربرية ضد الاحتلال الأجنبي مما جعله يترك تأثيرا كبيرا على بعض أصحاب النزعة البربرية حيث يذكر تصريحا لمحند ايدير آيت عمران ينم عن إشادة وفخر بهذا المؤلف[3] :<<... قلب وجودي وعدد نهائيا توجهاتي ومشاعري وايديولوجيتي الوطنية ... وقد كان بالنسبة لي حقيقة جديدة ... حيث اكتشفت أن تاريخ بلادي يعود إلى القرن السابع الميلادي فقط لكنه أبعد و أعمق من ذلك...>>.

يشتمل هذا الكتاب فترات زمنية متكاملة من العصور الحجرية إلى المقاومات البربرية ضد الغزاة ، و انتهاء بمرحلة الفتح الإسلامي أين انتهى تشكيل الأمة الجزائرية الحالية من منطلق التمازج الاثني بين عرب/ بربر إضافة إلى التشارك الديني (الإسلام) وروح المساواة ، ان هذا المؤلف هو إسقاط تاريخي حيث أحدث مقاربة بين الماضي و الحاضر وهو ما اصطلح عليه بعض الكتاب ، قراءة الحاضر الاستعماري الفرنسي

---

[1]– أحمد توفيق المدني : **قرطاجنة عبر أربعة عصور من عصر الحجارة إلى الفتح الاسلامي** ، ط2 ، المكتبة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1986، ص7.

[2]– أحمد توفيق المدني : **"مبارك الميلي ، مؤرخ الجزائر"** ، البصائر ، العدد 26 ، 8 مارس 1948، ص 4.

[3]– لونيسي : المرجع السابق ، ص 366.

بعيون الماضي حيث يشرح رابح لونيسي هذه القراءة من منطلق أن المدني تعاطف مع القرطاجيين فهم يشبهون العرب الفاتحين ، حيث اخرجوا البربر من الظلم إلى النور مثل هؤلاء الأخيرين أما الرومان فيشبهون الاستعمار الفرنسي ، حتى من ناحية الملكية الزراعية حيث أصبح البربري تحت سلطة رومان لايملك شبرا من الأرض ، كما أنه شبه مقاومات البربر ضد روما بمقومات الجزائريين ضد الفرنسيين ، إذن فهو يفند الأطروحة الفرنسية حول القابلية للاستعمار ويبرز مشهدا تاريخيا مليئا بالافتخار بالبربر و رفضهم الاستعمار[1] .

وقد لقي كذلك هذا المؤلف نقدا من حيث أساليب البحث التاريخي خاصة في توفيق المعلومة ، وعدم ذكر مصادرها في صفحات عديدة ، وقد اعتمد في دراسة هذه على المؤلفات الفرنسية مثل تاريخ بوليب وتقرير رحلة حنون في غرب إفريقيا ، وكتاب مارسيه ، حول تاريخ شمال إفريقيا [2] ، وقد كان عدد الكتب الفرنسية التي اعتمد عليها 26 كتابا في حين اكتفى بمصدرين عربيين وهما ابن خلدون و رحلة التيجاني.

ب/ كتاب الجزائر :

ظهر هذا الكتاب سنة 1931 وحسب حسن رمعون فإنه جاء ردا على الاحتفالات المؤوية الفرنسية الجارحة وتتويجا لرد فعل الشيخ أحمد توفيق المدني على ذلك ، فكان معارضة صريحة للطرح الفرنسي المزيف للتاريخ وعنوانا لتجذر الوطنية الجزائرية [3] .

أظهر أحمد توفيق المدني شعارات الجمعية على غلاف الكتاب وهي الإسلام ديننا العربية لغتنا الجزائر وطننا. وعالج مشكلة الفراغ الذهني التاريخي لدى الشباب الجزائري من مثقفين بالفرنسية بعضهم تمزق ذهنه إلى انجداب نحو التاريخ الدخيل ونفور من التاريخ و الجغرافيا و الوضعية الراهنة في تلك الفترة 1930وقد ضم التاريخ الأقسام من 1 إلى 6 وهي تؤرخ للجزائر من أقدم العصور إلى سنة 1930 مع التطرق للعنصر البربري و العربي من حيث الجذور ونمط الحياة.

---

[1]- لونيسي : المرجع السابق، ص ص 366-367.

[2]- المدني : المصدر السابق ، من الصفحة ، 28 إلى 134.

[3] -Hassen Ramoune : « **les historiens algériens issus du mouvement national** » , insaniyat , n 25-26, juillet –decembre2004, p 230.

ويعترف المدني بأن سبب تأليفه الكتاب مكتشف الزيف الاستعماري حول تشويه تاريخ الجزائر ،و يضيف [1] :<< أنكم ترون كما رأيت أن أبناء العربية في الجزائر يجهلون عن الوطن الجزائري كل شيئ ، ولهذا جمعت لكن بين دفتيه مايجب على كل جزائري مسلم أن يعرفه على بلاده>>، كما أن هذا المؤلف هو استمرارية و استكمال لما لم يورده مبارك الميلي في كتابه حول تاريخ الجزائر في القديم و الحديث ، خاصة الفترة الاستعمارية هذا ما دفع بالمدني الى تخصيص اهتمام كبير بالاستعمار الفرنسي ومختلف الردود ضده [2] تميز أن رابح لونيسي لا يعتبره كتابا تاريخيا بحثا لان الجانب التاريخي حسبه لم يغط سوى ربع الصفحات و قد أحصاها ب 96 صفحة .

تطرق أحمد توفيق المدني في هذا الكتاب إلى مختلف مقومات المجتمع الجزائري تحديدا الاثنية وهذا من ناحية أصولها وتواجدها جغرافيا مع مراعاة ابراز تميزها عن المجتمع الأوروبي [3]، فهو حسب لونيسي يهدف إلى إبراز وحدة الشعب الجزائري المتكامل وهذا رد صريح على أن سياسة فرق تسد لن تجد لها مكانا بين أبنائه وقد علق سعد الدين بن شنب على هذا الكتاب بأن [4] :<< الكتاب من صفحته الاولى إلى صفحته الأخيرة ماهو إلا محاولة من صاحبه لإثبات أن الجزائر لا يمكن دمجها أو إلحاقها بفرنسا ، وأنها تمتلك شخصيتها المتميزة و التي يشهد لها تاريخها وحاضرها>>.

---

[1]- كعوان فارس : المرجع السابق ، ص 361.

- أحمد توفيق المدني ، **كتاب الجزائر** ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، ط2، الجزائر ، 1984، ص 2.

[2]- نفسه، ص ص 73-74.

[3]- نفسه ، ص ص 102إلى 146.

[4]- لونيسي : المرجع السابق ، ص 368.

خاتمة الفصل :

– ظهرت الحركة الإصلاحية في الجزائر مكونة من جمعية العلماء المسلمين الجزائريين نتيجة عوامل متداخلة أثرت بصفة متفاوتة خاصة تلك المتعلقة بالنهضة الفكرية في المشرق و التي تزعمها الافغاني و محمد عبده ثم رشيد رضا ثم الدور الثقافي لجامع الزيتونة في تكوين الرعيل الاول من جيل المصلحين – إلا اننا لاحظنا أنه بمعزل عن هذه المؤثرات فإن الحركة الاصلاحية قد خلقتها الظروف الاستعمارية في الجزائر و التي استدعت ضرورة الانقاذ بالإصلاح الاجتماعي و الثقافي معتمدة على أساليب حديثة و عليه فقد اختلفت في مفهومها ووسائل نضالها عن بقية الحركات الإصلاحية التي ظهرت في العالم الإسلامية .

– تعتبر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من أكثر الاتجاهات الوطنية اهتماما بالمسألة الثقافية و هذا من خلال أدبياتها الثرية و المتنوعة و التي جسدت صوره الدفاع عن الثوابت الوطنية و الحفاظ على الدين الإسلامية و العروبة و تأكيد الهوية الجزائرية و دوائر انتمائها ، معتمدة على المدارس و المساجد و الجمعيات والنوادي كمعاقل لتكوين جيل واعي بوضعه التاريخي و قد أبدت مواقفها الرافضة الصريحة للتجنيس فأخذت على عاتقها الرد على الطرفين ، كما واجهت الإدارة الإستعمارية و قوانينها التعسفية ضد اللغة العربية و الإسلام ، كما حاولت تجنيد فئات المجتمع الجزائري لمواجهة كل المحاولات الاستعمارية لتقويض بنى المجتمع الجزائري.

– يرتبط التاريخ حسب الجمعية ارتباطا وثيقا بالهوية ، ولهذا فقد كانت الكتابة التاريخية مظهرا من مظاهر إثبات وجود الأمة الجزائرية ، من جهة ومن جهة أخرى ، كانت موقفا مضادا للمشاريع الثقافية الفرنسية الرامية إلى نكران الهوية و الأمة الجزائرية لربط المنطقة حضاريا بفرنسا و قد حازت الجمعية على أقلام بارعة تولت مهمة مواجهة التحريف و التزييف الذي صبغ به تاريخ المنطقة وكانت هذه المساهمات بداية انتزاع احتكار الكتابة التاريخية من الفرنسين انفسهم وفتحت باب الوعي بالتاريخ الجزائري.

الفصل الثالث :

المسألة الثقافية من منظور الاتجاه الاستقلالي

المبحث الأول : المرجعية الثقافية للاتجاه الاستقلالي .

المبحث الثاني : مظاهر التوجه الثقافي من خلال البرامج والمطالب .

المبحث الثالث : النخبة الاستقلالية ومشروع المجتمع .

المبحث الرابع : الهوية في الخطاب الاستقلالي .

بالرغم من أن الاتجاه الاستقلالي ذو إيديولوجية ثورية وطنية من حيث الأهداف ووسائل العمل ، إلا انه أولى المسالة الثقافية أهمية بالغة من منظور أنها جزء أساسي في استكمال الوحدة الوطنية المنشودة،كما كان الجانب الثقافي مطروحا في الخطاب الاستقلالي خاصة ما تعلق بالهوية كمفهوم شامل وبالقضية اللغوية ومسالة الانتماء كقضايا ذات ارتباط بها وعناصر مكونة لها في نفس الوقت ،إلا أن الإنتاج الثقافي في هذا الموضوع كان قليلا جدا بالنسبة لهذا الاتجاه وهو ما صعب تحديد مواقفه واهتماماته بالمسالة الثقافية ،والتي اتضحت بصورة متداخلة مع نشاطه السياسي من خلال البرامج و المطالب والتي عكست وعي هذا الاتجاه بالمسألة الثقافية وأهميتها وتماسك المجتمع الجزائري واستمراره عن طريق الدفاع عن القانون الإسلامي في مجال الأحوال الشخصية[1] .

المبحث الأول : المرجعية الثقافية للاتجاه الاستقلالي :

نشأ نجم شمال إفريقيا في وسط الهجرة الجزائرية بفرنسا في الفترة الممتدة من 1924-1926، أين كان النشاط السياسي في المهجر محصورا في الطبقات العمالية و المجندين الجزائريين (خاصة)، غير أن دراستنا للمرجعية الثقافية للنجم بصفة خاصة و الطبقات العمالية المشكلة له بصفة عامة تستلزم منا توضيح نقطتين أساسيتين نعتبرهما أساس التركيب الثقافي و البنيوي لنجم وهما : الدور التنظيمي للحزب الشيوعي الفرنسي في تأطير العمال المغاربة ثم دور شخصية مصالي الحاج الذي تأثر بدوره في مرحلة ما بمطالب **الأمير خالد**[*] ابن بلده (دور الانتماء للوطن الواحد/ القومية) كما تأثر بأفكار الأمير شكيب أرسلان الزعيم العربي الإسلامي .

1- المنصف وناس : **الدولة والمسألة الثقافية في الجزائر** ، المطبعة الغربية ، تونس ، د ت ، ص 34 .

[*] **الأمير خالد الهاشمي :**

هو الأمير خالد بن الحاج بن عبد القادر ولد في 20 فيفري 1875 ، بدمشق حيث قضى بها شبابه ، ثم عادت أسرته إلى الجزائر سنة 1892، أدخله والده إلى المدرسة العسكرية سان سير ، وتخرج منها برتبة ملازم سنة 1897 م وبعد عمله داخل الجيش الفرنسي ، رقي إلى رتبة نقيب وخلال هذه الفترة تعرف الأمير خالد على حركة الشباب الجزائري ، وفي 1914 م شارك في الحرب العالمية الأولى ، وبسبب إصابته بمرض السل إنسحب وأسس حركة الأخوة الجزائرية وجريدة الإقدام في 1924 ، نفي إلى سوريا وتوفي بها سنة 1936.

1-دور الحزب الشيوعي في تنظيم تأطير العمال المهاجرين ايديولوجيا :

كانت الطبقات العمالية المهاجرة من شمال إفريقيا سواء قبل الحرب العالمية الأولى أو أثناءها خاصة الأساس البنيوي للاتجاه الثوري الانفصالي الجزائر- نجم شمال إفريقيا- أين كانت هجرتها لفرنسا بسبب السياسة الاقتصادية التعسفية، ذلك أن أغلب المهاجرين فلاحين و قرويين انتزعت ملكياتهم منهم فكان لزاما عليهم الهجرة للبحث عن لقمة العيش و تزامنت هذه الحركية و الحرب العالمية و بالتالي حركة التجنيد العسكري و العمل في المصانع الحربية الفرنسية ،و قد وصل عدد المجندين حسب جلبار منيي إلى 110.000 جندي و 80.000 عامل ،و بالتالي فالعملية مرتبطة بالهروب من وضع استعماري [1] واكتشاف لأسطورة لا طالما كانت خيالا لدى الجزائريين الذين درسوا عنها فقط في المدارس الفرنسية (كما اشرنا سابقا).

كان لطبيعة الحياة الديمقراطية في فرنسا أثر كبير في اكتساب هؤلاء العمال المهاجرين وسائل العمل السياسي بعيدا عن الرقابة الاستعمارية المطبقة في بلدان شمال إفريقيا ،إضافة إلى تغلغل الشيوعية في فرنسا والتي كانت موضة ايديولوجية ، خاصة في مرحلة مابين الحربين (1919-1939) باعتبار هذا الاتجاه مضاد للاستعمار و بالتالي فالعمال المغاربة في باريس لم يكونوا بمعزل عن هذه التأثيرات و الذين كانوا رعاة بائعي زرابي و تحف وعمال ذوي مطالب اجتماعية و سياسية.

إذن فهذه الطبقة التي تشكل نجم شمال إفريقيا لم تشبه مثيلاتها في الجزائر، نقصد بذلك مؤيدي وأعضاء كل من فيدرالية النواب الجزائريين أو جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ،و هذا ما يجعل هذا الاتجاه مختلفا في تركيبته البنيوية عن باقي الاتجاهات الوطنية المعاصرة له أو التي لحقته ففرحات عباس كان صيدلانيا إلى جانب بن جلول و عبد الحميد بن باديس فقيها ومدرسا ومن أسرة غنية، إلى جانب مجموع المدرسين الذين كانوا في الجمعية، أما مصالي الحاج زعيم الاتجاه الثوري فقد كان فقيرا مارس مهنا مختلفة أي أنه

---

[1] جلبار مينيي : "**الجزائريون بفرنسا 1914-1918** " ,المجلة التاريخية المغربية ,العدد5,جانفي 1976,

حسب ستورا [1] :<<لم يحاول تجاوز طبقته الاجتماعية الأصلية بالسعي إلى الترقية في مهنة مستقرة (...) و كان يكفيه إذن شيئ من المال للعيش و بأي طريقة كانت>>.

إن هذه البروليتاريا التي شكلت النجم ، كانت تتزايد يوما بعد يوم ومن ذلك أن مهاجري شمال إفريقيا المكونين من فلاحين انتزعوا من طبقتهم الأصلية و اجبروا على الهجرة إلى المدينة التي أقاموا فيها مدة قبل الرحيل إلى المتربول–و من عمال زراعيين و من تجار صغار و حرفيين صاروا بروليتاريا [2] ،رمت بهم فرنسا في مصانعها و قد جعل منها ضعف مستواها التقني و ضعف معرفتها بالفرنسية و عزلتها طبقة و ضيعة لا قيمة لها فأزيحت إلى هامش المجال الاجتماعي الفرنسي –يعلق سليمان الشيخ – و هذا التهميش هو الذي سيزيد وعيها الوطني وهو وعي تعزز بالاتصال بمختلف أنواع الصراع الذي خاضته البروليتاريا الفرنسية المنظمة من طرف الحزب الشيوعي الفرنسي الذي التزم بمناهضة الاستعمار خاصة مع دعمه للأمير عبد الكريم الخطابي، وهو الذي أسس سنة 1922 الاتحاد بين المستعمرات لإعداد النضال المنسق ضد الاستعمار ،و هو العمل الذي أشرك فيه كل الوافدين من مختلف المستعمرات ، هذا وقد لعبت الاتحادية العامة للشغل الموحدة بذلت من ناحيتها جهدا كثيرا للتعبئة داخل أوساط المهاجرين الجزائريين ، هذا ما دفع بشارل اندري جوليان إلى تأكيد أبوة الحزب الشيوعي الفرنسي للنجم الذي ظهر حسبه منذ سنة 1920 بدفع من الهيئة الإدارية للحزب [3].

حاولت الايدولوجيا الشيوعية رد الاعتبار للضعفاء بالوقوف في وجه الطبقات العليا التي تحتقرها و كانت مستعمرة الجزائر من بين القضايا التي دافع عنها حزب فرنسي شيوعي تحديدا طبقة البروليتاريا الجزائرية المهاجرة و التي تعني في مفهومه الفقراء و المنبوذين – لا العمال كطبقة فهم كما وصفهم حربي(ملح الأرض) – و إعادة تعبئته وتنظيم هذه الفئات كفيلة بإعادة مجد الجزائر و استقلالها و للوصول إلى الهدف لابد من التعاون مع الطبقة العاملة الفرنسية كمجموعات تضررت من الامبريالية [4] ، وكان العمال الجزائريين مجبورين على الانضمام للتنظيمات النقابية مقارنة بنظائرهم الفرنسيين فكان إذن لابد لهم من

[1] بنيامين ستورا :**مصالي الحاج رائد الوطنية الجوائرية 1898–1974** ,دار القصبة للنشر ,الجزائر ,1999,ص42

[2] نفسه ,ص42

[3] جوليان :المرجع السابق ,,ص139

[4] حربي : **الثورة الجزائرية سنوات المخاض** ,المرجع السابق ,ص127

تنظيمات عمالية مهيكلة و قوية [1] ،و على هذا الأساس و جد هؤلاء أنفسهم مضطرين للتعرف على النضال العمالي ، هذا و قد كان بعض العمال الجزائريين المهاجرين مناضلين في الحزب الشيوعي الفرنسي أمثال **حاج علي عبد القادر*** الذي كان عضو في اللجنة الاستعمارية للحزب الشيوعي الفرنسي المؤسسة في جانفي 1924 و المتكونة من 10 أشخاص، من بينهم في الجزائر عبد العزيز منور و أحمد بورملة. لقد أطر الحزب الشيوعي الفرنسي الطبقات العمالية المغاربية و الجزائرية تحديدا من خلال زرع أفكار المساواة مع الفرنسين مع تحسين معاملة الأهالي وهي أفكار طرحت في اجتماعات للحزب الشيوعي[2] .

كانت صحيفة "المنبوذ" التي أنشأت سنة 1922 من طرف الاتحاد وسيلة ليشارك الجزائريون فيها بآراءهم و مواقفهم تجاه قضية بلادهم ،و حسب أحمد الخطيب فإن صاحب المقال عن الجزائر يوقع مقالاته باسم مستعار هو "علي" أو" الجزائري" ، وقد كانت شكوك الإدارة الفرنسية تدور حول عبد العزيز منور رغم أن العديد من الجزائريين يذيلون مقالاتهم بنفس الاسم المستعار [3] .

كما لعبت لجنة العمل النقابي دورا مساهما من خلال الكنفدرالية العامة للعمال المتحدين ،و التي كانت أكثر نشاطا في أوساط العمال الشمال إفريقيين بالقياس إلى المنظمات الشيوعية الأخرى و قد حاولت هذه النقابة التي كانت تعتبر المدرسة الأولية لتلقي المبادئ الشيوعية أن تقود بعض العمال الجزائريين في المهرجانات و في المظاهرات العامة [4] .

للحقيقة والتاريخ لا يمكن تجاهل دور الحزب الشيوعي الفرنسي في تنظيم و تأطير العمال المهاجرين الجزائريين، خاصة بعد نفي الأمير خالد من الجزائر، مستغلا اليأس الذي أصاب الشبان الجزائريين فاندفع

---

1 ستورا : المرجع السابق ,ص ص 45-46

* **حاج علي عبد القادر** : (**1883–1957**) : متجنس بالجنسية الفرنسية سنة 1911 ، ناضل في الحزب الشيوعي الفرنسي بعد مؤتمر "تور" وكان ينتمي منذ 1920 إلى اتحاد المستعمرات مع هوشي منه وقد ساهم في تحرير جريدة (le paria) إلى غاية سنة 1924 ، كان سببا في انضمام مصالي الحاج إلى الحزب الشيوعي الفرنسي ، وساهم في بعث نجم شمال إفريقيا سنة 1926 ، وقد دافع من خلال هذه المنظمة عن خط الحزب الشيوعي الفرنسي إلى أن بدأ يفقد إشعاعه في أوساط الهجرة الجزائرية ، واعتزل السياسة بعد طرده من الحزب الشيوعي الفرنسي سنة 1931 ، آخر مساهماته السياسية تنحصر في مساندة فرحات عباس سنة 1948 ، أنظر : محمد حربي : سنوات المخاض ، ص 176.

2 مصالي الحاج : **مذكرات مصالي الحاج 1898–1938**,ترجمة محمد المعراجي ,منشورات التراث ,2006,ص 126

3 احمد الخطيب : **حزب الشعب الجزائري**,المؤسسة الوطنية للكتاب,الجزائر ,1986,ص108

4 – نفسه ,ص .111

الشيوعيون مستغلين الفرصة لتقديم المساعدة و الحماية لهم، و قد أدى تبني الحزب الشيوعي لمؤتمرات العمال الشمال إفريقيين اعتقاد البعض بأن الحزب الشيوعي هو مؤسس النجم غير أن إيديولوجية الحزب الشيوعي تنافت و مطالب العمال الجزائريين، الذين طالبوا بالاستقلال في حين حاولوا دفع هؤلاء العمال إلى انتهاج طريق الصراع الطبقي .

هذا و قد حاول بعض المؤرخين الفرنسيين إضفاء الصبغة الشيوعية على النجم غير أنه لا يمكن اعتبار نجم شمال إفريقيا منظمة شيوعية بمجرد أن أغلب أعضاء إدارتها هم من الشيوعيين ، و لكن من جهة أخرى سمحت الإمكانات التي وضعها الحزب الشيوعي الفرنسي تحت تصرف مؤسسي النجم سواء ماديا أو سياسيا و حتى نوعا ما تنظيما فمقرها هو نفسه مقر اتحاد الانتركولونيال و اجتماعاته كانت تنظم و تجري في مركز الحزب الشيوعي و كانت مهرجاناته الضخمة تقام في بيت النقابات [1] .

ورجوعا إلى إيديولوجية الشيوعيين فهي تقوم على مطلب الاستقلال ليس كمطلب نهائي بل كهدف مرحلي لتحقيق الاستقلال الاجتماعي للكتل الفلاحية بحرب إيديولوجية تحت رعاية الحزب الشيوعي الفرنسي، و بالوقوف إلى جانب العمال الفرنسيين للدفاع عن مطالب البروليتاريا حسب مبادئ الشيوعية، لكن رجوعا إلى مطالب النجم بعد تأسيسه فهي ليست شيوعية خاصة مع مطلب الاستقلال الواضح كهدف أساسي و نهائي فالقضية لا تنحصر فقط في مطالب عمال مهاجرين بل قضية شعب بأكمله[2] .

إن حديثنا عن النجم لا يتعلق إطلاقا بالتناقض حول سنة التأسيس هذا الموضوع الذي نال جزء كبيرا سنة 1926 ،و ما السنوات السابقة سوى تمهيدا لميلاده إنما يهمنا أفكاره و إيديولوجيته الثقافية خاصة ،فقد عرضنا في البداية أن الحزب الشيوعي الفرنسي تبنى العمال المهاجرين لأهداف لينينية خاصة وفر له إطار النضال ووسائله و أتاح فرصا كثيرة للجزائريين لفهم ماهية الاستعمار و طرق مواجهته ووضع كل إمكانياته تحت تصرفهم لكن تصادم الرؤى و الأهداف أنهى العلاقة بطريقة انتقامية من طرف الحزب الشيوعي الفرنسي، إذ رغم سيطرته الفكرية على بعض الشخصيات أمثال حاج علي عبد القادر الذي آمن

---

[1] – احمد الخطيب , المرجع السابق ، ص .106

[2] -Chokri ben fradj **;" Nationaliste Algeriens et Communistes francais dans la France du front populaire 1934-1938**" ,Rawafid,N7 2002 ,p26

بأفكار الشيوعية و دافع عنها (الاستقلال المرحلي) مع تحرير العامل الجزائري من استغلال البورجوازية و الإقطاعية و العمل على تحسين وضعه الاقتصادي في فلك الحزب الشيوعي الفرنسي[1] ، لأنه لم يستطع السيطرة على بعض الشخصيات القوية عصاميا ، كحال أحمد مصالي[*] و زملائه عمار ايماش[**] . آكلي بانون[***] ، عبد العزيز منور خريج الجامعة الروسية علي عمارة ، جيلالي شبيلا[****] .... ، وقد رأى الشيوعيون أن مصالي مثال للمناضل الماركسي لو لم يتأثر بشكيب آرسلان الذي أدخله في فكرة القومية العربية[2].

أثبتت مسيرة نجم شمال إفريقيا بعد تأسيسه ظهور شخصية ثورية عصامية قيادية حقيقة كان لها الأثر الكبير في جعل فكرة الاستقلال مطالبا بها علنا << مصالي الحاج>> هذا الأهلي الفقير النازح من تلمسان المحدود المستوى التقلدي استطاع بنزعته الوطنية أن يقود الطبقات العمالية الهائلة في فرنسا متحديا نفوذ الحزب الشيوعي الفرنسي .

---

[1] يوسف مناصرية :**الاتجاه الثوري في الحركة الوطنية الجزائرية بين الحربين العالميين 1919–1939** ,المؤسسة الوطنية للكتاب , الجزائر ,1988,

[*] **مصالي الحاج** : (**1898–1974**) : ولد من عائلة فقيرة ، قام بالخدمة العسكرية في الحرب العالمية ، هاجر إلى فرنسا سنة 1923، ومارس عدة حرف ، كانت خطواته السياسية الأولى في إطار الحزب الشيوعي الفرنسي ، ثم في إطار نجم شمال إفريقيا ، بدأ صدامه مع هذا الحزب منذ 1928، وبدأ في الظهور كزعيم سياسي منذ مؤتمر بروكسل (1927) ، ثم خلال دخوله إلى الجزائر على أثر المؤتمر الإسلامي 02 أوت 1936 ، صادق الأمير شكيب أرسلان ، استوحى منه مفاهيم النضال ، عاش حوالي ، ستة عشر سجينا ومنفيا ، بداية من 1945 ، إزدادت شعبيته ، ودخل في صراع ضد الجيل الجديد في حزب حركة الانتصار من أجل الحريات الديمقراطية ، أنظر حربي : **سنوات المخاض** ، ص ص 177.178 .

[**] **عمار إيماش** : من دوار بني عيسى لأربعا بني إيراثن ، انظم إلى النجم سنة 1931 ، وشغل منصب كاتب عام سنة 1933، وتولى رئاسة تحرير جريدة الأمة ، وكان خطيبا وكاتبا قديرا ، من أهم مؤلفاته : الجزائر في مفترق الطرق ، وقد سجن بفرنسا 6 أشهر ، ولم يشارك في تاسيس حزب الشعب الجزائري ، عاد إلى الجزائر بعد الحرب العالمية الثانية وتوفي بمسقط رأسه قبل الثورة ، أنظر : محمد قنانش ، محفوظ قداش ، المرجع السابق ، ص 73 .

[***] **أكلي بانون** : من مواليد دوار مزالة بسطيف (1889) من عائلة متوسطة ، لم يزاول التعليم أبدا غادر إلى سيدي عيش ثم هاجر إلى فرنسا ، واشتغل بها خضار متجول ، بعد سنة 1927 ، عايش مرحلة نشاط الأمير خالد في المهجر كان من المؤسسين الأوائل لنجم شمال إفريقيا ، التقى الأمير شكيب أرسلان سنة 1935 ، ألقي عليه القبض سنة 1940 ، وسجن مرة أخرى سنة 1942 إلى غاية 1945 حيث أطلق سراحه ، أنظر قنانش وقداش : المرجع السابق ، ص 76 إلى ص 88 .

[****] **جيلالي شبيلا** : من مواليد البليدة ، كانت ثقافته متوسطة بالفرنسية ، هاجر إلى فرنسا للعمل في شركة لصيانة المصاعد الكهربائية ، تعرف على الأمير خالد ، تولى مهمته أمين الصندوق المال ، ثم أصبح سكرتير للحزب عام 1927 ، طرد من النجم سنة 1933 لانتمائه للحزب الشيوعي ولم يعد يعرف عنه شيء ، أنظر : أحمد الخطيب : حزب الشعب ، المرجع السابق ، ص ص 135-136.

[2] ابو القاسم سعد الله :**أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر** ,ج4,دار الغرب الإسلامي ,بيروت ,1996,ص127

2- مدى تأثير أفكار الأمير خالد في المهجر :

ارتبط مفهوم الوطنية أو النضال الوطني بالأمير خالد الهاشمي على إثر عريضة سنة 1919 ،و صنف من بين الأوائل المطالبين بالاستقلال ،و ظهرت هذه الفكرة جليا إثر نفيه إلى فرنسا ، حيث استغل الطبقات العمالية الضخمة من شمال إفريقيا ليزرع أفكارا وطنية .كثير من المؤرخين الجزائريين وحتى الفرنسيين يشيدون ويؤكدون دوره في خلق حزب نجم شمال إفريقيا في إطار التأثير الفكري و الإيديولوجي حيث:<< ... ارتسمت معالم العمل الوطني في فرنسا لهجرة الأمير خالد إليها سنة 1923 و كانت التجمعات التي اتصل فيها رجال شمال إفريقيا خلال سنتي 1923-1924 للجنة الأولى لهذا العمل الوطني فقد يشرف الأمير خالد هناك على تأسيس لجنة من شمال إفريقيا ممن كانوا يستمعون إلى محاضراته كالحاج عبد القادر و الحاج مصالي (...) وقد طلعت هذه اللجنة بمهام الإشراف على عمال و تنظيم في شكل هيئة اغاثة المغاربة (...) فإن صح هذا فإن الأمير خالد هو الذي يكون قد وضع قاعدة مشتركة للعمل على مستوى شمال إفريقيا (...) وكانت التجربة الأولى لهذا العمل المشترك في أول مؤتمر عقد بتاريخ 07 ديسمبر 1924 م ثم كان نتيجة هذه الجهود المبذولة وسط العمال << أول جمعية سياسية بعنوان نجم الشمال الإفريقي >>.

إن الأمير خالد الهاشمي لم يؤسس تنظيم نجم شمال إفريقيا إذ أن حركته في الأساس كانت قصيرة المدى و لم تتخذ بعدا سياسيا واضحا ، لكن كان لأفكاره السياسية صدى في أوساط العمال المهاجرين إذ هو بدوره اعتمد على الدعم الشيوعي الفرنسي و الجماعات التي كانت وفية لهذه المحاضرات التي كان يلقيها الأمير خالد تحدى العناصر القيادية لاحقا في نجم شمال إفريقيا أمثال بلغول سي الجيلالي و أكلي بانون ومصالي الحاج آمنت بضرورة الحوار السياسي الذي يتم في إطار نشاط سياسي، وهي قناعة آمن بها الأمير خالد و بالتالي فقد كان هذا سببا إضافيا لاقتراب هذه العناصر و أخرى من الحزب الشيوعي الفرنسي ، حاول الأمير خالد استغلال الحماية الموفرة من الحزب الشيوعي الفرنسي على الجماعات المهاجرة بدليل أن كل الاجتماعات التي عقدها النجم فيم بعد كانت دائما برئاسة شرفية من طرف الأمير خالد .

إن هذا الطرح صحيح من زاوية ما خاصة و إن مظاهر تأثير الأمير خالد برزت في برنامج النجم، و هي المطالب المتعلقة بإلغاء القوانين التعسفية و الدعوة إلى المساواة بين المجموعتين الفرنسية و الجزائرية و المشاركة العادلة و الكاملة في الانتخابات(1).

ورغم جو الغربة و الهجرة الذي عاشه الجزائريون – خاصة- في فرنسا، و رغم الزخم الفكري و الإيديولوجي الذي فرضه الحزب الشيوعي و استطاع به التأثير على العمال المهاجرين لكن محاضرات الأمير خالد كان لها صبغة و مذاق آخر اختلط بالحنين إلى الوطن، خاصة مشاعر دفنتها الوضعية الاستعمارية و كلام يحيي عادات وتقاليد المهاجرين يذكرهم بلغتهم الأم و بدينهم الإسلام ، بالحديث عن هذا فقد ذكر مصالي بأنه كان متأثرا كثيرا حتى بمظهره(2):<< (...) ، إن لونه الأسمر و لحيته السوداء و عينيه السوداوان كلها كانت تبرز بصفة قاطعة في بياض ملابسه كان مفعما بالوقار و الشرف (...) ألقى خطاب مكتوبا بالفرنسية مدة ساعتين تقريبا ، كان يلعب بصوته حسب المشاعر التي كانت تحركه(....)ليعبر عن انفعالاته و شعوره ووطنيته ، كانت القاعة تستمع إليه بهدوء و احترام كبير (...) و في فترة الخطاب أرسلت السيدة أحمد تيزاوي زغردة مثل ما سمعه في أوقات الفنطازية و قد هتف الأمير خالد هذا من علامات السعد، لأن الذي نفعله في قلب باريس شيء من الخير لأن المقصود منه الحرية و هي مفتاح الرفاهية و التقدم (...) كان ينبغي أن يكون حصاني وبندقيتي لتفسح المجال للغة البارود >>.

إن الوطنية الحقيقية التي ظهرت في النجم لا يجب ربطها بالأمير خالد و هو ما نستنتجه ، لأنه ليس أول الوطنيين الجزائريين و لا من أوائلهم فالمناضلون الحقيقيون الوطنيون الأوائل يجب البحث عنهم في النواة المؤسسة لنجم شمال إفريقيا مع حاج علي عبد القادر و مصالي الحاج، أين ستصبح المطالبة بالاستقلال قوة مادية يعجز الاستعمار عن توقيفها .

و بالتالي فقد تعارضت وجهات النظر حول التأثيرات على النجم (التاريخ) صرح عمار خيضر بان الأمير خالد هو مؤسس هذا التنظيم كما أن شخصيات أخرى أوعزت تأسيسه إلى حاج علي عبد

---

1 عباس : المصدر السابق ,ص ص 138-139

2 مصالي : المصدر السابق ,ص ص 123-124

القادر [1] و بالتالي فيما يهمنا هو إثبات الإيديولوجيات و الأفكار التي أثرت و خلفت هذا التنظيم الذي حافظ عليها كأدبيات في مسيرته النضالية وبصبغت مطالبه طيلة كفاحه ضد الاستعمار .

إن الأمير خالد و إن اعتبر من الوطنيين الاستقلاليين الأوائل (عريضة 1919)، و التي يظن أنها من صياغته، لم يطلب و يعلن في اجتماعاته مع العمال المهاجرين تكوين أي تنظيم و استنتاجا في مذكرات مصالي [2] فإن الأمير خالد غيب الطبقات الريفية الفقيرة كقاعدة من قواعد بناء تنظيم، و هو الذي ذكره مصالي عندما لم يبحث عن الاتصال بالجماهير الشعبية و هو ما جعله يقول بأن الحركة الإصلاحية الجزائرية تسير متشابكة الأيدي مع السلطة الاستعمارية ، فكيف إذا له بأن يتأثر برجل يساير السياسة الفرنسية؟ وقد قارن مصالي موقف الأمير خالد بزيارة فايون كوتوري ممثل الحزب الشيوعي الفرنسي الذي تجول في الجزائر و بحث عن الجماهير الشعبية الاتصال بها .

و الحق أننا لا نذكر فضل الرجل (الأمير خالد) في زرع الحماس الوطني و التذكير به في أوساط العمال المهاجرين أي انه كان بمثابة الغطاء الروحي للعمال غير أنه لم يثبت بوثائق رسمية شرعية تأسيسه للنجم و بقيت افتراضات و فقط لاثبات الابوة و لربما كان الالتزام بوضع الأمير خالد كرئيسا شرفيا للحزب و اعتماد نفس اسم الجريدة كان تأثرا به ، و ربما كان استغلالا لاسمه و شهرته لزيادة ضم عدد أكبر من العمال الجزائريين المهاجرين، و هو نفس العمل الذي اتبعه معه الحزب الشيوعي الفرنسي الذي حاول هو بدوره احتواء العمال لتحقيق أهدافه ،في حين كان هؤلاء العمال المتواضعين أذكياء لدرجة أنهم استغلوا الحزب الشيوعي مدة من الزمن كغطاء قانوني و كتدريب تنظيمي و سياسي لكن التاريخ يثبت أن الغطاء العملي للنجم كان تحت إشراف مصالي الحاج ،وهو ناشئ من طبقة بورجوازية متوسطة يمكن القول أنها فقيرة ، فقد كان ينتمي إلى جيل وصل به النضج إلى إزاحة و إقصاء الحركة الإصلاحية من الايديولوجية النضالية، و فضل أن يسلك طريقا معاكسا فيه الكثير من المغامرة و الألم ،و لكنه كان الصواب في تقرير للشرطة الفرنسية حول المتابعة العادية للنشاط السياسي في الجزائر و رد فيه مايلي [1]:<< تأسس نجم شمال إفريقيا في سنة 1926 برعاية الحزب الشيوعي و رئيسه مصالي الحاج الذي

[1] احمد مهساس : **الحركة الثورية في الجزائر 1914–1954**, دار المعرفة ,الجزائر ,2007 ,ص63

[2] ستورا : المرجع السابق ,ص 36

يمتلك شخصية قوية مع أعضاء آخرين >> أن هذا التقرير تأكيد على خطر و قوة شخصية مصالي الحاج الذي قاد الطبقات العمالية المغاربية في فرنسا متجاوزا بذلك الحزب الشيوعي .

3- تأثير النزعة المصالية في استثمار الفكرية الثورية في الأوساط العمالية :

إن النزعة المصالية كانت وليدة معاناة و أوضاع استعمارية صعبة شأنها شأن ظهور جمعية العلماء المسلمين للإصلاح ،و لم تكن فكرة الثورة لدى مصالي سوى انعكاس لما كان يجري في العالم خاصة ثورة الريف المغربية بقيادة عبد الكريم الخطابي و التي كان يتابعها العمال المهاجرين بانتباه إلى جانب إخبار الحركة الكمالية في تركيا و التي كانت تهز مشاعر العمال المهاجرين الجزائريين .

إن نجم شمال إفريقيا الذي أسس بإرادة جزائرية وطنية قد تميز بفضل زعامة مصالي له بكونه اتجاه(مذهب) له أساس ذو جوهر ديني، و كان له أيضا صفة قومية و شعبية واضحة (1) ،ومن ذلك آمن مصالي بحقيقة تفوق الغرب المادي لكنه اعتبر قيم الحضارة العربية الإسلامية أسمى من قيم ،أما المبدأ الأساسي الذي بني عليه تفكيره فهو الدفاع عن الشخصية الجزائرية و السير بها نحو الحرية مؤكدا على وجود و استمرارية الأمة الجزائرية و الموجودة قبل الاستعمار (2).

إن التنوع الإيديولوجي الذي عجت به فرنسا و عاشه مصالي الحاج و رفقائه لم يبلغ المكبوت الاجتماعي و السياسي و المتمثل في تراث الطريقة الصوفية التي كان يتردد عليها في صغره، و هذه الإيديولوجيا الطرقية هي التي كانت وراء تجمع الجزائريين و عمال شمال إفريقيا في جمعيات، و كثيرا ما أكد مصالي الحاج أن العمال الجزائريين كانوا خاضعين للتأثير الروحي للزوايا الدينية[3].

ارتسمت لدى مصالي الحاج ملامح الزعيم، و هذا راجع أساسا إلى تأثيره بالطريقة الدرقاوية، حيث " الشيخ يطاع و لا يناقش "، لكن هذه الكاريزما انقلبت عليه لاحقا بالسلب حيث أدى سياسيا

---

[1] جوليان : المرجع السابق , ص، 142 ، حول حياته أنظر مؤلفه : لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم ؟ دار المعارف للطباعة والنشر ، تونس 2006 ، ص ص 10 – 16 ، تتهم بعض الكتابات الفرنسية مصالي الحاج بالتأثير على الجماهير الشعبية باستخدام المشاعر الدينية مستندين إلى تسميات الحزب التي ارتبطت بالنزعة الإسلامية الشعبية ومحاولة إثبات نفسه بطل الإسلام ، انظر حول الموضوع. Boissenot : op .cit p 74

[2] حربي :المرجع السابق ,ص 122

[3]- عمري: المرجع السابق، ص 452.

إلى اضعافه، بسبب رغبته في الزعامة و التسلط و الاستبداد[1]، لكن في بدايات نشاطه، كان هذا المبدأ إيجابيا لأنه جعل منه رجلا جديا و مسلما طاهرا يؤدي صلواته و يتعلم دور الشيخ في تعليم مبادئ الطريقة لتلاميذه: ليصبحوا إخوانا و خلق تضامن بين المريدين و الصرامة في سلوكهم و احترام القواعد الأخلاقية[2]، و قد تمظهرت هذه الخصائص في سلوكيات مصالي الحاج من خلال لباسه الجلابة و الشاشية، و لحيته الطويلة، فهو رغم نشاطه في المهجر لكنه بقي مجذرا و وفيا لأصوله الاجتماعية الجزائرية، و لأنه جزء من هذا المجتمع المستعمر الفقير فقد أدرك جيدا كيفية فرض زعامته وسط الجماهير الشعبية و اقناعهم، فلو اخذنا على سبيل المقارنة زعماء بعض الاتجاهات الوطنية فإنهم لاقوا نصيبا من الانتقاد الجماهيري لهم، لأن سلوكياتهم مخالفة لتعاليم الإسلام، و هو ما ادى إلى ضعف تأثيرهما، لكن ارتباط شخصية مصالي الحاج بالإسلام كمرتكز ايديولوجي لا يقف عند هذا الحد الشكلي المتمثل في اللحية و الجلابة و الشاشية، و إنما كان هدفه سياسيا و هو ما صاغه في برامج حزبه[3]. كما كان مشدودا للغرب متفتحا على الفكر الاشتراكي، اضافة إلى الآفاق التي فتحتها ثورة 1917، و بهذه المؤثرات استطاع مصالي الحاج أن يجعل من الدين الإسلامي مضمونا سياسيا لمواجهة الاستعمار أو حتى أولئك الادماجيين و الذي لم يضيع مناسبة إلا و هاجمهم فيها و انتقد خطهم السياسي، و قد وصف عمار نارون الشعبية الي حققها مصالي الحاج وسط جماهير الجزائريين قائلا[4]: " إن الغوغاء من الناس بدأت تصحوا من غفوتها، و كان انجذابها نحو مصالي الحاج الذي كان يطالب باستقلال كامل، و يعلن توجهه نحو العواصم الإسلامية ... كان مصالي الحاج يقود كفاحا ... لعب حماس الجماهير التي تعاني من الفقر و الاضطهاد للجامعة الاسلامية دورا بارزا في استثارته، و حتى عندما كانت السلطات العليا تحيل مصالي الحاج على المحاكم في باريس و الجزائر، وعنما كانت تقوم بحبسه فإنها كانت توسع من دائرة شعبيته، و تجعل منه بطلا وطنيا يحترمه الجميع، وكانت في الوقت نفسه تسعى إلى الحط من مصداقية فرحات عباس الذي كانت تخاف أسلوبه الأوروبي و مطالبه المعتدلة ، و محاولة عدم قطع صلاته مع المسؤولين في باريس ... و لنا أن نتصور النتيجة في مجتمع جزائري

[1] – لونيسي، المرجع السابق، ص 122.

[2] - Jaque Simon ; l’immigration algérienne en France des origines à l’indépendance, Ed paris méditerranéen, 2000. Pp 18 – 19.

[3]– عمري: المرجع السابق، ص 453.

4 - Naron : op.cit., p 46.

حيث لا تتحمس الجماهير سوى للرجال الذين يقدمون أدلة على استقلاليتها عن الإدارة الاستعمارية و شجاعتهم السياسية ... "

لكن تجدر الإشارة إلى أن النجم قد انهى مرحلة التراوح بين التأثر بالحزب الشيوعي الفرنسي (الأبوة) و بين الانتماء للبنى الأصلية للمجتمع الجزائري، فسرعان ما تلاشى هذا التردد خاصة عند مناقشات مصالي الحاج و شكيب أرسلان بشان مواضيع حول الثقافة و الحضارة و السياسة مما جعله يتحرر من انتمائه الشيوعي. و هو الهدف الذي أراده أرسلان من وراء استمالته لمصالي الحاج، بإبعاده عن تأثير الشيوعية و تقريبه من الانتماء العربي الإسلامي و جمعية العلماء[1]، غير أنه تلقى نقدا من الشيخ أحمد توفيق المدني الذي لا ينكر إعجابه بالاتجاه الاستقلالي فهو يرى فيه حزبا عظيما مجاهدا في سبيل الاستقلال إلا أنه قال بشأن مصالي[2]: " ... ألا إنني أقول مخلصا ... أن قيادته كانت بسيطة دون مستوى المسؤوليات، و دون مستوى الأحداث، كان زعيمه الحاج مصالي عميا أو قريبا من العامية، و قد أراد أن يغطي نقصه الثقافي في رداء ما دي بحت، فأطال شعره إلى أن تهدل فوق كتفيه و أطال شعر لحيته حتى غطى الجزء الأعلى من صدره و وضع فوق كل ذلك طربوشا ضخما، و كان طويل القامة مائلا إلى البدانة فكانت تلك الصورة المسرحية مع ترديد كلمات الاستقلال و الحرية و الفداء ... مستجلبة للأنظار متغلغلة إلى الأعماق الدهماء كان يأمر فيطاع و يقول فيسمع ... ".

غير أن مصطفى الأشرف يرفض الكلام عن التأثير المشرقي في شمال إفريقيا من باب أن كل الأقطار العربية كانت بشكل أو بآخر تحت الاحتلال و بالأخص السوريين الذين كانوا على اتصال بنجم شمال إفريقيا، فالنخبة السورية كانت تعاني في السجون و المشانق التركية، أما المتواجدون في المنفى بباريس أو جنيف كشكيب أرسلان كانوا يتعرضون في المنفى للمضايقة فعلاقاتهم إذن بالزعماء السياسيين لشمال إفريقيا لا يمكن أن تكون إلا من نوع علاقات التعاطف و التجاوب في الشعور القومي و هنا بحكم الظروف المتشابهة في معاناة الظلم و النفي و الاغتراب[3].

1- عمري: المرجع السابق، ص 463.

2- الخبر الأسبوعي: العدد 422، من 31 مارس إلى 6 أفريل 2007، ص 12.

3- مصطفى الأشرف: **الجزائر الدولة و المجتمع**، تر : حنيفي بن عيسى، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، ص ص 251 – 252.

وفي ما يتعلق بتأثير شخصية شكيب ارسلان على مصالي وزملائه فقد أورد محمد قنانش بعض المقتطفات من حيثيات هذه العلاقة بين الرجلين حيث كان مصالي من أشد المعجبين بشكيب أرسلان وحسبه(قنانش) فإن جذور العلاقة تعود إلى سنة 1932 بواسطة الأستاذ محمود سالم باي، الذي كان يسكن باريس وهو قاضي دولي بمصر وصاحب مبادرة المؤتمر الإسلامي الأوربي بجنيف سنة 1935 ، كما كان مصالي وزملائه على اطلاع ببعض إعداد مجلة **الأمة العربية** كما ذكر أن وجود شخصيات تعرف إليها مصالي إلى جانب ارسلان في جنيف على شاكلة اسعاد الجابري وعلى الغاياتي[1] ، وهذا دليل على العلاقة الودية بين الشخصيتين في حين استند كذلك بنيامين ستورا إلى تقارير الشرطة الفرنسية التي أوعزت بداية الاتصال السنة 1932 [2] ، في حين أن دراسات أخرى ركزت على سنة 1935 إثر زيارة مصالي لجنيف إن ما يهمنا في هذه العلاقة ليس بدايتها و لا كيفيتها ، بل مدى تأثير شخصية شكيب أرسلان على شخصية مصالي و على إيديولوجية نجم شمال إفريقيا .

و الحق أن علاقة شكيب أرسلان بالجزائر لم تكن محصورة فقط في شخص مصالي الحاج بل طالت كذلك بعض رجال جمعية العلماء المسلمين كما ذكرنا سابقا و يرجع أحمد صاري بداية اهتمامه بالجزائر مع مطلع القرن العشرين ،حين كتب مقالين علق فيهما على كتاب لوثرب ستودارد(حاضر العالم الإسلامي) حيث عالج في الأول الجزائر و الأمير عبد القادر و فرنسا وفي مقال آخر << الجزائر و قبائل البربر>> لكن علاقته بمصالي و الاتجاه الانفصالي تعود لفترة الثلاثينات، و يضيف ذات المؤلف بأن هدف شكيب أرسلان كان إبعاد مصالي عن الحركة الشيوعية و محأولة التقريب بينه و بين جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ،و قد توثقت العلاقة أكثر أثناء لجوء مصالي إلى جنيف إثر الحكم عليه و على رفاقه في ماي 1935 [3] .

لقد استطاعت الاتصالات بين شكيب أرسلان و مصالي الحاج في جنيف تدعيم المصدر الاديولوجي العربي- الإسلامي الوطنية الجزائرية و هذا ما يفسر تركيز مصالي في إيديولوجية حزبه على

---

1 محمد قنانش :**ذكرياتي مع مشاهير الكفاح** ,دار القصبة , الجزائر,2007 ,ص ص 23-24 .

2 ستورا : المرجع السابق ,ص 133 .

3 صاري :شخصيات , المرجع السابق, ص 90 .

الانتماء للأمة العربية الإسلامية و تبنيه مصطلح القومية العربية و الوحدة الإسلامية و الوعي القومي العربي ،وهذا ما جعل اللغة السياسية لمصالي الحاج تنطبع بالصبغة الإسلامية فكان يصف أعداء النجم بأوصاف دينية : المرتدون ، المنافقون ، الكفار ... ، و هذا من باب قناعة راسخة لدى مصالي مفادها أن تهدم البنى الاجتماعية في الجزائر قد ارتبط كثيرا بمعتقدهم الديني و الذي لحقه بدوره الخراب و بالتالي كان من الضروري العودة إلى الإسلام و تحديد قيمة الأدلة الدينية و توظيفها خاصة على الوضعية الجزائرية ولاطالما اعتبر مصالي أن استخدام فعالية الإسلام في الحفاظ على الهوية الروحية و التي تعتبر وسيلة قوية للفوز في إطار مسيرة الاستقلال كما سعى إلى الصلح بين العلماء و الاتجاه الاستقلالي باعتباره الجمعية رمز الدفاع عن التاريخ و اللغة والدين و الاتجاه لاستقلالي عن طريق النضال المنظم [1] ،والتركيز ها هنا على الهوية جزء من القضايا التي ركز عليها شكيب ارسلان في معالجته لمشاكل العالم العربي قاطبة حيث ركز على الدين الإسلامي الذي أصبح يفرق بين " مسلمين مسلمين "و"مسلمين جغرافيين"، و الخطر من النوع الأخير الذي لا يرى الدين شيئا أساسيا في الأمة و يقارن الوضعية بأوروبا و الواقع غير هذا حيث أنه أوضح كيف أن فرنسا تقمع الإسلام في البلاد العربية .

لقد اتضح جليا تأثير شكيب أرسلان على مصالي الحاج من خلال نص الرسالة التي رد فيها أرسلان على رسائل مبعوثة مسبقا من مصالي ،وهذه الرسالة التي بين أيدينا بتاريخ 26 أكتوبر 1936 و من خلال نص الرسالة كان مصالي يحرر تلك الرسائل باللغة العربية و قد عبر شكيب ارسلان عن اهتمامه بكل جديد في حركة النجم و شد أزر مصالي في قضية الإسلام و الثقافة الإسلامية في الجزائر كوسائل لمواجهة الاستعمار[2] ، وفي تقرير للشرطة الفرنسية حرر فيه أن مصالي الحاج أقام عاما عند شكيب ارسلان في جنيف و بقي تحت تأثير هذا الرجل ، مضيفا أن نجم شمال إفريقيا يهدف إلى تكوين فيدرالية مستقلة لشمال إفريقيا[3] ،و لاطالما أكد شكيب ارسلان على دور شمال إفريقيا في عملية الوحدة و أصبح يتهم بتدعيمه للنازية و لحقت التهمة مصالي الحاج حيث كتبت جريدة الشعلة مايلي :<< موسكو ضد

---

[1]- ستورا : المرجع السابق ,ص ص 106- انظر حول موضوع المصالحة التي قام بها ارسلان : CAOM ,9h47 ,El Ouma 20 mars , 1937.

[2]-C.A.O.M.9H47.**lettre de arslan àMessali** .le 26/10/1936. -11- انظر الملحق رقم

[3]- C.A.O.M.9H47.**action du parti du peuple Algerien**.09/09/1937.

شكيب ارسلان (...) أصدقاء مصالي انقلبوا عليه بالأمس لأنه أصبح رجل شكيب نفس الاتهام موضحة [1]: << مصالي رجل أرسلان>> كما وجهت جريدة الدفاع موسيليني و هتلر ... نفس التشدد و القسوة>>.

اعتبر شكيب أرسلان مصالي الحاج مسلما صالحا ، كان ينم هذا التعبير عن بعد مصالي كليا عن الشيوعية ، و بأنه من خير الفتيان و نخب الشبان ولو كانت الشبيبة الإسلامية كلها على نمطه لتحرر الإسلام من زمن طويل ،بل وقد سر مصالي كثيرا لاعتراف ارسلان بدور الطرق الصوفية في الدفاع عن الإسلام و نشره بين الفقراء و نحن نعلم أن مصالي ابن زاوية درقاوة و حتى هذا الانتماء قد جسده في سياسته.

لقد بلغ تأثير أرسلان على مصالي الحاج أن خرج هذا الأخير من فلك الشيوعية و جعلها تعتمد على التأييد العربي الإسلامي من جهة و عالمي يساري من جهة أخرى و هو المبدأ الذي صاغه مصالي في مطالبه بكون الانتماء الجزائري عربي إسلامي و بأن الشعب الجزائري يبقى على نفسه و أن لا يذوب في الجنسية الفرنسية حتى أن سعد الله يرى بأنه – جريدة الأمة الخاصة بالنجم – هي مستوحاة من تأثرهم بجريدة الأمة العربية الخاصة بشكيب ارسلان بل و يضيف بأن مقالات جريدة الأمة المصالية مستوحاة مباشرة في أغلب الأحيان من شكيب أرسلان ، وقد أصبح شكيب أرسلان بمثابة الداعية بالنسبة للانفصاليين خاصة وأنه أصبح على علاقة بالحركة الطلابية المغاربية وكان يزور فرنسا بغرض إلقاء محاضرات في أوساط هؤلاء الطلبة تدور حول رفض الإصلاحات الفرنسية والتضامن مع الحركات الإسلامية الأخرى و كانت هذه المحاضرات بتنسيق من مصالي الحاج [2] .

---

[1] -La flamme .22/01/1938.انظرla defence 19/11/1937.

[2] ابو القاسم سعد الله :أبحاث و أراء في تاريخ الجزائر (مقال حول الموضوع), المرجع السابق ,ص ص 114-138 .

المبحث الثاني :مظاهر التوجه الثقافي من خلال البرامج والمطالب :

تعتبر هذه الحركة الاستقلالية متميزة في الساحة الوطنية نظرا لظروف ظهورها في المهجر و اعتمادها على تركيبة عضوية بسيطة ،بالمقارنة مع الاتجاهات الأخرى و هي البروليتاريا فهي على حد تعبير ستورا[1] << تستمد قوتها من مشروعين كبيرين هما الحركة الاشتراكية و التقاليد الإسلامية>> . و قد شرحنا سابقا في المرجعيات الثقافية دور التجربة النقابية في فرنسا و التي كانت بمثابة مدرسة للتدرب لكثير من مناضلي النجم، أو ما خطه الطلاب العائدون من القيروان و الزيتونة و الأزهر ، حيث ساهمت هاتين القوتين في تهديم الاعتقاد بحتمية التخلف و ضعف الأنا و تفوق الآخر ، وبالتالي إمكانية النهوض و بناء الذات من جديد بعيدا عن الذوبان في الغرب و التخلي عن قيم العروبة و الإسلام .

صاحب الراديكالية السياسية لهذا الاتجاه راديكالية ثقافية ديناميكية صقلت عن طريق الاحتكاك بالمناضلين الشيوعيين الفرنسيين، لكنها ظلت في أعماقها ورغم البعد الجغرافي (فرنسا) تستمد آلامها و آمالها و إيديولوجيتها من أهلها في الجزائر، خاصة و أن الطبقات الكادحة في الجزائر (تحديد ا الأرياف) ، حافظت كحركة تراجعية دفاعية على مقومات المجتمع المسلم كمظهر للصمود الثقافي أساسه الحفاظ على الشخصية الوطنية، و الذي سيكون مصدر شحن عقائدي لمناضلي النجم بصفة روحية كما يضفي روح الجهاد القوة في المجاهد، كما نود الإشارة إلى الروح النضالية التي أثر بها مصالي الحاج على المناضلين خاصة في ما تعلق بالحفاظ على المجتمع الجزائري بعروبته و إسلامه، لهذا كانت المسألة الثقافية في برامجه محددة منذ البداية و اتسمت بالثبات و الاستمرارية في مطالب هذا الاتجاه و لم تناد إلى مسألة دون أخرى .

فرغم مرور الاتجاه بمراحل تعصب و اعتدال في إيديولوجيته الثورية السياسية إلا أن المطالب الثقافية بقيت ثابتة لا اعتدال فيها، وهو ما سجلناه عبر أهم المطالب التي نادى بها حيث أن الاستقلال السياسي مرتبط بالاستقلال الثقافي و الهوية و الشخصية الجزائرية، فهو يؤكد الانتماء العربي الإسلامي و الاتجاه نحو الشرق هو الاتجاه الأقوم و الأسلم ،و انطلاقها أساس من أعماق الشعب هي التي مكنت الاتجاه من فهم القضية الوطنية فهما صحيحا، و أعطته القدرة على توجيه الجماهير الشعبية و اعتباره وسيلة و غاية في

[1]-benjamin Stora : **les sources du nationalisme algerien parcours ideologiques origines des acteurs** , ed , l'harmattan , paris , 1989 , p 13.

نفس الوقت، كما كانت له موافق و اهتمامات تجاه القضايا العربية بالأخص تونس و المغرب في إطار التطلع للاتحاد المغاربي الإسلامي .

1- مرحلة نجم شمال إفريقيا :

إن توحد العمال المغاربة في هيئة إغاثة المغاربة و التي اتسمت بسمة دينية دور في نشر عواطف التعاون بين أعضائها ،و كانت بداية انتظام التوجه الانفصالي و يعتبر مؤتمر بروكسل تاريخا رسميا لبداية نشاط النجم ،و ذلك اثر تصريحه بإيديولوجيته في مؤتمر بروكسل المنعقد مابين 10 و 14 فيفري 1927 على لسان سكرتيره العام فإلى جانب مطلب الاستقلال و تأسيس جيش وطني (...) ارتكزت المطالب الثقافية على [1]:

- حرية الصحافة و الجمعيات و الاجتماع .
- أحقية التعليم في جميع المستويات .
- تأسيس المدارس باللغة العربية و تطبيق القوانين الاجتماعية .

إن هذه المطالب لهي صورة ناقدة و رافضة للأوضاع في الجزائر ،فبرغم من كونها مرحلة انتقالية في انتظار الوصول إلى الاستقلال، إلا أن النجم لم يغفل عنها كمطالب عاجلة خاصة مع حرمان الأهالي من التعليم عموما و لغتهم الأم ، فقد أدرك جيدا أن وجود الأخير (الاحتلال) هو سبب إلغاء الأنا عن طريق هويته ، لكن يشير عبد السلام فيلالي إلى أن إسلام النجم يختلف عن إسلام الجمعية، بمعنى آخر إسلام الطبقات الشعبية عن إسلام الوجهاء، فإسلام الطبقات الشعبية عامل قوة وأمل و مقاومة للعيش يعبر عن طموحات الكادحين الذين حكم عليهم الاستعمار بالعيش على هامش المجتمع [2] .

لكننا نود الإشارة إلى أن برنامج الاتجاه الاستقلالي في هذه المرحلة لم يحتوي على مطالب تتعلق بالشؤون الدينية الإسلامية و لم يعرف الأمجاد الماضية، التي أشاد بها على أنها جزء مشكل للحضارة

---

[1]- زوزو : المرجع السابق ، ص 71.

[2]- فيلالي : المرجع السابق ، ص ص 154-155.

الإسلامية و إن كان هذا الاتجاه قد أعطى إشارات لعنصر الدين فلم يكن إلا في إطار الحديث عن التضامن المغاربي ، و في فترة لاحقة أو متقدمة من نشاط النجم أدى انعزال كتل عمالية جزائرية (فلاحية) إلى تنامي الشعور بالأنا و تميزها، و نقصد تحديدا الذاتية الشخصية العربية الإسلامية ، ويعتبر أبو القاسم سعد الله [1] بأن هذا الاتجاه لم يولد منذ البداية كتنظيم و طني إسلامي، و لكن أخذ يعتدل نهجه بصفة معقدة و بطيئة ليتحول من البداية المغاربية الاجتماعية العالمية إلى الشكل : الوطني الثوري الإسلامي ، لكن رغم هذا التحول الطبيعي الحاصل و الذي يكون في كل الأمور – فلا شيء يبقى على حاله – إلا أن العامل الديني (الإسلام) لم يقع إبرازه من طرف الاستقلاليين بالمقارنة إلى عامل العروبة ، هذا الأخير الذي يعتبر من ركائز الهوية الوطنية الذي يحدد طبع باللغة العربية ،و قد ذكر لنا نفس المؤلف بأنه و في بيان صدر سنة 1927 احتجاجا على منع صحيفة النجم جاء فيه [2] :<< إذا كانت اللغة العربية أجنبية فإن الذين يتعلمونها أيضا أجانب>> .

لكن الملاحظ على أن مفهوم العروبة لدى الاستقلاليين قد حدد بالمعنى الثقافي ، ومن ذلك أن التركيبة العضوية للنجم ساهم فيها كثيرا عنصر القبائل باعتبارهم من اكبر المناطق التي هاجرت إلى فرنسا و بالتالي فقد ورد مبدأ احترام عادات و تقاليد الأقليات في أدبيات الحزب في إطار التعايش الاثني على هذا الأساس ربط مفهوم العروبة بالجانب الثقافي الذي سيبرز لاحقا كأزمة ثقافية .

كان للمدرسة الفرنسية دور في تكوين مناضلي الاتجاه الثوري ،وقد شكلت النخبة المفرنسة فيما بعد الأغلبية داخل القيادة الثورية ، لكن بالرغم من هذا المعطى و المرجعية الفكرية لأعضاء الاتجاه الثوري لكن ظل مطلب الحفاظ على الموروث اللغوي (العربية) مرفوعا ، بالرغم من لسانهم المفرنس و هذا المطلب لم يكن من منظور أن اللغة جزء من التقاليد كحال الليبراليين بل كقناعة فكرية ثورية و لا ننسى السياق التاريخي طبعا فالنجم لا يزال في المهجر بعيدا عن الجزائر ، لكن برغم ذلك لا شيوعية فرنسا و لا اتجاهاتها اليسارية و لا حياتها المختلفة أنست هؤلاء أصولهم و قضيتهم برغم اندماج بعضهم في الحياة هناك .

[1]– سعد الله : **أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر** ، ج 3 ، دار البصائر ، الجزائر ، 2007 ، ص 23.

[2] – نفسه ، ص 37.

بتاريخ 28 ماي 1933 عقدت جمعية عامة لأعضاء النجم في شارع بروتاني رقم 49 ، الدائرة الثالثة من باريس بدعوة من القيادة لعرض برنامج النجم المستمد من المطالب المقدمة في مؤتمر بروكسل 1927 و قد أضيف إلى البرنامج القديم التالي [1]:<< من أجل خلاصنا من أجل مستقبلنا و لكي نتمكن من احتلال موقع يليق بامتنا في العالم فلنقسم جميعا على القرآن بأننا نستعمل بلا توان على تنفيذ هذا البرنامج و تحقيق انتصاره النهائي >> .

و قد اهتم هذا البرنامج بالحقوق الثقافية كحقوق و ليس كمطالب وهو من الناحية الايديلولوجية و أوضح من برنامج 1927 فإلى جانب الثورية في المطالب السياسية – الاستقلال- فقد طالب النجم بدل تأسيس مدارس باللغة العربية فقط إلى تعليمها إجباريا و استعمال الازدواجية في المكاتبات الرسمية ، كما اهتم بالإصلاحات الاجتماعية و الاقتصادية و التي سنوردها في حديثنا عن مشروع مجتمع و قد ورد فيها ما يلي[2] :

1- حرية الصحافة و الاجتماع و منح الحقوق السياسية و النقابية

2- تعليم اللغة العربية تعليما إجباريا و إباحة جميع أنواع التعليم للجميع

3- احترام الخصائص الدينية (في إطار الخدمة العسكرية و تحريم قتل المسلم أخاه المسلم)

4- اللغة الرسمية هي اللغة العربية للبلاد

5- التعليم مجاني إلزامي في جميع مراحله و باللغة العربية .

إن هذا البرنامج لم يكن خاصا فقط بالجزائر بل كان تقريبا نفس برنامج المغرب و تونس مع الأخذ بعين الاعتبار للأوضاع العامة في كل بلد، أما فيما يتعلق بالمسألة الثقافية في هذا البرنامج فقد لوحظ أن النجم احتفظ بوجهة نظر مخالفة عن الشخصية الوطنية فالعروبة كموضوع بقي مطروحا في إطار المطالب

[1]- الخطيب : المرجع السابق ، ص 158.

[2]- زوزو : المرجع السابق ، ص ص 188-189.

العاجلة : ترسيم و إجبارية التعليم بالعربية ، مع الاحتفاظ بصفة أقل حدة بعنصر الدفاع عن الإسلام [1] ، و في هذا الإطار هاجم مصالي الحاج الامبريالية الاستعمارية في خطبة له أمام الجمعية العامة كونها تهدف إلى إغراق المسلمين الجزائريين في الجهل بدينهم و قال عن تلك الامبريالية أنها أرسلت المبشرين لتنصير السكان، لكن قوة إيمان الشعب العربي غير قابلة للتحطيم في شمال إفريقيا، بل و أكثر من ذلك شجع الحزب في خطاباته على فريضة الصوم و اتهم المفرنسين المتجنسين بالمرتدين عن الإسلام، و اتضح للحزب أن ماهية المواجهة تكمن في أنها جزء من الصراع بين الإسلام و المسيحية و في إطار الصراع شرق- غرب، و قد وضح هذا التحول أن الحزب بدأ يتخذ فعلا طابع الجزائرية و يسير في الاتجاه الصحيح الذي تتحرك فيه الجزائر [2] .

برنامج 1935:

أمام هذه الطموحات الوطنية الواضحة المصبوغة بروح الأمة حلت فرنسا الحزب سنة 1934 ليظهر تحت مسمى مختلف هو الاتحاد الوطني لمسلمي إفريقيا ، لكنه حافظ في جوهر نضاله على إيديولوجية النجم و كان الاختلاف فقط في الاسم لكن رغم معاناته نتيجة تبعيات حله فقد تعذر عليه النشاط العلني، و كانت تسمية الاتحاد الوطني لمسلمي شمال إفريقيا عبارة عن غطاء قانوني لتمكين مناضلي النجم من النشاط و قد تضمن قانونه الأساسي :

- تحرير مسلمي شمال إفريقيا ماديا و روحيا

- ضم مسلمين من كافة مناطق شمال إفريقيا إلى جمعية و العمل على تربيتهم تربية وطنية و اجتماعية و الدفاع عن مختلف مصالحهم .

لقد اكتفى برنامج 1935 حسب عبد الحميد زوزو على توضيح شكل البرلمان في الجانب السياسي مضيف عبارة << بدون تمييز في العرق أو في الدين >>، و قد لازمت هذه العبارة تأسيس برلمان جزائري و نفهم من ذلك ما يسمى سياسية التسامح الديني و العرقي بين الجزائريين و الغربيين في إطار

---

[1]- سعد الله : **أبحاث و آراء** ، ج3، المرجع السابق ، ص 43.

[2]- نفسه. الصفحة نفسها .

التعايش، و هو اعتدال واضح في هذا المطلب كما تضمن احترامه لدين الإسلام و حرية العبادة و ضرورة تطبيق مبدأ فصل الدين عن الدولة [1] وهو هذا المطلب قد تقاطعت مع بقية الاتجاهات الوطنية في طرحه .

وفي شهر فيفري 1936 قدم النجم برنامجا بمطالب فورية بالاشتراك مع تونس و المغرب ، كانت دباجتها حول إلغاء الميز العنصري و اعتبار الأوروبيين عنصرا متفوقا عن أهالي المستعمرات ،و أهم ما جاء فيه التركيز على الحرية الدينية في الرأي و إجبارية التعليم و تحسينه و قد جاءت كما يلي :

– في المطالب السياسية :

– إلغاء الظهير البربري في المغرب

– حرية الصحافة و حرية الاجتماع بموجب قرار سنة 1881

– حرية تأسيس الجمعيات بتطبيق قانون 1901

– المطالب الاجتماعية :

أ/ **التعليم :**

– جعل التعليم الابتدائي مجانا إلزاميا.

– توسيع التعليم الثانوي .

– الحق للجميع في التعليم العالي و توزيع المنح و التشجيعات بحسب الاستحقاق.

– تعليم اللغة العربية إجباريا في جميع المستويات .

---

[1]– زوزو : المرجع السابق ، ص 74.

ب/ إصلاحات متنوعة[1] :

– إلغاء التبشير في شمال إفريقيا و الكف عن دعم المذهبين الكاثوليكي و البروتستانتي.

– الحفاظ على الأوقاف و الحيلولة دون استخدامها في تعزيز الاستيطان الرسمي أولويات أخرى .

إن الملاحظ على هذه المطالب أنها وردت أكثر تفصيلا ووضوحا كما تضمنت بصراحة البعد المغاربي في طرح المسألة الثقافية، فقد طالب بإلغاء الظهير البربري المستخدم في المغرب الأقصى و هو في الحقيقة أحدث شقاق إثني و لغوي و تاريخي بين العرب و البربر من جهة، ومن جهة أخرى تسهيل عملية الإدماج في هذه المناطق ، إضافة إلى حرية الرأي وحرية النشاط سواء عمن طريق التجمعات العامة أو عن طريق الصحافة ،أما في ما يتعلم فقد ركز على توسيع التعليم الثانوي بالنسبة للأهالي بأن دخول المعاهد الثانوية بالنسبة للجزائريين حد محدود خاصة هنا في الجزائر بخلاف تونس الذي كان خريجي المعاهد و الجامعات في مختلف التخصصات أكثر بكثير من الجزائر ، كما حافظ على مطلب التعليم الإجباري باللغة العربية مع مجانيته بالنسبة للأهالي ، وهذا التشجيع الجزائريين للخروج من حلقة الأمية بسبب الصعوبات المالية ، كما ركز على عنصر الاستحقاق نظرا للتنكر لتفوق الجزائريين في الدراسة عن نظرائهم الفرنسيين رغم صعوبة الظروف

و على خلاف باقي الاتجاهات فقد انفرد النجم في مطلب إيقاف التبشير الديني في شمال إفريقيا كجزء من مشروع الإدماج و الاستلاب الثقافي و الديني ، في المقابل طالب النجم بإبقاء على الأوقاف في إطارها و ضعيتها الطبيعية و إيقاف استغلالها ومنحها للمستوطنين .

استقرت مطالب المؤتمر الإسلامي الجزائري المبنية على مشروع بلوم فيوليت أعضاء نجم شمال إفريقيا ممثلة في مصالي الحاج ، حيث شكل هذا المؤتمر نقطة تصادم بين الثوريين و باقي الاتجاهات الوطنية، خاصة فيما يتعلق بالقضية الوطنية حيث وردت مطالبه بصيغة متواضعة إلى حد بعيد، فهي ليست بجديدة على الجزائريين و قد سبق و أن نادى بها الأمير خالد، و قدم على إثرها برنامج إصلاحي في 1924 إلى

---

[1] - **EL oma , n 41 (juillet – aout) 1936**.

رئيس الوزراء بفرنسا و دعى فيها إلى مساواة الجزائريين بالفرنسيين في ا طار الأحوال الشخصية و إلغاء قانون الأهالي ، أما مطلب فصل الدين عن الدولة فقد اشترك فيه كل من النواب و الشيوعيين ، كما نلاحظ أنها كذلك خليط من مطالب مستوحاة من برامج أحزاب الحركة الوطنية و حاول كل اتجاه أن يدرج مطالبه و من جهة أخرى برزت الصيغة الإصلاحية في هذه المطالب التي كانت بعيدة عن مطلب الاستقلال أو حتى إشارة إلى التحرير من الاستعمار بل نادت إلى ربط الجزائر بفرنسا و كان هذا المطلب يلقى صدى لدى النواب المسلمين الذين أرادوا تبيان موافقتهم عن مشروع بلوم فيوليت .

في حين طالبت الجمعية بالحفاظ على الدين الإسلامي و نشر التعليم بالعربية و قد لقيت نصيبا وافرا من النقد سبب مشاركتها في المؤتمر الإسلامي و بصفة عامة كانت عبارة عن مظالم ، وبالتالي فقد كانت اشد معارضة للثوريين موجهة ضد النواب الذين تخيلوا حل القضية الجزائرية عن طريق إصلاحات اقتصادية واجتماعية ، وعلى اثر سفر وفد المؤتمر الإسلامي إلى باريس التقى أعضاؤه بمناضلين من النجم و على رأسهم مصالي الحاج و حاول إقناع عناصر الوفد- المشكل من ابن باديس ، خير الدين عن العلماء و فرحات عباس و الاخضري و بن جلول عن النواب و طاهرات و ابن قلعية لكبير عن الشبان [1] ،- مركزا على النواب للتنازل عن المطالب الإدماجية غير أن بن جلول امتنع عن مقابلة النجميين و الاجتماع بهم [2]، وعليه فقد اتهم مصالي النواب بفرضهم مطالب المؤتمر الإسلامي فرضا على الجمعية و الحزب الشيوعي [3] ، فكان رد مصالي الحاج دخول الجزائر في 2 أوت 1936 للوقوف في وجوههم و قد خاطب الجماهير الشعبية محاولا توعيتهم ، و نظرا للتوجه الاستقلالي للنجم و المعادي لسياسة النواب المسلمين خاصة ما يتعلق بالإدماج و الالتحاق ، وحتى لحكومة الجهة الشعبية قامت بحله في 26 جانفي 1937 ، وفي تصريح مصالي لجريدة الفلاش أتهم النواب المسلمين أنهم وراء حله لتتخذ الإجراءات القانونية لإنهائه[4].

لقد ساهمت المرجعية الثقافية للثوريين في التأثير على الجيل المؤسس للنجم فقد استطاع هؤلاء الممارسة في نقابات الحزب الشيوعي الفرنسي ، وتأثير شكيب أرسلان و الزخم الثقافي و الديني الذي كان

---

[1]- الفتى الزواوي : "**تشكيل اللجنة التنفيذية للمؤتمر**" ، مجلة **الشهاب** ، مج 12.، ج 4 ، جويلية 1936 ، ص 229.

[2]- الخطيب : المرجع السابق ، ص 198.

[3]- مصالي : المصدر السابق ، ص 200.

[4] – **la dépeche de Constantine** , **mercredi 27 juin 1937** .

في تلك المرحلة و الذي أثر بصفة كبيرة في جعل هؤلاء يتوعون مشكلة بلدهم الجزائر و يفهموا ما هو موجود و مطروح و في المقابل واقع بلدانهم، و بالتالي كان فهمهم للمشهد الثقافي خاصة يتجاوز بكثير فهم الاتجاهات الأخرى داخل الجزائر .

كانت فترة نشاط النجم بداية طرح قضية الانتماء و كيفية تحديدها اعتبارا على اللغة أم على الدين الإسلامي، و ذلك خلال الصراعات التي تواجه فيها مصالي الحاج و عمار ايماش، ووفق تحليل محمد حربي فإن مفهوم القومية لدى مصالي الحاج مستمد من الإسلام، بينما كان عمار ايماش و هو مناضل راديكالي شيوعي بأتم معنى الكلمة مقتنعا بنظام العرش و الجماعة (تاجماعت) لمؤسسة ديمقراطية اجتماعية للجزائر المستقلة [1] .

تجاذب حزب نجم شمال إفريقيا اتجاهين يتنازعان ،و ما هما سوى نتاج للمرحلة الجنينية داخل الحزب الشيوعي الفرنسي حيث اخضع الاتجاه المتأثر بالشيوعية استقلال الجزائر لتحقيق الاشتراكية في الجزائر ،و هي نظرية تبناها فيما بعد الحزب الشيوعي الجزائري مع توجيه الاهتمام للثقافة التقليدية لما وصل إليه الوضع الحضاري في الجزائر، في حين جسد الاتجاه الثاني الذي تزعمه مصالي مفهوم الأمة كقيمة ثورية مع التمسك بالإرث العربي الإسلامي ، بل إن مصالي يرفض أية قطيعة مع الماضي [2] :<< فالجزائر المسلمة شعب له لغته الأم و دينه (...) و نحن لا نزال اليوم رغم الاستعمار مرتبطين بقوة بهذا الماضي >>.

2- حزب الشعب الجزائري:

اعتبرت هذه المرحلة من نشاط الاتجاه الانفصالي مرحلة تطورية للحزب، فإلى جانب الانتقال الجغرافي للنشاط السياسي للحزب قد دخل مرحلة الترسيخ الاجتماعي باعتبار التسمية في حد ذاتها حزب الشعب الجزائري ، كما أنه من حيث التركيبة العضوية ستقلل السمة العمالية فهو سيصبح حزب الطبقات المتوسطة

1- محمد حربي : **جبهة التحرير الوطني الأسطورة و الواقع** ، تر: كيميل قيصر داغر ،مؤسسة الأبحاث العربية ،دار الكلمة للنشر ،ط1 ،1983، ، ص 29.

2 - **la justice** ,**17 aout 1937**. -12- لأنظر الملحق رقم

و انظر كذلك : **CAOM ,9h47 rapport sur le parti du peuple Algerien cité dans el ouma 10 avril 1937**

الدنيا في التراتبية الاجتماعية، و التي تعكس بصورة حقيقية مطامح الشعب ، كما أن الإرادية الوحدوية لهذا الحزب هي التي أدت إلى رسوخه الاجتماعي و يضع في اعتباره تناقضات ثنائية أكثر وضوح ، خاصة بين المستعمرين و المستعمرين في مقابل التخلي عن ثنائية التناقض بين المستغلين و المستغلين .

أم عن البرنامج الثقافي لهذا الحزب فقد اتخذ بداية شعارا جديدا نشرته جريدة الأمة جاء فيه : << لا اندماج و لا انفصال و لا سيد جديد ... الجزائر قوية بأكثر من ستة ملايين يتكلمون نفس اللغة ،لهم نفس الدين ،و نفس التاريخ ،فالشعب بقي بوفاء مرتبطا لا يمكن إدماجه ... >>، وفي مقال آخر للأمة اعتبر الحزب على لسان خليفة بن عمار في اجتماع للحزب في العاصمة ، طالب بفصل الدين عن السلطة ، مع إجبارية تعليم اللغة العربية في كل الأطوار مع حماية الطفولة كما ذكر خطابا مطولا حول التاريخ الإسلامي وضرورة مشروع الوحدة الشبيه بمشروع مصر وسوريا و العراق[1] .

إن هذه المطالب توضح ابتعاد حزب الشعب الجزائري عن إيديولوجية النجم و التي هي إيديولوجية الطبقة العاملة ، كما أن مطالبه الثقافية تعكس فعلا الوضعية الكائنة و المراد مستقبلا ، فالاهتمام بالأطر الثقافية للمجتمع الجزائري و الدفاع عنها ما هي إلا ثورة ثقافية بالنسبة للحزب خاصة وانه انتقد في أحد أعداد الأمة الفئة المثقفة الذين وصف وضعيتهم بعنوان :"عقم الرجال" و قد حدد فيه فئة الأطباء و المحاميين و الأساتذة الذين يقفون على الحياد أمام القضايا المصيرية للشعب الجزائري وكأنهم يرون أنفسهم فوق الواجب ، هذه الفئة لا تفعل شيئا رغم أن مستواها الثقافي يسمح لها بتقديم الشيء الكثير للبلاد والعباد [2] .

3- حركة الانتصار من اجل الحريات الديمقراطية :

تعتبر التركيبة العضوية لحركة الانتصار أهم المتغيرات في الحركة ،و التي ستتحكم كثيرا في المسار الإيديولوجي لها و ستصل بها في مراحل عديدة إلى حتمية الصدام داخل الاتجاه، و الشيء الملفت هو بداية تراجع التوجه الإسلامي نسبيا ، بإلقاء نظرة على هذه التركيبة نلاحظ تنوعها و الاختلاف الوظيفي

---

[1] - C A O M , 9 H 47 , el ouma le 20 mars 1937.
[2] - el ouma N° ; 36 décembre 1935.

حيث كانت زمن النجم و حزب الشعب تقتصر على الطبقة الفلاحية الزراعية و الطبقة الكادحة، و هذه الطبقة عكست الانتماء الريفي المحافظ على الثوابت الشخصية للفرد الجزائري، و عرفت دخول عناصر جديدة ذات ثقافة فرنسية من خريجي من المدارس و الجامعات الفرنسية عليهم ،و التي دخلت في صراع مع مصالي في إطار اللجنة المركزية حيث بلغت نسبة هذه الفئة داخل الحركة 23 بالمئة ممن تخرجوا من المدارس الفرنسية مقابل 4.1 بالمئة من المتخرجين من الزيتونة و الأزهر ، وأكثر من ذلك فقد عرفت الحركة دخول الملاك الكبار فيها نسبة 4.1 بالمئة و 2 بالمئة للتجار الكبار مقابل 2 بالمئة من الفلاحين الصغار و 8.3 بالمئة كتجار صغار و 4.1 بالمئة حرفيين و الغياب التام للعمال الزراعيين، و هذه الصورة ما هي إلا تراجع للمشهد الاجتماعي للحركة مقارنة بالصورة الاجتماعية للحزب الأم نجم شمال إفريقيا [1] ،و سيكون لهذه التركيبة الجديدة مهمة رسم تطور جديد للحركة.

كانت حركة الانتصار لحركات الديمقراطية رغم مشاكلها حركة وطنية من الدرجة الأولى تبنت الشعبوية و مقومات الشعب الجزائري و قيمه الأصلية من إسلام و عروبة وهذا ما تؤكده أدبيات الحركة و نشاطاتها المختلفة داخل الجزائر و على صعيد العالم العربي و الإسلامي ، فارتباطها بهذا البعد واضح ، و لطالما شكل احد الأهداف الرئيسية لمطالبها و شعاراتها ، بل و أكثر من ذلك فكثيرا ما كانت ترتبط النضال في الجزائر بنضال الأشقاء العرب في البلدان العربية الإسلامية، و يؤكد هذا المسعى نضالها مع الحركات الوطنية المغاربية قصد مجابهة أي سياسة من نشأتها فرض عزلة على إحدى الحركات الوطنية في هذه البلدان ، فالعوامل الوطنية و القومية و الدينية ثابتة لدى الحركة و قد جاء برنامجها الثقافي عند ميلاد الحركة كما يلي :

1- الجزائر أمة .

2- استقلال الدين الإسلامي.

3- نشر الثقافة الوطنية الجزائرية .

[1] - Sotra : les sources , op-cit , p 137.

4- الترسيم الفعلي للغة العربية وجعل تعليمها إجباريا .

5- إيجاد مدارس لتعليم كافة الأطفال الجزائريين .

6- مقاومة الأمية بتطبيق الأساليب الحديثة للتعليم الأساسي في كامل أنحاء القطر .

7- توسيع مدى التكوين المهني و التقني .

8- رفع المستوى العام للمرأة الجزائرية لاشتراكها في الكفاح الوطني.

9- تشجيع الجهود الخاصة في الميدان الاجتماعي و الثقافي.

إن هذه المطالب تفسر بوضوح الاستقلال الثقافي للجزائر مع الاعتراف بكامل مقوماته الهوياتية مع تصور لشكل الدولة الوطنية بعد الاستقلال . وهو ما أوضحه التقرير العام الذي قدمته اللجنة المركزية لحركة الانتصار في إطار المؤتمر الوطني الثاني للحزب في افريل 1953م، و قد أكد في الميدان الثقافي نشر الثقافة القومية المتصلة اتصالا وثيقا بالثقافة العربية الإسلامية مع نشر التعليم المطور الصناعي و التقني ، و محاربة الأمية مع احترام التعدد العقدي الديني في الجزائر انطلاقا من كون الإسلام دين التسامح [1] .

هذا و قد تمسك الحزب بالتربية الثقافية لمناضليه إذ لم تكن مطالبه فقط في سبيل وضع اطر الدولة الوطنية في الشق الثقافي بل كان يؤمن بأن التغيير يبدأ من الحزب ومناضليه ، و قد أورد يحي بوعزيز بأن مناضلي المنظمة الخاصة خاصة مع بداية أزمة الحزب قد طبقت عليهم سياسة " تربية المناضل " و التي تقوم على :

– **التربية الخلقية** :المرتبطة بسلوكيات المناضل مع التعليم التنظيمي مع التركيز على الأعداد العقائدي للمناضل، و الذي بقي إلى ما بعد 1948م على حد تعبير يحي بوعزيز ناقصا نظرا لضعف المستوى الثقافي للعديد من المناضلين ، وكان الهدف إعطاء صورة مثالية عن المناضل الذي يعتبر قدوة لبقية الطبقات الشعبية في إطار الاتصال الجماهيري هذا ما يستدعي التحلي بالصفات الحميدة .

[1]- يحي بوعزيز:**الايديولوجيات السياسية للحركة الوطنية الجزائرية من خلال ثلاثة وثائق**،ديوان المطبوعات الجامعة، الجزائر، 1981 ، ص 99.

وحفاظا منها على المناضل من الانزلاق و الانحراف فقد ركزت في تكوينها العقائدي لهؤلاء المناضلين على محورين أساسيين [1] :

المحور الأول : الإسلام :

بحيث يخضع المجندون إلى إتباع قواعد الشريعة الإسلامية ، و تجنب جميع المحرمات من خمر و قمار و زنا وسرقة، و كانوا يتلقون دروسا في الجهاد و الصبر و الإيمان و دراسة السنة النبوية إضافة إلى التركيز على القرآن الكريم و الآيات القرآنية الحاثة على الجهاد و الصبر و الشجاعة .

المحور الثاني : التاريخ :

و تركزت دراسته حول تاريخ الجزائر منذ العصور الغابرة و المقومات الشعبية .

و ضمانا لارتباط المناضل العقائدي و الروحي بالجهاد كانت المجموعات الموزعة للمنظمة الخاصة تخضع للقسم على المصحف الشريف في المسجد ، على ألا تخونه أو تكشف السر حتى الموت [2] .

إن هذا المشهد الأخلاقي يبين مدى تمسك الحركة بالثوابت الأخلاقية الشخصية فهي تعطي مثالا عن مناضلها الذي يعكس في أجزاء من هذه السياسة الهدف الثقافي و التربوي للحركة ، فرغم اهتمامها بالاستقلال إلا أنها رسمت معالم هذه الدولة أخلاقيا و عقائديا و أكدت اهتمامها بالدين الإسلامي، و هو في الحقيقة تأثير ممتد من الزاوية باعتبارها النواة الأولى للحركة من الطبقات الريفية التي كانت في حالة دفاعية ضد المساس بالمقومات الشخصية للفرد الجزائري و تعتبر شخصية مصالي مثلا عن ذلك ، لكن دخول عناصر مثقفة ثقافة فرنسية – كما اشرنا سابقا – و في العموم هم برجوازيون ، قد أثر كثيرا على توجهات الحزب وهم الذين سيتحولون إلى الجيل الجديد الذي يحاول السيطرة على الحزب و شرعنة وجوده و إقصاء الجيل القديم باعتباره لم يستطع تجسيد الأفكار الثورية التي بقيت كلاما خام و قد دفع هذا الجيل بالحزب إلى أزمة حادة ،خاصة فيما تعلق بالمسألة الثقافية فتجاذب القوى بدأ يطفوا على مجريات الأحداث من

---

[1]– يحيى بوعزيز : مرجع سابق : ص 148.

[2]– مومن العمري : **الحركة الثورية في الجزائر ، 1926–1954** ، دار الطليعة للنشر و التوزيع ، قسنطينة 2003، ص 116.

مؤتمر 1947 م الذي سادت فيه حجة التسلط البيروقراطي ، ثم اجتماع اللجنة المركزية 1948 م و استمرت الأزمة تتفاقم فالصراع الآن لم يعد صراع شرعية السلطة بل تعداه إلى المسألة الثقافية ، خاصة لما بدأ التحالف بين البربريين و محمد الأمين دباغين، وهو ما دفع مصالي الحاج إلى التفكير السريع في التخلص من دباغين باقتراح حسن لحول كأمين عام للحزب، مما أدى إلى حدوث انقسام داخل المكتب السياسي إلى جماعتين ، جماعة مصالي الحاج و لحول ضد جماعة دباغين[1].

و قد رأى الدكتور فيلالي عبد السلام بأن هذه الأخيرة قد انقسمت بشأن المسألة الثقافية بين أنصار الجزأرة و التيار العربي الإسلامي، و هذه الأزمة الثقافية ستعم الحزب و التي ستتبوتر في الأزمة البربرية أو مسألة الصراع العربي / البربري ،وهذا منذ 1949 م فيما رفض 28 عضوا من أصل 32 يشكلون فيدرالية فرنسا للحركة فكرة أن الجزائر عربية إسلامية و أبدوا أطروحة الجزائر جزائرية، و اتسعت الأزمة حين فتحت الحركة اكتتابا من اجل فلسطين و عارضه البربر بشدة بقيادة رشيد علي يحيى ،و سرعان ما انتشر العداء لكل ما هو عربي حتى قام مصالي الحاج و هو عربي من الغرب بحملة تطهير واسعة ضد العنصر القبائلي في الحزب ، الذين سعوا إلى مناصب قياديين فيما بعد داخل الجهة حيث سيطروا على لجنة التنسيق و التنفيذ ، وعندما تضخمت الجبهة وزاد عدد المناضلين ، أصبحت تعكس أكثر التركيبة الاثنية للمجتمع الجزائري ، فلم يعد مقبولا أن تسيطر الأقلية القبائلية على الأكثرية العربية الشأوية ، ومن ثم تعرضوا للإقصاء ، فتم اغتيال عبان و أزيح كريم بلقاسم و آيت أحمد و استكمل بومدين و بن بلة تأكيد العروبة في الجزائر ، و بالتالي فإن أزمة حركة الانتصار ولّدت صراعات ثقافية داخل الجزائر خاصة في مرحلة المخاض – الثورة- في إطار الصراع الثقافي الذي تمظهر في شكل صراع لغوي عربي بربري و الصراع الاثني ، عرب /بربر و الصراع الجهوي شرق/ غرب[2] ، وهي نقاط سنتناولها في بابها .

[1] -فيلالي : المرجع السابق ، ص 170.

[2] -نفسه ، ص ص 170-171.

المبحث الثالث : النخبة الاستقلالية و مشروع المجتمع :

يعتبر المجتمع جزءا مشكلا لعنصر الشعبوية لدى هذا الاتجاه فسواء تعلق النضال بالجانب السياسي أو الثقافي فهو يرتبط به باعتباره مصدر المناضلين هذا ولم يشمل المشروع الثوري الجانب السياسي (الاستقلال) فقط بل أولى اهتماما لمصير المجتمع الجزائري سواء أثناء الفترة الاستعمارية في إطار مطالبه العاجلة أو بعد تكون الدولة المستقلة في إطار المطالب الآجلة ، وقد تصور الاتجاه الأطر العامة لهذا المجتمع في التعليم العام يتم إصلاح القوانين العمالية و الاجتماعية إضافة إلى الاهتمام بعنصر المرأة وهو المادة التي كان لكل الاتجاهات مواقف مختلفة منها.

1- وضعية المجتمع الجزائري في منظور هذا الاتجاه :

غير أن هذه الأطر التي حددها الاتجاه تكون مبنية على أساس صلب وهو الإسلام الشعبوي بصيغة هذا الحزب ، حيث ترى بعض الكتابات أن هذا الاتجاه أعاد توظيف الإسلام الذي كان يمثل روح البنى الأصلية للمجتمع الجزائري بجعل الإسلام أساسا في البناء الفكري و الايديولوجي و ذلك باعتبار مرجعيتهم الثقافية وفهمهم للواقع التاريخي الذي كانت تعيشه الجزائر [1] .

إن الإسلام و الشعبوية صنفين متلازمين في الخطاب الاستقلالي لي وحسب محمد حربي فإن الشعبوية في الأصل هي صراع الشعب بالمعنى العامي دون تمييز وظيفي أوهوياتي وهذا انطلاقا من اعتبارات الشعب فاعل مطلق للتاريخ معصوم من الخطأ [2] ، أما الإسلام فهو مصدر الأفكار الاجتماعية التي تبناها مصالي الحاج حيث ربطه بالمفهوم الاجتماعي البسيط المستمد من الطرق الدينية لهذا كانت إيديولوجية الحزب تعبر عن الطموحات العميقة للشعب الجزائري و جمعت الخطاب الاجتماعي و الروح الطرقية التي كانت تنكر بقوة الطرق الصوفية، خاصة و أن الإطارات المكونة للحزب كانوا ذوي تكوين غير كاف ولذا فإنهم كانوا يحركون الجماهير بواسطة نوع من الوطنية العاطفية التي كانت تميل أحيانا إلى الإصلاحية و لكنها كانت متوجهة بصورة قطعية ومتحمسة نحو الإسلام المضطهد و الدول العربية المواجهة للامبريالية

[1]- عمري : المرجع السابق ، ص 473.

[2]- حربي : الاسطورة و الواقع ، ص 27.

البريطانية و الفرنسية كما أن الحزب استطاع أن يجلب إليه الجماهير باعتبار أن إيديولوجيته كانت تعبر عن الطموحات العميقة للشعب الجزائري[1] ، غير أن مصطفى الأشرف يعلق على إيديولوجية إسلام الحزب بالسطحية و يرجع سبب الشعبية هذه إلى دعاية مساندة الشعوب الإسلامية المضطهدة [2] ، لكن من جهة أخرى أضفى هذا الاستقطاب على حزب الشعب سمة تجعله يختلف جوهريا عن باقي مكونات الحركة الوطنية ، والسبب راجع إلى أنه كان الحزب الوحيد الذي جمع بين معظم الإشكال و القوى الاجتماعية في عمل داخل المجتمع هذا ما جعله على صورة مجتمعه عاكسا لمختلف الروابط الاجتماعية فيه [3] ، فهو مدرك لنظرية أن المجتمعات المستعمرة هي مجتمعات فقدت توازنها وخياراتها فهي إذن مجبرة على التعايش مع ضعفها وفقدان إرادتها وفي ذات الوقت تندفع نحو تأكيد هويتها وتنشد استقلالها وقدرتها على التحكم في مصيرها وهذه المرحلة التاريخية في نظر تورين آلان يبدأ المجتمع في الوعي بذاته ، فيتجه إلى إعادة صياغة الحاضر و الاستعداد لبناء المستقبل [4] ، ويمكن إدراج الإصلاح الاجتماعي كخطوة أولى في سبيل التغيير المستقبلي للمجتمع فرغم أنه لم يكن ضمن أهداف الاتجاه مقارنة بالهدف السياسي إلا أنه و بحكم التنوع العضوي في تركيبته الحزبية قد اهتم بالجانب الاجتماعي وقد تمظهر هذا في برامج ومطالب الحزب فقد لاحظنا أنه بين سنة 1926 إلى 1939 قد تمحورت المطالب الاجتماعية حول مواضيع مرتبطة بالحياة اليومية للمجتمع : وهو يتقاطع في هذه المطالب مع باقي الاتجاهات الوطنية حيث اهتم ب:

1 – الجانب الزراعي و التجاري : إضافة إلى الاهتمام بشؤون الأشغال اليدوية و المتعلقة بتخصيص منح و إقامة مسابقات ومعارض دائمة لإنعاش تنمية الأشغال اليدوية ، مع تشجيع المجتمع الجزائري بكل فئاته على المحافظة على التقاليد و التراث الفني بإعطائها الأفضلية على إنتاج المعامل و السعي لتنمية ذوق استخدامها [5].

[1]– عمري : المرجع السابق ، ص 474.

[2]– الاشرف : المرجع السابق ، ص 250.

[3]– فيلالي : المرجع السابق ، ص ص 168-169.

[4]– تورين الان : **انتاج المجتمع** ، ترجمة إلياس بديوي ، منشورات وزارة الثقافة و الإرشاد القومي ، دمشق ، 1976 ، ص 5.

[5]– الخطيب : حزب الشعب ، المرجع السابق ، ص ص 295-296.

إن تجربة النخبة الاستقلالية في المرحلة الأولى من نشاطه كانت تعبر عن انبعاث جديد للأوساط الجزائرية الأكثر تضررا ومعاناة من السياسة الاستعمارية و لذلك تميز تطوره في هذه المرحلة بالنجاح السريع و العريض في حشد قاعدة نضالية معتبرة ونخبة راديكالية نشيطة تميزت بتبنيها لخطاب شديد اللهجة تجاه الاستعمار [1] .

2- التعليم العام :

يرى جاك سيمون بأن نجم شمال إفريقيا كان يعمل لإلغاء تجاوزات النظام الاستعماري و تحسين الوضعية العامة للأهالي بواسطة تعميم التعليم العام و تطبيقه على المجتمع الجزائري [2] ، فقضية نشر التعليم العربي من جملة اهتماماته و اتخذ منها سلاحا لدفع الحركة الوطنية إلى الأمام و إثارة اهتمام المواطنين بمقومات الشخصية الجزائرية ووجوب المحافظة عليها و يرى رابح تركي بأنه ليس من الغريب أن يهتم حزب الشعب بنشر التعليم العربي ، والمطالبة بجعل اللغة العربية رسمية في التعليم الحكومي الذي كانت تشرف عليه إدارة الاحتلال و باعتبار الحزب حركة قومية ، جماهيرية طالبت بالاستقلال التام للجزائر ، كما طالبت منذ تأسيس النجم بإجبارية فرض التعليم الإجباري باللغة العربية لجميع المستويات ومن هذا الأساس سعى حزب الشعب إلى محاولة تقديم مساهمة في مجال التربية و التعليم وسار على نفس خطى جمعية العلماء المسلمين بتأسيس المدارس الابتدائية في العاصمة وبعض المدن ، إضافة إلى إرسال بعثات طلابية على نفقته الخاصة للدراسة في الزيتونة بتونس وجامع القرويين بالمغرب و بعض الجامعات العربية في المشرق و يشير تركي إلى أن ضياع وثائق الحزب المتعلقة بنشاطه التعليمي ، شكلت شحا في دراسة هذا العنصر [3].

إن توجه هذا الحزب نحو الاهتمام بالتربية و التعليم على مستوى المجتمع الجزائري له ارتباط وثيق بمقومات المجتمع الجزائري وهو ذو ارتباط بتوظيف وتفعيل عنصر الإسلام وهذا نوع من التأثر بجمعية العلماء ، وعرف نشاطه الاتجاه على مستوى الطبقات الشعبية ومحاولة ترسيخ الإسلام الشعبوي البسيط وجعله آداة خطابه السياسي للتأثير على الطبقات الشعبية ولم يصطدم هذا الاتجاه مع جمعية العلماء الرائدة

[1]- خيثر : المرجع السابق ، ص 27.

[2] – jaque Simon **; messali hadj la passion de l Algerie libre** ,ed térésias ,1998, p 46.

[3]- تركي : التعليم القومي ، المرجع السابق ،ص ص 249-250.

في هذا المجال وهذا بسبب رفعه شعار الإسلام و العروبة خاصة و أن المجتمع الجزائري قد بلغ مرحلة التشبع بسبب ماخلفته الحركة الإصلاحية [1] ، و قد اعتمد الاتجاه في مدارسه على مؤلفات شيوخ جمعية العلماء كمناهج تعليمية خاصة ما كتبه مبارك الميلي و أحمد توفيق المدني [2].

يرى هذا الاتجاه أن حل مشكلة التعليم نهائيا في الجزائر لا تكون إلا بالتخلص من النظام الاستعماري ، ثم إقامة منظومة تربوية و تعليمية بديلة لمنظومته تستهدف القضاء على مخلفات النظام الاستعماري بتعميم التعليم بصفة موسعة و استعادة الشخصية الوطنية بمكانتها وعلى رأسها اللغة العربية وهو يتلقى في هذا المطلب مع مساعي جمعية العلماء المسلمين حيث عرف الاتجاهين تشاركا في الأهداف و البرامج التعليمية هذا ما دفع حركة الانتصار لاقتراح مشروع اتحاد تعليمي مع الجمعية و ذلك بإدماج التربية و التعليم بضم حوالي 50 مدرسة تابعة لحركة الانتصار إلى مدارس الجمعية مع إدماج المعلمين و البرامج و إنشاء لجنة تسيير مختلطة [3] .

ويعود سبب هذه الشراكة التعليمية إلى عمق وعي الاتجاه الاستقلالي على غرار جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بالسياسة التعليمة الاستعمارية وأهدافها في الجزائر حيث صرح محمد الشريف ساحلي في مقال له حول تاريخ التعليم الاستعماري في جريدة الشاب المسلم أن المشروع الفرنسي كان قائما على المدارس الابتدائية وفئة الأطفال باعتبارها فئة خطيرة وناجحة في نفس الوقت وبالتالي تتأكد من تكوين أعداد طبيرة من المواليين لها ، كما انه ينفي الدور الحضاري المزعوم للمدرسة الفرنسية في الجزائر ويرى بأنها مجرد أداة لترويض الجزائريين[4] .

طالب حزب الشعب بإعادة النظر في مناهج التدريس ونظمه وهذا من خلال التوصيات التي أقرها المؤتمر العام للحزب بتاريخ 24/23 أوت 1938، وقد أصدر توصية من أجل توسيع التعليم العام اعتبارا

---

[1]- عمري : المرجع السابق ،ص 474.

[2]- لونيسي : المرجع السابق ، ص 374.

[3]- نفسه ، ص 417.

[4]- حول نص المقال في العددين أنظر الملحق رقم 13-14- le jeune musulman N° 7 le 17 octobre 1952 et N°8 le 31 octobre 1952

منه [1]:<< بأن نقص في المؤسسات التعليمية الموجودة في الجزائر و الذي يحرم حوالي 800.000 ولدا من أبنائنا الذين بلغوا سن الدراسة من التعليم الذي يكبل فيه الاستعمار شعبنا يشكل جزءا متكاملا من مخطط الاستعباد الجمعي و الاقتصادي الذي يعتمد عليه الاستعمار للبقاء عندنا ...>>.

و انطلاقا من هذه الاعتبارات طالب الحزب ب [2] :

1- الشروع الفوري في انجاز برنامج واسع لبناء المؤسسات التعليمية و تخصيص كل الاعتمادات المالية المخصصة للمشاريع العمرانية الجزائرية لانجاز هذا البرنامج .

2- تحديد قسم هام من الميزانية العامة المخصصة للجزائر لتحقيق مخطط منهجي للتعليم الابتدائي و الثانوي و العالي في العمالات الثلاث .

3- يتضمن مخطط التعليم الابتدائي و العالي [3] :

* تأسيس مدرسة ابتدائية عالية و ثانوية في كل مجموعة 10 مدارس .

* إلى جانب جامعة الجزائر تخلق كلية للآداب تدرس فيها اللغة و الآداب العربية إلى جانب التاريخ وعلم الاجتماع و الفلسفة الإسلامية على غرار معهد الدراسات المغربية و المدرسة العليا للغات و الآداب العربية في تونس.

* تحويل المدارس المسماة بالفرنسية الإسلامية إلى جامعات إسلامية أين يكون تعليم اللغات و الآداب العربية بإشراف أساتذة مسلمين .

وبعد الحرب العالمية الثانية اقترح الحزب تطبيق المناهج التعليمية الفرنسية على الجزائريين مع المساواة بينهم و بين الأوربيين مع وجوب تطوير طرق التربية وفق العادات الإسلامية ، انطلاقا من المدارس القرآنية،

---

[1]- الخطيب : المرجع السابق ، ص 296.

[2]- نفسه ، ص 297.

[3] - Melasuo Tuomo :" **les mouvements politique , et la question culturelle en Algérie avant la guerre de libération**" ,cahiers de la méditerranée n 26 ,1983 cités et nations au Maghreb , pp 7-8,(http//umpresée) .

والكوليجات إلى حين خلق كلية أو معهد للدراسات العليا الإسلامية و ببداية سنة 1950 ، حدد حزب حركة الانتصار المنهج التعليمي للجزائر المستقلة وفق مقومات المجتمع الجزائري الذي يرتكز على الأعراف و التقاليد وعلى الثقافة العربية الإسلامية [1]، لقد جاءت مرحلة الوفاق بين الاتجاهين بعد مرحلة من الصدام والمنافسة في المهجر بين أوساط الجزائريين خاصة بعد أن وسعت الجمعية نشاطها التعليمي إلى فرنسا – صوب المهاجرين- هذا ما اعتبره مصالي بالعمل التخريبي حيث قال [2]:<< إن الفضيل الورثيلاني باسم العلماء كان يقوم بعمل تخريبي ضد نجم شمال إفريقيا ، كان يبذل جهد لانشاء مدارس لنشر تعليم اللغة العربية و المبادئ الإسلامية في العاصمة الفرنسية وكان الورثيلاني يجد المساعدة لدى الحزب الشيوعي الفرنسي الذي كان يتفاهم معه جيدا ...>> ومن جهة أخرى وجه مصالي دعوة للجمعية لتشكيل جبهة موحدة و انه لا يعارض مبادئ الجمعية وهم أحرار في ممارسة السياسة [3].

وقد كان للطلبة دور هام كلجان مساعدة و تجلى دورهم أكثر بعد الحرب العالمية الثانية حيث حصلت جمعية الطلبة المسلمين لشمال إفريقيا و التي كان أمينها طالب الحقوق يزيد أمحمد علي نادي ، 115 نهج سان ميشال باريس ، وشيئا فشيئا استطاع بعض الطلبة الوطنيين السيطرة على الجمعية خلال سنة 1946 وقد أصبح هؤلاء فيما بعد عناصر ناشطة داخل الحزب .

بداية من 1946 و باستئناف الحزب نشاطه السياسي باسم حركة الانتصار من اجل الحريات الديمقراطية وقد عرف التنظيم الجديد تغييرا في الإطارات حيث يرى محمد حربي بأنه و أمام عجز الحزب من تكوين الإطارات فقد استخدم أولئك الجدد الذين توافدوا إلى الحزب ومعهم شهادات ومصدرهم المجتمع غير أنه – حربي- يقيمه بنوع من النقص من حيث البناء الاجتماعي و الإيديولوجي [4] . في حين يرى مصطفى الأشرف بأن كثيرا من المناضلين في حزب الشعب كانوا يعملون إلى غاية 1946 في السرية قد انسحبوا من الحزب الذي خيب أملهم بعدما تحول إلى حركة الانتصار و اتجه للمشاركة في الانتخابات النيابية الحكومية وفرط حسبه في المبادئ الأساسية فحل محل المنسحبين عناصر من الراغبين في ترشيح

---

[1] -tuoma ,op-cit, p8.

[2]- مصالي: المصدر السابق ، ص 211.

[3]- نفسه ، ص 216.

[4]- حربي : الأسطورة ، المرجع السابق ،ص 34.

أنفسهم للانتخابات ومعظمهم ممن لا ثقافة له أو فاته الزمن ، بل و يحدد السبب أكثر بعودة مصالي من إفريقيا الاستوائية و إلتفاف العناصر البائدة من الرعيل الأول حوله ن فهذه العناصر كرهت الكفاح المسلح لما فيه من مشقة وفضلت الدخول في الحياة النيابية[1] .

كما أنه – الأشرف- لا ينكر فضل الحركة القومية الاستقلالية في تركيزها دعائم النضال في المدن و ارتكزت على روح النضال و الرجولة و الشجاعة و الصلابة في المبادئ الثورية غير انه يوجه انتقادا للحزب كون عناصره تفتقد للثقافة وميول تركيبته العضوية للبرجوازية كنقائص ملحوظة [2] .

المـــرأة:

تشير المصادر التاريخية بأن مشاركة المرأة الجزائرية في الحياة السياسية و الاجتماعية في الجزائر تعود إلى فترة الأمير خالد أين ذكر مصالي الحاج في مذكراته بأنه وجها سنويا كان حاضرا في التجمع الذي نظمه الأمير خالد في باريس سنة 1924 و قد ذكر بأنها السيدة أحمد تيزاوي حيث [3] :<< أطلقت زغردة وصيحة فرح كسرت الصمت و أثارت حماسا لا مثيل له ،وقد أجابها الأمير خالد لكن سيدتي العزيزة و لتحية زغردتك كما يقتضي الحال كان ينبغي ان يكون حصاني وبندقيتي لتفسح المجال للغة البارود...>>، وفي سنة 1936 على اثر انتصار الجبهة الشعبية شارك وفد من النساء المسلمات لأول مرة في استعراض 14 جويلية في الجزائر إلى جانب نجم شمال إفريقيا تأييدا للجبهة الشعبية ، كما سجلت النساء حضورا في الملعب البلدي بمدينة الجزائر في 2 أوت 1936 من أجل الاستماع لوفد المؤتمر الإسلامي الذي عاد من فرنسا ، حيث تدخل مصالي الحاج وألقى خطابه حيث قال [4] :<< إخواني أخواتي لأني لاحظ أيضا في هذا التجمع وهو متوجه للحاضرين أن هناك نساء جئن للاستماع إلى صوت الشعب>>.

و ابتداءا من 1943 إلى 1944 بدأ انخراط الطالبات في حركة أحباب البيان وفي 1945 ، تم انتخاب و لأول مرة امرأة (ميمي بهلول) نائبة لرئيس اللجنة التنفيذية لجمعية الطلبة المسلمين لشمال

[1]- الاشرف : ص ص168-169
[2]- نفسه ، ص 253.
[3]- مصالي ، ص 123-124.
[4]- نفسه : ص 197-198.

إفريقيا ، إن هذا الحدث لم يناقش من زاوية اجتماعية أو ثقافية بل بقي في إطاره السياسي للكفاح و النضال من اجل الاستقلال [1] .

هذا ولم يدخل الحزب في نقاش بشأن قضية المرة كحال جمعية العلماء أو حتى فدرالية النواب المسلمين الجزائريين و قد اقتصر الاهتمام بها حسب ما ذكره كلود كولو بإنشاء مراكز الأمومة لنساء الأهالي في المدن و المراكز السكانية الكبرى و الذي ورد في مجموعة مطالب النجم [2] ، إن موضوع المرأة لم يناقش من زاوية أهميتها في الأسرة والحياة الاجتماعية بقدر مانوقش شكلها و خصوصا قضية الحجاب و السفور أين اختلفت حولها الآراء بين مؤيد ومعارض باعتبار أن حجاب المرأة في الجزائر ملجأ للهوية ومقاومة للتغلغل الفرنسي إلى وسط الأسرة الجزائرية في إطار الثقافة البديلة.

برزت قضية المرأة كمسألة تقاس في أدبيات الحزب بعد الحرب العالمية الثانية لكنها حسب إبراهيم لونيسي ، كانت كأداة فقط في الكفاح ضد الاستعمار ، حيث اعتبر الحزب مشاركة المرأة في الكفاح التحرري حاجة ملحة [3] ، هذا و قد سجلت في نهاية الأربعينيات بداية طرح التحرر السياسي للمرأة الجزائرية كشرط لتحرر الشعب برمته فبدأ النشاط النسائي يظهر على صفحات جرائد الاتجه ، خاصة جريدة المنار و المغرب العربي حيث سجل أول نشاط ثقافي ساهمت فيه النساء بالتوعية ثم ذلك في الاحتفال بالمولد النبوي حيث كتبت مراسلة المنار ونقلت إلى القراء عبارات السيدة شنتوف :<< لا يمكن للشعب الجزائري أن يتحرر تماما إلا إذا شاركت المرأة الجزائرية بجانب الرجل في كفاح التحرير>>[4] ، كما ظهرت توقيعات نسوية في صحافة الحزب ناقشت مواضيع متنوعة ، ومنها نهضة النساء و تحريريهن في ركن المنبر الحر لجريدة المنار ، ناقشت فضيلة أحمد حق المرأة الجزائرية في النهضة ، وفي عدد آخر من الجريدة نشر

[1]- يحياوي مرابط : المرجع السابق ، ج2 ، ص 342.

[2] - Collot ; op-cit: , p 80.

[3]- لونيسي : المرجع السابق ، ص 326.

[4]- **"النساء العربيات في العشرينات حضورا وهوية ، مركز دراسات الوحدة العربية"** ، تجمع الباحثات اللبنانيات ، مقال فاطمة الزهراء قشي ، المسألة النسوية في الجزائر في العشرينات من القرن 20 ، تطلع إلى الحضور ، ص 376.

مقال دون توقيع تحت عنوان "" المرأة المسلمة وماتنوي فعله في حياتها الجديدة"" حيث يرى صاحب المقال ضرورة مكافحة العاهرات و تشجيع المتعلمات و الاستجابة لمطالبهن بتجاوز العقلية البالية [1] .

وفي بداية العشرينات ظهرت مواضيع في صحافة الحزب تتعلق أساسا بقضية الحجاب و السفور بأقلام من رجال الصحافة و المربين و قد سجل في بريد القراء لجريدة المغرب العربي الموالية لحركة الانتصار المجال للآراء دون اتخاذ موقف من القضية ، وقد تم تزيين ركن نسائيات برسم على جانبي العمود يمثل امرأتين واحدة محجب و أخرى سافرة ، وهو دلالة على حرية الاختيار مع إمكانية التعايش [2] .

في 10 أكتوبر 1953 وجه الحزب نداء لكل الاتجاهات الوطنية بضرورة ترقية المستوى العام للمرأة الجزائرية من أجل إشراكها في الكفاح الوطني [3] ، ولتحقيق هذا الهدف تم إنشاء تجمع نسائي تابع لحركة الانتصار من أجل الحريات الديمقراطية سمي بجمعية النساء المسلمات الجزائريات وكان هذا عام 1947 ، وكان في صفوفها حوالي 4.5 بالمئة من النساء مع الإشارة إلى أن هذه الجمعية كانت مشكلة من خلايا سرية لحزب الشعب الجزائري وهي بالتالي وطنية ، و هن النساء اللائي يشكلنها كن طالبات ومعلمات و طبيبات وكن ملتزمات بقوة في الحركة الوطنية حيث كانت جميلة دبيش وعلجية نور الدين ولااليام حمود نفينسة بعطين محاضرات حول غرض تطور المإة المسلمة و بقي موضوع المرأة بين تأييد ومعارضة ففي محاضرة نظمتها جمعية الطلبة المسلمين لشمال إفريقيا في فرنسا عالج هذا الموضوع خطيبان فالأول صرح بأن المهم هو إخراج المرأة من الظلام ولا يهم أن كان التعليم بالعربية أو بالفرنسية أما الثاني فقد رفض التكوين الأوروبي للمرأة الجزائرية لأنه يفسد الشكل الخاص لسكان شمال إفريقيا [4] ، إن هذا النشاط السياسي للمرأة في الحزب كان محصورا فقط حسب – يحياوي مسعودة– في الوسط السنوي الثري ،و قد توسع نشاط المناضلات إلى الجانب الثقافي حيث نظمن مسرحيات وندوات ذات أهداف سياسية تعمل من أجل توعية

[1]– قشي : المرجع السابق ، ص 375.
[2]– نفسه ، ص 373.
[3]- Collot , op-cit , p 33.
[4]يحياوي مرابط: المرجع السابق ،ج 2 ، ص 327.

المرأة بدورها في المجتمع ، حسب شهادة مامية شنتوف حاولن استخدام الأعراس و حفلات الختان و الأعياد لخدمة القضية الوطنية [1].

[1]- يحياوي مرابط: المرجع السابق ، ج2 ، ص ص 343-344.

المبحث الرابع : الهوية في الخطاب الاستقلالي :

ارتكز الفكر المصالي على تقديس العروبة و الإسلام و كذا على الخصائص اللغوية و الثقافية للجزائر خاصة مع ادعاءات المستعمر بأننا لا نمتلك ماض و بالتالي المعاناة من الفراغ السياسي و الحضاري ، والذي بررت به احتلالها للجزائر كما اعتبر الإسلام أساس الشخصية و العامل الوحيد الذي بإمكانه توحيد الجزائريين ، و لا يمكن أن ننسى بأنه ابن طريقة درقاوية (محافظ) تربى على مبادئها و قيمها المتعلقة كثيرا بالإسلام ، مصالي الذي قال يوما [1] :<< أنا مسلم أأدي صلواتي الخمس بانتظام ، أصوم رمضان و أقوم بكل حسن و اتجنب الفواحش أنا لا أشرب ...>> مضيفا [2] :<< الدين هو أيضا طريقة للبقاء على اتصال بالثقافة ، باللغة ، مقاومة للحفاظ على الشخصية >> ، أن هذه التصريحات إعلان صريح لإغلاق الطريق أمام سعي فرنسا لخلق هوية ثقافية جديدة في إطار الإدماج ومن جهة أخرى الرد على الإدماجيين وعل رأسهم الصالح بن جلول و المطالبين بالمواطنة الفرنسية و التخلي عن جنسيتهم الجزائرية و عن شخصيتهم الوطنية وهؤلاء يختلفون عن الاستقلاليين الذين يسعون لاستعادة الجنسية الجزائرية التي يدافع عنها حتى الأشقاء في تونس و المغرب[3] .

اعتبر مصالي الحاج أن الطبقة الشعبية الجزائرية فاعل مطلق في تاريخه فهو يقدس الشعب ، وبالتالي فإن نضاله الشعبوي أصيل و أفكاره الاجتماعية تبقى مستمدة من الإسلام حتى أن سوء علاقة النجم بالحزب الشيوعي مردها إلى احتقارهم للإسلام و الجزائر خاصة و أن هؤلاء الأهالي كانوا يفتقرون إلى الوسائل الفكرية و ذلك أنهم لم يكونوا قادرين على إعادة التفكير في آرائهم الثقافية.

إن المرجعية التي اعتمدها مصالي تدور بين العروبة – الإسلام/ الشعبوية ، ويبدو أن مصالي ركز على البعد العربي الإسلامي كثيرا و قد صرح عدة مرات أن تاريخ الجزائر يعود إلى الفتح الإسلامي للمنطقة (القرن 7 م) و يبدو كذلك أن انتماءه الكرغلي كان له دور في تقديسه للعروبة و حتى الإسلام ومن جهة

---

[1]- réflexions : **Messali hadj 1898–1998** , **parcour et témoignages** , casbah , Alger 2006, p 101.

[2] – Ibid , p 80. انظر المقال El Ouma N 36 ,decembre 1935 بعنوان "موقفنا من الدكتور بن جلول " في

[3]- حول رد الحزب على بن جلول ، انظر المقال في جريدة الأمة الملحق رقم -15-

سمح له هذا النسب بالتأثر البالغ بأحداث تركيا (الثورة الكمالية(التي اعتبرها انتصارا للإسلام ومثالا يحتذى به وكان شديد الاهتمام لكل جديد في هذه المسألة ، كما أكد مصالي الحاج في الكثير من خطاباته على هوية الجزائر رافضا بذلك مشروع الإدماج لأنه مسح للهوية الجزائرية ومن ذلك النداء الذي نشره في 12 نوفمبر 1936 و من بعض ما جاء فيه : " ... إن شعبا يطلب الاندماج في شعب آخر لهو شعب قطع الصلة بينه وبين أبنائه من بعده ونحن الجزائريين لنا تاريخ مجيد ولغة شريفة و ذاتية مقدسة وضمير حي ... وهذه الأمة لا ترضى أن ترجع فرنسية ... فو الذي خلق الجزائر وخلقنا جزائريين وملأ قلوبنا بالعقيدة الراسخة و الإيمان الصحيح ، لانفتأ نقّوم اعوجاجكم في مسألة الإلحاق ولا ننفك نباهيكم أمام من شاتم ، وإذا أردتم الإنصاف تعالوا نستفسر العالم الشرقي كله ، و نكاتب زعماء الأقطار الإسلامية أجمعين ، ولنجعل الإنصاف رائدنا و الحق بيننا وبينكم " [1].

ورغم أن الوعي القومي و اللغة و الدين لم يتبلور كمكونات للشخصية الوطنية إلا داخل حلبة الصراع ضد فرنسا فإن الاستعمار بخطابه وممارساته ووجوده كان عاملا أساسيا في ظهور الهوية الوطنية في ثلاثينات هذا القرن ، وهو ما عبرت عنه مختلف تيارات الحركة الوطنية خاصة بعد مئوية الاحتلال .

لقد ركزت المصالية على الهوية الجزائرية انطلاقا من التاريخ الإسلامي دون مراحل أخرى مع تركيزها على اللغة العربية دون الأمازيغية ، هذه الأخيرة فتحت بابا جدال واسع داخل الاتجاه الانفصالي ، حيث رفض الامازيغ/ البربر خاصة في منطقة القبائل طرح مصالي القائم على الجزائر العربية- باعتبار اللغة العربية- وكان أوائل الذين عارضوا هذا التنظير عمار ايماش عندما صرح أن الدولة تشكلت معالمها وفق الأعراف الامازيغية – وعليه فقد رفض أحد المهتمين بالتأريخ لمنطقة القبائل و هو " أرزقي فراد" أطروحة مصالي الحاج فهي في رأيه تنكر كثيرا للبعد الامازيغي في مقاربته لمفهوم الأمة الجزائرية الذي اختزل ماضيها في الفتح الإسلامي فقط ، الأمر الذي أذى إلى فتح نقاش حول مفهوم الأمة لدى مناضلي منطقة القبائل ، وذلك أثر لقاء جمعهم في قرية أعروس ببلدية لأربعا ايراثن في جويلية 1948 ، وفي شهر ديسمبر أرسل

[1]- ستورا : المرجع السابق ، ص 19. حول نص الخطاب انظر : bulletin de rensiegnements N 13 concernant l état d esprit des indigénes nord –Africains pendant la période du 15 octobre au 15 decembre 1936 , archives historiques W de constantine .

حول خطاب مصالي الحاج : أنظر الملحق رقم -16-

مصالي مذكرة سياسية إلى هيئة الأمم ذكر فيها أن الجزائر أمة عربية و مسلمة أنشأت منذ القرن السابع الميلادي ، كما رفض الشعار الذي تبنته إيديولوجية الاتجاه الانفصالي و المتعلق بالجزائر عربية ، و من جهة أخرى فقد أوعز – أرزقي فراد- عدم اهتمام مصالي بالانتماء التاريخي للجزائر (البعد الامازيغي) إلى تأثره الكبير بالقومية العربية من خلال احتكاكه بشكيب أرسلان و هو السبب حسب رأيه في إهمال مصالي لخصوصيات الأمة الجزائرية [1].

لقد تصور مصالي الحاج و حزب الشعب الجزائري لاحقا أن موضوع الهوية ليس مسألة مركزية في اهتماماتهم السياسية و الإيديولوجية لأن مصالي أصلا لم يكن يرى في الهوية مشكلة واقعية بل مشكلة نظرية فكرية تخص النخب، ولأنه كان ينطلق من اقتناع سياسي وهو أن الجزائر أ/ة قائمة بذاتها لها من الخصائص التي نجدها في الامم المغايرة لها ، ومع ذلك فإن الحزب الانفصالي عرف صراعا نظريا و سياسيا وصل لحد الانشقاق و ذلك عندما واجه الأزمة البربرية التي نادت إلى الجزائر جزائرية مقابل الجزائر عربية [2] ، هذه الجزائر العربية التي يعتبرها مصالي أعظم انتماء مقدس في ماضيها و أن طبيعة الجزائر تحدد بدينها أكثر من أصولها ، وهذا ما جعل الاتجاه الانفصالي يستخدم الانتماء العرب / الإسلام ضد كل المعادين للوطنية خاصة النزعة البربرية .

لكن رأي الباحث و السياسي رياض الصيداوي لنقطة تجاهل مصالي الحاج للبعد الامازيغي مغايرة و ذلك من منطلق أن القبائل لم يرحبوا أبدا بالتعريب لاعتقادهم أنهم ليسوا عربا ، ففضلوا الفرنسية و طالبوا بالاعتراف بلغتهم وكان مثقفوهم أكثر الفئات عداءا للتعريب لكنهم ازيحوا مبكرا من جبهة التحرير ومراكز القرار فيها من عبان رمضان إلى كريم بلقاسم إلى حسين آيت أحمد ، فلم يكونوا متواجدين في جهاز الحزب/ الدولة بشكل يجعلهم قادرين على مقاومة التعريب [3] ، بل و أكثر من ذلك فقد تحول

---

[1]- ارزقي فراد :" **مصالي اقصى الامازيغية تأثرا بشكيب أرسلان** " ، الشروق اليومي ، العدد 4354، الثلاثاء 22أفريل 2014 رغم ان جريدة البرلمان التابعة للحزب لاترى هناك مشكل قبائلي ولكن مشكل جزائري انظر : CAOM,15h2, B M P I A ,le parlement Algerien 2 Aout 1939

[2]-الزواوي بغورة : "**الهوية والعنف في الخطاب الثقافي الجزائري** " ، مجلة العربي ، العدد 599 ، اكتوبر 2008، ص 27.

[3]- رياض الصيداوي : "**صراعات النخب السياسية و العسكرية في الجزائر ، الحزب ، الجيش ، الدولة**" ، الحوار المتمدن ، العدد 1854، 2007/03/14.

الصراع هنا إلى إيديولوجي ثقافي بين المذهب البربري و العربي الإسلامي إلى صراع جهوي خاصة و أن القبائل كانوا جغرافيا في منطقة واحدة وهو ما أدى إلى خلق الأزمة البربرية في حزب الشعب الجزائري ، ويرى أحد المؤرخين بأن مصالي الحاج قد وقع في خطأ كبير وهذا من خلال إصراره على تأكيد البعد العروبي للجزائر بدل الاكتفاء بالإسلام فقط حيث يرجع السبب إلى احتكاكه بالجامعة العربية و أن هذا الموقف كان عمدا من أجل استفزاز إطارات حركة الانتصار من أجل الحريات الديمقراطية الناطقة بالبربرية و التي كانت تحتج على بعض سياسته ، وقد دفعت هذه الاستفزازات إلى إعادة النظر في مقومات الأمة الجزائرية و القول إن الجزائر جزائرية فقط، ويرى أحمد صاري بانه رغم تمسك دعاة البربرية بانتمائهم ومحاولة توجيه الاختبارات الثقافية في الحزب ، إلا انهم كانوا فئة قليلة مقارنة بأغلبية وطنية من نفس المنطقة : القبائل[1] .

وهذا نتيجة الانقسام الذي حدث داخل الحزب بين المجموعتين مصالي/ دباغين و الذي بدوره خلق صراعا حول المسألة الثقافية و ظهور ذوي النزعة الجزائرية[2] ، وقد اصطلح عليها حربي مصطلح المسألة الثقافية البربرية التي ساهم في ظهورها تكتل دباغين /بودة في إطار الصراع السياسي مع مصالي الحاج وليس الثقافي لأنهما يتفقان حول المسالة الثقافية [3] :<< فبفضل تكتل الأمين- بودة ، كان ذووا النزعة البربرية يدخلون كبارا وصغارا إلى جسم الحزب إلى كل المواقع فيه تقريبا كجرثومة تدخل جسما قد ضعف ، تنقلوا بسهولة و ذهبوا هكذا يزرعون الجرثومة في كل فرنسا ... كانوا لفترة من الزمن سادة الحزب >> ، كما كان نشاط رشيد علي يحي دور في خلق حركة شعبية بربرية مؤيدة لأطروحة الجزائر جزائرية رافضة لأية فكرة توحي بالانتماء العربي الإسلامي ، ومن ثم العداء لكل ما هو عربي [4] ، خاصة مع انزعاجهم الكبير من اهتمام أدبيات الحزب بالجذور التاريخية للجزائر في الفترة الإسلامية و إهمال فترة ما قبل الفتح الإسلامي

---

[1] Sarri : op-cit , p 331.

[2]- حربي : الأسطورة والواقع ، المرجع السابق ، ص 57.

[3]- نفسه ، ص 64، كذلك عد إلى يحي بوعزيز ، **الاتهامات المتبادلة بين مصالي الحاج و اللجنة المركزية و جبهة التحرير الوطني (1946-1962)** ، دار هومة ، الجزائر 2003، ص 37.

[4]- حربي : المرجع السابق ص ص 64-65 ، كذلك عد إلى حسين آيت أحمد : روح الاستقلال مذكرات مكافح 1942-1952 ترجمة : سعيد جعفر، منشورات البرزخ ، الجزائر ، ص 196 إلى ص 201.

مرحلة الممالك البربرية إضافة إلى مغالاة بعض القيادات داخل الحزب وعلى رأسهم مصالي الحاج في الدعوة إلى العروبة العرقية هذا ما طرح صدام المصطلحات الهوياتية العربي الإسلامي/ البربري.

ويرى رابح لونيسي بأنه [1] :<< كان من المفروض على هؤلاء أن يردوا بصفة البربري الإسلامي في مواجهة العربي الإسلامي إلا أنهم لم يطرحوا مسألة الهوية بهذا الشكل ويبدوا أنهم كانوا يخشون ظهور الأمة الجزائرية بصورتين عربية إسلامية و أخرى بربرية إسلامية وفضلوا طرح الجزائر الجزائرية...>> ، وبهذه الصيغة فإن هؤلاء يرفضون اعتبار كل من الدين الإسلامي و اللغة العربية عناصر مشكلة للهوية و يحددون أطر أخرى للهوية وهو ما وضحته وثيقة الجزائر الحرة ستعيش في : التراب و الاقتصاد ، الثقافة ، و الشعور بالتاريخ و المصير المشترك ، ويعود سبب رفض اللغة كعنصر هوية هو قناعتهم بأن التنوع اللغوي مسألة لا تثير القلق [2] ، بما أن هناك عنصرين مكونين للمجتمع الجزائري العرب / البربر [3] ، وبالتالي تجدر الإشارة إلى أن هذا الجزء من الحزب الاستقلالي المنادي بالجزائر جزائرية لا علاقة له بالحزب الشيوعي الجزائري الذي له بعض الأفكار المتنكرة للهوية و رفض الأمة الجزائرية و الاعتقاد بوجود عناصر كثيرة مشكلة لها بشريا.

2- توظيف الكتابة التاريخية :

يرى بعض المؤرخين بأن أصحاب الاتجاه الاستقلالي لم يول أهمية للكتابة التاريخية و يعود السبب في ذلك إلى التكوين الثقافي الضعيف لهؤلاء إضافة إلى اهتمامهم بالقضية الوطنية من منظور سياسي أكثر من أي اعتبار آخر ومن جهة أخرى فقد حملت الجمعية ثقل هذه المهمة عنهم في إطار دفاعها عن العروبة و الإسلام و إثبات الهوية سيما و أن التاريخ أصبح منحلا من المداخل التي اعتمد عليها الاستعمار لإضعاف الوعي القومي بالماضي و إبعاد الأجيال عن ماضيها من خلال الدراسات التاريخية الاستعمارية [4] ، وقد ركزت هذه الدراسات على تشويه و تحريف تاريخ الجزائر و ربط هذه الكتابات بالأهداف

[1]- لونيسي : المرجع السابق ، ص 344.

[2]-نفسه ، ص 344.

[3] - Mabrouk Belhoucine : **l'Algerie libre** , **vivra** , in revue soual n 6 (avril 1986) p 148 et p 151.

[4]- أبو القاسم سعد الله : "**منهج الفرنسيين في كتابة تاريخ الجزائر**" ، مجلة الاصالة ع 14-15 جويلية 1973 ص 18.

الاستعمارية الرامية إلى خلق و تثبيت أطروحة Gautier et Gsell.[1] الجزائر الفرنسية و قد مثل هذا الاتجاه كل من غوتيه و قزال .

كما أن كتاب النخبة الاستقلالية قد ركزوا في كتاباتهم التاريخية على إبراز فكرة العمل المسلح من خلال الكتابة عن الأمير عبد القادر و يوغرطة باعتبارهما قادة عسكريين و سياسيين يمكن الاستفادة منهما ، إضافة إلى الإشارات إلى بعض المقاومات في القرن 19 ومحاولة الاستنارة بها كما تجدر الإشارة إلى الدور الذي لعبه العلماء في مساهمتهم كدعاة لاسترجاع الاستقلال الوطني من خلال نشر أفكارهم الاستقلالية بين صفوف عامة الشعب [2] .

و هذا و لم يكن للاتجاه الاستقلالي العدد الكبير من الكتاب المؤرخين كما هو الحال عند جمعية العلماء المسلمين الجزائريين لكن كان هناك بعض الأقلام التي قدمت مساهمات هامة في مجال إثبات الهوية و الانتماء مثل محمد الشريف ساحلي ومولود قاسم نايت بلقاسم.

محمد شريف ساحلي :

ولد في 06 أكتوبر 1906 بقرية تاسغا ببلدية شميني دائرة سيدي عيش بولاية بجاية انضم إلى صفوف الحركة الوطنية في سن مبركة من خلال انخراطه في حزب نجم شمال إفريقيا الذي ساير محمد شريف ساحلي مختلف تحولاته لينتقل إلى فرنسا حيث درس الفلسفة في جامعاتها و تخرج منها بداية ثلاثينات القرن الماضي و احتك آنذاك بكبار مفكري وفلاسفة تلك الحقبة من فرنسيين وجزائريين و ربطته صداقة وطيدة بالمفكر الجزائري مصطفى الأشرف الذي كان يصغره بحوالي عشر سنوات ، استجاب ساحلي لنداء جبهة التحري الوطني و تم تعيينه في العديد من المناصب المهمة خلال الثورة التحريرية [3] .

[1]- اسماعيل العربي : "**مساهمة المؤرخين الفرنسيين وهل تصلح أساسا لتنمية تاريخنا القومي**" ، الاصالة ع 14-15 جويلية ،-أوت ، 1973 ، ص 189.

[2]- لونيسي : المرجع السابق ، ص 379.

[3]- محمد شريف ساحلي :" **الابن المنسي لثورة نوفمبر** "، الخبر الاسبوعي ، العدد 542 من 15 إلى 21 جويلية 2009 ، ص 26.

ويعتبر محمد شريف ساحلي من أبرز كتاب التاريخ حيث كانت له مجموعة من المؤلفات اهتمت كثيرا بالتاريخ الوطني :

*. message de jughurta (1947)

*. l'Algérie accuse (1949)

*.complots contre les peuples africains (1950)

*.décoloniser l'histoire (1965)

*.Abdelkader chevalier de la foi (1953)

إن الأفكار الأساسية التي حاول محمد شريف ساحلي إبرازها تنطلق أساسا حسب فلاديمير مكسمنكو من إعادة النظر في التصورات التاريخية و تحرير المعرفة الإنسانية من المركزية الأوروبية [1] ، لكن يبدوا أن هذه النظرية لم ترق بعض الكتاب العالميين أمثال رافيد غوردون المختص في تاريخ شمال إفريقيا و أستاذ الجامعة الأمريكية في بيروت ، حيث اعتبر نظرة ساحلي هو إثارة للصراع الإيديولوجي و اتهمه بالتحالف مع الماركسيين الفرنسيين كما انه ينسب أراء محمد ساحلي إلى تقاليد التغني المثالي الأسطوري بالماضي الذي يتم بهدف الدعاية الوطنية و الذي يعكس حالة مرضية للمجتمع [2] .

حاول محمد شريف ساحلي من خلال إسهاماته التاريخية أن يثبت وجود الكيان و الدولة الجزائرية قبل 1830 و الوقوف في وجه المخططات الاستعمارية الساعية إلى ضرب مقومات الأمة الجزائرية و فضح التشويه الاستعماري لتاريخ ومحاولة التستر وراء مشروع المهمة التمدينية في الجزائر ، كما أكد على ضرورة التأطير للعمل المسلح ، ويظهر ذلك من خلال تركيزه على مقاومة فاطمة نسومر و المقراني ، إضافة إلى انبهاره الكبير بالأمير عبد القادر و هو ما جعله يقف موقف المعارض للحكم العثماني في الجزائر و

[1]- ماكسمنكو : المرجع السابق ، ص 154.

[2]- نفسه ، ص ص 158-159.

يتهمه بخيانة الشعب كما اهتم بتاريخ يوغرطة و كأنه أجرى مقاربة بين المقاومة بالأمس ضد الرومان و اليوم ضد الاستعمار الفرنسي في إطار ما أسماه بالوطنية المغربية [1] .

و في إطار خدمة التاريخ الوطني وإثبات الهوية الوطنية دافع محمد الشريف ساحلي عن الوجود التاريخي لأمة الجزائرية كما رد على المؤرخين الفرنسيين الذين حاولوا استغلال التاريخ المحلي لخدمة الأغراض الاستعمارية حيث حرر مقالا رد فيه على كتاب شارل أندري جوليان المعنون "بإفريقيا الشمالية تسير" يتساءل فيه محمد الشريف ساحلي في إطار نقده للكتاب عن الأطروحات التاريخية التي كونت محتوى المؤلف وقدم انتقادات تاريخية دقيقة أقل مايقال عنها هو التحريف والتزييف الذي مس تاريخ المنطقة وهذا دليل على إطلاع ساحلي على التاريخ الوطني والإسلامي حيث صحح العديد من الأخطاء التاريخية فذكر على سبيل المثال أن جوليان كتب عن ثورة البربر ضد الخليفة عمر ، وهذه الفكرة تاريخيا غير صحيحة لانه "حسب رد ساحلي " العرب عندما جاءوا فاتحين لأول مرة في شمال إفريقيا كان الخليفة عمر قد توفي بحوالي ثلاث سنوات[2] .

إلى جانب ساحلي اهتم مولود قاسم نايت بلقاسم بالدفاع عن الهوية الوطنية ومقوماتها فهو ابن بلدية أقبو ببجاية ولد سنة 1927 زاول دراسته تمقرة* في العهد الباديسي ،وقد استفاد كثير من رحلاته إلى المشرق ، يعتبر الرجل من أكثر الرجال اعتزازا و دفاعا عن الهوية الوطنية حيث يقول [3] :<<لقد كنا في العهد الاستعماري معلقين في الهواء بين عالمين منزوعة عنا جنسيتنا الجزائرية ... ، ومع ذلك كنا كأكثر مانكون اعتزازا بذاتنا وتعلقا بمقومات شخصيتنا من دين ولغة وتقاليد وبعدا عن كل مايميس منها أو ينال من قدسيتها و لقد كنا نقاوم جميع الأمراض الاجتماعية و الآفات المستوردة إلينا الغريبة عنا ، وكان ذلك بدافع من الذود عن هذه الآنية وتلك الأصالة>>.

---

[1]– لونيسي : المرجع السابق ، ص ص 375-377.

* – تقع شرق دائرة أقبو أسسها يحي بن أحمد العدلي المتوفي سنة 1881 ، تعرضت للتهديم عدة مرات ور ممت آخر مرة في 1937 .

[2] - le jeune musulman , N 20 le 24 avril 1953 .-17- انظر الملحق رم

[3]– مولود قاسم نايت بلقاسم : **إنية وأصالة** ، منشورات وزارة التعليم الاصلي و الشؤون الدينية ، مطبعة البعث ، قسنطينة ، 1975 ، 104.

تميز مولود قاسم بالرجل المتفتح على الثقافة العربية الإسلامية و الفرنسية أي أنه مزدوج الثقافة فهو اختار من الماضي مايستمد منه القدرة على الاستمرار ومن الحاضر ما ساعد على فهم الوقائع ، ومن هذه العاملين استمر مفهومه للهوية الجزائرية أو ما أسماه بالآنية التي كانت مرتكزاتها الدين الإسلامي و اللغة العربية و التاريخ المشترك والوطن الجزائري.

غير أن نظرة مولود قاسم كانت مركزة أكثر على مقوم الدين الإسلامي دون تمايز فيها من الفترة الاستعمارية والاستقلال ، فقد أكد أن الإسلام كما كان بالأمس دعامة للشخصية الوطنية ، ضد محاولات الاستعمار (الفرنسة و الإدماج) فهو يمثل بعد مرحلة الاستقلال ، بعث للشخصية الوطنية [1] ، و تأكيد لانتمائها العربي الإسلامي ، وبالتالي فقد كان مولود قاسم يؤمن الإيمان القاطع بأن الإسلام الذي أسهم أيما إسهام في الصمود يمتلك القابلية لتوجيه الأمة نحو البناء لان الإسلام دين ودولة ، فهو فياض بالروحيات و الاخلاقيات ،كما أنه دين العمل الجاد والجهاد والقوة [2].

[1]- نايت بلقاسم : انية واصالة ،المرجع السابق ، ص ص 350-351.

[2]- نفسه : ص ص 112-113

خاتمة الفصل :

من خلال دراستنا لهذا الفصل نستنتج مايلي :

– إن الحديث عن المرجعية الثقافية للاتجاه الاستقلالي مرتبط بتلك المجموعة المهاجرة العاملة في فرنسا حيث عرف التوجه الثقافي لهذا الحزب تحولات في افكاره ومواقفه من المسألة الثقافية بسبب التغيير المستمر للمجموعات المسيطرة على الاتجاه و بالتالي التأثير بأفكارها على التوجهات الثقافية للنخبة الاستقلالية و قد تطورت من التوجه الماركسي إلى التوجه الإسلامية في فترة الثلاثينات إلى تأثير المفرنسين من الاستقلاليين إلى غاية اندلا ع الثورة التحريرية لكن حاول مصالي الحاج أن يطفو على السطح و يوجه الحزب في قراراته و استخدامه عنصر الإسلام الصوفي لتوجيه الجماهير الشعبية خاصة مع الدعم الذي وجده من شكيب أرسلان الذي شجع استعمال عنصر الإسلام في المواجهة ضد الاستعمار الفرنسي .

– نظرا لاهتمام النخبة الاستقلالية بالاستقلال و النضال السياسي ، فإنها لم تركز كثيرا على المسألة الثقافية ، باعتبارها قضية مفصول فيها خاصة و أن الحزب قد قام على مبدأ الدين الإسلامية و اللغة العربية كعناصر ثابتة في النضال الوطني و قد اقترب بهذه الايديولوجية من جمعية العلماء المسلمين الجزائريين كما مكنت برامجه و توجهاته الثقافية إضافة إلى اهتمامه بقضايا المجتمع الجزائري لأنه عنصر فعال في تكوين الاتجاه (الشعبوية) ، فقد اهتم بالمطالبة بتعليم الجزائريين ، كما أسس مدارس لذلك ، و أدمج عنصر المرأة مع النضال السياسي .

– إن تسليم الاتجاه الاستقلالي باللغة العربية و الإسلام كمقومات في الهوية الجزائرية ، جعله يقصي هذه الأخيرة من مجال القضايا و المسائل المطروحة من باب أنها جانب مفصول فيه على اعتبار وجود الأمة الجزائرية ذات التوجه العروبي و الإسلامي وهو ما خلق أزمة ثقافية داخل الحزب بين العرب/البربر في إطار الأزمة البربرية و التي أثارت أزمة داخل القيادة الثورية و قد استمر الصراع حتى أثناء الثورة التحريرية أين اتخذ أبعادا أخرى .

الفصل الرابع :

الاتجاه الشيوعي و المسألة الثقافية:

المبحث الأول : المرجعية الثقافية للاتجاه الشيوعي .

المبحث الثاني : الحزب الشيوعي الجزائري بعيدا عن المجتمع الجزائري .

المبحث الثالث : الحزب الشيوعي الجزائري والحركة الوطنية الجزائرية .

المبحث الرابع : الحزب الشيوعي الجزائري والأمة الجزائرية .

يتناول هذا الفصل المسالة الثقافية عند الاتجاه الشيوعي هذا الأخير الذي يعتبر بعيدا في إيديولوجيته السياسية عن باقي اتجاهات الحركة الوطنية الجزائرية ،فهو اقرب منه إلى نقابة تدافع عن حقوق الفلاحين والعمال البسطاء حتى لا نقول البروليتاريا لان ظهورها كمصطلح مرتبط بمدى تطور الفكر الاجتماعي ،ومنه فإن الحديث عن واقع اهتمام هذا الاتجاه بالمسالة الثقافية كان في الحقيقة مسايرة منه للتطور السياسي لكل مرحلة في نشاطه والذي لم يكن مواقف تاريخية بل اقتصرت على إيحاءات في مطالبة وكان السبب الأساسي نوعية التركيبة العضوية والتي احتضنت أغلبية أوروبية في مقابل أقلية جزائرية وبالتالي توجيه اهتمامات الاتجاه السياسية والثقافية حسب قوة الأغلبية الأوروبية ، كما ان مبادئ الإتجاه والمتاثرة بالشيوعية لم تول اهتماما للمسالة الثقافية من منظور غياب مصطلح " **الأمة** " وهو ما يلغي الحديث عن وجود هوية و ماضي تاريخي اساسا وما يعني طغيان الاهتمامات السياسية في إطار الصراع الاجتماعي .

المبحث الأول: المرجعية الثقافية للاتجاه الشيوعي :

تعود جذور ظهور الحزب الشيوعي الجزائري إلى ماقبل الحرب العالمية الأولى ، تحديدا إلى الاتحاد الثقافي للعمال الجزائريين و الذي ظهر سنة 1902 بفرنسا و صار بعض أعضاء هذا الاتحاد مناضلين في الحزب الشيوعي الفرنسي بالجزائر بعد الحرب العالمية

الأولى وقد كان هذا الاتحاد متأثرا كثيرا بالأفكار الماركسية [1] ،أما أفكار لينين فلم تهتم بمسألة الجزائر إلا عرضا ولم يتحدث أحد عنها إلا في سياق الحديث عن المستعمرات ، وبعد تكوين اتحاد الحزب الشيوعي – قسم الجزائر – سنة 1925 أصبح أكثر تنظيما و قد اشتغل من خلاله الحزب الشيوعي الفرنسي شعور الشعب الجزائري و عواطفه تجاه الامير خالد و ذلك لكسبه في صفوفه[2] .

تأسس الحزب الشيوعي الجزائري في ظل الغطاء الشيوعي الفرنسي ، عندما كان نواة مكونة من فرنسيين و شبان اسرائليين و أوربيون و أهالي وهذا مابين 1925-1935، و كان أشد شعبية الحزب الشيوعي الفرنسي في الجزائر و في وهران و قسنطينة وهذا حسب ما ذكره روبيرمونتان فقد استطاع

[1] حول الماركسية انظر :بيار ومونيك فافر:**الماركسية بعد ماركس**,ترجمة نسيم نصر ,منشورات عويدات ,لبنان,1974,

[2] مناصرية : المرجع السابق , ص ص 21-22 .

المناضلون الشيوعيون الجزائريون الاتصال بالكتل الشعبية بل و صرحوا بأنهم أصحاب أنفة وهم بمثابة تكملة لنضال أبطال الوطنية الجزائرية عبد القادر و المقراني و الأمير خالد[1] .

وفي 1936 استطاع جزائريون الشيوعيون الاستقلال عن الحزب الشيوعي الفرنسي و تحقيق(الجزأرة) – الحزب الشيوعي الجزائري- لكنه بقي في مبادئه و ايديولوجيته تابعا للحزب الأم و ذلك من خلال تمسكه بالديمقراطية الفرنسية ومبادئ ثورتها وهو ما يصفه بالتقاليد لكن رغم إيمان اليسار الفرنسي – تحديدا الحزب الشيوعي الفرنسي – بضرورة مناهضة الاستعمار بكل أشكاله ومساندته لحركات التحرر في العالم و الذي التزم في دعمه لقضايا العالم مبدأ:<< على كل حزب منضوي تحت لواء الأممية الشيوعية الثالثة الكشف بدون شفقة أو رحمة عن كل الانتهاكات التي تحدث في المستعمرات الامبريالية و مساندة حركات التحرر على أن لا يقتصر ذلك على الجانب المعنوي و إنما ماديا أيضا و العمل على طرد الامبريالية من المستعمرات >> ،غير أن المتتبع لمواقف الحزب الشيوعي الفرنسي تجاه قضية الجزائر يلاحظ استثناءها من هذا المبدأ ، حيث أن النضال في هذه النقطة يتلاشى خاصة في مرحلة الثلاثينات فيما وصل اليسار إلى الحكم في 1936 ، تراجع الشيوعيون على لسان موريس توريز عن بعض المواقف التي أدلوا بها قبل نيل الفوز في الانتخابات بكون الجزائر تستحق الاستقلال بتحول الموقف إلى :<< من مصلحة الجزائر أن تبقى مرتبطة بفرنسا>>، بل و أنه صرح بشيء أخطر حين نفى و جود أمة جزائرية سنة 1938 إثر زيارته للجزائر :<< إن الأمة الجزائرية هي في طور التكوين وهي مزيج من عشرين عرقا>> [2] .

يعتبر الفلاحين الجزائريين الطرف الأكثر تضررا من السياسة الفرنسية بسبب اغتصاب أراضيهم خاصة بعد القرار المشيخي لعام 1863 و بموجبه يسمح بتفكيك الأراضي الجماعية و اغتصابها و بالتالي فقد لجأت الوطنية إلى الريف، و لم تستطع القومية المدنية فهم ومعرفة مقاومة الفلاحين في الريف فالمشكل

---

[1] Robert Montagne :" **la fermentation des partis politique en Algérie .politique Etrangére**" ,Anneé 1997 ,V2,N02,(http//www.perseé.fr).

[2]- زبير رشيد : "**موقف أحزاب اليسار الفرنسية من القضية الجزائرية** " ,الأكاديمية للدراسات الاجتماعية و الإنسانية,العدد09, 2013 ,ص144-145

و الحل هو في الأرض [1] . وبالتالي فقد استوعب الحزب الشيوعي الفرنسي هذه النقطة و ركز عليها لنشر أفكاره في الجزائر خاصة و أن أفكار ماركس مبنية على الطبقة العمالية الفلاحية (البنية التحتية) .

تميز الناشطون في الحزب الشيوعي الجزائري بتأثرهم الكبير بالأفكار و الأطروحات الاستعمارية الفرنسية ،و التي لقنوا إياها في المدارس الفرنسية ، كما تأثروا بشدة بأفكار الإيديولوجية الشيوعية التي كانت في أوج عصرها الذهبي في ذلك الوقت وكان لها تأثير عميق في أوساط الطلبة المفرنسين، وهم غير متشبعين بالثقافة الوطنية العربية و بالتالي فقد حملوا شعار زعمائهم الفرنسيين شعار عدم وجود امة جزائرية سابقة زمنيا و تاريخيا للأمة الفرنسية ،و إنما كانوا يدافعون عن شعار الأمة الجزائرية في طور التكوين ابتداء من التعايش من نفس الإقليم بمختلف الفئات السكانية سواء اليهودية ، القبائلية الشاوية ، المالطية ، الفرنسية، الاسبانية ، العربية ،... ، رافضين هكذا الثوابت الأساسية التي أقرتها أحزاب الحركة الوطنية بالإجماع كمبادئ مقدسة جذبت من حولها الشعب الجزائري طوال سنوات المقاومة و الكفاح ضد المحتل في كافة أنحاء الوطن و هما العروبة والإسلام [2] ، في حين كان الحزب الشيوعي الفرنسي يدافع في أرضه عن الأمة و يعتبرها أحسن مكان للقتال البروليتاري رافضا استعباد الأمة الفرنسية و نصب نفسه مدافعا عن الاستقلال القومي [3] .

لقد تناقض الحزب الشيوعي مع باقي الاتجاهات الوطنية حول مسألة الانتماء هذه حيث شجع فكرة العرب /البربر كمزيجين مكونين للجزائر مع إيمانهم بالبعد الأمازيغي للجزائر و بأنها تعود إلى الكاهنة وعبد القادر والمقراني و أن مصطلح عرب/ مسلمين هو الذي يضع الاختلاف في المصطلحات و يخلق مشاكل إثنية و ثقافية و رغم ذلك فالهوية عند الشيوعيون لا ترتبط بالانتماء بأبعاده المختلفة بل هي أن صح التعبير تتحدد في الهوية الاقتصادية [4] .

---

[1] سمير أمين :**المغرب العربي الحديث** ,ط2,ترجمة كيميل داغر ,دار الحداثة,1981 ,ص131 .

[2] احمد بن نعمان :**فرنسا و الأطروحة البربرية في الجزائر** ,منشورات دحلب د-ت,,ص 118 .

[3] بيار و مونيك فافر: المرجع السابق ,ص 177 .

[4] Abdelhafid hamdi chérif : " **les aventures de l'identité nationale**" ,Naqd,revue d'étude et de critique social,N02,fév/mars,1992,p6 .

سيطرت الأفكار اللينينية و الستالينية على توجه الحزب الشيوعي الجزائري، فمفهوم الثورة اقتصر على الاقتصاد بمعنى أن البنية التحتية هي التي تدفع بعجلة التاريخ إلى الأمام و الثورة الاشتراكية في نظرهم في بلد متخلف لا تستطيع أن تحيا إلا ضمن شروط نجاحها في إنماء إنتاجه و تحديثه [1] ، وهذا ما دفع بأحد الشيوعيين و الذي كان طالبا يحضر رسالة دكتوراه في القانون (ألكسندر جيفان) سنة 1924 بجامعة الجزائر إلى القول بأن المسلمين في روسيا يستطيعون الوصول إلى أعلى المراتب المدنية والعسكرية (...) على خلاف مسلمي الجزائر فهم لا يستطيعون الاقتراب من المسلمين الروس و لا يزالون بعيدين عن الحضارة، خاصة و أن الشيوعيين في روسيا مندمجين في حياتهم مع غير المسلمين في حين أن الحق يقع على الإدارة الفرنسية لأنها لم تحقق الإدماج في الجزائر[2] .

لقد ركزت الشيوعية في مفهومها على الثورة الاقتصادية و أسبقيتها على الثورة الثقافية و هذا ما جعل الحزب الشيوعي الجزائري لا يولي اهتماما بمسالة الانتماء و التقاليد و اقتصر على المطالبة بحماية الحريات الديمقراطية المهددة في نظره من طرف الفاشية مع التطلع إلى تكوين تجمع إسلامي فرنسي جزائري (في إطار الإدماج) [3] .

رغم أن انطونيو غرامسي و هو أحد علماء النظريات في مجالس المصانع (1919-1920) ناقض كثيرا مبدأ أسبقية الثورة الاقتصادية على الثورة الثقافية ،فهو يرى بضرورة شمولية الثورة البروليتاريا للإصلاح الثقافي ، و البروليتاريا شأنها شأن كل طبقة مجتمعية صاعدة تخلق مفكرين و قادة ليكونوا حاميتها الأمامية و مفكريها العضويين و ترافق هذه الأمور ضرورة ربح الحرب الثقافية وبالتالي ستستوعب الطبقات الشعبية دورها التاريخي الذي يجب أن تقوم به [4] .

و بالتالي فإن هذه النظرية انحصر مجال تطبيقها في ايطاليا أما بالنسبة للجزائر فقد تقيد الشيوعيون بمبادئ لينين ، إن الشيوعية كايديولوجية منتمية إلى الاشتراكية هي وجه من أوجه النهضة المعاصرة ،

---

[1] بيارو مونيك فافر: المرجع السابق, ص 144

[2] Jaques jurquet :**la révolution nationale Algerienne et le parti communiste francais** ,t1,1850-1920,ed du centenaire ,1979 ,pp227-228 .

[3] C.A.O.M.15H2 :**B.M.P.I.A**. la lutte social , janvier 1939 .

[4] بيار و مونيك فافر : المرجع السابق, ص 169 .

فالشيوعية التي ظهرت في الجزائر على أعقاب الحرب لعالمية الأولى و بعد الثورة الروسية كانت تنتمي إلى الماركسية اللينينية و تتبنى نظرية الصراع الطبقي ،فقضيتها كانت تخص الطبقة العمالية وهدفها تحقيق الاشتراكية و ذلك بالقضاء على الاستعمار ،غير أن هذا المفهوم للشيوعية قد تغير في الجزائر وذلك بحكم التأثير الإيديولوجي للحزب الشيوعي الفرنسي عليه، ومن ذلك أن الحزب الشيوعي الفرنسي كبقية الأحزاب الأوروبية قد طورت و غيرت في بعض بنود الأممية الثالثة، و في حالة الجزائر فقد تغير كثير منها لذا فهي لم تعكس ما ورد في برامجها (خاصة في برنامج الحزب الشيوعي الجزائري) تطلعات الطبقة العمالية بقدر ما كانت تعبيرا عن رغبات الأوربيين في الجزائر [1] . وكان في مضمونه حقيقة حزب ضائع يلتزم سماع و تقليد أوامر الحزب الشيوعي الفرنسي و التي لم تكن تخدم لا مطالب الحزب الشيوعي الجزائري و لا طموح القضية الجزائرية فقد تطورت الأفكار الشيوعية الفرنسية في أوروبا الغربية [2] ،لكن على العكس منه لم يكن للحزب الشيوعي الجزائري أي تأثير واضح سواء على القاعدة الشعبية أو على مستوى القضية الجزائرية ، خاصة وأن أصحاب هذا الاتجاه في الجزائر لا يمكن تسميتهم بالجزائريين لأنه وحتى مرحلة العشرينات و الثلاثينات كان أغلبهم من الفرنسيين المقيمين في الجزائر ، وكان قادتهم يأتون من فرنسا ثم يعودون و كانوا يتحملون المتاعب مع الكولون وحتى مع الإدارة و الشرطة الاستعمارية و لم يكن ذلك الإصرار والصمود لأجل الكفاح الوطني الجزائري بل باسم القضية العالمية .

آمن الحزب الشيوعي الجزائري بفكرة الاستقلال و التي احتضنها من مبادئ الشيوعية العالمية ،غير أن الاستقلال هنا لا يعنى حق المستعمرات في الاستقلال و الانفصال عن الدولة المستعمرة ، فالهدف تحويل الإمبراطورية الفرنسية إلى فرنسا كبيرة وكان الدور الرئيسي لتحقيق هذا الهدف موكولا إلى الطبقت العمالية – البروليتاريا- أما الثورة الوطنية الجزائرية فكانت مرهونة بتحقيق الاشتراكية في فرنسا ،و لذا كانت كل محاولة يقوم بها الجزائريون للخروج من الإطار الفرنسي تقابل بالمقاومة الشديدة و بالنسبة لمحمد حربي فإن العقبة الثقافية كانت هي الحاجز الذي يصعب على الحزب الشيوعي الجزائري تجاوزه فلا هو قادر على استيعاب هذه الثقافة و احتوائها و لا على تبنيها و لا على تجديدها ، فحرم بذلك من أداء التخاطب مع

[1] حربي : سنوات المخاض ، المرجع السابق , ص ص 116-117 .
[2] بيار و مونيك فافر : المرجع السابق, ص 176 .

المجتمع و قد اكتفى بالدفاع عن اللغة العربية كلغة رسمية و نادي بفصل الدين عن الدولة في إطار العلمانية خاصة و أن الماركسية تعادي كل القيم التقليدية : المرأة ، الدين ، العائلة... .

تراوحت التركيبة الشيوعية الجزائرية بين النشطاء الأوربيين و الجزائريين ،و هو الأمر الذي صعب المفاهيم و تحديد أهم القضايا الأهلية المدافع عنها ، وخلق تناقضا حول الدين الإسلامي و الانتماء عرب/ بربر، ذلك أن المطالب كانت خدومة أكثر لمصالح الأقلية الأوربية و بصيغة أخرى فإن الحزب ومطالبه يعكس التطلعات الاجتماعية للجالية الأوربية أما الجزائريون الذين انضموا إلى المناضلين الأوربيين ليكونوا كوادر الحزب فقد كانوا في غالبيتهم موظفين و مدرسين و طلبة متأثرين بالعقلية و الثقافة الغربية و كانت لهم نفس التربية التي للادماجين[1] .

وقد برز منهم على رأس الحزب **عمار اوزقان*** و **بن علي بوكرط**** و **العربي بوهالي***** .

و إنصافا للتاريخ لم يكن كل مناضلي الحزب الشيوعي الجزائري من المطورين المبهورين بمبادئ الحزب الشيوعي الفرنسي وكل ما له علاقة بالثقافة و الحضارة الفرنسية أمثال بن علي بوكرت و العربي

---

[1] حربي : سنوات المخاض ، المرجع السابق, ص ص 115-116 .

* **عمار أوزقان** : ولد في عائلة تنتمي إلى منطقة العزازقة (القبائل الكبرى) بدأ ممارسة النشاط السياسي منذ العشرينات وهو موظف بالبريد شغل عدة مناصب نقابية ، التحق بالحزب الشيوعي الجزائري وأصبح بذلك كاتبا للمؤتمر الجزائري ، أنتخب سكرتيرا للحزب الشيوعي سنة 1943 ، ولكنه طرد منه سنة 1948 ، كان أوزقان من دعاة مجتمع متعدد الأجناس ومن رواد تحرير المرأة إلا أنه تقرب من جمعية العلماء وساهم في تحرير جريدة الشاب المسلم ، التي يسيرها أحمد طالب الإبراهيمي التحق بالثورة سنة 1955 ، شارك في مؤتمر الصومام ، اعتقل في 1958 ، أنظر حربي سنوات المخاض ص 185.

** **بن علي بوكرط** : ولد بمازونة (معسكر) في فيفري 1904 ، وبعد دراسة ابتدائية مرفقة منع من دخول مدرسة المعلمين ببوزريعة وذلك بسبب ميوله للشيوعية، بدأ نضاله في صفوف الشبيبة الشيوعية بالناحية وبعد أن أدى الخدمة العسكرية ما بين 1925 – 1927 ، هاجر إلى فرنسا أين استأنف نضاله في الحزب الشيوعي الفرنسي وفي النقابة التابعة له ، استفاد من فترة تكوينية بالاتحاد السوفياتي (1933-1934) وعاد مباشرة إلى الجزائر ، عين أمينا عاما للحزب الشيوعي الجزائري سنة 1936 ، واستقر به إلى غاية الحرب العالمية الثانية ، حيث جند في بداية الحرب وقد اتهم بعدها بالانحراف الوطني البورجوازي ، هاجر إلى فرنسا ومكث بها إلى غاية الاستقلال ، توفي سنة 1983.أنظر : محمدعباس : رواد الوطنية شهادا 28 شخصية وطنية .

*** **العربي بوهالي** : من أسرة فقيرة ، تعلم في المدرسة الفرنسية ، قبل أن يغادر القسم النهائي تحصل على منحة للتسجيل في المدرسة الابتدائية العليا لمدينة قسنطينة وبفضل تعاون معلمه تابع دراسته في قسنطينة حيث واصل دراسته واشتغل كمساعد محاسب في مدينة الجزائر ليصبح شيوعيا ، عضوا دائما بالإغاثة الشعبية ثم بالحزب الشيوعي الجزائري ، أنظر : هنري علاق : المرجع السابق ، ص ص 346 – 347 .

البوهالي، فقد كان هناك بعض العناصر التي آمن بضرورة الإسلام مؤمنة بالتاريخ و الثقافة العربية الإسلامية أمثال عمار أوزقان .

إتجاهات الماركسية :

بالرغم من تسرب الأفكار الماركسية مبكرا إلى الجزائر عن طريق الأوروبيين تحديدا و تبناها عدد محدود من الجزائريين إلا أنها لم تلق نجاحا و تقبلا كبيرين و ذلك نظرا لإيديولوجتها المعزولة و البعيدة عن آمال وأوضاع الأهالي الجزائريين ، وكان هؤلاء الذين تبنوا الأفكار الماركسية من العمال المهاجرين في فرنسا نظرا لاحتكاكهم بالعمال المنظمين للنقابات العمالية الشيوعية و كان التوجه الستاليني أكثر التوجهات الماركسية استقطابا لهؤلاء نظرا لآرائه و أفكاره و اهتمامه شكليا بمسائل المستعمرات إلى جانب توجهات أخرى لم تلق استقطابا هاما من الجزائريين نظرا لتطرفها اتجاه القضايا الثقافية الجزائرية خاصة .

1- الاتجاه الديمقراطي الاجتماعي :

و يعتبر عناصره أعضاء في الفرع الفرنسي للأممية الدولية العمالية ، و هو تنظيم فرنسي بحث ، ومن الأعضاء الجزائريين فيه لشاني وطاهرات و بن حاج و سالم الأغواطي ومحمد عزيز كسوس، و كانت هناك علاقة بين هذا التنظيم و الليبراليين و ذلك لتشابههما في الدفاع عن المطالب الاجتماعية و السياسية، و لكن أهم مالوحظ على هؤلاء هو فكرهم اللائكي و دعوتهم للاندماج و نشر التعليم الفرنسي اللائكي، كان هذا الاتجاه معاديا جدا للغة العربية و الدين الإسلامي و يرى من الضروري القضاء عليهما لضمان الاندماج (1)، لكن رغم هذه النزعة المعادية للانتماء و الهوية ووقوفها مع طبقة الفلاحين إلا أن هذا الاتجاه لم يكن له استمرارية حيث انسحب منه معظم الجزائريين كحال محمد عزيز كسوس ، وسالم الأغواطي اللذان انظما للاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري .

[1]- لونيسي : المرجع السابق , ص 59.

2- الاتجاه الستاليني :

هو من أكبر الاتجاهات الشيوعية انتشارا و استقطابا للعمال الجزائريين خاصة و يعتبر الحاج علي عبد القادر ومن أبرز قادة الماركسية في الجزائر و شارك في العديد من مؤتمرات الكمنترن و يعتبر نجم شمال إفريقيا في بداياته الأولى تنظيما ماركسيا جزائريا تابعا للحزب الشيوعي الفرنسي ، لكن تاريخيا استطاع نجم شمال إفريقيا تدريجيا الانفصال و الخروج عن وصاية الحزب الشيوعي الفرنسي، و ذلك بوصول الثلاثينات أين سيتخلص الحزب من التبعية للأفكار الماركسية و ينتهج الانفصالية الثورية و يخرج من دائرة النضال في المهجر ليدخل مرحلة النضال الوطني داخل الجزائر بعد 1936.

و لما فشل الحزب الشيوعي الفرنسي في السيطرة على النجم فضل تأسيس فرع له في الجزائر (1936) محاولا التركيز على الشعبوية في نداءاته معتمدا على مبادئ هي : النموذج الستالين و أفكار الثورة الفرنسية و القيم و التقاليد الوطنية لكن ، لم تكن التقاليد الوطنية تهم بالنظر إلى سيطرة الأغلبية الأوروبية على الحزب و بالتالي فقد تحكمت في الحزب روح العنصرية و الثعالبي تجاه الجزائريين بل و إبقاؤهم تحت السيطرة [1] ، بالرغم من تغير طفيف بعد 1947 بوصول عناصر جزائرية للقيادة و انتقال بعض مناضلين حركة الانتصار إليه مثل عبد الحميد بن زين و بوعلام بوخالفة [2] ، لكن غلبت إلى إيديولوجية هذا الاتجاه النضال لأجل الصراع الطبقي و الاهتمام بالمسألة الاجتماعية فقط ... ..

و لم يأخذ خصوصيات المجتمع الجزائري بعين الاعتبار في طروحاته و بقيت سياسة مفلسة تجاه القضايا الثقافية: اللغة و الدين و الهوية حتى أن اهتمامه و نداءه باسم الطبقة البروليتارية في الجزائر لم يكن واقعيا لأنه ما كان موجودا في الجزائر هو الطبقة الفلاحية و خاطبها بلغة تحريرية لا تنطبق ووضعيتها الاستعمارية هذا ما جعل الطبقات الشعبية بعيدة عن هذا الحزب .

---

[1] -Emmanuel Sivan : **communisme et nationalisme en algérie (1920-1962)** ,presse de la fondation national des sciences politiques ,paris ,1962,p 163.

[2] - ibid .p 163.

المبحث الثاني : الحزب الشيوعي الجزائري :بعيدا عن المجتمع الجزائري .

1/ مبادئ و أهداف الحزب الشيوعي الجزائري .

إن أهم الأهداف و المبادئ التي ناضل من اجلها الحزب الشيوعي الجزائري طيلة مسيرته النضالية حتى سنوات الخمسينيات هي مطالب اجتماعية ، لذلك فإن المتتبع لتاريخ الحركة الوطنية الجزائرية سوف يكتشف اختلاف اتجاهاتها و تباين آراءها لكن ما كان يوحدها هي تلك القضية التي كان يناضل من أجلها ، وهي قضية الشعب الجزائري الذي اعتبرت نفسها دائما ممثلا له للتعبير عن آماله و طموحاته[1].

وعلى غرار ذلك نجد الحزب الشيوعي الجزائري الذي كان في عزلة عن هذا الشعب رغم أنه يناضل من أجل القضية نفسها ، وذلك راجع لاتهامه في البداية بالعمالة ، وبأنه جبهة موالية لفرنسا و السبب هو أن نشاطه كان موجها لتلك الطبقة الكادحة في المجتمع من محرومين و الفقراء فكان يصور حالة اليأس و الانحطاط التي وصل إليها الشعب الجزائري في ميادين حياته (الاجتماعية ، الاقتصادية و الثقافية) .

وكانت دعوته أساسا ترتكز حول طريقة تحسين هذه الأوضاع لذلك فهناك من اعتبر أن الحزب الشيوعي الجزائري كان عبارة عن منظمة نقابية أكثر من كونه حزبا سياسيا [2].

وكان الحزب يرى أن حالة البؤس هذه لا يمكن أن تنتهي إلا في ظل السلطة الفرنسية لأنه كان يرى فيها سبيل الخلاص من كل هذه الأوضاع السيئة ، ومن هذا المنطلق كان الحزب الشيوعي الجزائري يوجه دعوة صريحة للذوبان في البوتقة الفرنسية.

كما أن الحزب الشيوعي الجزائري كان يرفض أفكار ابن باديس المتمثلة في الثلاثية التي قدسها الشعب الجزائري (الإسلام ، اللغة ، الوطن) ، هذا الرفض جعلهم ينبذون الشيوعيين و أفكارهم [3] .

[1]- العمري : المرجع السابق ، ص 58.
[2]- نفسه، ص 42.
[3]- عباس : المرجع السابق ، ص 345.

ثم إن قضية الانتخابات على الرغم من التزوير الذي أحدثته السلطة الاستعمارية فإن الحزب قد فشل ذريعا، ومعنى ذلك أن هذه الإدارة التي كان يعمل من أجل رعاية مصالحها كانت تستغله فقط ، وبذلك توجه الحزب الشيوعي الجزائري إلى سياسة وطنية صحيحة تخدم وطنه وشعبه وركز نضاله من أجل هذه المصلحة [1] ، وفيما يلي جملة من تلك المبادئ و الأهداف التي سطرها الحزب طيلة فترة نضاله الماضية حتى هذا التاريخ الذي خلص إليه الفصل الأول و التي اشتملت على الآتي [2]:

- طالب بالمساواة في الحقوق و الواجبات بين الفرنسيين والجزائريين في إطار الاتحاد الفرنسي.

- كما أن الحزب آمن بنظرية الدمج بين الجزائريين و الفرنسيين ، وطالب بضرورة ازدواجية الجنسية الجزائرية الفرنسية.

- المطالبة بتكوين برلمان جزائري – بمفهوم الحزب الشيوعي الجزائري – له الحق في التشريع و يتساوى في تشكيلته النيابية بين الفرنسيين و الجزائريين (60 جزائريا و 60 فرنسيا) .

- طالب بضرورة إقامة حكومة يترأسها شخص منتخب من قبل البرلمان المحلى ، وأن يكون لفرنسا ممثلا خاصا بها في الجزائر.

- كما طالب بأن تكون اللغتين العربية و الفرنسية اللغتان الرسميتان في الجزائر[3].

إن جل هذه المبادئ و الأهداف كانت كلها محور اهتمام مناضلي الحزب الشيوعي الجزائري التي لم يكن لها أي تأثير على الأحزاب الأخرى و قد رد عليها مصالي الحاج و أنصاره بأنها نوع من العمالة و الخيانة ووصفها بقمة الخضوع و الذوبان في الشخصية الفرنسية الاستعمارية .

---

[1] - Sivan : op-cit ,p168.

[2]- قدري القلعجي : **تجربة عربي في الحزب الشيوعي الجزائري** ،بيروت ،لبنان ،د-ت ص 183.

[3]- مومن العمري : الحركة الثورية ، المرجع السابق ، ص 43.

ونظرا لغالبية العناصر الأوروبية في الحزب الشيوعي الجزائري فقد نقص عمله كمنظمة سياسية أو كحزب سياسي لأن نظرة الأحزاب الأخرى لم تتغير لأنهم لا يزالون في نظرهم مجرد عملاء للسياسة الفرنسية ، إلى أن أنشأت جبهة التحرير الوطني [1] .

و بذلك استمرت سيطرة أفكار الحزب الشيوعي الفرنسي على الحزب الشيوعي الجزائري الذي بقي ينظر إلى الأمة الجزائرية ، أنها أمة لم تتكون بعد و لعل أكبر دليل على هذا الفكر هو التصريح الذي أدلى به الأمين العام للحزب عمار أوزقان الذي يقول :<< نطلب من الحزب الشيوعي الفرنسي أن يبقى دليلنا ومرشدنا لأننا نقنع بالاستقلال الداخلي للحزب عن أخيه الأكبر *. و لا نريده استقلال تاما عنه>>[2] .

هذا التنظير الإيديولوجي الذي وضعه الحزب الشيوعي الفرنسي هو الإطار العام لنشاط الحزب الشيوعي الجزائري وحدد معالمه المتمثلة في :

1- عدم التسليم بوجود شعب جزائري ، وبأنه أمة في طور التكوين .

2- العمل على حماية المصالح الفرنسية بالجزائري مهما كانت الظروف .

3- هذه الإصلاحات التي طالب بها الحزب ، لاتمس إطلاقا بسيادة ومصالح فرنسا.

بهذه الصورة تحول الحزب الشيوعي الجزائري إلى مدافع أول عن فكرة الإدماج و مؤيد لها بكل وسائله حتى و إن كانت هذه الأساليب متبعة من طرف الإدارة الاستعمارية التي انتهجت جميع سبل التعسف لضرب الحركة الوطنية المنادية بالاستقلال عن فرنسا مدعوما في موقفه هذا من طرف أولئك الشيوعيين الفرنسيين الذين أيدوا كل اجراء قمعي تتخذه الجبهة الشعبية التي نكثت بوعودها الإصلاحية

[1]- غليسبي : المصدر السابق ، ص 214.

* أخيه الأكبر : تسمية أطلقها الحزب الشيوعي على الحزب الشيوعي الفرنسي .

[2]- مولود قاسم نايت بلقاسم : **ردود الفعل الاولية على أول نوفمبر داخلا و خارجا أو بعض مآثر نوفمبر** ، ط1، دار البعث للطباعة و النشر، قسنطينة ، الجزائر ، ص ص 43-44.

بحجة أنها تحول دون تغلغل الفاشية و النازية في أوساط هذه المستعمرات ، وهي حجة باطلة لأن سعيها في ذلك يقتصر على خنق حركة التحرر الوطني في جميع بلدان شمال إفريقيا [1] .

لكن هذه الجبهة لم تعمر طويلا لأن حكومة الائتلاف السياسي قد انهارت مع نهاية 1938م ، و هذا ما يوحي بميلاد فترة جديدة و ظروف أخرى في قيام الحرب العالمية الثانية [2] .

و عند قيام الحرب العالمية الثانية سنة 1939 قامت السلطة الفرنسية بإيقاف كل نشاط سياسي ، وحلت جميع الأحزاب و المنظمات السياسية في كل من فرنسا و الجزائر ، كما قامت بجملة من الاعتقالات شملت كل الزعماء السياسيين حتى مناضلي الحزب الشيوعي الجزائري كانوا ضمن هؤلاء المعتقلين على الرغم من أنهم كانوا يهدفون إلى تحرير فرنسا من النازية الفاشية .

وما تجدر الإشارة إليه إلى أن زعماء الحزب الشيوعي الجزائري سرعان ما استفادوا من العفو السياسي لأن السلطة الفرنسية أطلقت سراحهم دون غيرهم من السياسيين الذين بقوا في سجون الاعتقال ، ولم يتأخر الحزب في العودة إلى نشاطه السياسي ليسترجع مكانته السياسية في الجزائر مدعوما من طرف الحزب الشيوعي الفرنسي منذ سنة 1942.

و كان نشاطه حثيثا وواسعا جدا في غياب منافسيه من أنصار حزب الشعب و فرحات عباس ، خاصة و أن ذلك تزامن مع نزول قوة الحلفاء في الجزائر في 8 نوفمبر 1942 رفقة لجنة فرنسا الحرة و التي أعلن قادة الحزب الشيوعي أمامها بأن عملهم يتركز أساسا على إنشاء اتحاد عام بين الشعبين الجزائري و الفرنسي بقصد محاربة الفاشية و إقامة جزائر حرة [3].

ومن ثمة يتحول الحزب من جديد إلى الأوساط الشعبية لأنه أراد تحسين علاقته بالحركة الوطنية ومناضليها، فنادى بضرورة إطلاق سراح فرحات عباس و بعض المناضلين السياسيين وفي سنة 1943 تم

---

[1]– القلعجي : المصدر السابق ، ص 184.

[2]– محمد الطيب العلوي :**مظاهر المقاومة الجزائرية 1930حتى ثورة نوفمبر 1954** ،ط1،دار البعث للطباعة والنشر ، قسنطينة ، الجزائر ،1985 ، ص 232.

[3]– بوحوش : المرجع السابق ، ص 284.

الإعلان عن بيان 3 فيفري ، وعلى إثره تم انعقاد ندوة إخبارية في شهر مارس صيغت فيها المطالب المشتركة للحركة الوطنية و العمل على تحقيق هذه المطالب ، وقد حضرت هذه الندوة كل المنظمات السياسية الجزائرية باستثناء الحزب الشيوعي الجزائري لان رئاسة الندوة كانت لمصالي الحاج المعتقل في الجنوب الجزائري ، وهذا بسبب العداء القديم بينهما.

ومنذ هذا التاريخ تشكل الائتلاف الوطني الجزائري المعروف بأحباب البيان و الحرية وكان هدفه الرئيسي هو إقرار دستور جزائري ديمقراطي ، وإنشاء برلمان جزائري و تشكيل حكومة جزائرية ذات سيادة تختارها طواعية لاقصرا للانضمام إلى فرنسا و تماشيا مع مصالحها.

و قد تم ذلك في غياب الحزب الشيوعي الجزائري ، و بهذه المطالب اتسعت الهوة بينه و بين حركة فرحات عباس السياسية ، بدل التقارب الذي كان يسعى إليه لأنه من خلال هذا البيان دعا إلى مناهضة سياسة الإدماج فاعتبرته السلطة الفرنسية بأنه مجرد عميل موالي للولايات المتحدة الأمريكية و بريطانيا.

و ذلك بسبب انتهاج فرحات عباس لسياسة على حساب الحزب الشيوعي الجزائري لأنه هذا الأخير كان معاديا لأفكار الاستقلال و الوطنية التي نادى بها فرحات عباس ، كما أنه مايزال ينظر إلى الأمة الجزائرية على أنها أمة قيد النشوء و التكوين و المطالبة بالاستقلال يعد مطلبا مستحيل التحقيق بسبب البنية التي انتهجها الاستعمار [1] ، و عندما شكل فرحات عباس التجمع الذي أطلق عليه اسم"" أحباب البيان و الحرية"" اعتبر الحزب الشيوعي الجزائري أن مناضليه عبارة عن وطنيين مزيفين وكرد فعل على ذلك أسس حركة موازية أطلق عليها اسم "" أحباب الديمقراطية"" و التي كانت عبارة عن تجمع شعبي جماهيري يقف في وجه الملكية و الفاشية و كان هدفها الرئيسي هو إفشال حركة فرحات عباس .

لذلك نجد أن الإدارة الفرنسية و الحزب الشيوعي الفرنسي قد رحبا بهذه الفكرة و سهلا للحركة جميع مهامها و نتيجة ذلك هي اشتداد الصراع بين الحركتين مما أدى بهما إلى تبادل التهم حتى خارج الإطار السياسي إلى الإطار الشخصي [2] .

---

[1]- القلعجي : المصدر السابق ، ص 283.

[2]- عبد القادر : المرجع السابق ، ص 96.

ومنه فإن هذا الانسلاخ للحزب الشيوعي الجزائري ، من الحركة الوطنية جعل منهم بعيدين كل البعد عن الأوساط الشعبية ، وبذلك فشلوا في تحقيق أمنيتهم في الحصول على تأييد شعبي خاصة بعد موقفهم العدائي من حوادث 8 ماي 1945 بعد أن اتهم علانية حزب الشعب بأن مناضليه عبارة عن مشاغبين مؤيدين للحركة الفاشية الدولية ، و بذلك تحمل الجزائريون نتائج تلك المذابح .

ومنذ هذا التاريخ ازدادت العلاقات بين الوطنيين و الشيوعيين سوءا خاصة بعد مشاركة بعض عناصر الحزب الشيوعي الجزائري ، في أعمال القمع أثناء المذابح ، كما قاموا بالوشاية ببعض أعضاء الحركة الوطنية ، ومنه كان اعتبارهم دووا موقف خياني ، لأن سياسة الحزب ارتكزت أساسا على إبقاء السيادة الفرنسية في الجزائر ، وتأييده المطلق لتنفيذ مشروع الإدماج [1] .

وعندما أجريت الانتخابات المحلية في أكتوبر 1945 ، والتي فاز فيها الشيوعيون بمقعدين حيث منح حق التصويت للعديد من الجزائريين في ظروف تواجد بقية زعماء الحركة الوطنية في السجون كما أن شعار الشيوعيين خلال هذه الحملة الانتخابية هو "" العفو العام على هؤلاء المواطنين الموجودين في السجون""، وطالبوا وزير الداخلية الفرنسي بإصدار عفو فوري لهم .

لكن هذه الشعارات للشيوعيين لم تكن سوى أوهام رسمها المخطط الشيوعي الفرنسي بطبيعته الانتهازية فكان القادة الشيوعيين الجزائريين يوهمون الشعب بأن مواقفهم وطنية تخدم مصالح الجزائريين ، وبعد ذلك أدرك الشعب الجزائري أن تلك الشعارات ما هي إلا خطة انتخابية كان الحزب الشيوعي يسعى من ورائها إلى الفوز حتى على حساب مصلحة الجزائريين أنفسهم ، و يكون بذلك زعيما للحركة الوطنية في الجزائر على نسق فرنسي[2].

---

[1] – Jean Claud Vatin : **l'Algérie politique – histoire et société – fondation national science politique**, Armond vollume, paris ,1994,p 293.

[2]– غليسي : المصدر السابق ، ص 86.

2- مرحلة مابعد الحرب العالمية الثانية (1946-1954):

بحلول سنة 1946 يأخذ الحزب الشيوعي الجزائري منعرجا جذريا في أفكاره و نشاطه السياسي ، بعد دخوله الانتخابات المحلية في الجزائر التي أجريت يوم 2 جوان 1946 [1] ، بحجة عدم ترك المجال لسيطرة الإدارة الفرنسية على المجالس المنتخبة ، لكن نتيجة هذه الانتخابات كانت وخيمة على الشيوعيين، على الرغم من علمهم بالتزوير الذي قامت به الإدارة الفرنسية أثناء هذه الانتخابات لكن النتيجة كانت فشلهم الذريع فيها.

كما فوجئ الشيوعيون بإلتفاف الجماهير الشعبية حول صوت فرحات عباس الذي شارك في الانتخابات باسم الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري ، و كان حزب الشعب قد نادى بمقاطعتها لأنه اعتبرها خيانة وطنية [2].

ولاحظ الحزب الشيوعي الجزائري أن أنصاره انفضوا من حوله و انعدمت شعبيته ، كل هذه الظروف و الأوضاع جعلته يطرح لأول مرة النقد على نفسه لأن هذه الانتخابات أثبتت له أن الجماهير الجزائرية لا تقف أبدا إلى جانب المنادين بالإدماج، و إذا أرادوا الحصول على أي تأييد شعبي فعليهم أن يعيدوا النظر في مواقفهم أولا ، ثم يجروا عليها تعديلا يكسبهم المكانة الوطنية بين الجزائريين وقبل هذا التعديل لن يأخذ الجزائريون أي اصلاح أو عمل يقومون به [3] .

وإدرك الحزب الشيوعي الجزائري بأن فكرة إنشاء مجلس ديمقراطي هو مطلب شرعي لفئات المجتمع الجزائري فاعترف لهم بذلك كأول خطوة نحو سياسة جديدة بعيدة عن التحكم الفرنسي ، التي تنبأ ببداية الاستقلالية للحزب عن الأفكار الفرنسية.

---

[1] -Mohamed Yousfi : **l’Algérie en marche** , tom 1 , ENAL,Alger , p 65.

[2]- عبد القادر : المرجع السابق ، ص ص ، 108-109.

[3]- غليسي : المصدر السابق ، ص 86.

و أول إجراء قام به الحزب الشيوعي الجزائري هو مطالبة وزير الداخلية الفرنسي بإطلاق سراح مصالي الحاج من السجن [1]، لكن رغم ذلك يم يتخلى عن فكرة أن الجزائر أمة بصدد التكوين ،وذلك من خلال تصريح زعيمه عمار أوزقان :<< بأن الحزب الشيوعي الجزائري هو حزب الأمة الجزائرية>> ، ومن ثم حاول إيجاد جبهة ديمقراطية تضم العلماء و حزب الشعب و الاتحاد الديمقراطي فأجابه فرحات عباس بأنه مستعد لكل أشكال التقارب التي يطرحها الشيوعيون.

ومنذ سنة 1947 سياسة الحزب الشيوعي الجزائري تغيرت جذريا لأنه حاول أن يفك عزلته عن الشعب فأخذ يتقرب من الأوساط الشعبية بداية باحترام عاداتهم و تقاليدهم ، وطرح لأول مرة فكرة الجمهورية الجزائرية [2].

كما قام بإقصاء كل العناصر المعادية للحركة الوطنية الجزائرية منهم عمار أوزقان الذي تغلغل في الأوساط العمالية و أصبح تنظيمه النقابي من خلال الكنفدرالية العامة التي كانت تابعة له ، هذا التنظيم النقابي أصبح يدافع من خلاله عن حقوق العمال في الجزائر و فرنسا [3] ، و خلفه في رئاسة الحزب السيد العربي بوهالي.

وخلال هذه السنة (1947) بدا الحزب يتمتع ببعض الشعبية حيث انظمت إليه بعض الشخصيات البارزة في التاريخ السياسي مثل إبراهيم بن خدة ، عبد الحفيظ بوضياف ، عبد القادر قروج، و أحمد عكاش و البشير حاج علي ، بالإضافة إلى النواب السابقين مثل جهاد عبد الرحمن ، و السيد بيار فايي ، هؤلاء الذين تقدموا بمشروع قانون أساسي لدمجه ضمن الأنظمة الرئيسية التي دخلت حيز التطبيق في فرنسا أثناء قيام الجمهورية الرابعة.

[1] – yousfi : op-cit , p 65.

[2]– عبد القادر : المرجع السابق ، ص 109.

[3]– العلوي : المرجع السابق ، ص ص132-133.

هذه العريضة تضمنت الحالة السيئة التي وصل إليها الشعب الجزائري من مظاهر البئس و الفقر في ظل الاستبداد الاستعماري كما ذكر بأن هذه الحالة تنبأ بانفجار الوضع ضد السلطة الفرنسية في أي لحظة ما إذا استمرت هذه الأخيرة في تجاهل مطالبها الإصلاحية [1] .

الحديث عن المرأة:

يعتبر دخول المرأة الجزائرية إلى عالم السياسة و النضال الوطني عامل تغيير في الحزب الشيوعي الجزائري حيث كان لهن دور هام في خلق اتحاد نساء الجزائر (اليوفا) في 1944 و كانت بداية السيدة علاوشيش باية التي انتخبت كامينة عامة للحزب سنة 1949 و التي كانت قد انضمت للحزب في 1939 [2] ، وتذكر مسعودة يحياوي مرابط بأن تجنيد النساء في الحزب يتم على أساس أن النساء الأوربيات المناضلات يغطين الاجتماعات التحسيسية في أحياء المسلمين ، القصبة ، بلكور و الأحياء القصديرية ، حيث تقوم مناضلة أوروبية بالشرح و مناضلة مسلمة بالترجمة بالعربية ، كما أنشأ اتحاد نساء الجزائر في 1944 واستمرت حتى 1951 و قد قدرت باية علاوشيش عدد المناضلات إلى غاية 1951 ب 15 ألف و قد بدأ العدد بالتقلص حيث أصبح يمثل بضعة آلاف في حدود سنة 1954[3].

كما تذكر بأن مصالح المناضلات المسلمات و الأوروبيات صارت متباينة و ترجع السبب إلى[4]:<<إن توجه اليوفا إلى المشاكل الاجتماعية و الاقتصادية الجزائرية قد جعلت سمعتها تضعف تدريجيا بين الأوروبيات و أن عملها السياسي الذي ينحصر في خط الحزب الشيوعي الجزائري (حملة من أجل السلم في الفيتنام و بدون مقابل مع الجزائر) جعل اليوفا تفقد مناضرتها المسلمات>>.

وقد أكدت إحدى تقارير الشرطة الفرنسية في قسنطينة هذه النشاطات وذلك في قسنطينة عندما عقد اجتماع في 16 جوان 1947 من طرف اتحاد النساء الجزائريين التابعة للحزب الشيوعي الجزائري

---

[1]- يحيى بوعزيز : **مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية و الدولية** ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر 1999 ، ص 402.

[2]- Allisou derw :" **le parti communiste algérienne et la lutte anticolonialiste**" , mythes et réalités , université de york , angleterre , interventions , Alger , mai 2014.

[3]- يحياوي مرابط : المرجع السابق ، ص 345.

[4]- نفسه : ص 346. انظر كذلك التقرير الفرنسي : police d etat de constantine commissariat centrale , rapport mensuel du mois de juin 1947 , N 74

والذي جاء بعد عقد نظيره الفرنسي في باريس و قد أكد اجتماع اتحاد النساء الجزائريين على الحقوق و الواجبات بين النساء و المطالبة بالتصويت السريع على دستور ديموقراطي وتطبيق الحماية الاجتماعية في الجزائر و التساوي في الأجور بين العمال الفرنسيين و العمال الجزائريين و التمدرس للأطفال المسلمين[4] .

المبحث الثالث : الحزب الشيوعي الجزائري و الحركة الوطنية الجزائرية .

علاقة الحزب الشيوعي بحزب الشعبPPA :

و على الرغم من أن النجم كان يعمل تحت دعم الشيوعيين الفرنسيين الذين حاولوا من خلاله خلق تحالف عربي فرنسي في ظل الدولة الأم فرنسا.

لكن منذ 1937 مصالي الحاج يعلن انفصاله التام عن كل ما هو فرنسي و أعلن كذلك عن استقالته عن الشيوعية ، مبرزا وجهته الوطنية التي يطالب من خلالها "بالوطنية رمز الحياة" [1] ، وبدأ مصالي الحاج نضاله السياسي من جديد باسم حزب الشعب الجزائري منذ سنة 1937م.

وكان الحزب الشيوعي الفرنسي قد قطع كل دعم إعلامي أو مساعدة مادية كان يحضى بها خلال نضاله في نجم شمال إفريقيا ، كما قام هذا الحزب أيضا بتشجيع نشاط الحزب الشيوعي الجزائري الذي كان يكن عداء شديدا لحزب الشعب و جميع أعضائه خاصة و أنه كان يسير وفق خطة الشيوعية الفرنسية التي تتصدى لكل الحركات الوطنية المنادية بالاستقلال عن فرنسا [2].

وتفاقم العداء بين الحزبين منذ أن تحالف الحزب الشيوعي الجزائري مع الجبهة الشعبية ، ولم يأتي أبدا على ذكر مسألة تحرير شمال إفريقيا من النفوذ الفرنسي و هذا التحالف زاد من استياء مصالي الحاج من الشيوعيين فولد صراعا شديدا غذاه الحزب الشيوعي الفرنسي لمدة طويلة.

وعندما انعقد المؤتمر الإسلامي سنة 1936 و الذي شمل جميع الكتل السياسية و نواب و شيوعيين و جماعة من العلماء من ذوي التيار الإسلامي للمطالبة بالحقوق السياسية الفرنسية للمسلمين مع الإبقاء على شخصيتهم الإسلامية .

وخلال هذا الاجتماع التاريخي الأول من نوعه في الجزائر نلاحظ غياب حزب الشعب على الرغم من انه ضم جميع الفئات السياسية المتباينة .

---

[1]- بوحوش : المرجع السابق ، ص ص 28 ، 281.

[2]- زوزو : المرجع السابق ، ص 201.

و سبب هذا الغياب حزب الشعب هو ذلك العداء الدفين الذي كان الشيوعيون يضمرونه لحزب الشعب و نظرا للدور الفعال الذي لعبه الحزب الشيوعي الجزائري .

خلال المؤتمر مقارنة بمنصبه في الجبهة الشعبية الفرنسية فقد هدد بفشل المؤتمر إذا ما شارك فيه هؤلاء وكان هذا الموقف نتيجة الصراع المستمر بين الحزبين لان الشيوعيين اعتبروا مصالي الحاج وحزبه بمثابة منظمة تعمل ضد فرنسا[1] .

و ازداد الوضع تأزما منذ انعقاد الدورة الثانية للمؤتمر الإسلامي في جويلية 1937 أين قام الشيوعيون بطرد مصالي الحاج و أتباعه من المؤتمر و منعوهم من الحضور [2] .

وطيلة الفترة الممتدة ما بين 1936-1939 تبادل الطرفان مختلف التهم و الاهانات حيث تهجم الحزب الشيوعي الجزائري على الحركة الوطنية الجزائرية وممثلها آنذاك حزب الشعب ، بكل ما يسمح به قاموس الشيوعيين من ألفاظ الشتائم و الهجاء السياسي ، واتهموا حزب الشعب بالعمالة للاستعمار الألماني و بأنه مرتبط بالتحالف مع القوى اليمينية الفرنسية [3] .

ومنذ ذلك أصبح حزب الشعب في نظر الشيوعيين عبارة عن حزب فاشيستي ذو حركة تروستيكية تؤيد ألمانيا، وهم عبارة عن وطنيين مزيفين من دعاة الشغب ، ولم يتوان حزب الشعب في الرد على هذه الاتهامات حيث وصف الحزب الشيوعي بأنه حزب سطاليني ومناضليه نكتة للوعود ، ذووا سياسة مغالطة ومتهاونة بالقضايا الوطنية ، وأضاف حزب الشعب بأن موقف الشيوعيين هذا غامض وتهجماته عبارة عن افتراءات [4] مناصري الحزبين ، وحدثت بينهما مشاداة دموية بعد أن قام الحزب الشيوعي الجزائري بالوشاية بعناصر حزب الشعب لدى الشرطة الاستعمارية التي قامت بمتابعتهم و الإيقاع بهم ، هذا ما حدث في 14 جويلية 1936 ، حيث قام عناصر من الحزب الشيوعي الجزائري بإيعاز من الشرطة الفرنسية التي ساعدتهم في ذلك بمهاجمة الجبهة الوطنية لحزب الشعب بمدينة الجزائر ، وقد خلف هذا الهجوم حوالي 11

---

[1]- جوليان : المصدر السابق ، ص 157.

[2]- القلعجي : المصدر السابق ، ص 187.

[3]- زوزو : المرجع السابق ، ص 127.

[4] - Kaddache : OP-cit , p 333.

جريح 3 منهم في حالة خطيرة ، وكان ذلك بسبب المظاهرات التي دعى إليها حزب الشعب احتجاجا على تلك الاحتفالات التي قام بها الحزب الشيوعي على اثر وصول الجبهة الشعبية إلى الحكم و كان من خلال هذه الاحتفالات يسعى لنشر المبادئ الفرنسية و محاولة بسط نفوذه السياسي في الجزائر للتغلغل في الأوساط الشعبية ، كذلك قامت هذه المظاهرات لتذكير الجبهة الشعبية الفرنسية بما وعدت به للدفاع عن الشعب الجزائري ، ومن خلال هذه المشادات يمكن أن نستخلص تلك المنافسة الشديدة التي كانت قائمة أساسا على مدى تثبيت القاعدة الحزبية في الأوساط الشعبية ، ويتضح ذلك أكثر من خلال الانتخابات البلدية في سنة 1937 و التي حاول فيها كل حزب كسب الرهان على حساب الأخر [1] .

ومنذ هذا التاريخ كان الجو السياسي مشحونا بين الشيوعيين و المصاليين الذين تحولوا إلى حرب عنيفة من خلال البيانات و التصريحات الصادرة بأعنف اللهجات بين مناضلي التيارين ، وهذه صورة عن الحرب الاستفزازية التي كانت قائمة بينهما ، ففي سنة 1937 صرح الأمين العام للحزب الشيوعي الجزائري قدور بلقاسم في المؤتمر التاسع للحزب الشيوعي الفرنسي حيث قال :<<إننا نعلم في الوقت الحاضر أن اتحاد الشعب الجزائري مع شعب فرنسا ضروري و أنه سيبقى كذلك>> ، كما وجه اتهاما لحزب الشعب على لسان بن علي بوكور ووصفهم [2] << الوطنيون المزيفون و أعداء الشعب الجزائري والأكثر امبريالية من الاستعمار ، هم سبب البؤس>>.

و في تصريح آخر للأمين العام قال فيه [3]:<< إن تصور الاستقلال بدون التحالف الفرنسي الجزائري أمام الفاشية دولية عدوانية ، متعطشة للغزوات الاستدمارية ، لهو جنون و إجرام ، و إنه لمن التواطؤ مع الفاشية الدولية أن يعمد الوطنيون إلى الاستفزازات بالمطالبة بالاستقلال >>. كان هذا التصريح ردا على مطلب مصالي الحاج من خلال حزبه بالاستقلال التام عن فرنسا ، ويضيف السيد أتين فاجور [(*)] في جريدة الحرية سنة 1944 تصريحا قال فيه :<< يحاول هتلر رغبة منه في إضعاف العون الذي يبذل للشعب الفرنسي هذه الدقيقة الحرجة تقوية حملته الدعائية العربية داعية الجزائريين و أهل شمال

---

[1] – Sivan : op-cit 99.

[2]CAOM15H2B M P.I.D **cité dans la lutte sociale , 19 mai 1939**.

[3] – بسام العسلي : **نهج الثورة الجزائرية** ،دار النفائس ، بيروت ،1986 ، ص 122.

* أتين فاجور : العضو الأروبي في المكتب السياسي للحزب الشيوعي الجزائري .

إفريقيا إلى الانفصال عن فرنسا ، و يقوم عملاء العدو هنا بالدعوة الانفصالية في نفس الوقت الذي يثيرون فيه الأحقاد بين الأوربيين و الجزائريين و ليست جماهير الشعب هي التي تنادي الآن بالاستقلال الذاتي بل جماعة الإقطاعيين و كبار أصحاب الملايين و رجال الاحتكارات >>[1].

وبقي الحزبان في صراع مستمر إلى غاية 8 ماي 1945 خلال تلك المجازر الرهيبة التي ارتكبتها سلطات الاستعمار في حق الجزائريين حيث قام وزير الطيران الشيوعي الفرنسي (تيون) و نائب رئيس الوزراء موريس توريز بإعطاء أوامر لقصف جميع المدن الجزائرية الثائرة ضد الاحتلال الفرنسي و المطالبة بالاستقلال و الحرية بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية و انتصار جبهة فرنسا التي كانت قد وعدتهم بمنحهم الاستقلال ما إن ساندوها في حربها ضد ألمانيا .

لكن فرنسا أخلفت وعدها معهم، وتذكر بعض المصادر أنه خلال هذا القصف كانت هناك ميليشيا منظمة من الحزب الشيوعي الجزائري رفقة المعمرين الفرنسيين تقوم بالفتك بأولئك الثوار في الانتفاضة .

و يذكر السيد بن علي بوخرط أنه اتهم بالتحريض على المشاركة في عمليات القمع التي حدثت في 8 ماي 1945 رفقة بعض العناصر من الشيوعيين و بذلك حمله الحزب الشيوعي الفرنسي المسؤولية بصفة فردية ، و تم عزله عن الحزب نهائيا بعد ثبت فعلا مشاركة الشيوعيين في العمليات القمعية .

و قد رد الرجل عن اتهام بقوله :<< عمري ما قبلت خدمة طلبت مني صدفة أو كانت في غير خدمة وطني ، وأن حزبي لم يطلب مني ذلك يوما>>، و يقصد من خلال هذا التصريح أن تلك التهمة كانت ملفقة له تهدف إلى إبعاده عن المكتب السياسي للحزب الشيوعي الجزائري الذي سار بعده على نهج الحزب الشيوعي الفرنسي كما ذكر بوخرط بأن العديد من عناصر الحزب الشيوعي الجزائري انتهجوا سياسة الحزب الشيوعي الفرنسي و اتهموه بالخيانة [2] .

---

[1] - العسلي : المرجع السابق ، ص 122.

[2] -Ben Ali Boukorte : **le souffle de dahra** , entreprise nationale de livre , Alger , p 83.

كما اتهمت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الجزائري حزب الشعب بأنه المدبر الرئيسي لكل تلك الأحداث وبأنه الطابور الخامس عميل الألمان ، ووصفته جريدة humanité ببقايا فيشي [1] .

و يضيف الحزب الشيوعي الجزائري في المؤتمر العاشر للحزب الشيوعي الفرنسي الذي قال فيه:<< إن الذين يطالبون باستقلال الجزائر هم عن وعي أو غير وعي عملاء لدولة استعمارية أخرى ... ويعمل الحزب الشيوعي و يناضل لتقوية أواصر الوحدة بين الشعب الجزائري و الفرنسي و يدعوا الحزب إلى ضرورة استنكار الشعب لأولئك الراغبين في فصل الجزائر و خلق الشكوك بينهم و بين فرنسا الديمقراطية [2].

ومن خلال هذه التصريحات نجد أن الحزب الشيوعي الجزائري يؤيد فرنسا في سياستها الإدماجية رغم تلك الأحداث الدامية و هذا ما جعل موقفه غامضا [3] ، استمرت حرب البيانات بين الحزب الشيوعي و حزب الشعب من خلال التصريحات و الرد عليها .

فنجد حزب الشعب يوجه تصريحا قال فيه :<< لم يكن غريبا أن نرى الحزب الشيوعي الفرنسي بذيله الحزب الشوعي الجزائري ، يعملان معا على طمس معالم تلك الجريمة البشعة في مجزرة 8 ماي 1945 و إلقاء تبعتها على حزب الشعب و على الجزائريين >>[4] .

وكان هذا ردا عما تقدم به الحزب الشيوعي الجزائري في جريدة حيث كتب يقول :<<... أما أن بينكم بعض الهتلريين فهذا من الأمور البديهية لاسيما أن أحد الزعماء القوميين المزيفين كان في ألمانيا إبان التسليم الهتلري ، وقد وصل الآن إلى أحد بلدان إفريقيا الشمالية>>.

[1]- ناصر الدين سعيدوني : **أفاق ومنطلقات ، مقارنات للواقع الجزائي من خلال مفاهيم تاريخية** ، ط1، دار الغرب الإسلامي ، بيروت لبنان 2000، ص 137.

[2]- العسلي : المرجع السابق ، ص 123.

[3]ابراهيم العسكري : **لمحات من مسيرة الثورة ودور القاعدة الشرقية** ، دار البعث قسنطينة ، الجزائر ، ص 48.

[4]- قلعجي : المصدر السابق ، 190.

كما كتب في نفس الجريدة يقول :<< المطلوب إنزال العقاب المستحق بالهتلريين الذين اشتركوا في الحوادث و بالزعماء القوميين الذين حاولوا عمدا خداع الجماهير المسلمة خادمين بذلك مصالح الأسياد الألمان في سعيهم لإيجاد القطيعة بين السكان الجزائريين و شعبنا فرنسا >>[1] .

إذن الحزب الشيوعي الجزائري قد وجه تهمة صريحة لمصالي الحاج و أتباعه بأنه المدبر الرئيسي لهذه المظاهرات وهو من قام بتحريض الجماهير ضد السلطة الفرنسية لأن أفكاره الاستقلالية تدفعه لإنشاء مناضلين سريين في الجبال الجزائرية .

و ذلك لإبراز الكره بين أولئك الجزائريين و الفرنسيين وهو تيار هتلر المطبق لأوامره في الإذاعة النازية .

كما أن الحزب الشيوعي وصف مصالي الحاج وحزبه بأنهما لا صلةلهما بالحياة السياسية لأنه حاول أبعاد الجمهورية الفرنسية عن الجزائر ، وعن الشعب التي تسعى من أجله لتحقيق بلد مزدهر [2] .

من خلال كل هذه التصريحات نستنتج أن الحزب الشيوعي أكد على ضرورة معاقبة المتسببين في جرائم 8 ماي 1945 و إحالتهم على العدالة ثم تطرق الحزب إلى محاولة فرنسا في خلق جزائر جديدة متحدة معها و قد كثفت ذلك العمل منذ بداية 12 و 13 أوت 1945 وظل الحزب الشيوعي الجزائري يضمر عدوانه الشديد لمصالي الحاج حتى بعد ميلاد حركة انتصار الحريات الديمقراطية سنة 1946.

وكان عمار أوزقان قد عبر عن موقفه من الإيديولوجية المصالية أثناء التصدع الذي أصاب الحركة الوطنية و انقسام حركة انتصار الحريات الديمقراطية على نفسها ، <<وإن هذه الحركة خرجت إلى العدواة المعلنة ضد أنصار المد الثوري في الفاتح من نوفمبر 1945 و تحولت بصانعها إلى المستعمر بوسائل

---

[1]- القلعجي : المرجع السابق ، ص 192.

– قدادرة شايب غزواني : **الحركة الوطنية الجزائرية أثناء الحرب العالمية الثانية** ، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث و المعاصر ، [2]اشراف محمد صبحي ، قسم التاريخ و الآثار جامعة الاسكندرية ، مصر 1991، ص ص 143-145.

خسيسة >>،ولاحظ عمار أوزقان أن غالبية الشعب آنذاك كان ينظر إلى هذه الأزمة التي صاحبها جو من الاغتيالات و التصفيات الجسدية بمثابة الخيانة العظمى [1] .

وما يمكن أن نستخلصه من هذه العلاقة للحزب الشعبي الجزائري مع الحركة الوطنية عموما وحزب الشعب بصفة خاصة بأنه كان يؤيد بقاء السيادة الفرنسية في الجزائر تحت أي ظرف من الظروف و بأي شكل لذلك نجده قد شجع سياسة الإدماج لبقائه مواليا للحزب الشيوعي الفرنسي الذي كان يعمل على حرية بلاده ومحاربة كل مستعمرة تطمح إلى ذلك.

لكن الحزب الشيوعي الجزائري بهذه السياسة بقي طيلة تلك الفترة عدوا فعليا للوطنية و القومية العربية و مبدأ التحرر من الاستعمار الفرنسي [2] .

وكانت كل هذه الأحداث و ذلك العداء الشديد لحزب الشعب كنتيجة حتمية لأن هذا الأخير اعتمد على نفس الطبقة التي كان يعتمد عليها الحزب الشيوعي في مسيرته النضالية و هي الطبقة العمالية خاصة فئة الفلاحين، حيث نجد أن حزب الشعب قد استطاع كسب تأييد شعبي كبير منذ عهد حزب النجم مرورا بحزب الشعب ثم حركة انتصار الحريات الديمقراطية.

كل هذه المسيرة النضالية منحت للحزب جذورا مترسخة في الوسط الحضري وكان صداه واسعا و أكيدا في الأرياف عند الفلاحين ووطد علاقته وتنظيمه داخل هذه الحركة العمالية لأن مساهمة النقابات و العمال في تدعيم الحزب ومساندته لا يمكن إغفال دورها و لا ينبغي أن تنسى ، ولهذا كان نشاط حزب الشعب على حساب سياسة الحزب الشيوعي.

[1] - Amar Ouzeguane : **le meilleur combat** ,ed ANEP ,2006 , p35.

[2]- العسكري : المرجع السابق ، ص ص 47-48.

علاقة الحزب الشيوعي الجزائري بالاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري :

قبل الحديث عن علاقة الحزبين يمكن أن نأتي على طرح فكرة فرحات عباس الذي كان ينفي وجود الأمة الجزائرية و يؤيد مبدأ الإدماج التام مع فرنسا فكان يقول : <<لا وجود لشئ اسمه الوطن الجزائري ، و عليه فلا داعي للتحولات من أجل شيء لا وجود له>>.

من خلال هذا الطرح يمكن أن نستنتج أن أفكار فرحات عباس تتفق جدا مع أفكار الشيوعيين الجزائريين لكن هذا الرأي لقي استنكارا كبيرا لدى جمعية العلماء المسلمين و حزب الشعب ، وهذا ما حمل فرحات عباس على تغير مواقفه الإدماجية خاصة بعد الرفض المطلق الذي أبداه الشعب الجزائري لمشروع بيوم فيوليت سنة 1936 ، وخلال هذه السنة تمكن الحزب الشيوعي أيضا من التقرب إلى جميع تيارات الحركة الوطنية حيث لعب دورا فعالا مكنه من التغلغل حتى في أوساط الشعبية لكن بعد هذه السنة نجد أن فرحات عباس قد تخلى عن فكرة الإدماج تماما لصالح دستور جزائري ، ومن هنا تأخذ العلاقة بينه وبين الشيوعيين مسارا جيدا.

ومن بداية الحرب العالمية الثانية توقف نشاط الأحزاب الوطنية و أصبحت محظورة [1] ، و بعد نزول الحلفاء في 1942 على تراب الجزائر في ظل ما يسمى بتشكيل أرضية للعمل المشترك ، تم الإعلان عن بيان الشعب الجزائري في 12 فيفري 1943 ، وصياغة ملحقة في 10 جوان من نفس السنة ، فانعقدت من أجل صياغة المطالب المشتركة و العمل على إيجادها ، ندوة إخبارية من 2 إلى 4 مارس حضرتها المنظمات السياسية الجزائرية باستثناء الشيوعيين لأن الرئاسة كانت لمصالي الحاج ، هذا ما سمح بتكوين تجمع يمثل إيلاف سياسي وطني أطلقوا عليه اسم " أحباب البيان و الحرية".

كان هذا التجمع يهدف إلى إقرار دستور جزائري ، ديمقراطي جمهوري كما أنه دعى إلى إنشاء برلمان جزائري ، وتشكيل حكومة جزائرية ذات سيادة تختار طواعية لا قصرا الانضمام إلى فرنسا تماشيا مع مصالحها [2].

---

[1]- عمار قليل : **ملحمة الجزائر الجديدة** ، ج 1، ط1، دار البعث ، قسنطينة 1991 ، ص ص 126-129.

[2]- سعيدوني : المرجع السابق ، ص 129.

ومن هنا بدأت بوادر الصراع بين التيارين لأن علاقة الحزب الشيوعي الجزائري بالتشكيلات السياسية داخل الحركة الوطنية أصبحت مشحونة بنوع من التوتر و عدم الاستقرار تبعا لتذبذب الظروف و المعطيات التي كانت تفرزها الساحة السياسية في تلك الفترة [1] .

كما أن الحزب الشيوعي الجزائري لم يهضم بتاتا فكرة صعود صوت فرحات عباس و راديكاليته المتنامية المناهضة للإدماج الذي ظلوا يدافعون عنه و اعتبروه عنصر شغب موال للولايات المتحدة الأمريكية و بريطانيا ، نظرا لذلك الإقبال و الالتفاف الشعبي الذي حظي به برنامج أحباب البيان ، فيما عجز الحزب الشيوعي عن تحقيق ذلك منذ 1936 بسبب مواقفه المعادية للاستقلال و الوطنية .

ومن هنا ظهرت القطيعة بين التيارين منذ سنة 1943 ، وقد حاول الشيوعيون أن يقفوا في وجه بيان 3 فيفري ، فاتهموا مناضلي البيان بأنهم عبارة عن وطنيين زائفين ، وكرد فعل أوجدوا حركة موازية أطلقوا عليها اسم " أحباب الديمقراطية " ، وجعلوا منها حركة موازية لحركة البيان و الحرية تهدف إلى إفشالها.

وقد نالت حركة أحباب الديمقراطية كل الدعم و الترحيب من طرف السلطة الفرنسية لإفشال حركة فرحات عباس ، متهمين إياه بالفاشية و النازية و من هذا المنطلق اشتد الصراع بين الحركتين وصل إلى حد أن عمار أوزقان فتح النار على أحباب البيان و اعتبرها حركة تعمل على تجسيد طموحات البرجوازية المحلية المتحالفة مع الامبريالية الأجنبية ، و هلوا باعتقال فرحات عباس بعد حوادث 8 ماي 1945 .

و بحلول تاريخ 6 أوت 1946 حدث تحول في حركة فرحات عباس بعد إطلاق سراحه من جديد أطلق عليه اسم " الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري " ، وجعل شعاره " نعم للاستقلال نعم للارتباط بفرنسا في شكل جمهورية جزائرية " [2].

وفي نفس السنة 1946 شارك فرحات عباس باسم الحزب الجديد في الانتخابات التي قاطعها حزب الشعب تحت شعار الانتخابات تعني الخيانة الوطنية و دخل الحزب الشيوعي الجزائري ، كمنافس في

[1]- عامر رخيلة : **احداث 8 ماي 1945 المنعطف الحاسم** ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ،د-ت ، ص ص 31-32.

[2]- عبد القادر : المرجع السابق ، ص ص 96-97.

هذه الانتخابات لكنه رغم التزوير الذي قامت به السلطة الفرنسية فقد مني بالفشل الذريع [1] ، و هذا ما جعلهم يطرحون النقد على أنفسهم لأول مرة من خلال تصريح الحزب في 21 جويلية 1946 حيث اعترف الشيوعيون بأهمية الحركة الوطنية و بطابعها التقدمي [2].

و قد اقترحوا تشكيل جبهة وطنية وديمقراطية مكونة من مختلف الأحزاب و التشكيلات السياسية تضمن الاتحاد مع فرنسا .

ومنذ هذا التاريخ لوحظ نوع من التقارب بين هذين التيارين نتيجة لقبولهم الأطروحة الفدرالية المقترحة من قبل الاتحاد الديمقراطي و المتمثلة في تشكيل حكومة جزائرية يرأسها رئيس ينتخبه المجلس الجزائري و المتكون من ستين منتخبا للمسلمين و ستين منتخبا للأوربيين ، و تنقل الشؤون الخارجية و الجيش إلى أيدي الحكومة الجزائرية ، حيث علق الشيوعيون آمالهم في ذلك على فوز اليسار في فرنسا ، لإحداث الاتحاد مع الشعب الفرنسي ، وما يمكن ملاحظته على النهج السياسي لكلا الحزبين (الحزب الشيوعي الجزائري و حركة أحباب البيان) أنه يغلب عليه الطابع الإصلاحي [3] .

كما أن الشيوعيين اعترفوا بضرورة إنشاء مجلس جزائري ديمقراطي وهو عبارة عن مطلب شرعي للفئات الشعبية ومنه جاء اهتماماتهم بالمسألة الوطنية فطالبوا وزير الداخلية الفرنسي بإطلاق سراح مصالي الحاج فورا ، لكنهم لم يتنازلوا بعد عن فكرة أن الأمة الجزائرية في طور النشوء و التكوين .

وقد صرح أوزقان أن الحزب الشيوعي الجزائري هو حزب الأمة الجزائرية ، وكان أكثر ميلا نحو إيجاد جبهة ديمقراطية و هي الفكرة التي لم يعرضها فرحات عباس لأنه كان يعتقد بأن كل الأمم التي كانت معادية للشيوعية قد انهزمت ، وكذلك هو الحال لألمانيا و ايطاليا و اليابان.

---

[1]- سعيدوني: المرجع السابق ، ص 138.

[2] - Vatin : op-cit , p p 294-295.

[3]- جيلالي صاري ومحفوظ قداش : **المقاومة السياسية (1900-1954)** ، **الطريق الاصلاحي و الطريق الثوري** ، ترجمة عبد القادر بن حراث ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1997 ، ص 88.

ثم أضاف أوزقان " لا أطلب من الفلاح أن يكون شيوعيا ، لكن عليه أن يكف عن معاداة الشيوعية لنفادي صدمات أخرى" [1] ، و قبل أن نختم الحديث عن طبيعة العلاقة بين الحزب الشيوعي الجزائري و الاتحاد الديمقراطي لا بأس أن نقوم بمقارنة بسيطة بين التيارين .

لقد كان للاتحاد الديمقراطي نظرة متطورة اتجاه القضية الجزائرية خاصة قضية حقيقة " وجود الأمة الجزائرية " ، ونظرا للظروف الجديدة التي كانت تطرأ على الساحة السياسية الوطنية ، ومن هنا بدأت آراءه تتغير ، فقد كان في بداية أمره يتكلم بلسان زعيمه فرحات عباس عن عدم وجود دولة جزائرية مستقلة ، كما أنكر وجود الأمة الجزائرية من خلال تصريحه في احدى المقالات " لا وجود لشيء اسمه الوطن الجزائري فلا داعي للموت من أجل شيء لا وجود له "[2] .

و بناءا على هذا الرأي تمكن فرحات عباس من الاتفاق مع الشيوعيين والفرنسيين الذين اعتبروا أن الجزائر ليست ملك أي أحد يدعي ملكها و ينكر جذورها و أجدادها الفينيقيون والرومان و العرب و الأتراك و الإسبان و الفرنسيون و اليهود لذا فهي أمة في طور التكوين [3] .

لكن فيما أبقى الشيوعيون على هذه النظرة نجد الاتحاد الديمقراطي باسم زعيمه فرحات عباس قد طور فكرته و أقر بوجود هذه الأمة الجزائرية فعلا و يلتحق بجبهة التحرير الوطني من أجل تحرير هذا الوطن الذي أنكر وجوده سابقا ، هذا الاستقلال الذي تبلور في شخصية فرحات عباس عبر مراحل ، حيث نجده في البداية يرفض الفكرة بحجة الاستفادة من الحضارة الفرنسية ، ثم أصبح يطالب بفيدرالية متحدة مع فرنسا ليخلص في الأخير إلى الحل الوحيد هو لغة الرشاش ، متبنيا فكرة الكفاح المسلح ، ومنه كان أول رئيس للحكومة الجزائرية المؤقتة ، ثم أول رئيس لأول برلمان جزائري منتخب بعد الاستقلال [4] .

أما موقف الحزب الشيوعي الجزائري من الاستقلال فهو موقف مرتبط بما يمليه عليه نظيره الفرنسي المعادي للثورة و الاستقلال ، وعلى الرغم من محاولات التقارب التي سعى إليها الحزب مع بقية عناصر

[1]- عبد القادر : المرجع السابق ، ص 109.
[2]- قليل : المرجع السابق ، ص 124.
[3]- نايت بلقاسم : المرجع السابق ، ص 30.
[4]- قليل : المرجع السابق ، ص ص 126-127.

الحركة الوطنية الجزائرية الأخرى ورغم جميع المواقف العدائية السابقة للحزب الشيوعي فإننا نجد أن الحركة الوطنية من خلال الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري ، أعربت عن موقفها اتجاه هذا الحزب و اعترفت له بدوره الرائد في التوعية السياسية لهذه الأحزاب و كان ذلك من خلال التصريح الذي أدلى به فرحات عباس حيث قال :<< أن الحزب الشيوعي رغم علاقته الوثيقة بالحزب الشيوعي الفرنسي فهو الحزب الوحيد الذي حاول على الصعيد الفكري و السياسي و الاجتماعي ، ان يفهم و أن يفسر إرادة الشعب الجزائري في التحرر و التي لم تسمح السلطات الاستعمارية حتى الآن بوجودها>>.

و اختلاف الحزب الشيوعي عن الاتحاد الديمقراطي يكمن في طريقة تشكيل الحزب و المسالة العقائدية المتعلقة بالصراع الطبقي.

وعلى الرغم من أن الحزب الشيوعي الجزائري قد فشل في إقناع أعضائه الأوربيين بأن الجزائر في حاجة إلى تحرر وطني ، مع ذلك فقد وجد الاتحاد الديمقراطي أن التعاون مع الشيوعيين على الصعيد البرلماني أمر معقول للغاية .

وكانت هذه النقاط هي أهم ما جمع وفرق بين الحزبين ، لكن العمل المشترك بينها هو ضرورة ايجاد مصالحة وطنية للرقي بالشعب الجزائري من خلال عمل سياسي مختلف الأوجه و المناهج[1] .

علاقة الحزب الشيوعي الجزائري بجمعية العلماء المسلمين الجزائريين :

قبل التفصيل في علاقة الحزب الشيوعي الجزائري بجمعية العلماء المسلمين الجزائري لابد أن ،نأخذ لمحة وجيزة عن تاريخ هذه الجمعية التي تأسست في 5 ماي 1931 بالجزائر العاصمة و انتخب الشيخ " عبد الحميد بن باديس" رئيسا لها [2] ، و تولى أهم علمائها المناصب العليا ، و قد وافقت الحكومة الفرنسية على قانونها الأساسي ، الذي يشتمل على 23 فصلا ، حددت من خلالها الأهداف الإصلاحية المتمثلة في محاربة الآفات الاجتماعية و تطهير الدين الإسلامي .

---

[1]– غليسبي : المصدر السابق ، ص ص 95-96.

– **أكاديمية العلوم في الاتحاد السوفياتي : معهد الاستشراق ، تاريخ الاقطار العربية المعاصر (1917–1970)** ، ج2ن ترجمة دار التقدم، [2]موسكو ،1976 ، ص 327.

و قد أكدت في قانونها الأساسي بأنها لن تخوض في أي غمار سياسي ، وإنها ستلتزم بدورها الإصلاحي فقط، لكن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين لم تتقيد بهذا القانون ، إذ نجدها تتدخل بقوة في المعركة السياسية و سنكتشف ذلك من خلال دراستها لطبيعة علاقتها بالحزب الشيوعي الجزائري .

إذ تعود جذور هذه العلاقة إلى ما قبل 1935 أي قبل أن ينفصل الحزب الشيوعي الجزائري عن نظيره الفرنسي و ذلك إثر اجتماع ثلاث حركات وطنية في 1934 تحت تأثير مخلفات أحداث قسنطينة بين اليهود و المسلمين ، حيث شمل هذا الاجتماع كل من جمعية العلماء المسلمين و الاتحاد الجزائري للحزب الشيوعي و اتحاد النواب المسليمن بقيادة بن جلول و فرحات عباس ، وقد عبروا من خلال هذا الاجتماع عن ضرورة البحث الإيجاد أرضية موحدة تجمع كل المطالب بما فيها تطبيق القانون العام الفرنسي المفروض على الجزائريين و اعتبارهم فرنسيين [1].

و قد اعتبر المؤتمر الإسلامي سنة 1936 بمثابة المنعطف الحاسم الذي أعطى صيغة جديدة لطبيعة هذه العلاقة بين الحزب الشيوعي الجزائري و جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، ومن الغريب أن يحدث هذا التقارب بين هذين التيارين على الرغم من الاختلاف الايديولوجي بينهما ، لكن الجمعية أدركت ضرورة تنافر جميع طبقات الأمة بفئاتها المختلفة لتوحيد خطة العمل.

وقد رد ابن باديس على الذين لاموه في التقارب حيث قال :<< أن كل عدو للاستعمار فهو صديق عبد الحميد ،وكل صديق للاستعمار هو عدو عبد الحميد ...>> ، وهناك من بارك هذا التقارب مثل " الشيخ الثعالبي" * ، و قد تجاوز الأمر بينهم الخلافات العقائدية من أجل القضية الوطنية ، و كتبت جريدة " الكفاح الاجتماعي" على لسان الأمين العام للحزب الشيوعي الجزائري " عمار أوزقان " ، الذي قال :<< ... إننا نريد العمل معا على برنامج موحد ليس مع رفاقنا الوطنيين و الثوريين فقط ، ولكن أيضا مع الدكتور ابن جلول ، و فرحات عباس ، والأمين لعمودي ، و كل التجمعات الجزائرية الأخرى ... و هذا لا ينقص منا شيئا ذلك أنه كان التكتيك يختلف بيننا وفقا للظروف ، فإن هدفنا الاستراتيجي يبقى واحدا >>.

---

[1]- مناصرية : المرجع السابق ، ص ص 16-17.

و قد لوحظ بعد المؤتمر الإسلامي ،ان الحزب الشيوعي كثف من نشاطاته في أرجاء الوطن ، رغبة منه في إنجاح مطلب هذا المؤتمر ، كما أن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين سارت في نفس طريق الشيوعيين ، وقد اعتبر هذا الأخير أن المؤتمر هو خير وسيلة للدفاع عن حقوق الجزائريين تحت غطاء مبادئ الجبهة الشعبية ، كما أن العلماء اعتبروا هذا المؤتمر بمثابة الخطوة الهامة التي تقودهم إلى تحقيق السيادة الوطنية [1] .

وحاول الحزب الشيوعي الجزائري وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين تنسيق عملهم خلال الفترة الممتدة ما بين 1936-1937 ، في إطار المؤتمر الإسلامي لإصلاح الأوضاع السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية للجزائريين و هذا التقارب بين الحزبين جعل مصالي الحاج و أتباعه يعرضون عن المشاركة حتى في المؤتمر الإسلامي الثاني الذي عقد في جويلية 1937 ، كما أن مناضلي الحزب الشيوعي الجزائري منعوهم من ذلك [2] .

لكن هذا التقارب بين الحركتين لم يدم طويلا و هذا راجع إلى ازدياد نفوذ العلماء و تغير نظرة الشيوعيين لفكرة الدفاع عن الجزائريين ، على محاربة النازية و الفاشية ،وبذلك ابتعد العلماء عن الشيوعيين و الجبهة الشعبية معا ، وفي سنة 1938 تضاءل نفوذ الشيوعي ، وفقد سمعته بين المسلمين الجزائريين نتيجة معاداته لخطة جمعية العلماء ، وهذا ما جعل الحزب يخفق في انتخابات المجلس العام لمدينة الجزائر العاصمة في شهر أفريل 1939 أمام المنافسة التي تلقاها من طرف حزب الشعب .

و قد كانت انتخابات أفريل 1939 ، بمثابة درس لحزب الشيوعي الجزائري أعطي له من قبل الجزائريين لأن هؤلاء الشيوعيين عارضوا جمعية العلماء المسلمين الجزائريين مذهبيا ، وبالتالي فهم ضد عقيدة الشعب الجزائري ، بالإضافة إلى ذلك أن الجمعية أثرت بشكل كبير على قادة الحركة الوطنية و حتى الشيوعيين أنفسهم بعد أن تغلغل الاسلام في قلوبهم رغم جهلهم بمحتوى العقيدة الإسلامية و لأنهم تقلدوا

---

[1]- الخطيب : جمعية العلماء المسلمين و دورها الإصلاحي ، المرجع السابق ، ص ص 45-47.

[2]- بوصفصاف : جمعية العلماء وعلاقاتها ، المرجع السابق ، ص 283.

مبادئ الشيوعية و ذهبوا في متاهات صعب عليهم الخروج منها [1] ، وقد شوهد عمار أوزقان زعيم الحزب الشيوعي الجزائري سنة 1943 يؤدي بعض المهم في حزبه و هو صائم [2] .

كل هذه المؤشرات تدل على طبيعة الجهود المبذولة من قبل جمعية العلماء في إحياء روح الإسلام و مبادئه ، خاصة و أن ابن باديس الشخصية الدينية المحترمة كان يجلس حتى مع الشيوعيين في التجمعات الشعبية.

ومن خلال كل هذا فإن الجمعية أثرت في أعضاء الحزب الشيوعي ولو دينيا رغم أن الحزب الشيوعي يعارضها تماما[3] .

و لقد أكد عمار أوزقان في مقولة له عن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين " إن ابن باديس كان مصلحا وثوريا متفتحا و عالما و أنه المرشد الحقيقي لأهداف المؤتمر الإسلامي الذي استطاع بفضل جهوده أن يجمع من خلاله كل الاتجاهات المعادية للاستعمار الفرنسي و يضيف أن المؤتمر الإسلامي هو بمثابة المؤشر لدخول الشعب الجزائري حلبة الصراع السياسي الحقيقي"، و أقر عمار أوزقان أن الدين الإسلامي بمثابة الاسمنت الذي يرص مختلف الأطراف في وحدة شعبية [4] .

و من خلال هذا الطرح يمكن لنا أن نقول أن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين أثرت في بعض عناصر الحزب الشيوعي الجزائري ، إلا أن المتتبع لسياسة الحزب فإنه يلاحظ مدى استمراره في إنكار الأمة الجزائرية و أنها بصدد التكوين و ظل على نهجه السياسي الموالي لفرنسا و حزبها الشيوعي الفرنسي .

و إذا حاولنا أن نضع مقارنة بين الحزب الشيوعي الجزائري و جمعية العلماء المسلمين من خلال قضيتين أساسيتين أولهما " الاستقلال الوطني و مسالة الأمة الجزائرية"، ففيما يخص الأولى إن الحزب الشيوعي الجزائري لطالما نادى بربط مصيره و مصير القضية الجزائرية بالحزب الشيوعي الفرنسي ، هذا

---

[1]- بوصفصاف : جمعية العلماء وعلاقاتها ،المرجع السابق ، ص 286.

[2]- سعد الله : الحركة الوطنية الجزائرية (1930-1945) ، ج3، المرجع السابق ، ص 67

[3]- بوصفصاف : جمعية العلماء وعلاقاتها ،المرجع السابق ، ص 286.

[4]- عبد الله حمادي : "**موقف المجاهد عمار أوزقان من الحركة الوطنية من خلال كتابه الجهاد الافضل** "، مجلة الذاكرة ، العدد 4 يصدرها المتحف الوطني للجزائر 1996 ، ص ص 232-234.

الأخير الذي كان يساند الحركات التحررية ، وكان فرعه الجزائري يؤكد على مقاومة كل تيار وطني يطرح فكرة الاستقلال عن فرنسا ' إذ أن هذا الاستقلال يبقى مرهون باستقلال فرنسا الامبريالية .

أما القضية الثانية ' الأمة الجزائرية " فقد أخذت هذه الفكرة عن الحزب الأم – الحزب الشيوعي الفرنسي– و على رأسه " موريس توريز " الذي كان يرى أنه لا ضرورة لأمة عربية ،ولا لشعب جزائري يكون من الأمة العربية ، و إنما توجد أمة واحدة جزائرية و هي في طور التكوين ،وهي عبارة عن أمة خليطة الأجناس تعاقبوا عليها منذ مرور السنين [1] ، فيما تنظر الجمعية إلى قضية الاستقلال الوطني فتلخصت مواقفها من خلال موقف " ابن باديس" في المؤتمر الإسلامي و دفاعه عن مقومات الشخصية الإسلامية الجزائرية حيث صرح في إحدى مقالاته:

<<... أيها الشعب ، إنك شعب عاشق للحرية ، هائم بها... تلك الحرية التي ما فارقت قلوبنا ... و سنعرف في المستقبل كيف نعمل لها و كيف نعمل لأجلها>>[2] .

وفيما يخص موقفه من الأمة الجزائرية ، فابن باديس أعطى لها أبعادا عربية و إسلامية تجلت في أهداف الجمعية ، من خلال إظهار التمايز بين الجزائر كأمة ذات تاريخ و حضارة و انتمائها إلى الوطن العربي ، وبين الفرنسيين كأمة منفصلة عنا لا علاقة لها بهذا الشعب، بالإضافة إلى إحياء الشخصية العربية الإسلامية الجزائرية و التصدي للدعاية الفرنسية المنادية بالإدماج [3] .

---

[1]– بوصفصاف: المرجع السابق ، ص ص 291-292.

[2]– نفسه ، ص 294.

[3]– قليل : المرجع السابق ، ص 141.

المبحث الخامس: الحزب الشيوعي الجزائري و الأمة الجزائرية :

لقد تناقض الحزب الشيوعي مع باقي الاتجاهات الوطنية حول مسألة الانتماء حيث أدت عدم استقلالية هذا الحزب عن الحزب الشيوعي الفرنسي ثم عضوية الأغلبية فيه من الأوربيين إلى توجيه مسار مفاهيم عديدة تشكل في مجملها مبادئ و مقومات الحزب ، و اكتفى في إبداء آرائه حول مسألة الانتماء إلى نظريات الحزب الشيوعي الفرنسي ولم يثر الحزب إطلاقا قضايا اللغة و الدين في أدبياته حتى أنه ناقض بقية الاتجاهات الوطنية في قضية التركيبة الاثنية و التي شجع من خلالها نظرية العرب/ البربر كمزيجين مكونين للجزائر مع ايمانهم بالبعد الامازيغي للجزائر و بأنها تعود إلى الكاهنة و عبد القادر و المقراني و أن مصطلح عرب/ مسلمين هو الذي يضع الاختلاف في المصطلحات و يخلق مشاكل إثنية و ثقافية بين العمال و الطبقة البروليتارية وهو ما سيكون سببا في انقسامها لهذا فقد اكتفى الحزب الشيوعي يتبنى فكرة أن الهوية لا ترتبط بالانتماء بأبعاده المختلفة بل هي أن صح التعبير تتحدد في الهوية الاقتصادية [1] .

إن الحزب الشيوعي الجزائري لا يرتبط بالمسألة الوطنية خاصة و أنه يطالب بالإصلاحات الاقتصادية و الاجتماعية لا للشعب الجزائري ككل بل للعرب و القبائل ، بل وفي نظره فالذين يعملون لاستقلال الجزائر إنما هم يعملون ضد مصلحتها في خدمة الامبريالية الأجنبية و تبنوا شعار أن الجزائر المنفصلة عن فرنسا تعني الجزائر العربية ، و الجزائر وحدة عرقية تعني وقوعها تحت سيطرة الامبريالية الأجنبية و يبرر الحزب عدم اعترافه بالأطروحة النافية لوجود وطن جزائري وجنسية جزائرية أي أن الجنسية الجزائرية لا يمكن أن تطرح في الوقت الحاضر لأن هناك عدة عناصر يتكون منها أصحاب هذه الجنسية ، وهم الأوربيون المسلمون و اليهود الذين يحاولون الذوبان في بعضهم البعض ومن ثم يتكون منهم شعب جديد هو الشعب الجزائري ، فالأمة عند الشيوعيين لا وجود لها وهي لم تولد بعد في الجزائر و بالتالي فالاستقلال مستحيل [2] ، و ذلك أن الجزائر في إطار التكوين أمة ووطنا، وهذا التكوين مستحيل أن يكون خارج الاتحاد مع الأمة الفرنسية فالشعب الجزائري مرتبط بالشعب الفرنسي و الاستقلال الحقيقي لا يتم إلا باستقلال و تحرير فرنسا أولا من النازية و الفاشية ، فمفهوم الثورة في نظر الشيوعيين كتطبيق في الجزائر

[1] Hamdi chérif ;op-cit , p 6. انظرouzgane ; op-cit ,p40

[2]- شريط : المرجع السابق ، ص 141-142.

ينطلق من مسلمة أن الجزائر مجبرة على مقاومة نازية هتلر أولا ثم مقاومة الاستعمار فهذين العدوين (هتلر/ الاستعمار) وجهان لعملة واحدة في نظرهم ، ولا يمكن وضع حد للاضطهاد القومي و الطبقي و اللامساواة و الظلم الاجتماعي إلا إذا كانت تهدف إلى تدمير النظام الرأسمالي [1] .

وهو ما دفع بهم إلى الصمت عن باقي المسائل الثقافية كحال اللغة التي لم يثرها الشيوعيون رغم دفاعهم المحتشم أحيانا عنها و يرى سفان ايمانويل بان هذا الموقف ما هو إلا مجرد مناورة دعائية حتمتها العراقيل و المعوقات التي اصطدم بها الشيوعيون ، حين حاولوا التغلغل في صفوف المجتمع الجزائري و قد فعلوا ذلك بنصيحة من لازوراي رئيس الفرع الاستعماري للحزب الشيوعي الفرنسي في الجزائر [2] .

أما بالنسبة للتعليم فبقي مفهومه فهو تعميمه على كل الأطفال لكن مادامت هذه الأمة تشكل مزيج من عشرين عنصرا فإن هذه القضية تبقى غامضة و تكتفي بالتنظير لتعليم بكون الطفل تكنولوجيا وعلميا وغرس الإيديولوجية الماركسية [3].

أما عن موقفهم من الإسلام ، فهم يرفضون اعتبار الإسلام عنصرا في هوية الأمة الجزائرية التي هي في طور التكوين[4] ووصلوا إلى درجة حتى رفضهم حتى وصف الحضارة الإسلامية في الجزائر بأنها ذات طابع إسلامي ، وفضلوا تسمية الحضارة العربية البربرية ، رغم وجود بعض العناصر التي تدرك جيدا قيمة الدين كعامل محرك في المجتمع لهذا كانت حذرة في هذه المسألة ويبرر عمار اوزقان هذا الرفض للإسلام باعتبار أن المناضلين الشيوعيين الجزائريين أساسا درسوا في نفس الوقت القران إلى جانب الماركسية[5] .

القطيعة مع الماضي فكرة آمن بها الشيوعييون و تقاسموها مع الليبراليين فهم يسيرون على مفهوم أن تحديث الأساليب الاقتصادية و تطوير سلوك الأفراد شروط ضرورية لتحقيق التمدن و أن انجاز مشروع

---

[1] - Charles Robert Ageron :" **le parti communiste Algérien de 1939-1943**, **in** : **vingtiéme siecle**" , revue d'histoire , n 12, octo/dec1986 , p40.

[2] Sivan : op-cit pp 108-109.

[3] - لونيسي : المرجع السابق ، ص 419.

[4] – **Alger republicaine** , **10 mars 1939**.-18- انظر نص القال في الملحق رقم :

[5] ozgane ;op-cit ,p41 - لونيسي : المرجع السابق ، ص 405. انظر :

مجمتع عصري يتم أساسا على الآليات التقنية و آليات تسيير الحكم [1] ، كما أنهم يؤمنون بالموروث الثقافي الفرنسي وهي نظرة تطابق رأي الإدماجي زناتي عندما صرح [2] :<< إننا نقاتل كي نستجيب لتعليمات القرآن الذي يأمرنا بمحاربة الظلم و الوقوف في وجه الطغاة(...) تقاتل للحفاظ على مصالحنا المرتبطة بمصالح فرنسا ، ولكي ننقذ موروثنا الفكري ، هذا الموروث الذي نسج بصبر منذ دخول الفرنسيين>> ، و لا يقصد بالموروث الفكري هنا طبعا العربي الإسلامي ، بل الفرنسي الذي زرع وفق مشاريع مرحلية وفيما يتعلق بقضية الدين الإسلامي فقد صرح العربي برأيك في جريدة الجزائر الجمهورية ، في مقال بعنوان << هل يمكن إدخال الدين في مطالبنا>> و قد جاء فيه [3] :<< إن المعتقدات المتنوعة و التصورات المختلفة لنفس المعتقد تبرز مدى هشاشة الرابط الديني كعامل وحدة وعمل إذ تأملنا أثار الدين هو خطر على حركة تطور الجماهير (...) إن كان من ينشدون التطور و يتباكون على بعض المعتقدات وعلى بعض الممارسات و على الدور الذي يلعبه المسجد و يجمعون على أن هذه الوضعية عائق حقيقي أمام التطور ، عندئذ أنى لنا الحديث عن الدين و الرقي في الوقت نفسه ، تقولون نريد تشبيب الدين ، إصلاحه حتى لا يكون عائقا بل أداة تقدم ، على أية حال (...) إنكم بذلك تخاطرون في الجزائر ببعث ظاهرة عرفتها فرنسا ،وهي الحروب الدينية (...) من الفائدة أن يكون الدين شأنا خاصا جدا ، لا ينبغي الخلط بين مؤمن ومواطن هذا التميز أساسي (...) هل نحتاج إلى التذكير بالثورة و العمل الجبار اللائكي لاتاتورك الذي جرد الكنيسة الإصلاحية من عبء التعليم ، بل ذهب إلى حد اعتماد القانون المدني السويسري >> ، كما أن الشيوعيين يعارضون فكرة الإصلاح الديني لأنه لا يؤدي إلى فصل الجزائر عن فرنسا و كذلك كان رد فعلهم ضد أولئك الذين يتظاهرون بمقاومة الخمر ليمنعوا الأهالي الجزائريين من دخول المقاهي الأوربية [4] .

إن هذه الأخطاء الإيديولوجية التي وقع فيها الحزب الشيوعي الجزائري مردها إلى تخلف في التفكير و تنطبق عليه مقولة : المؤمن يعرف أنه يعتقد و الشيوعي يعتقد أنه يعرف ، فعوض أن يقف إلى جانب

[1]- حاجي : المرجع السابق ، ص 416.

[2]- **C.A.O.M.9H53** : **le sous préfet de l'arrondissement de setif a monsieur le préfet** , **le 21/11/1939**.

[3] - **C.A.O.M.10H53.GGA,B.M.P.I.A,cité dans le journal Alger républicain** , **le mercredi 12/07/1939**.

[4]- شريط : المرجع السابق ، ص 141.

الأهالي الجزائريين و يأخذ بقيادتها في كفاحها ضد الاستعمار خرج عن المبادئ اللينينية القاضية بالتحرر نجده يربط مصير بلاده بمصير فرنسا ، ليبرر الاستعمار و يحذر من الاستقلال و ينادي بضرورة القضاء على الوطنيين ، ونظرا لتحايل الحزب الشيوعي الفرنسي و خروجه عن الشيوعية الحقة فقد انسحب هوشي منه من هذا الحزب و كافح لأجل بلاده وحررها مستغنيا عن مبادئ ومساعدات الحزب الشيوعي الفرنسي ، وبالتالي فقد برهن الحزب الشيوعي الجزائري عن ضعفه و عدم قدرته على مسايرة تطلعات الأهالي الجزائريين فهو لم يشبه بقية الأحزاب الشيوعية في جميع المستعمرات و التي ناضلت بحق في سبيل الاستقلال و ليس في سبيل الالتحاق و التخلي عن ارث الماضي وعدم الاعتراف بجميع مقومات بلدانها وهو ما جعله حزبا لا يتحلى بالشعبية خاصة بعد مواقفه اللامشرفة في 1945 على اثر مجازر 8 ماي [1] .

لقد كان الحزب الشيوعي الجزائري ترجمانا للأفكار الشيوعية في فرنسا و هو ما أكده عمار أوزقان عندما قال [2] :<< منشورات الحزب الشيوعي الفرنسي وحدها تكاد تكون ، مصدر ثقافة الشيوعيين في الجزائر و أن قادة الحزب الشيوعي الجزائري المتأثرين بالانحراف الإيديولوجي للارستقراطية العمالية الأوروبية و بالكسل العقلي و بالتقليد الآلي ، عادة ما يعدون نسخ جريدة لوماتيني>>.

وقد تأكدت نظرة عمار أوزقان حول هذا التأثير عندما كتبت جريدة الجزائر الجديدة في مقال لها بعنوان [3]: الحزب الشيوعي و الحركة لوطنية الجزائرية ، يقول :<< عرف الرفيق موريس طوريز الجزائر بأنها أمة في طور التكوين و إن الشعب الجزائري ليعترف بفضل الحزب الشيوعي الفرنسي و يقر بما لزيعمه الأكبر موريس طوريز من أياد بيضاء على الجزائر >>.

إن الحزب الشيوعي الجزائري لا ينفصل في تكوينه و طبيعة مقارباته عن الحزب الشيوعي الفرنسي بالرغم من أنه ووفق ايديولوجية الماركسية كان يبدي قليلا أو كثيرا من التعاطف مع الوضع السيئ للجزائريين في إطار النضال البروليتاري ، ضد الامبريالية و لم يهتم بالمسائل الثقافية ، لهذا ظلت مواقف الحزب الشيوعي الجزائري مرتبطة على مر السنين بمواقف الحزب الشيوعي الفرنسي هذا ما جعل نضاله داخل

---

[1]- شريط : المرجع السابق ، ص ص 146-147.

[2] - Ouzagane : op-cit ,p42

[3]-كامي لامبار : **"الحزب الشيوعي الفرنسي و الحركة الوطنية"** ، **الجزائر الجديدة** ، ع 51، ديسمبر 1950.

الاعتراف بالشرعية الفرنسية و قد ظل يؤمن بالتعايش بين الأوربيين و الجزائريين على أساس رؤية إنسانية ترفض الاستغلال وهو ماجعله حزبا مختلفا يجمع الفئتين في نضال مشترك لذا فقد كان تعبيرا عن مساعي جماعة مناضلين فرنسيين منفتحة على معاناة الجزائريين [1] .

و نظرا لعدم اعتراف هذا الاتجاه بوجود أمة جزائرية متشكلة فإنه لم يول أهمية للكتابة التاريخية التاريخ الوطني ، فاعتباره للجزائر مزيجا من الأعراق الأثنية و الثاقية يلغي في نظره أي تطرق للتاريخ سيما أنه جزء من المسألة الثقافية ، التي قد يجر الحديث عنها الحزب نحو الانحراف عن مساره المحدد بالدفاع عن المصالح العامة للطبقة الكادحة و العاملة (البروليتاريا) هذا و يعتبر رابح لونيسي بأنه فترة الخمسينات كانت البداية المحتشمة لظهور بعض المقالات حول تاريخ الجزائر في صحيفة الحرية ومجلة التقدم ، و هذا بعد صعود عدد من المسلمين الجزائريين إلى القيادة العليا للحزب الشيوعي الجزائري و قد أصبح منطلقهم التاريخي في الكتابة مرتبطة بالعهد العثماني باعتباره أساس قيام دولة جزائرية [2] .

لكننا لاحظنا إختلافا حول مرجعية الهوية عند عمار أوزقان فهو مناضل قديم في الحزب الشيوعي الجزائري وقدم مواقفه من الهوية والانتماء حيث يختلف عن باقي زملائه في عدم نكرانه عروبة الجزائر ويركز دائما في كتاباته على الإسلام كمكن ومرجعية هوية وشخصية وقد عدنا إلى مقالاته في جريدة الشاب المسلم حيث حرر مقالا حول الجزائر والعروبة والإسلام أقر فيه بالشخصية الجزائرية وهاجم فيه المرتدين عن الإسلام واعتبرهم أعداءا للدين والعروبة[3] .

كما أنه حرر مقالا مطولا حول المشكل البربري في الجزائر رافضا السياسة الاستعمارية التي خلقت ثنائية عرب / قبائل ، وكدتها في فصل القوائم الانتخابية بين العنصرين كما كان أوزقان واعيا بالسياسة الإستعمارية الرامية إلى استخدام المشكل البربري كمشكل أيديولوجي ضد العرب والإسلام والوطنية والذي لا يرى فيه إلا إختلافا لغويا وثقافيا على أرض الواقع[4] .

---

[1]- فيلالي : المرجع السابق ، ص 192.

[2]- لونيسي : المرجع السابق ، ص ص 389-390.

[3]- حول نص المقال في العددين le jeune musulman N°05 12 septembre 1952 et N°06 26 septembre 1952 انظر الملحقين رقم -19-20-

[4]- حول نص المقال أنظر الملحق رقم -21-.

خلاصة الفصل :

لا يعتبر الكثير من الدارسين للتاريخ و المؤرخين الحزب الشيوعي الجزائري اتجاها في الحركة الوطنية الجزائرية لأنه يقترب أكثر من شكل نقابة عمالية أكثر منه حزبا ، و ذلك من خلال سياسته التي نشطت من اجل الدفاع عن المصالح الاجتماعية الجزائرية في إطار النظرية الشيوعية الصراع في الصراع الاجتماعي و يعود هذا التوجه للحزب إلى تأثير الأفكار الشيوعية التي سعت إلى تحديد الشعوب المستقلة كفيل بتحرير الشعوب المستعمرة كما يهتم الحزب الشيوعي الجزائري بالمسألة الثقافية في الجزائر و ذلك بسبب التركيبة العضوية التي سيطرت على الحزب و كانت أغلبيتها أوروبية مقارنة بالأقلية الجزائرية فقد كانت المطالب خدومة للأقلية الأوروبية (المعمرين) و من جهة أخرى فإن عدم قدرة أعضاء الحزب من الجزائريين على تبني ثقافة واضحة (جزائرية/فرنسية) شكل عائقا كبيرا لهم جعلهم في محطة الضياع الثقافي بالنسبة للثقافة الفرنسية و بعيدا عن المجتمع الجزائري الذي لا يربطهم أي رابط.

يذكر الحزب الشيوعي الجزائري قضية الأمة الجزائرية و لا يعترف بالهوية الجزائرية فهو يوافق الاطروحة الاستعمارية المبنية على الفراغ السياسي لتبرير عملية الاستعمار و يرى بأن الأمة الجزائرية غير موجودة تاريخيا بل و أنكروا اعتبار الدين الإسلامي عنصر هوية و أثبتوه حجر عثرة أمام التقدم الحضاري و التماهي في فرنسا و هذا ما جعل الحزب يرتكب الكثير من التجاوزات التاريخية في حق الانتماء و الهوية و القضية الوطنية بصفة عامة .

الخاتمـــــة

من خلال دراستي لموضوع المسألة الثقافية في أدبيات الحركة الوطنية الجزائرية ، اتضح لي مدى أهمية وصعوبة هذا الموضوع من منظور الواقع الاستعماري من جهة ومن جهة أخى مدى فهم وممارسة هذا الجانب من طرف الاتجاهات الوطنية و بالتالي نسبة خدمة القضية الوطنية ، وقد خلصت في نهاية دراستي إلى مجموعة من النتائج :

أولا :

ارتبط الوعي بالمسألة الثقافية في الجزائر أثناء الفترة الاستعمارية أساسا بتأثير صدمة الغرب أولا ، حيث أدت التحولات التي فرضها الاستعمار الفرنسي إلى بروز أزمة في منظومة القيم التي تحكم المجتمع الجزائري وحتى في النسيج الاجتماعي و الثقافي ، فبعد أن كان المجتمع مركبا واحدا ، لا تحدد العلاقات داخله وفقا للفروقات العرقية و الثقافية ، ظهرت ثنائية العربي/الامازيغي كسياسة تفرقة في إطار الظهير البربري(1930) ، وقد أدت هذه الصدمة إلى ظهور نموذجان ثقافيان أحدهما تأثر مباشرة بصدمة الغرب و تقمص النموذج الفرنسي بجميع تحولاته و بالتالي تشبع بقيم الحضارة الغربية و قد مثل هذا الاتجاه الادماجيون و الشيوعيون ، في حين ظهور فريق آخر رافض للتأثير الوافد انكمش وحافظ على ثقافته ، اتخذ من النموذج الشرقي إطارا له ، وقد تبنى هذا الاتجاه جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وفي جزء منه الاتجاه الاستقلالي .

كما شكلت النهضة الفكرية في الأقطار العربية عاملا مساهما في دخول مختلف الأفكار التحديثية سواء المتأثرة بالنموذج الغربي أو التي تدخل في إطار الإصلاح و الحفاظ على شخصية الأنا الاعتبارات قومية و إسلامية وكان لها دور في خلق نوع من الزخم الثقافي و السياسي ، بدأت معالمه تتضح من خلال الاتجاهات و التنظيمات الوطنية التي ظهرت و انتظمت بعد سنة 1919 و التي صاغت توجهاتها و أفكارها ومشاريعها الثقافية من خلال مختلف الأدبيات التي كانت تصدر أنذاك.

ثانيا :

عرفت اتجاهات الحركة الوطنية ضعفا في إنتاجها الفكري و الإيديولوجي فيما تعلق بالمسألة الثقافية ومجمل عناصرها و يعود السبب إلى صب جل اهتماماتها بإيجاد حلول للقضية الوطنية في جانبها السياسي، و بالتالي تحددت إيديولوجية كل اتجاه بنوعية المطالب و القضايا المهتم بها لتتحول إلى شعار لكل اتجاه ، هذا ما جعل التباين واضحا داخل الحركة الوطنية الجزائرية ومن جهة أخرى لم يكن لدى اتجاهات الحركة الوطنية رصد فكري من شأنه إثراء الجهود في المسألة الثقافية خاصة مع التباين الواضح في الجانب الإيديولوجي لأنها لو عرفت نفس النظرة للقضية الوطنية و المسألة الثقافية لكان إنتاجها الفكري و الثقافي غزيرا لكن اختلاف الرؤى و الوسائل خلق التناقض و الصدام بينها.

إن الحديث عن وجود أدبيات للحركة الوطنية الجزائرية بمختلف اتجاهاتها يرتبط بمدى الإنتاج الفكري و الثقافي وتنوعه لأنه يعكس بصورة واضحة مدى الوعي بالقضية الوطنية بصفة عامة و المسألة الثقافية بصفة خاصة إلا أن أغلب ما توفر لم يتجاوز حدود بعض الإسهامات الصحفية و بعض منشورات ألفها مؤسسوا الاتجاهات ، وهذا الطرح ليس مجانية للحقيقة لأن الحركة الوطنية الجزائرية لم تكن منتجة فكريا ، ولم تنتج منظرين أو فلاسفة و لم يرق أحد من زعماء الاتجاهات الوطنية أن يتحول إلى منظر فكري و اقتصرت مساهماتهم في أطار البرامج و المطالب أو بعض المقالات الصحفية.

ثالثا:

لعبت المرجعيات الثقافية لكل اتجاه دورا في التوجه الفكري و الثقافي و حددت مواقفها من المسألة الثقافية خاصة ما تعلق بقضية الهوية الجزائرية ، و قد أثر هذا بدوره على مختلف العناصر الثقافية التي لها علاقة متصلة بالهوية : اللغة ، الدين و التعليم بصورة خاصة ، ومن جهة أخرى كانت الإيديولوجية السياسية هي التي تحدد علاقة كل اتجاه بالآخر و لم تنحصر العلاقة فقط على هذا الجانب بل بنيت كذلك على أساس ثقافي لأن الثقافية لم تكن بمعزل عن السياسة ، وتتعلق فيها المسألة كذلك بالمرجعية و مؤثراتها ، لهذا مرت الحركة الوطنية في نشأتها منذ سنة 1919 إلى 1954 بمراحل صدام عنيف ومراحل تعاون وهدوء بسبب حدوث نوع من التقارب الثقافي ، و قد ارتكزت العلاقات في مسائل ثقافية هامة مع

عدم إهمال الإطار العام للعلاقات وهو الظرف الاستعماري الفرنسي الذي كان يتحكم نوعا ما في نوع العلاقات في بعض المراحل لأنه الطرف الذي كان يفرض نقاط الصدام بمختلف المشاريع و القوانين التي تمس جوهر المسألة الثقافية في الجزائر محاولا القضاء على المقومات الثقافية التي استهدفتها سياسته، و بالتالي فإننا نرى بأن النضال ضد فرنسا قد ارتبط بالنضال من اجل المقومات الثقافية و نوع التأثر ، خاصة من طرف الاتجاهات الوطنية التي دافعت عن الثوابت الوطنية كحال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين و الاتجاه الاستقلالي (حركة مصالي الحاج) و لم يقف هذا النضال حائلا دون بروز نخبة مثقفة بالغة الفرنسية و المتبنية للثقافة الفرنسية (المفرنسون) ، هذا ما أنتج صراعا دائما في تاريخ الجزائريين العربية والتعريب ودعاة الفرنسية و المحافظة عليها، و قد انتقل هذا الصراع إلى جبهة التحرير الوطني نفسها .

رابعا :

وجد الاستعمار الفرنسي في النخبة الجزائرية المتخرجة من مدارسه أفضل من يتبنى مقولاته و يروج لها في الأوساط الشعبية ، خاصة و أنها أول ثمرة من ثمار المشتلة الفرنسية وهي في نفس الوقت نتيجة من نتائج الاحتكاك الذي تم بين المجموعتين الجزائرية/الفرنسية ، ومنذ ظهور هذه النخبة عرفت مجموعة من الألقاب و التسميات كالشبان والفتيان ثم المتطورون ... وبالنسبة للمعمرين كانوا أشباه مثقفين و بالنسبة للوطنيين و المجتمع الجزائري فهم جماعة مرتدة ومنسلخة عن واقعها و انتمائها الاجتماعي و بالتالي فقد كانت هذه النخبة في إشكالية تاريخية صعبة : فئة بين مجموعتين (فرنسية/جزائرية) لا انتماء لها تحاول خلق انتماء فرنسي لها ، هذا ما جعلها تشعر دائما بمركب النقص تجاه المجتمع الفرنسي ، وبمركب التعالي أمام المجتمع الجزائري و الحق أن هذه الفئة كانت فعلا ضائعة بين ثقافتين و مرفوضة من كلا الطرفين.

و رغم كون كل أعضاء النخبة المفرنسة من خريجي المدرسة الفرنسية إلا أنا درجة التأثر اختلت داخلها ، حيث انقسمت إلى فئة معتدلة تعترف بالثقافة الفرنسية مرجعية لها ، لكنها في نفس الوقت لم تنسلخ كثيرا عن مجتمعها ، ونشير تحديدا إلى جماعة فرحات عباس التي شكلت تيارا داخل حركة الشبان الجزائريين و طالت بالإدماج التام و السريع في المجتمع الفرنسي مع الحفاظ على قانون الأحوال الشخصية ،

والقول بأن كل عناصر النخبة منسلخين عن مواقعهم الاجتماعي و الثقافي مجانية للحقيقة لأن هناك من عناصرها من كان يقوم بالعبادات المفروضة و فيهم حتى من أدى فريضة الحج .

ومن جهة ظهرت فئة أخرى داخل الحركة أعلنت انسلاخها عن المجتمع الجزائري ، لأنها عانت مشكل مقارنة بين المجتمعين ، وقد ظهرت كأقلية أدارت ظهرها لمجتمعها وبرزت حاملة للثقافة الجديدة بمختلف معاييرها الثقافية و الاجتماعية ، ووصل الحد بها إلى هجرة وسطهم الأسري التقليدي تحت تأثير المنظومة الثقافية الاستعمارية ، التي طبقت عليهم الاستلاب الثقافي .

كان النشاط السياسي للشبان الجزائريين ضعيفا بسبب معارضة الكولون لكل المطالب التي نادوا بها ، بما فيها الإدماج ، إلا أننا سجلنا من خلال دراستنا هذه أن اتجاههم أثرى أدبيات الحركة الوطنية الجزائرية بسبب القضايا التي كان يثيرها سواء في المقالات الصحفية ، أو حتى المؤلفات و الكتابات الشخصية ، خاصة ماتعلق بأولئك المنسلخين ، عن المجتمع الجزائري و الذين خلقوا أفكار جديدة لمستقبل الجزائر الفرنسية ، و التي أصبحت هوسا يسهبون الكتابة فيه ، رغم أن إنتاجهم الفكري لم يكن الهدف منه العمل العلمي بقدر ماهو إثبات للقدرة على التماهي في الآخر كما طرحوا أفكارا حول وضعية الدين الإسلامي بالنسبة للإدماج ، كما تناولوا مسألة التجنيس و التي كانت نقطة أخذ ورد مع جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وكان لهم دور في المطالبة بالتعليم للجزائريين و بناء المدارس من أجل ترغيب الجزائريين في التعليم الحديث ، كما اهتموا بالتعليم العربي الحر ولم يكونوا ضده ،ووقفوا في مناسبات كثيرة ضد القوانين التي كانت تحد التعليم العربي الحر ، أو تلك التي تمس باللغة العربية.

تباينت المواقف داخل هذه المجموعة في قضية الهوية الجزائرية و عرفت نوعا من الغموض و التحول تارة ، و لا يعني هذا سوى مؤثرات الثقافية الفرنسية على عقول هؤلاء ومن ثم الزيف الذي صبغت به فرنسا ماضي الجزائر وهوما حذى بعباس إلى القول بعدم وجود أمة جزائرية ، ثم تبنيه شعار العيش المشترك، لكنه استطاع في مرحلة ما البحث عن الذات الجزائرية المسلمة و الاعتراف بالإسلام كوطن روحي ، لكن اتجهت الفئة المتطرفة أمثال زناتي إلى أحداث قطيعة مع ماضي الجزائر وربط تاريخها بالتاريخ الفرنسي و

اعتبارها ثقافة وتاريخا امتدادا طبيعيا لأوروبا و فرنسا ، لهذا كانت لهؤلاء و أمثالهم مواقف مشينة تجاه مسألة الأمة و الهوية الجزائرية التي كانت مرفوضة الوجود في أدبياتهم.

اهتمت أدبيات النخبة الجزائرية بالكتابة حول مشروع الحداثة كمحاولة لطرحه على ساحة النقاش وتوضيح الرؤية المستقبيلة للمجتمع الجزائري عن طريق اقتراح خطوات نحو المستقبل لكن اختلفت وجهات النظر حول كيفية هذا التحديث بين أخذ النموذج الحداثي الغربي و القفز على كل خصائص الشخصية الوطنية وبين الأخذ بأسباب الحداثة مع مراعاة بعض الشروط بناء على أسس موضوعية حتى و إن كانت كلها عموما تتفق في عملية التماهي في الأخر كخطوة متوجة لعمليات التحديث المطروحة.

خامسا :

تزامن ظهور الحركة الإصلاحية في الجزائر ووقع النهضة الفكرية و الحضارية التي ظهرت في المشرق و التي تزعمها الأفغاني ومحمد عبده ، حيث اعتمدت حركة الأول على الإصلاح السياسي في حين تعلق الإصلاح عند الثاني بالجانب الديني و التعليمي و قد تسربت رياح هذه النهضة إلى تونس و التي استفاد منها الرعيل الأول من جيل المصلحين و الذين تتلمذوا في الزيتونة ، إلا أننا من خلال تتبع مسار جمعية العلماء المسلمين الجزائريين لاحظنا أن ظهور الحركة الإصلاحية في الجزائر قد ارتبط أساسا بالوضع الاستعماري الذي استدعى الإصلاح إضافة إلى وجود شخصية عبد الحميد ابن باديس ، وبالتالي فإن الحركة الإصلاحية التي ظهرت في 1931 اتخذت مفهوما مختلفا عن بقية حركات الإصلاح التي ظهرت في العالم الإسلامي ، فقد كان يعني في الجزائر المستعمرة الاهتمام بالإصلاح الاجتماعي و السياسي و الثقافي و ذلك لأنها نبعت من آلام و آمال الشعب ، معتمدة على أساليب و أفكار النهضة الحديثة و التي اتضحت أكثر بظهور التيار التحديدي داخل جمعية العلماء أو الذي يصطلح عليه شبيبة الجمعية وهم ذوي نزعة ومرجعية إسلامية ، وتعليمهم كان إما في مدارس ومعاهد الجمعية و إما في المدارس و الجامعات الفرنسية ، إلا أنهم لم يجسدوا الاستلاب الثقافي الذي عانى منه المتطرفون في الاتجاه الليبرالي .

اتسمت الحركة الباديسية الإصلاحية برفعها راية الإصلاح داخل المجتمع الجزائري ، وقد تمظهر هذا من خلال برامجها و مطالبها معتمدة على صحافتها المتنوعة و الهادفة ، حيث أكدت على الجزائر العربية

الإسلامية ، و الحفاظ على المقومات الوطنية و ثوابتها ، بالاعتماد على تشبيب الدين الإسلامي وفق مستجدات المجتمع الجزائري ، وقد جسدت صحافة الجمعية مثال الصحافة الراقية ، وكانت سببا في تهيئة الأرضية المناسبة للمصلحين للوصول إلى عقول الجماهير الشعبية ، و التأثير فيها بالتركيز على فكرة التمسك بالدين و تنزيه الإسلام من المبتدعين ، وقد كانت جريدة البصائر و الشهاب بمثابة مدافع لجمعية العلماء ، دافعت وهاجمت بها في نفس الوقت و عكست مواقف الجمعية المختلفة من المسئل الثقافية إلى جانب اعتماد المدارس و الجمعيات كعاقل لتربية جيل واعي بوضعه التاريخي ، متأهب لبناء المستقبل ، هذا و قد عانت الحركة الإصلاحية في دفاعها عن مبادئها جبهات مواجهة من الاستعمار الفرنسي و الطرقيين، إلا أنها صبت اهتمامها على حركة التعليم و بناء المنشآت التعليمية لإحياء الدين الإسلامي و اللغة العربية، ولا نظن بأن الجمعية في نشاطها قد فاضلت بين ما هو سياسي و ثقافي لأنهما مرتبطان ببعضهما.

و إلى جانب الليبراليين ، عرفت جمعية العلماء انتاجت فكريا و ثقافيا معتبرا بسبب الصدام الثقافي الذي كان بين رجالات الطرفيين حيث فتح الليبراليين قضايا النقاش كالتجنيس و الإدماج و الأحوال الشخصية و مسألة الهوية و قد أخذت الجمعية على عاتقها الرد على هؤلاء لهذا صنفنا هذه المواجهة كمصدر لإثراء الإنتاج الثقافي في الحركة الوطنية سواء باللغة العربية أو اللغة الفرنسية و الحق أن اللغة العربية كانت أحد الشعارات اللصيقة بالجمعية لأنها تشكل جزءا من مشروعها الثقافي باعتبارها مكونا هاما في مفهوم القومية ، ولهذا دافعت الجمعية بقوة عن حرية اللغة العربية لأن المساس بها وصول للمساس بالإسلام فهما وجهان لعملة واحدة هي الهوية ، كما وقفت الجمعية ضد مزاحمة اللهجة العامية للغة العربية الفصيحة تفطنا منها للسياسة الفرنسية الرامية لقلب اللسان الجزائري خاصة مع فشل مواجهة اللغة الفرنسية للغة العربية ، هذا مادفعها لتشجيع اللهجة العامية التي رفضتها الجمعية ، ليس من باب التعالي كما يرى بعض المؤرخين بل من باب عقمها عن إنتاج لغة تخاطب وتواصل وبناء رصيد فكري ، فهي وسيلة لاختراق المكون الغوي ، لكن الجمعية كانت في مستوى المواجهة باستخدام الأساليب الصحيحة في المواضع الصحيحة .

تعتبر الكتابة التاريخية من الوسائل المنتجة للأدبيات و بالنسبة لجمعية العلماء شكلت الكتابة التاريخية مظهر مقاومة ثقافي للمشاريع الفرنسية و قد امتلكت الجمعية أقلاما بارعة في الكتابة بصفة عامة

و التاريخ بصفة خاصة حيث كان لها السبق في استخدامها كسلاح ضد الاستعمار و تكذيب التزييف ولتحريف الذي صبغ به تاريخ الجزائر، كما استطاعت أقلام الجمعية مزاحمة الأقلام الفرنسية التي احتكرت ميدان التاريخ، و بالتالي توجيه التاريخ الجزائري وفق للأطروحات الاستعمارية ، كما تعتبر إسهامات رجال الجمعية في هذا الميدان بداية فتح مجال الوعي بالتاريخ الجزائري وخدمة عنصر الهوية ، وقد عرفت الجمعية صداما بين مفهوم العرب/البربر إلا أنها استطاعت احتواءه ولم يتطور إلى أزمة كحال حركة الانتصار.

سادسا :

تحكمت التركيبة الفئوية في المرجعية الثقافية للاتجاه الاستقلالي وهو ما صعب عملية تحديدها ، حيث عرف طيلة مراحل تطور السياسي تحول في المجموعة التي سيطرت و أثرت بأفكارها على التوجهات الثقافية للحزب عبر فترات حيث تحولت من مرحلة التوجه الماركسي بحكم انضواء أغلبية أعضاء النجم – وهم البروليتاريا– في التنظيمات الشيوعية الفرنسية وعليه فقد كانت أفكارها ذات طابع اجتماعي عمالي ، و ابتداءا من فترة الثلاثينات بعد ظهور جمعية العلماء غلب على الاتجاه الاستقلالي نوع من التوجه الإسلامي خاصة في مرحلة نشاط وحزب الشعب ودخوله إلى الجزائر ويعود السبب إلى دخول عناصر جديدة ذات توجه إسلامي إضافة إلى الدور الكبير الذي لعبه مصالي الحاج ذو التوجه الصوفي إلى جانب تأثير شكيب أرسلان عن طريق التأكيد على أهمية استخدام الإسلام في المواجهة ضد الاستعمار ، غير أنه في المرحلة الأخيرة من نشاط الاتجاه في إطار الحركة الوطنية ونتيجة لانضمام مثقفين من خريجي المدارس و الجامعات الفرنسية إلى الحزب استطاعوا التأثير عليه ببعض الأفكار التي تلقوها من المؤسسة الفرنسية حتى أن التركيبة الاجتماعية الجديدة احتوت الملاك و التجار في حين غابت طبقة العمال الزراعيين ، و بالتالي فهذه التركيبة الجديدة أثرت على نوعية المطالب وعلى مواقف و اهتمامات الحزب خاصة مع ظهور الأزمة البربرية التي خلقت صدامات داخلية انتهت بتدمير الحزب تنظيميا خاصة بعد تراجع المد الإسلامي في هذه المرحلة.

لم تكن أدبيات هذا الاتجاه في مستوى وثراء الاتجاهين السابقين وذلك بسبب اهتمامه بقضية الاستقلال لأنها في نظره كفيلة بتحقيق المطالب المتعلقة بالجانب الثقافي بعد تأسيس الدولة الوطنية ، وقد

كان اهتمامه بالمسألة الثقافية من المبادئ التي قام عليها الحزب و يتعلق الأمر باعتبار الدين الإسلامي و اللغة العربية قوام الدولة الوطنية وعوامل ثابتة في مسيرة النضال الوطني وقد ركز كثيرا في مطالبه وبرامجه على تأكيد العناصر الثقافية على غرار جمعية العلماء لأنه يعتبر من أقرب الاتجاهات إليها ، خاصة في مجال الحفاظ على مقومات الشخصية الوطنية ، في حين اهتمت صحافة الاتجاه بالمسائل السياسية بصفة كبيرة وكان الاهتمام بالجانب الثقافي في إطار الرد على خصوم الاتجاه الذين أرادوا إقصاء من الساحة السياسية ، إلا أن مواقفه من القضايا الثقافية بقيت ثابتة ثبوته على فكرة التحرر.

ومن حيث الاهتمام بالقضايا الثقافية ، أولى الاتجاه الاستقلالي أهمية للمجتمع الجزائري باعتباره مجسدا لمفهوم الشعبوية لدى الاتجاه ، ولأن النضال السياسي و الثقافي مرتبط بالمجتمع الذي عانى كثيرا من مشاريع التهديم و التقويض البنيوي و لأنه محور العملية النضالية الوطنية ، فقد اهتم بنشر التعليم بين أبناء الجزائريين باعتماد مناهج و كتب الجمعية في مجال التعليم إضافة إلى إرسال البعثات الطلابية ، ومحاولة إشراك المرأة الجزائرية في النضال الوطني واعية بالفروقات الدينية والثقافية مقارنة بالمرأة الأوروبية وذلك قصد أبعادها عن المشاريع الفرنسية الرامية لتقويض بنى المجتمع الجزائري.

لم يعتبر الاتجاه الاستقلالي قضية الهوية مسألة نقاش مطروحة في أدبياته أو كمشكلة واقعية ، بل هي في نظره مشكلة نظرية وفكرية تخص النخب ومن باب اعتبار أن هوية الجزائر مفصول فيها كأمة عربية إسلامية لها خصائصها المشكلة لشخصيتها إلا أن هذا التوجه العروبي الإسلامي في هوية الجزائر أثار صداما داخل الحزب مع دعاة البربرية وظهور ثنائية عرب/بربر مع توجيه الاتهام لمن أسموهم العروبيين في محاولة إقصاء الامازيغية لغة وانتماءا تاريخيا للجزائر ، وظالبوا بجزائر جزائرية لاغير ، إلا أن هذا الصراع أخذ بعدا طويل المدى و أثر على الحزب يخلق صرات سياسية داخله ثم خلق أزمة داخل القيادة الثورية بسبب تشعب الصراع من لغوي إلى جهوي وعرقي.

سابعا :

يقترب الحزب الشيوعي الجزائري في إيديولوجيته أكثر من مفهوم نقابة عمالية أكثر منه حزبا ، و لم يكن اتجاها بأتم المعنى السياسي و الفكري فنشاطه عبارة عن صراع اجتماعي من اجل الخبز ، ومرد هذا

إلى مرجعيته السياسية و الثقافية المتأثرة بالأفكار الشيوعية الفرنسية و التي كانت ترى بأن تحرر الفرد الفرنسي كفيل بتحرير نظيره الجزائري ، كما أن غياب الاهتمام بالمسائل الثقافية في الفكر الشيوعي شكل عائقا أمام الحزب الشيوعي الجزائري الذي لم يستطع لاتبني الثقافية الجديدة (الفرنسية) ، ولا التمسك بالثقافة التقليدية وبقي على شاكلة الاتجاه اليبرالي ضائعا بين ثقافتين وبهذه الوضعية قطعت وسائل اتصاله بالمجتمع الجزائري.

إن الحزب الشيوعي الجزائري ورغم توفره على صحافة ووسائل عمل ، إلا أنه لم يطرح القضية الثقافية في الجزائر سواء في إطار النضال السياسي في البرامج و المطالب ولاحتى بصفة جريئة في صحافته ومختلف المقالات التي كانت تصدر ، بل اكتفى بالرد و التهجم على الاستقلاليين بصفة كبيرة ، إلى جانب الاهتمام بنضاله الاجتماعي في إطار حقوق العمال ، ولم يبدأ في التوجه نحو الطبقات الشعبية إلا في فترة مابعد 1945 أين بدأ التغلغل في الريف كاستيعاب منه لضرورة التعرف على المجتمع الجزائري و الوقوف على معاناته ، كما أن التركيبة البشرية لهذا الحزب ضمت أغلبية أوروبية في مقابل أقلية جزائرية ، وهذا ما اثر على مواقف و أفكار الحزب الذي ابتعد في جوهره عن الواقع الجزائري واكتفى بالنضال عن ما كان يظنه بروليتاريا ، والتي لم تكن تكونت بعد في الجزائر ة عكس أكثر مطالب الأقلية الأوروبية ولهذا بقي بعيدا عن المجتمع ، وتصادم كثيرا مع اتجاهات الحركة الوطنية بسبب إيديولوجيته الخيالية.

إن الأخطاء الإيديولوجية التي وقع فيها الحزب الشيوعي جعلته يلغي تماما المسألة الثقافية كمشكل مطروح باعتباره رافضا لفكرة الأمة الجزائرية وهو ما يعني غياب مصطلح الهوية في خطاباته و ذلك بسبب تأثير الأفكار الشيوعية الفرنسية القائلة بأن الجزائر مزيج من الأعراق و أن الأمة الجزائرية في طور التكوين ، وهو بذلك لا يعترف بوجود خصائص للشخصية الوطنية هذا ما جعله يحدث قطيعة مع الماضي بل و أكثر من ذلك فأعضاؤه لم يناقشوا مسألة الدين الإسلامي ، ورفضوا اعتباره عنصر هوية للأمة الجزائرية ، مقتنعين بأن الجزائر عربية بربرية.

البيبليوغرافيا

المصادر:

باللغة الفرنسية :

Archives nationales section d'autre- mer (Aix-en provence) centre des archives d'autre – mer (CAOM) Gouvernement . général. De l'Algérie .

H – Bulletin mensuel de la presse indigène de l'Algérie .

1/ l'entente :

- C.A.O.M .15h2, B.M. P.I,A , cite dans l'entente 30 janvier 1939.
- C.A.O.M .15h2, B.M. P.I,A , cite dans l'entente 16 février 1939
- C.A.O.M .15h2, B.M. P.I,A , cite dans l'entente 08 Avril 1939
- C.A.O.M .15h2, B.M. P.I,A , cite dans l'entente 13 Avril 1939
- C.A.O.M .15h2, B.M. P.I,A , cite dans l'entente 27 Avril 1939
- C.A.O.M .15h2, B.M. P.I,A , cite dans l'entente 18 mai 1939
- C.A.O.M .15h2, B.M. P.I,A , cite dans l'entente 01 juin 1939
- C.A.O.M .15h2, B.M. P.I,A , cite dans l'entente 15 juin 1939
- C.A.O.M .15h2, B.M. P.I,A , cite dans l'entente 22 juin 1939
- l'entente N24 , jeudi 27 février 1936 .
- La république Algérien , n° 280 , 16 novembre 1951 .
- CAOU 9 H 38 , note individuelle des renseignements (Beujaloul) 25 septembre 1942.

2/ la voix indigène :

- C.A.O.M.9h53.B.M.P.I.A cite dans **la voix indigène** ,le 31/12/1939
- C.A.O.M.15h2.B.M.P.I.A. mois de septembre , **la voix indigène** , 6Avril 1939,
- C.A.O.M.15h2.B.M.P.I.A le : 11 mai 1939
- C.A.O.M.15h2.B.M.P.I.A le : 15 juin 1939
- C.A.O.M.15h2.B.M.P.I.A le : 07 septembre 1939
- la voix indigène in 174 , novembre 1932.

3/ la voix des hum bles :

- La voix des humbles : N° 65 décembre 1927
- La voix des humbles : N° 66 novembre 1928.
- La voix des humbles : N° 68 décembre 1928.

4/ la défonce :

- N°137,19 février 1937
- N° 14,27 Avril 1934.
- N° 07,9 mars 1937

5/ le jeune musulman :

- N° 1 , 16 juin 1952.
- N° 5 , 12 septembre 1952.
- N° 6 , 26 septembre 1952.
- N° 7 , 17 octobre 1952.
- N° 8 , 31 octobre 1952.

- N° 16 , 27 février 1953 .

- N° 20 , 24 Avril 1953.

6/ El-ouma :

- C.A.O.M.9H47 : le ouma , 20 mars 1937 .

- C.A.O.M.9H47 lettre de arslan à messali le 26/10/1936.

- C.A.O.M.9H47 action du parti du peuple algérien le 09/09/1937

- C.A.O.M.9H47 le parti peuple algérien el ouma le 10 avril 1937.

- C.A.O.M.15H2 B.M.P.I.A cité dans le parlement Algérien 2 Aout 1939.

- El ouma N° 41 juillet – aout 1936 .

- El ouma N° 36 décembre 1935 .

7/ la lutte sociales

- C.A.O.M.15H2 B.M.P.I.A. la lutte social , janvier , 1939 .

- C.A.O.M.15H2 B.M.P.I.A. la lutte social , mai , 1939 .

- C.A.O.M.15H2 B.M.P.I.A.cité dansle journal, Alger, républicain , mercredi 12/07/1939.

- Alger républicain , 10 mars 1939.

- La flamme 22 / 01/ 1938.

- La justice 17 aout 1937 .

- Revue : l'Afrique et l'asie , 1 er trimestre année 1948.

- C.A.O.M. 81F767, de la présence ce à paris des dirigeants de l'as sociation des ou lamas d'Algérie le 06-12-1950.archive Aix- en Provence .

المصادر بالعربية :

المنتقد :

العدد 1 2 جويلية 1925.

العدد 3 جويلية 1925.

العدد 04 جويلية 1925.

العدد 18 جويلية 1925.

الشهاب :

المجلد 2 : 1927/1926

المجلد 3 : 1928/1927

المجلد 8 : 1932

المجلد 11 : 1936

المجلد 12 : 1936

المجلد 13 : 1937

المجلد 14 : 1938

المجلد 15 : 1939.

النجاح :

العدد 2170، 3 أوت 1938 .

العدد 2178، 24 أوت 1938 .

البصائر :

السلسلة الأولى :

العدد 01 : 27 ديسمبر 1935.

العدد 95 : 14 جانفي 1938.

العدد 101 : 25 فيفري 1938.

العدد 115 : 27 ماي 1938.

العدد 118 : 17 جوان 1938.

العدد 120 : 1 جويلية 1938.

العدد 124 : 29 جويلية 1938.

العدد 126 : 12 أوت 1938.

العدد 148 : 13 جانفي 1939.

السلسلة الثانية :

العدد 01 : 25 جويلية 1947.

العدد 169 : 10 سبتمبر 1951.

العدد 171 : 10 جويلية 1939.

العدد 276 : 25 جوان 1654.

العدد 303 : 28 جانفي 1955.

العدد 343 : 02 ديسمبر 1955.

التقارير الأرشيفية :

1. Anonyme du manifeste a la république algérienne ,ed, libération ; Alger 1948

2. Bulletin de renseignent , N° 13 concernant l'état de l'esprit des indigènes nord africains pendant la période du 15 octobre au 15 décembre 1936 , A.W. de Constantine

3. Bulletin mensuel d'information concernant la politique indigéne dans le département d'oran , mois de janvier 1938 ,S.L.N.A , archive historique w de Constantine .

4.manifeste du peuple algérien (10 fev1943), document inédits du mouvement national, textes fondamentaux(1943-1945),n12 nov 1983,I.R.boite n13,A.W de constantino .

5.police d état de Constantine commissariat centrale , rapport mensuel du mois de juin 1947 , N 74

6.Regard sur le présent et l'avenir de l'Algérie rapport présenter par : Ferhat ABBAS au premier congrès de U.D.M.A ed , libération , Alger , 1948

7.statu des amis du manifeste et la liberté , document , inédits du mouvement national textes fondamentaux,A.W.C.n12,1983.

الكتب بالعربية :

8. الإبراهيمي محمد البشير :

- آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي (1929-1940) ، ج1 ، جمع وتقديم نجله أحمد طالب الإبراهيمي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1997.
- آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي (1940-1952) ، ج2 ، جمع وتقديم نجله أحمد طالب الإبراهيمي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1997.
- سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين المنعقد مركزها العام بنادي الترقي بالجزائر ، دار الكتب 1982.

9- الإبراهيمي أحمد طالب : مذكرات جزائري ، أحلام ومحن (1932-1956) ج2 ، دار القصبة للنشر ، الجزائر ، 2006.

10- آيت احمد حسين : روح الإستقلال ، مذكرات مكافح (1942-1952) تر : سعيد جعفر ، منشورات البرزخ ، الجزائر .

11- **الأفغاني جمال الدين** : **الاعمال الكاملة** ، ج 2،جمع وتحقيق محمد عمارة ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، بيروت ، لبنان ، 1979

12- **بن باديس عبد الحميد** : ابن باديس حياته وآثاره ، ج3 ، إعداد وتصنيف عمار الطالبي ، دار اليقظة العربية ، دمشق ، دار مكتبة الشركة الجزائرية ، الجزائر 1968.

13 **بن حبيلس الشريف** : الجزائر الفرنسية كما يراها أحد الأهالي ، تر : عبد الله حمادي ، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2009.

14- **بن بني مالك** : مذكرات شاهد على القرن ، دار الفكر ، دمشق ن 1984.

15- **بن عمر باعزيز** : من ذكرياتي عن الغمامين الرئيسين عبد الحميد بن باديس ، ومحمد البشير الإبراهيمي ، ط2 منشورات الحبر ، الجزائر ، 2007.

16- **حماني أحمد** : صراع بين السنة والبدعة أو القصة الكاملة للسطر بالإمام عبد الحميد بن باديس ، ج 1 و ج 2 ، دار البعث ، قسنطينة ، 1984.

شهداء علماء معهد ابن باديس ، قصر الكتاب ، الجزائر ، 2004.

17- **خير الدين محمد** : مذكرات ، ج 1 ، دار الضحى ، الجزائر ، 2002.

18- **دبوز محمد علي** : نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة ، ج 2 ، ط 1 ، المطبعة العربية ، 1981.

19- **عباس فرحات** :

- حرب الجزائر وثورتها ، ليل الاستعمار ، تر : أبو بكر رحال ، مطبعة فضالة ، المهدية ، المغرب ، د-ت .
- غدا سيطلع النهار ، تر حسين لبراش ، دار الجزائر للكتب ، 2012.

20- **غليسبي جوان**: الجزائر الثائرة ، تعر : خيري حماد ، ط 1، دار الطيف ، بيروت 1961.

21- **فضلاء محمد الطاهر** :

- التحريف والنزيف في كتاب حيات كفاح ، ط 1 ، دار الغيث ، قسنطينة 1988.
- دعائم النهضة الوطنية الجزائرية ، دار البعث ، قسنطينة 1984.

22- **قنانش محمد** : ذكرياتي مع مشاهير الكفاح ، دار القصبة ، الجزائر 2007.

23- **قليل عمار** : ملحمة الجزائر الجديدة ، ج 1 ، ط1 ، دار البعث ، قسنطينة 1991.

24- **مصالي الحاج** : مذكرات مصالي الحاج (1898-1938) ، تر : محمد المعراجي ، منشورات التراث ، 2006.

25- **الميلي محمد** :

- تاريخ الجزائر في القديم والحديث ، ج1 ن دار الكتاب العربي ، 2007.
- ابن باديس وعروبة الجزائر ، ط2 ، الشركة لوطنية لنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1980.

26- **المدني أحمد توفيق** :

- حياة كفاح ، ج1 ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1988.
- قرطاجنة في أربعة عصور من عصر الحجارة إلى الفتح الإسلامي ، ط2 ، المكتبة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1986.
- كتاب الجزائر ، ط2 ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1984.

27- **مهساس أحمد** : الحركة الثورية في الجزائر (1914-1954) ، دار المعرفة ، الجزائر ، 2007 .

28- **ثابت بلقاسم مولود قاسم**:

- إنية وأصالة ، منشورات وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية ، مطبعة البعث ، قسنطينة 1975.
- ردود الفعل الأولية على أول نوفمبر داخلا وخارجا أو بعض مآثر نوفمبر ط1 ، دار البعث للطباعة والنشر ، قسنطينة .

الكتب بالفرنسية :

29 . Abbas ferhat : le jeune Algerien , ed garnier , paris, 1981.

30. Abbas ferhat : l’indépendance confisqué (1962-1978) , ed, flammation- paris 1984.

31.boukourt ben ali : le souffle de dahra , entreprise national de livre , alger.

32 Carret jaque : l'association des oulama reformistes d'Algerie d'Afrique , 3 emé trimestre , année 1958.

33 .De la barre de manteuil luc : ferhat ABBAS et le mouvement revendicatif algerien , école national d'Administration Alger 1948 .

34 Esquer gabriel : histoire de l'Algérie (1830-1960) presses universitaires de France , paris 1960.

35 Naroun amar : ferhat ABBAS , ou les chemins de souveraineté ed, donoel , France , 1961.

36 Ouzagane amar : le meilleur combat , ed , enep , 2006.

37 Sisbane cherif : motte sur les reformes , désirées par la fédération , des élus des indigènes du de parement de Constantine imprimerie , Alger 1931.

38 Soaleh mohamed : la société indigènes de la frique du nord alger – tunisie – maroc – sahara , 3 eme partie , Alger , latypo-titho et gules carbonel , éditeurs , 1937.

39 Yousfi mohamed : l'Algerie en marche ; T1 , enal , alger .

40 Znati rabeh : le problème Algérien , vu par un indigènes , renseignement colonie Y.N.O.G.

بالعربية :

41 الابراهيمي أحمد طالب : **مذكرات جزائري ج2** ، احلام ومحن (1932-1956) دار القصبة للنشر ،الجزائر 2006 .

42 أجيرون شارل روبير: **المسلمون الجزائريون و فرنسا** ,ج2,ترجمة م حاج مسعود,دار الرائد للكتاب ,الجزائر ,2007 .

43 أمين سمير:**المغرب العربي الحديث** ,ط2,ترجمة كيميل داغر ,دار الحداثة,1981 .

44 الان تورين : **انتاج المجتمع** ، ترجمة إلياس بديوي ، منشورات وزارة الثقافة و الإرشاد القومي ، دمشق ، 1976 .

45 بريفيلي غي: **النخبة الجزائرية الفرنكوفونية (1880–1962)** ، ترجمة م . حاج مسعود و آخرون ، دار القصبة ، الجزائر ، 2007 .

46 بغدادي عامر: **المكون العربي الاسلامي في الهوية الجزائرية** ،كنوز الحكمة ، للنشر و التوزيع ، الجزائر 2014.

47 بغورة الزواوي: **الخطاب الفكري في الجزائر بين اللغة و التأسيس** ، دار القصبة للنشر ، 2003.

48 بلاسي نبيل : **الاتجاه العربي الإسلامي و دوره في تحرير الجزائر** ،الهيئة المصرية العامة للكتاب ،1990 .

49 بن عتيق محمد الصالح: **أحداث ومواقف في مجال الدعوة الاصلاحية و الحركة الوطنية بالجزائر** ، منشورات دحلب ، الجزائر 1990.

50 بن نبي مالك: **مذكرات شاهد على القرن** ، دار الفكر ، دمشق ، 1984 .

51 بن نبي مالك: **مشكلة الثقافة** ، دار الفكر ، لبنان ، 2000 .

52 بن نبي مالك: **وجهة العالم الاسلامي** ، ترجمة عبد الصبور شاهين ، دار الفكر ، دمشق ، 1969

53 بن نعمان أحمد: **التعريب بين المبدأ والتطبيق في الجزائر و العالم العربي** ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، 1981.

54 بن نعمان أحمد: **فرنسا و الأطروحة البربرية في الجزائر** ,منشورات دحلب د–ت.

55 بوحوش عمار: **التاريخ السياسي بالجزائر من البداية و الى غاية 1962** ، ط 1 ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت 1997 .

56 بورنان سعيد: **نشاط جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في فرنسا(1936–1956**) ،دار هومة للطباعة و النشر و التوزيع ، الجزائر ،2011.

57 بوصفصاف عبد الكريم: **جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية1931 –1945**)،ط1،دار البعث ، قسنطينة ، الجزائر ،1981 .

58 بوصفصاف عبد الكريم: **جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقاتها بالحركات الجزائرية الاخرى(1931–1945**) ، دراسة تاريخية وايديولوجية مقارنة ، منشورات المتحف الوطني للمجاهد ، المؤسسة الوطنية الاتصال و النشر و الاشهار ،الجزائر،.1996 .

59 بوصفصاف عبد الكريم:**الفكر العربي الحديث و المعاصر محمد عبده و عبد الحميد بن باديس نموذجا**، ج1،دار الهدى،الجزائر.2005.

60 بوضرساية بوعزة : **رواد المدرسة التاريخية الجزائرية** ، دار الحكمة ، الجزائر ، 2007.

61 بوعزيز يحيى ، **الاتهامات المتبادلة بين مصالي الحاج و اللجنة المركزية و جبهة التحرير الوطني (1946**–1962) ، دار هومة ، الجزائر 2003 .

62 بوعزيز يحيى: **الايديولوجيات السياسية للحركة الوطنية الجزائرية من خلال ثلاثة وثائق**،ديوان المطبوعات الجامعة، الجزائر، 1981 .

63 بوعزيز يحيى: **الايديولوجيات السياسية للحركة الوطنية من خلال ثلاث وثائق جزائرية**،ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر 1986.

64 بوعزيز يحيى: **مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية و الدولية** ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر 1999 .

65 تركي رابح: **الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الاصلاح الاسلامي و التربية في الجزائر** ، ط5، منشورات المؤسسة الوطنية للاتصال للنشر و الاشهار ، الجزائر ، 2001.

66 الجابري محمد عابد: **التعليم بالمغرب العربي** ، لمركز الثقافي العربي ، المغرب ، 1989 .

67 الجابري محمد عابد: **يقظة الوعي العروبي في المغرب : مساهمة في نقد السوسيولوجيا الاستعمارية ضمن كتاب تطور الوعي القومي في المغرب العربي** ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت 1986.

68 جدعان فهمي: **أسس النقدم عند مفكري الاسلام في العالم العربي الحديث** ، ، دار الشروق ،عمان 1988.

69 جغلول عبد القادر: **الاستعمار و الصراعات الثقافية في الجزائر** ,دار الحداثة , الجزائر .

70 الجندي أنور: **الفكر و الثقافة المعاصرة في شمال افريقيا** ، الدار القومية للطباعة و النشر ، القاهرة 1965.

71 جوليان شارل اندري: **افريقيا الشمالية تسي**ر ، ترجمة المنجي سليم و آخرون ، ش و تونس 1976.

72 حاجي فريد: **السياسية الثقافية الفرنسية في الجزائر 1837-1937**، دار الخلدونية ، الجزائر ، 2013.

73 حربي محمد : **الثورة الجزائرية سنوات المخاض**، تعريب نجيب عباد ،موفم للنشر ، الجزائر ،1994.

74 الحصري ساطع: **ماهي القومية ؟** ، دار العلم للملايين ،1976 ، بيروت.

75 حلوش عبد القادر: **سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر** ، دار الأمة ، ط1 ، الجزائر 1999.

76 حمادي عبد الله: **الحركة الطلابية في الجزائر (1871-1962)** ، ط2، منشورات المتحف الوطني للمجاهد ، د-ت.

77 الخطيب أحمد: **جمعية العلماء المسلمين الجزائريين واثرها الاصلاحي في الجزائر** ،المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ،1985 .

78 الخطيب أحمد: **حزب الشعب الجزائري**,المؤسسة الوطنية للكتاب,الجزائر ,1986 .

79 رخيلة عامر: **احداث 8 ماي 1945 المنعطف الحاسم** ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ،د-ت .

80 زوزو عبد الحميد: **الدور السياسي للهجرة إلى فرنسا بين الحربين 1914-1939** ، نجم شمال افريقيا وحزب الشعب ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 2007.

81 ستورا بنيامين: **مصالي الحاج رائد الوطنية الجوائرية 1898-1974** ,دار القصبة للنشر ,الجزائر ,1999.

82 سعد الله أبو الفاسم : **تاريخ الجزائر الثقافي (1830- 1954)** ج 6، دار الغرب الاسلامي ، 1998 .

83 سعد الله أبو القاسم : **أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر،** ج 3 ،دار البصائر، الجزائر ،2007 .

84 سعد الله أبو القاسم : **أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر** ,ج4,دار الغرب الإسلامي ,بيروت ,1996 .

85 سعد الله أبو القاسم: **الحركة الوطنية الجزائرية (1900-1930)** ، المؤسسة الوطنية للنشر و التوزيع ، 1983.

86 سعيدوني ناصر الدين: **أفاق ومنطلقات ، مقارنات للواقع الجزائي من خلال مفاهيم تاريخية ،** ط1، دار الغرب الإسلامي ، بيروت لبنان 2000 .

87 سلامة عبد الرحمان: **التعريب في الجزائر من خلال الوثائق الرسمية** ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1981 .

88 السويدي محمد: **مفاهيم علم الاجتماع الثقافي ومصطلحاته** ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1991.

89 سيف الاسلام الزبير: **الاعلام و التنمية في الوطن العربي** ، ط 2 ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1986 .

90 الشيخ سليمان: **الجزائر تحمل السلاح او زمن اليقين** ، دار القصبة للنشر ، الجزائر ، 2007.

91 صاري أحمد : **شخصيات و قضايا من تاريخ الجزائر المعاصر** ، المطبعة العربية ، غرداية ، 2004.

92 صاري جيلالي و قداش محفوظ: **المقاومة السياسية (1900-1954)** ، **الطريق الاصلاحي و الطريق الثوري** ، ترجمة عبد القادر بن حراث ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1997 .

93 عارف نصر محمد: **ايبيستيمولوجيا السياسة المقارنة**، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر و التوزيع، القاهرة،2002.

94 عبد الجبار عبد الله: **الغزو الفكري في العالم العربي** ، ط3، مطابع الروضة ، جدة ، 1980.

95 عبد الرحمان عواطف: **الصحافة العربية في الجزائر** ، دراسة تحليلية لصحافة الثورة الجزائرية 1954-1962، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1985 .

96 عبد القادر حميد : **فرحات عباس رجل الجمهورية** ، دار المعرفة ، الجزائر 2001.

97 العسكري ابراهيم : **لمحات من مسيرة الثورة ودور القاعدة الشرقية** ، دار البعث قسنطينة ، الجزائر .

98 العسلي بسام: **نهج الثورة الجزائرية** ،دار النفائس ، بيروت ،1986 .

99 العمري مومن: **الحركة الثورية في الجزائر ، 1926-1954** ، دار الطليعة للنشر و التوزيع ، قسنطينة 2003.

100 فضلاء محمد الطاهر:" **محمد الامين لعمودي الكاتب الشاعر الاديب و الخطيب السياسي البارع**" ، الندوة الفكرية الثالثة ، الوادي ، ماي 1990.

101 فيلالي عبد السلام: **الجزائر الدولة والمجتمع** ،دار الوسام العربي ،الجزائر ،2013 .

102 قداش محفوظ: الامير خالد ، **وثائق و شهادات لدراسة تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية** ، ديوان المطبوعات الجامعية ، المؤسسة الجزائرية للطباعة ، الجزائر ، 1987 .

103 قرم جورج: **تاريخ اوروبا وبناء أسطورة الغرب** ، ترجمة رلى ذيبان، ط 1، دار الفرابي ،2011.

104 القلعجي قدري: **تجربة عربي في الحزب الشيوعي الجزائري** ،بيروت ،لبنان ،د-ت.

105 قلعجي قدري: **ثلاثة من اعلام الحرية** ، ط 2 ، شركة المطبوعات للنشر و التوزيع ، لبنان ، 1994 .

106 قليل عمار: **ملحمة الجزائر الجديدة** ، ج 1، ط1، دار البعث ، قسنطينة 1991 .

107 الكنز علي: **حول الازمة ، خمس دراسات حول الجزائر و العالم العربي** ، دار بوشان للنشر ، 1990.

108 الكوخي محمد : **سؤال الهوية في شمال إفريقيا** ، افريقيا الشرق ، الدار البيضاء ، المغرب ، 2013 .

109 محمد الطاهر فضلاء : **التحريف و التزييف في كتاب حياة كفاح** ،ط1، دار البعث ،قسنطينة ،الجزائر ، 1982.

110 مرتاض عبد الملك : **نهضة الادب العربي المعاصر في الجزائر** ، 1925-1954، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر 1983.

111 مصطفى البحيصي عوض الله بن حسن: **من اعلام الاصلاح الديني : الشيخ العلامة عدة بن تونس المستغانمي** ، المطبعة العلاوية ، ط1. مستغانم 1995 .

112 مناصرية يوسف: **الاتجاه الثوري في الحركة الوطنية الجزائرية بين الحربين العالميين 1919-1939** المؤسسة الوطنية للكتاب , الجزائر ,1988,

113 منور أحمد: **الأدب الجزائري باللسان الفرنسي ، نشأته وتطوره وقضاياه** ، ديوان المطبوعات الجامعية ، 2007 .

114 مهساس أحمد: **الحركة الثورية في الجزائر 1914-1954**, دار المعرفة ,الجزائر ,2007 .

115 نايت بلقاسم مولود قاسم: **إنية وأصالة** ، منشورات وزارة التعليم الاصلي و الشؤون الدينية ، مطبعة البعث ، قسنطينة ، 1975 .

116 نايت بلقاسم مولود قاسم: **ردود الفعل الاولية على أول نوفمبر داخلا و خارجا أو بعض مآثر نوفمبر** ، ط1، دار البعث للطباعة و النشر، قسنطينة ، الجزائر .

117 ولد خليفة محمد العربي : **المسألة الثقافية وقضايا اللسان والهوية** ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 2003.

118 وناس المنصف : **الدولة والمسالة الثقافية في الجزائر** ، المطبعة العربية ، تونس ، د- ت .

119 يحياوي مرابط مسعودة :**المجتمع المسلم والجماعات الاروبية في جزائر القرن العشرين ،** حقائق وإيديولوجيات وأساطير ونمطيات ،ج1، تر:محمد المعراجي ،دار هومة ، الجزائر ، 2010 .

بالفرنسية :

120 Abdoune Mohamed : **témoignage d'un militant du mouvement nationaliste** ,ed dahleb, 1990.

121 Collot claud et rêne robert : **le mouvement national** , algérien , textes (1912-1954) O.P.U.Alger 1978.

122 Colonna Fanny : **instituteurs algériens 1883-1939**,office des O.P.U ,Alger 1975.

123 Boissenot Alfred : l'islamité la guerre d'Algérie CEL éditeur , France ; 1977 .

124 Dejeux Jean : **situation de la littérature magribine de la langue française (1920-1978)** ,O.P.U.hydra ,Alger ,1982, l'enrichement du pays par l'équipement national , in l'entente 30/01/1936.

125 Dejeux Jean : **bibliographie methiodique et critique** , **de la littérature algérienne de langue française (1945-1977)** , S.N.E.P .Alger ,

126 Haddad Mostafa : **l'emergence de l'algérie moderne** ,T 1, 1er ed ,I.Guerfi ,Batna ,2001,

127 Harbi mohamed : **L'algérie et son distin** , orcantére ed , paris , 1982.

128 jurquet Jaques :**la révolution nationale Algerienne et le parti communiste francais** ,t1,1850-1920,ed du centenaire ,1979

129 Kaddache mahfoud : **histoire du nationalisme algerien** , question national et politique algérienne (1919-1951) t1 t2 Alger , 2 ed 1993.

130 Kaddache Mahfoud: **l'algérie medévale**,E.N.A.L.1992

131 Memmi Albert : **poutrait du colonisé précédé du pourtrait du colonisateur** , buchet –chastel , paris , 1957

132 Simon jaque **; messali hadj la passion de l Algerie libre** ,ed térésias ,1998,

133 Sivan Emmanuel : **communisme et nationalisme en algérie** (**1920–1962**) presse de la fondation national des sciences politiques ,paris ,1962,

134 Stora Benjamin –Zakya Daoud : **Ferhat Abbas une autre algerie** , casbah ed , Alger , 1995 ,

135 Stora benjamin : **les sources du nationalisme algerien parcours ideologiques origines des acteurs** , ed , l'harmattan , paris , 1989 ,

136 Vatin Jean Claud : **l'Algérie politique – histoire et société** – **fondation national science politique**, Armond vollume, paris ,1994,

الرسائل الجامعية :

137 بلحسين كريمة: **الحياة السياسية في قسنطينة 1930–1939** ، رسالة مقدمة للحصول على دبلوم الدراسات المعمقة في التاريخ الحديث و المعاصر ، جامعة منتوري قسنطينة

138 بو عبد الله عبد الحفيظ: **فرحات عباس بين الإدماج و الوطنية 1919–1962**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الحديث و المعاصر ، جامعة الحاج لخضر باتنة ، 2006

139 بوقجاني أحمد : جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في الحركة الوطنية وثورة التحرير الجزائري (1945-1956) رسالة ماجيستير في التاريخ المعاصر ، جامعة الجزائر ، 1998-1999.

140 حشلاف علي : المواقف السياسية لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين من خلال صحفها (1931-1939) رسالة ماجيستير معهد الإعلام والاتصال ، جامعة الجزائر 1994.

141 خمري الجمعي : **حركة الشبان الجزائريين و التونسيين (1900–1930)**، اطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه الدولة في التاريخ الحديث ، و المعاصر ، جامعة منتوري قسنطينة ،2002-2003 .

142 عرعار كريمة :**دور رجال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في حشد دعم المشرق العربي للثورة التحريرية** ،مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث و المعاصر ،جامعة الحاج لخضر باتنة،2005-2006،

143 عمري الطاهر : النخبة الوطنية الجزائرية ومشروع المجتمع (1900-1940) أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر ، جامعة الأمير عبد القادر ، قسنطينة ، 2003-2004.

144 قدادرة شايب غزواني : **الحركة الوطنية الجزائرية أثناء الحرب العالمية الثانية** ، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث و المعاصر ، اشراف محمد صبحي ، قسم التاريخ و الآثار جامعة الاسكندرية ، مصر 1991.

145 كعوان فارس: **المؤرخون الجزائريون و نمو الوعي التاريخي(1830–1962)مساهمة في التاريخ الثقافي و الفكري** ،اطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في التاريخ المعاصر ،جامعة منتوري نقسنطينة ،2011-2012

146 مزعاش مراد : **جهود جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في خدمة اللغة العربية في الجزائر 1931–1954** م ، ماجستير شعبة اللغة العربية و الدراسات القرانية ، جامعة الامير عبد القادر للعلوم الاسلامية ، قسنطينة 2001 .

بالفرنسية :

147 Ahmed sarri : l'association des ulama musulmans Algériens et l'administration française en Algérie de 1931 a 1956, thèse pour l'obtention du doctorat nouveau régime, université de Provence ; 1990.

المقالات :

بالعربية :

148 بغورة الزواوي: **"الهوية والعنف في الخطاب الثقافي الجزائري "** ، مجلة العربي ، العدد 599 ، اكتوبر 2008،

149 بن محمد علي : **مقومات الهوية في فكر عبد الحميد بن باديس** " مركز دراسات الوحدة العربية ، الثقافة العربية في القرن حصيلة أولية "، ط1 ، بيروت ، 2011.

150 الخرفي صالح:" **الزيتونة في قلوب الجزائريين** "، الحياة الثقافية، السنة 22، العدد 82 ، فيفري 1997.

151 رشيد زبير: **"موقف أحزاب اليسار الفرنسية من القضية الجزائرية** " ,الأكاديمية للدراسات الاجتماعية و الإنسانية,العدد09, 2013

152 الزايدي علي:" **الوضع العام بالتعليم الزيتوني حتى اصلاح سنة 1951**"، المجلة ا التاريخية المغربية ،السنة 11 ، العدد 33-34، جوان 1984 ، تونس

153 زيتوني أحمد:"" **وجدنا أنفسنا داخل الفرنسية فبقينا مهمشين**""، جريدة الثقافي ، العدد 23 ،اوت 2007،

154 سعد الله أبو القاسم: **"اللغة العربية في مواثيق الحركة الوطنية** "، مجلة الكلمة ،السنة الاولى ، العدد4 ، يناير 1993 .

155 سعد الله أبو القاسم: **"من حضارة الشعر إلى حضارة العلم"**، مجلة الفكر (تونس) ، العدد4(1986)

156 سعد الله أبو القاسم: **"منهج الفرنسيين في كتابة تاريخ الجزائر"** ، مجلة الاصالة ع 14-15 جويلية 1973.

157 سعد الله أبو القاسم:" **العلماء الجزائريون (1919-1931)**"، المجلة التاريخية المغربية، العدد2، مطبعة الاتحاد العام التونسي للشغل ، تونس ، جويلية

158 سعد الله أبو القاسم:" **اللغة العربية في مواثيق الحركة الوطنية** "، **الكلمة** ، السنة الاولى ، العدد 4 ، يناير 1993 .

159 الصيداوي رياض: **صراعات النخب السياسية و العسكرية في الجزائر ،الحزب الجيش الدولة- 2-**، الحوار المتمدن ، العدد 14،1854مارس 2007

160 العربي اسماعيل: **"مساهمة المؤرخين الفرنسيين وهل تصلح أساسا لتنمية تاريخنا القومي"** ، الاصالة 14-15 جويلية ،-أوت ، 1973 .

161 فراد ارزقي:" **مصالي اقصى الامازيغية تأثرا بشكيب أرسلان** " ، الشروق اليومي ، العدد 4354، الثلاثاء 22أفريل 2014.

162 فضلاء محمد الطاهر : **محمد الامين العمودي الكاتب الشاعر الاديب والخطيب السياسي البارع** ، الندوة الفكرية الثالثة ، الوادي ، ماي 1990.

163 كوسة نور الدين:" **دور الدراسات الانتربولوجية الاستعمارية في تفكيك البنية الاجتماعية و الثقافية للمجتمع الجزائري** "، حوليات التاريخ و الجغرافيا ، المدرسة العليا للأساتذة ببوزريعة ، الجزائر ، أعمال الملتقى الثاني حول مظالم الاستعمار الفرنسي في الجزائر يومي 17-18 أفريل 2007 .

164 الميلي محمد ابراهيم: **"البعد الريفي في الثورة الجزائرية"** ، الاصالة ، العدد 22، السنة 3 ، اكتوبر –نوفمبر 1974 .

165 الميلي محمد: **-"فرحات عباس بين باريس و القاهرة،"** مجلة الحدث العربي و الدولي ،عدد24،نوفمبر 2002.

166 "محمد شريف ساحلي الابن المنسي لثورة نوفمبر" الخبر الأسبوعي ، العدد 542 من 15 إلى 21 جويلية 2009 .

167 مينيي جلبار: "**الجزائريون بفرنسا 1914-1918** " ,المجلة التاريخية المغربية ,العدد5,جانفي ,1976

بالفرنسية :

168 Ageron Charles Robert :" **le parti communiste Algérien de 1939-1943**, **in** : **vingtiéme siecle**" , revue d'histoire , n 12, octo/dec1986 ,

169 Ageron :"Ferhat Abbas et l'evolution politique de l'Algérie musulmane pendant la deuxieme guerre mondiale "(revue d'histoire maghribine), n4 , juillet 1975 , tunis

170 Allisou derw :" **le parti communiste algérienne et la lutte anticolonialiste**" , mythes et réalités , université de york , angleterre , interventions , Alger , mai 2014.

171 ben fradj Chokri;" Nationaliste Algeriens et Communistes francais dans la France du front populaire 1934-1938 ",Rawafid,N7 2002 ,

172 Bencheneb Saadedine :" **quelque historiens-arabes , modernes de l'Algérie**" , in revue africaine n 100,1956,

173 hadj Messali :**1898-1998** , **parcour et témoignages** , casbah , Alger 2006,

174 Montagne Robert :" **la fermentation des partis politique en Algérie .politique Etrangér**e" ,Anneé 1997 ,V2,N02, (http//www.perseé.fr).

175 Ramoune Hassen : « **les historiens algériens issus du mouvement national** » , insaniyat , n 25-26, juillet –decembre2004,

176 Tuomo Melasuo :" **les mouvements politique** , **et la question culturelle en Algérie avant la guerre de libération**" ,cahiers de la méditerranée n 26 ,1983

الندوات :

177 وثانصية وشفوية : رجال الدين والحركة الوطنية للتونس ، 1881-1938 ، أحداث الثلاثينات من خلال الذاكرة ، المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية ، تونس ، 1993.

178 العالم العربي و تحديات العصر ، ندوة عقدها اتحاد المؤرخين العرب في القاهرة ، 2005.

179 المقاومة الوطنية و الحركات السياسية حتى ليلة نوفمبر 1954 ، حزب جبهى التحرير الوطني ، المنظمة الوطنية للمجاهدين ، الطريق إلى نوفمبر كما يرويها المجاهدون ، مج 1 ، ج 1 ، ديوان المطبوعات الجامعية

180 الثقافة العربية في القرن العشرين حصيلة أولية ، مركز دراسات الوحدة العربية ، إشراف عبد الإله بلعزيز ، بيروت،2011.

181 أكاديمية العلوم في الاتحاد السوفياتي : معهد الاستشراف ، تاريخ الأقطار العربية المعاصر (1917-1970) ، ج2ن ترجمة دار التقدم، موسكو ،1976 .

182 الندوة الأولية العاشرة حول المغرب العربي في العشرينات ، 5-6 ماي 2000 ، جامعة منوبة ، تونس ، 2000.

المعاجم :

183 المنجد في اللغة والأعلام ، ط12 دار الشرق ، بيروت ، 1976.

الملاحــــــــــــق

لقد دعمنا البحث بملاح تثري الموضوع وتتصل به اتصالا وثيقا وهي عبارة عن وثائق رسمية منها ما سحب من أرشيف ما وراء البحار ومنها ما هو نسخة موجودة في الارشيف الوطني أو تلك المرتبطة بالنشاط الصحفي من المقالات التي حررت في الفترة المدروسة لموضوع المسألة الثقافية في أدبيات الحركة الوطنية الجزائرية (1919-1954) وقد اعتمدنا على واحد وعشرين ملحقا مرقما أشرنا لكل واحد في موضعه داخل فصول الاطروحة وهي كالآتي :

الملحق الأول : مقال في جريدة صوت الأهالي "**الاصلاح الجزائري** " يبين الموقف المعادي للإدماجيين المتطرفين تجاه العلماء المسلمين الجزائريين عل أساس أنها وجه آخر للمرابطين كما يدعون إلى مسايرة التطور الأوروبي على غرار مصر وتركيا .

الملحق الثاني : مقال في جريدة الوفاق لفرحات عباس " **فرنسا هي أنا** " 27 فيفري 1936 ، ويبين فيه موقف فرحات عباس من فكرة الوطنية الجزائرية ، ودفاعه عن العلماء المسلمين الجزائريين .

الملحق الثالث : مقال للشيخ عبد الحميد بن باديس في جريدة البصائر بعنوان " **الزوايا وغاياتها**" يفضح فيه حقيقة الطرقين ونواياهم والمفاسد التي اتبعوها ونشروها أسباب صدام الجمعية معهم .

الملحق الرابع : أول عدد من جريدة الشاب المسلم التابعة لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين والتي يقودها التيار التجديدي ، 06 جوان 1952 .

الملحق الخامس : مقال في جريدة البصائر " **هل في الجزائر حرية دينية** " يشرح فيه السياسة الممارسة ضد الإسلام ومؤسساته في الجزائر 1 جويلية 1938.

الملحق السادس : تقرير حول نشاط رجال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في فرنسا ورحلة الإبراهيمي إلى باريس من أجل مطلب فصل الدين عن الدولة 06 ديسمبر 1950.

الملحق السابع : تقرير حول نشاط الطلبة المسلمين لشمال إفريقيا ومطالبهم المتعلقة بتحسين تعليم الأهالي الجزائريين بالاهتمام بالتعليم الحر والقرآني ، 11 سبتمبر 1934.

الملحق الثامن : مقال حول التعليم العربي الإسلامي بالجزائر ومحاولة القضاء عليه في جريدة البصائر ، 27 ماي 138 يتضمن دفاع الجمعية عن حق التعليم العربي الاسلامي والمحاولات القانونية للقضاء عله .

الملحق التاسع : مقال لنص المحاضرة التي ألقاها الشيخ الفضيل الورتلاني في المؤتمر الدولي للكتاب الأحرار في جريدة البصائر 25 فيفري 1938. يبين فيه المساعي الاستعمارية لمحاربة الصحافة والمدارس الحرة مركزا على أهميتها في الصمود أمام الاستعمار .

الملحق العاشر : قائمة بأسماء الجمعيات الاسلامية الأساسية التي كانت تنشط في الجزائر العاصمة والتي كانت تابعة في أغلبها لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين وقد تراوحت بين الجمعيات الثقافية والرياضية يوم 15 ديسمبر 1936.

الملحق الحادي عشر : رسالة من الأمير شكيب أرسلان إلى مصالي الحاج مؤرخة يوم 26 أكتوبر 1936 . يشير فيها إلى عمق الأخوة النضالية بين الرجلين وينبه إلى مرامي الاستعمار الفرنسي من وراء خلق سياسة الاسلام الفرنسي في الجزائر .

الملحق الثاني عشر : حوار مع مصالي الحاج من طرف جريدة العدالة يوم 17 أوت 137. يشرح فيه مصالي برنامج حزب الشعب الجزائري وموقفه من مسألة الهوية ودوائر الانتماء .

الملحق الثالث عشر : مقال لمحمد شريف ساحلي حول تاريخ تعليم إستعماري في جريدة الشاب المسلم يوم 17 أكتوبر 1952 . يفضح فيه أهداف السياسة التعليمية الفرنسية والتي كانت مشكلة لتخريج الموالين لها .

الملحق الرابع عشر : تابع لنص المقال السابق .

الملحق الخامس عشر : مقال في جريدة الأمة ديسمبر 1935. بعنوان " **موقفنا من الدكتور بن جلول**" حيث ينتقد آراء المطالبين بالإدماج والمواطنة الفرنسية عكس الاستقلالين الذين يعملون لاستعادة الجنسية الجزائرية .

الملحق السادس عشر : خطاب مصلي الحاج إلى الأمة الجزائرية الكريمة أكد فيه على الشخصية الوطنية وثوابت هويتها اللغة والدين ، رافضا فكرة الإدماج يوم 12 نوفمبر 1936.

الملحق السابع عشر : مقال لمحمد شريف ساحلي في جريدة الشاب المسلم بعنوان " **إفريقيا الشمالية تسير** " وهو عنوان كتاب لشارل أندري جوليان يرد فيه على أغلاط تاريخية وردت في الكتاب حول تاريخ المنطقة يوم 24 أفريل 1953 .

الملحق الثامن عشر : مقال للعربي برايك في جريدة الجزائر الجمهورية بعنوان " **هل يمكن إدراج الدين في مطالبا** " حيث رفض صاحب المقال اعتبار الدين عامل وحدة باعتباره خطرا في ظهور ظاهرة الحروب الدينية كما حدث في فرنسا كما اعتبر الدين قضية ضمير شخصي وهو يدعو لإحداث قطيعة مع الماضي كإنكار للهوية الجزائرية .

الملحق التاسع عشر : مقال لعمار أوزقان " **الجزائر كانت وستبقى عربية ومسلمة** " في جريدة الشاب المسلم يوم 12 سبتمبر حيث يؤكد فيه عروبة الجزائر ودور الإسلام كمكون أساسي في الشخصية الوطنية مختلفا عن بقية زملائه الشيوعيين .

الملحق العشرين : تابع لنص المقال السابق يوم 26 سبتمبر 1952 .

الملحق الواحد وعشرون : مقال لعمار أوزقان في الشاب المسلم يوم 06 جوان 1952 بعنوان " **البربر يزم**" حيث يوجه إتهاما للإدارة الفرنسية كونها من خلفت هذه التفرقة الأثنية بين العرب والبربر على أساس إيديولوجي في حين يراه مجرد اختلاف لغوي وثقافي .

الملحق رقم -1-

20 DEC. 1937
LA VOIX INDIGENE

LE RÉFORMISME ALGÉRIEN

VI

De fait, le mouvement mouslihine ou réformiste sortit victorieux d'une compétition dangereuse. Il força les Marabouts à s'incliner, souvent à le subventionner et l'Administration à le supporter. Il s'est imposé pas son allant et l'adaptation de ses procédés de propagande aux méthodes du syndicalisme moderne.

Il faut s'incliner devant la supériorité de ses manœuvres pour détruire l'élan des Musulmans algériens vers le modernisme et le remplacer par une mentalité salafia qui ramène tout au passé et s'en remet de tout à Dieu.

En cela, nos Oulamas ont-ils raison ou ont-ils tort ? Nous nous gardons bien de les désapprouver sur le terrain purement philosophique. Cette conception simpliste que tout est beau, que tout est bien venant de Dieu, que nous ne sommes que des jouets entre ses mains, que tout a été dit par les anciens, que le Coran, la Souna et l'Idjmaa constituent un tout inamovible qui ne comporte aucune discussion, est évidemment pleine de poésie et singulièrement reposante. Mais il y a la réalité de la vie moderne dont les autres peuples d'Islam commencent à tenir compte. Il y a l'élan des Musulmans d'Orient vers la Science positive, vers la civilisation occidentale qui seule permet de lutter contre les appétits déchaînés des hommes civilisés et en partie réussi et la « cotisation » qui a remplacé la « ziara » leur permet de mener grand train et de travailler efficacement à l'instauration d'une espèce de religion nouvelle en Afrique du Nord.

Leurs premiers succès les incitent même à aller un peu plus loin que le souci d'une confortable vie matérielle. Quoiqu'ils s'en défendent, ils ont des visées politiques et s'assignent des objectifs bien déterminés. Ils se sont même compromis en s'alliant aux partis extrémistes, certainement sans savoir pourquoi ou plutot avec l'arrière pensée de nuire aux autorités françaises afin de profiter du désarroi escompté. Nous les avons vus lever le poing, se faire appeler « camarade » et participer aux meetings et aux manifestations de masses.

Ces relations temporelles avec les partis extrémistes, leurs discours et leurs articles de journaux touchant à toutes les questions politiques, leur désir manifeste de jouer un rôle dans les affaires algériennes après avoir groupé et stylé le peuple, les feraient accuser, à juste titre, de travailler à une révolution intérieure dont ils seraient les premiers bénéficiaires.

On accuse aussi l'Association des Oulamas algériens d'être une sorte de filiale du Congrès Musulman tenu à Jérusalem en décembre 1931, dans le but d'organiser la défense de l'Islam et de

tifs déchaînés des hommes civilisés et de s'assurer le bien-être auquel ont droit tous les êtres humains.

Et alors pendant que les Européens, suivis depuis quelque temps par les Turcs, les Egyptiens, les Perses, etc., cherchent sans relache, à améliorer leur vie, à vaincre la nature, à asservir les éléments à leur profit, on nous propose, à nous Algériens, de faire fi du Progrès scientifique et de retourner, à l'époque des Compagnons, pour assurer notre bien-être terrestre et notre salut éternel.

Il y a là quelque chose qui ne va pas, un paradoxe que confirme la vie raffinée des chefs mouslihine qui vivent très à l'aise dans des villas, entourés de tout le confort moderne, qui voyagent en première classe et descendent dans les meilleurs hotels. Si nous devons les suivre, qu'ils nous permettent de nous moderniser, de conquérir notre place au soleil, en un mot d'entrer en possession des moyens nous permettant de continuer à assurer leur bien-être tout en y prenant notre part. Si au contraire, nous allons vers la vie par trop simple du temps du Prophète, qu'ils commencent donc à nous donner l'exemple de la sobriété et de l'ascétisme.

Le conseil du bon curé : faites ce que je dis et non ce que je fais, n'est plus de saison et nous craignons bien que les mouslihine ne se donnent tant de mal que pour s'assurer une emprise spirituelle sur le pauvre peuple afin de remplacer les Marabouts. Déjà, ils ont d'organiser la défense de l'Islam et de concentrer pour les examiner et les coordonner toutes les affaires des Musulmans. Là, nous ne pouvons rien affirmer manquant de preuves précises, mais tout semble se passer comme si nos Oulamas sont solidaires du Grand Mouvement d'émancipation de l'Islam qui a déferlé sur le Bassin Oriental de la Méditerranée et sur l'Afrique du Nord.

Affiliés ou non, les réformistes algériens se sont trop intéressés à ce Congrès et il est possible, sinon probable, qu'ils aient des relations avec l'organisme permanent institué par le Congrès et qui était dirigé, jusqu'à ces derniers jours, par un Musulman des plus actifs du temps présent, le Muphti El Hadj Amine El Husseini.

On dit aussi, et nous n'accordons qu'une valeur relative à cet on dit, que les relations des réformistes algériens avec le Proche-Orient sont assurées par des agents incorporés aux convois annuels de pèlerins pour les Lieux Saints de l'Islam. La Mecque servirait donc de lieu de contact où des rapports seraient remis et de nouveaux ordres distribués.

Enfin les mêmes observations s'imposent en ce qui concerne des formations d'action panislamique, panarabe ou nationaliste, comme le célèbre Comité Syro-Palestino-Moghrebin de Chekib Arslan à Genève, le Comité Panarabe du Caire, celui de La Mecque et le Néo-Destour Tunisien.

(à suivre) *HASSAN.*

الملحق رقم -3-



« Des sottises faites par des gens habiles ; des extravagances dites par des gens d'esprit ; des crimes commis par d'honnêtes gens... » (De Bonald)

L'Entente

FRANCO-MUSULMANE

ORGANE HEBDOMADAIRE DE LA FEDERATION DES ELUS DES MUSULMANS DU DEPARTEMENT DE CONSTANTINE POUR L'UNION ET LA DEFENSE DES INTERETS DES MUSULMANS ALGERIENS

8, Rue de Chabron - CONSTANTINE - 30 c

Directeur Politique Docteur BENDJELLOUL

Rédacteur en chef : Mohammed-el-Aziz KESSOUS

30 c - Abonnement Annuel - VINGT FRANCS -

EN MARGE DU NATIONALISME

La France c'est moi !

par Ferhat ABBAS

A la Mémoire de l'Emir KHALED

SUGGESTIONS

LA SEMAINE POLITIQUE

L'Entente : N°24,2ème année, jeudi 27 février 1936.

الملحق رقم -4 -

السنة الرابعة عدد ١٤٨ — ثمن النسخة ٥٠ سانتيما — ٢

المدير ورئيس التحرير مبارك بن محمد الميلي

العنوان المالي Alger C/C 242 04

Monsieur BRAHIMI Mobarek

DIRECTEUR DU JOURNAL

13, Rue Alexis Lambert, CONSTANTINE

TÉLÉPHONE 25-15

صاحب الامتياز

الشيخ محمد خير الدين

البصائر

لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

يوجه الى ادارة الجريدة ما يتعلق بها من مقالات ومكاتبات واشتراكات

الرسائل

الاشتراكات

عن سنة ٣٥ ف

عن نصف سنة ٢٥ ف

عن سنة للتلاميذ ٢٥ ف

الادارة

EL-BASSAIR

13, Rue A. Lambert, 13 CONSTANTINE

قسنطينة يوم الجمعة ٢٢ ذي القعدة ١٣٥٧ — تصدر يوم الجمعة من كل اسبوع — الموافق ليوم ١٣ جانفي ١٩٣٩

الحقيقة والتاريخ

الزوايا وغاياتها

كفى بهم شهداء على انفسهم

..رفنا مما كتبه الاخ الشيخ حمزة بوكوشة ..عدد ١٤٦ من « البصائر » ردا على بعض الناس ..ن ذاك المردود عليه زعم أن جمعية الزوايا تبنت ..قانون الأساسي لجمعية العلماء، وتمنى كذلك ..صدقه .. [illegible] محلها . فدعاه الاستاذ بوكوشة ..ى نشر القانون الاساسي لجمعية الزوايا ليحكم ..قراء هل هو موافق لقانون جمعية العلماء او ..خالف له مخالفة انجيل يوحنا للقرآن الكريم.

..لما كان القانون الاساسي للجمعية الطرقية بقسنطينة ..د وقع الينا منذ اكثر من سنة رأينا ان ننشره ..يطلع عليه القراء ويعرفوا منه غاية هؤلاء الناس اليه يعملون .

علم الناس كلهم ان غاية جمعية العلماء هى تعليم ..لناس امر دينهم وتفقيههم فيه وتهذيبهم به واصلاح ..ا فسد من شؤونهم العامة والخاصة اصلاحا اسلاميا ..ستمدا من الكتاب والسنة وهدي صالح سلف ..الامة بلسان هذا الدين الكريم، اللسان العربي ..لمبين ؛ ..لى هذا دعت وفيه جاهدت، ومن اجله ..الاها من والاها وعاداها من عاداها، ومن جرائه ..هي تلقى الاذى والعنت والبلاء الشديد، ويلقى ..نصيرها الولاية والرعاية والمدد والتاييد ...

فاما كبراء الزوايا وجامعتهم فما هي غايتهم ..ا هي في الفصل الثامن من قانونهم :

« غاية هذه الجمعية هي أولا المحافظة على نفوذ الزوايا والطرق وعلى شهرتها وسمعتها ومكانتها »

النفوذ ! والشهرة ! والسمعة ! والمكانة !

فهل ابقوا من مظاهر السلطان والسيادة والكبرياء والعظمة والاستيلاء شيء ؟ هذه هي غايتهم: ان يبقوا سادة على الناس وان يبقى الناس مستعبدين لهم .

أين هى التربية ؟ أين هو التعليم أين هو نشر الاسلام ؟ أين هى مقاومة المفاسد والشرور ؟ أين هو الوعظ والارشاد ؟

هذه كلها أمور لا ذكر لها عندهم، لانهم يخافون منها على سلطانهم، ويخافون من ذكرها على انفسهم ممن يبتغون عندهم ما يبتغون

نعم من غايتهم في بقية الفصل السابق قولهم :

« وثانيا الاهتمام بجيوش الفقراء المنتشرين فى المساجد والزوايا واصلاح حالهم »

نحن نعلم ان ذكر الطعام والشراب لا يغضب عليهم احدا .... اذ هو شعبة من شعب « سياسة الخبز » المتبعة ..... وليتهم صدقوا فيما وعدوا وقاموا للمسلمين بهذه الناحية، ولكننا لا نرى فى مدينة من المدن ولا في قرية من القرى ولا في مدشر من المداشر شيئا من ذلك . نعم في بعض من الزوايا قليل من الفقراء فى حالة تعيسة يربح بهم اضعاف ماينفق عليهم .

تكفي الاشارة بهذا الايجاز الى غايتهم كما شهدوا بها على أنفسهم، فان اعمالهم واقوالهم ومواقفهم كافية في بيان حقيقتهم وغاية قصدهم . وقد بقيت فيما نشرناه من قانونهم بقايا من فضائحهم لا تخفى على قرائنا الالباء .

فهذه الغايات وما وراء هذه الغايات، وتلك الخفيات وما وراء تلك الخفيات، هي التي اخرجت رؤساء الزوايا من جمعية العلماء بعد ان كانوا من المؤسسين لها والواضعين لقانونها الاساسي الباقي الى اليوم ؛ وبعد ما قضوا عامها الاول في عضويتها، وهي هي التي باعدت بينهم وبين العاملين لنفوذ الاسلام وشهرة الاسلام وسمعة ومكانة الاسلام لا لغيره من الافراد والجماعات كائنا من كان ذلك الفرد وكائنة من كانت تلك الجماعة

ووالله لو ان هؤلاء الناس استقلوا في ارادتهم، وتحرروا في عملهم من مسيريهم، وطرحوا عنهم الاغلال التي وضعوها باختيارهم في أعناقهم، وجعلوا نشر العلم وخدمة الاسلام اقصى غايتهم - لمددنا لهم يد الاخوة والاتحاد .

« فان تولوا فقل حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم »

عبد الحميد بن باديس

الملحق رقم -5 -

Le Jeune Musulman

Directeur-Gérant : Atallah SOUFARI
Administration-Rédaction
12, rue Pompée :-: ALGER
Téléphone : 278-17

— 1re ANNEE —
— N° 1 —
PRIX : 20 francs

Vendredi 6 Juin 1952
13 Ramadhan 1371
Provisoirement bimensuel

Organe des jeunes de l'Association des Oulamas musulmans d'Algérie

EDITORIAL

par Taoufik El Madani

Jeunes Musulans Algériens ! Force ardente et active de notre Pays ! Votre journal est né.

Il est votre œuvre et votre émanation. Il doit être, entre les jeunes musulmans de culture arabe, et ceux formés à la culture française, beaucoup plus qu'un trait d'union : l'organe supérieur de notre fusion dans un même corps national et islamique.

Jusqu'à présent, formés à deux écoles diverses, les jeunes Musulmans algériens ont vécu dans deux mondes différents — malgré les liens indissolubles de la Patrie commune, de la Religion et de l'Idéal — au risque de suivre des chemins dissemblables et d'en arriver à constituer deux sociétés séparées par des cloisons étanches.

Laisser par une négligence coupable, approcher les conséquences irrémédiables de ce risque serait la grande victoire du système colonial, qui voudrait par une ségrégation fatale et soigneusement préparée, diviser notre jeunesse intellectuelle en deux, en « dénaturant » certains de ses meilleurs éléments.

Eh bien non ! Nous pouvons affirmer avec fierté et certitude que le colonialisme échouera dans ses tentatives criminelles ! La Patrie de nos glorieux ancêtres gardera à tout jamais son unité sous l'égide spirituelle de l'Islam et dans le cadre de la culture arabe universelle.

Mais, il y a néanmoins une cruelle réalité. Ceux de nos jeunes compatriotes qui n'ont reçu qu'une instruction occidentale ignorent tout, ou presque, de l'Islam. Un certain nombre d'entre eux a tendance à croire — à la suite de maints auteurs ignorants ou intéressés pour qui le dénigrement de l'Islam est un métier et un leitmotiv politique — que la religion islamique est la religion de la régression, du conformisme obstiné, voire de l'ignorance et de... l'obscurantisme !

(Suite à la page 2)

JEUNE MUSULMAN

CE JOURNAL EST VOTRE JOURNAL. ECRIVEZ-NOUS. NOUS ATTENDONS VOS SUGGESTIONS, VOS CRITIQUES ET VOS ARTICLES.

A la lumière du Coran

INTRODUCTION

Jeunesse Algérienne,

Quatorze siècles te séparent du génie derrière lequel tu as fait ton entrée dans l'Histoire. Comme tu le sais, cette entrée n'a pas été d'une inspiration terrestre comme celle des Romains, des Grecs ou des Perses. C'est une voix du Ciel qui t'a tracé le chemin à suivre pour accomplir ta destinée sur cette terre et faire ton salut en ce monde. Il va de soi que cette voix en tant qu'émanant du Ciel ne fait pas plus de distinction entre Arabes et Kabyles qu'entre Français, Juifs ou autres. L'appel est universel « Dieu convie tous les hommes à la Maison de la Paix » (Coran, chap. X, verset 25).

Jeunesse algérienne, sais-tu dans quelles circonstances de temps et de lieu tes glorieux ancêtres ont été touchés par le souffle du Tout-Puissant pour devenir les dépositaires de Ses volontés et de Sa loi.

A l'époque où ils ont été promus à cette distinction glorieuse, le monde offrait le spectacle dont voici en bref la description :

« Le monde était plein de trouble au VIme siècle de l'ère chrétienne, vers le temps de la naissance du fondateur de ce qu'on peut appeler la nationalité musulmane.

« En Europe, dans l'Espagne et dans la France méridionale, les Visigoths Ariens, luttaient contre Clovis et ses fils catholiques ; ils demandaient secours à l'empereur d'Orient, Justinien et étaient obligés de soutenir une nouvelle guerre pour se débarrasser des généraux qui avaient amené ce secours et prétendaient avoir conquis et non pas seulement protégé. Dans la France proprement dite, ces mêmes fils de Clovis s'entre-haïssaient, s'entre-assassinaient et la longue querelle de deux reines, la Visigothe Brunchant et la Franke Frédégonde fournissait à l'histoire ses pages les plus lugubres. En Angleterre, des Anglais accouraient disputer aux Saxons les terres où ceux-ci étaient venus réduire en servitude les descendants des Kimris, les plus anciens envahisseurs de cette île qui aspire aujourd'hui au premier rang en science, industrie et puissance, et

Suite à la page 5

« Les croyants sont frères ; conciliez donc vos frères et astreignez-vous à la loi de Dieu. Vous obtiendrez ainsi sa miséricorde. »

(LE KORAN)

L'ALGERIE dans le monde musulman

Réintégrer l'Algérie au sein du monde musulman dont elle a été exclue par le colonialisme il y a plus d'un siècle, tel est l'un des objectifs que s'est tracée l'association des Ulemas dès sa création en 1931.

Je ne parlerai point ici de tout ce qu'a fait l'administration en vue d'entraver l'action de l'association, ni de tout ce qu'a fait celle-ci pour combattre le vice et l'ignorance en prêchant le véritable Islam et en diffusant la langue du Koran : j'y reviendrai en d'autres occasions.

Un point essentiel nous retiendra aujourd'hui : le rôle capital joué par l'association dans l'établissement de liens solides entre l'Algérie et la grande famille de l'Islam dont elle fait partie envers et malgré tout.

Quoi de plus naturel que de vouloir connaître ses frères et n'est-il pas écrit dans le Livre Sacré : « Nous vous avons partagé en peuples et en tribus afin que vous vous reconnaissiez entre vous ».

Jusqu'à la veille de la deuxième guerre mondiale, le seul instrument de liaison fut la presse. Depuis « ElMontakid » jusqu'à « El-Bassair » en passant par « Echcharia », «-Essouna ». « Essirath » (qui ont eu une existence

(Suite à la page 3)

التعليم الاسلامي العربي

هل في الجزائر حرية دينية ..؟

ولنعرض الآن بكلمة وجيزة — تسمح بها الظروف الحاضرة — الى حالة المسلمين الجزائريين الدينية وما تسلكه الادارة الجزائرية من التدخل الصريح وبكل وسيلة فى كافة شؤون الديانة الاسلامية غير مراعية فى سلوكها هذا نص الدستور الفرنسي الذي منح الحرية الدينية لسائر الملل والنحل ، والذي صير الدولة لا دينية لا ئكية لا شان لها بالاديان ايجابا ولا سلبا

ان مما يؤلم المسلم من الالم ويفعم قلبه اسى وكدرا ان يرى جاره المسيحى والاسرائيلي يتمتع بكل ما فى الحرية الدينية من معنى، يتعلم دينه كما يريد وينشر الدعاية له بما يراه من الوسائل والاساليب ، ويرى نفسه محروما مصادرا محالا على المحاكم الزجرية كما يحال الجناة والمجرمون

طالعنا تاريخ الاستعمار الاروبي فى بلاد الاسلام ، وتتبعنا مختلف الطرق التي يسلكها واصول الحكم التي يطبقها فما رأينا هذه الدول الاستعمارية الا تكل للمسلمين امر دينها وما يتصل بالدين من المقومات والمشخصات وتدعهم يعملون له بكل حرية ما توجبه المصلحة ويقتضيه النظام والتطور

فالمجالس الاسلامية العليا هى التي تدير أوقافهم المصونة ... ولها وحدها حق الاشراف على المساجد ووضع برامج التعليم الدينى وتنصيب المدرسين والموظفين الدينيين .

والمجالس الشرعية الاسلامية هى التى تسير القضاء الاسلامي وتنتقى له الاكفاء من اهل الدين والصلاح ، وترقب تنفيذ احكامه وتحوطه بسياج من الوقار والاحترام

على هذا السنن تجري الحياة الدينية عند الامم الاسلامية فى الشرق وفى أروبا أيضا حيث توجد الاقليات المسلمة

ولم تشذ عن هذه المعاملة العادلة حتى تلك الدول « الدكتاتورية » الغاشمة التي استحقت غضب العالم بما روعت من آمنين وشردت ممن سكان وازهقت من نفوس وانتزعت من أملاك ...

فهذه — ايطاليا — تمنح للطرابلسيين حريتهم الدينية وتترك لهم أوقافهم ومساجدهم وتدبير شؤنهم الدينية . بل وتوفد منهم البعثات العلمية كما فعلت منذ عامين حيث ارسلت خمسة وعشرين طالبا لتلقي العلم في الازهر الشريف

وهذه حكومة الثائرين الاسبان السفاكة التي اضرت باخواننا الريفيين ضررا بليغا ما فتئت تحسن اليهم من الناحية الدينية ما تنشيء لهم من معاهد العلم . واخيرا قد طلبت من الحكومة المصرية معلمين لتنظيم التعليم العربي وفي المغرب هيأت بعثة علمية من ابناء المسلمين لتسفر فى هذا العام لطلب العلم فى جامعات القاهرة

وعلى هذه الخطة المثلى سارت الدولة الفرنسية في القطرين الشقيقين تونس والمغرب فلم تتعرض لاوقافهم ومساجدهم ولم تمس بسوء حريتهم الدينية فمجالسهم الاسلامية المحضة ونظاراتهم العلمية لها وحدها حق التصرف فى كل ما يرجع لشؤن دينهم

ناهيك أن بالقطر التونسي الذي لا يتجاوز سكانه مليونان ونيف . كلية الزيتونة المعمورة تضم بين جدرانها ما يزيد على ثلاثة آلاف من الطلاب وفي المغرب الاقصى كلية القرويين التي تحوي ما يناهز هذا العدد من الطلاب يتخرج منها في كل عام عدد وفير من العلماء يحملون تعليم الاسلام الى الاجيال ويقومون خير قيام بما يناط بهم من أعمال .

اما هذه البلاد الجزائرية التي يربو سكانها على سبعة ملايين من المسلمين فهي خاوية على عروشها — فلا كلية اسلامية بها ، ولا مساجد معمورة بالدروس العلمية كسائر بلدها ولا حرية دينية تخول للمسلمين ان يتعلموا دينهم ولغتهم بما ينشؤن لانفسهم من المعاهد والمدارس

فهل يوجد في الدنيا بلد كهذا البلد تقطنه امة تدين بدين الاسلام ولا رأى لها في تعلمه أو تعليمه او الاشراف على سيره ولها شخصية اسلامية معترف بها رسميا ولكنها تنقصت من اطرافها فلم يبق منها الا اسم الشخصية او ما تلوكه الالسنة من الفاظ وما يتراءى للناظر من آل وسراب ...

انها لتذهب نفسك حسرات على مصير الاسلام فى هذه الديار ثم يمتلكك العجب من بقاء هذا القدر الضئيل من مظاهره في بلد حاله كما ترى ...!

وان من الخطا أو التضليل أن يقال أن بلادكم هذه مستعمرة وغيرها حماية وشتان ما بينهما ، لانه ان صح هذا الاعتبار فى الاوضاع السياسية والنظم الادارية فهو لا يصح بحال فى الاديان والمعتقدات المنزلة من عند الله والمحوطة بعين الاحترام من سائر القوانين الوضعية

ولقد عهدنا الامم لايهون عليها ان تستعمر بلادها ويهون عليها ان يستعمر دينها او يضطهد معتقدها

منذ انتزعت الحكومة الاوقاف الاسلامية الجزايرية بقرار ٩ سبتامبر ١٩٠٧ جعلت الشؤن الدينية كلها بيد ثلاث جمعيات دينية في ثلاث عمالات يرأسها رجل أروبى — قد يكون مسيحيا متعصبا — وتختار اعضاءها الادارة المحلية ...

ومن يومئذ والاوضاع الدينية تتقهقر والتعاليم الاسلامية تذوب وتنحل . ثم يتتابع عليها سيل جارف من الاهواء والوسطات والشفاعات فيطغى على الوظائف الدينية فيزحزحها عن مكانها ويسندها الى غير اهلها

انى سرت وحيثما توجهت تصادفك الشكوى والتذمر المتغلغل في كافة الطبقات الاسلامية من جراء هذه الفوضى التي غمرت مقدساتهم الدينية ، فهذا امام جاهل لم يتوفر فيه شرط من شروط الامامة أم الناس رغم انوفهم بفضل وساطة ذوي كلمة نافذة من المسلمين وغير المسلمين ...

وآخر يكفيه من الامامة أن يقبض المرتب ثم ينيب أو لا ينيب من يصلي بالناس

وهذا حزاب متمتك يجتمع مع زملائه من القراء قراءتهم همهمة والفاظ مغتضبة لا تتجاوز حناجرهم ، وقل ما شئت في بقية رجال الدين الرسميين . الا من شاء الله .

(البقية على الصفحة السادسة)

1- **البصائر** : العدد 120 1 جويلية 1938.

الملحق رقم -6-

MINISTÈRE
DE L'INTÉRIEUR

DIRECTION GÉNÉRALE
DE LA SURETÉ NATIONALE

DIRECTION des
RENSEIGNEMENTS GENERAUX

Section "Union Française"

S.N./R.G./9°S./n° 9406

LN/SR

RÉPUBLIQUE FRANÇAISE

PARIS, le 6-12- 1950

N O T E

pour Monsieur le PREFET Chargé
des Services de l'Algérie et des Départements
d'Outre-Mer.

OBJET : A/S. de la présence à Paris des dirigeants de l'"ASSOCIATION des OULAMAS D'ALGERIE".-

Comme suite à votre communication téléphonique du 4 Décembre courant, j'ai l'honneur de vous faire parvenir, ci-après, les renseignements recueillis sur les activités politiques des dirigeants de l'"ASSOCIATION des OULAMAS D'ALGERIE".

o

o o

La présence, à Paris, du Cheikh BACHIR BRAHIMI et de Larbi TEBESSI est motivée par le désir des dirigeants de l'"ASSOCIATION des OULAMAS", d'intéresser l'opinion publique métropolitaine à leur cause, qui est la séparation du culte musulman et de l'Etat.

Tous les arguments développés jadis pour justifier la séparation de l'Eglise et de l'Etat sont invoqués au cours de cette campagne.

Leur propagande a été signalée dans plusieurs villes de la métropole.

o

o o

...../...

81F767 rapport monsieur le préfet des services de l'Algérie et des de portements d'autre mer

Concernant la présence des dirigeants de l'association des oulémas d'Algérie

I°/- A PARIS.-

Dès que ces personnalités religieuses sont arrivées à Paris, leur premier but a été de se mettre en rapport avec certains parlementaires musulmans.

C'est dans cet ordre d'idées que l'on signale deux réunions privées, tenues à l'Assemblée Nationale, entre la Délégation des Oulamas, d'une part, et quelques parlementaires, parmi lesquels BEN CHENOUF et MEKKI, respectivement députés de Constantine et d'Oran, et Mes ABDESSELAM et BOUMENDJEL, Conseillers de l'Union Française, d'autre part.

Il apparaît, de renseignements recueillis, que les Oulamas auraient, en plus de leur désir de voir réaliser la séparation du culte musulman et de l'Etat, l'intention d'intensifier leur propagande, en utilisant comme tremplin l'enseignement de la langue arabe et des sciences islamiques.

Si les réunions privées, dont il est fait mention, ont procuré quelques encouragements aux deux dirigeants de l'"ASSOCIATION des OULAMAS", par contre, l'abstention marquée par les parlementaires musulmans les a quelque peu déçus.

C'est pourquoi ils ont décidé de multiplier les réunions, tant à Paris qu'en province, et cela pour attirer le plus grand nombre de Musulmans séjournant en France, dans leurs rangs.

Afin d'atteindre cet objectif, doivent s'insérer les manifestations organisées à Paris, d'une part, et dans le département du Nord, d'autre part.

Au cours d'une réunion organisée à Paris, par les dirigeants de l'"ASSOCIATION des OULAMAS", ceux-ci ont insisté sur la nécessité de former une élite bilingue, susceptible de contribuer à l'épanouissement de la pensée franco-musulmane.

Sur le plan religieux, la séparation de la religion musulmane et de l'Etat, ont-ils affirmé, est de nature à affranchir l'intellectualisme musulman des principes millénaires, interdisant l'enseignement des sciences dîtes "modernes" (sciences créatrices) et de l'art culturel.

Dans le domaine politique, la nouvelle orientation donnée par les dirigeants à leur Groupement tendrait à resserrer les liens entre l'Algérie et le Moyen-Orient, et renforcer l'idée de la personnalité et de la dignité humaines, " sans lesquelles les peuples ne peuvent évoluer."

...../...

Notons que les dirigeants de l'"ASSOCIATION des OULAMAS" ont rencontré une sérieuse hostilité dans les milieux nord-africains, provoquée, à n'en pas douter, par les responsables du M.T.L.D.

Des militants M.T.L.D. ont tenu à être présents, à titre d'observateurs, aux réunions organisées par les Oulamas. Cependant, ils ont recommandé aux adhérents de s'abstenir d'y assister. Les Messalistes craignent que la propagande des Oulamas ne réussisse à attirer des Nord-Africains vers l'"UNION DEMOCRATIQUE du MANIFESTE ALGERIEN", considérée comme un transfuge de ce Groupement.

Par exemple, la présence du Sénateur MOSTEFAÏ, de l'U.D.M.A., parmi les orateurs, n'a fait que confirmer leurs craintes. Son intervention, au cours de la réunion organisée à Lille, a été appréciée de la façon suivante :
" MOSTEFAÏ a certes attaqué violemment le colonialisme,
" mais il s'est bien gardé de poser le problème de la pré-
" sence française en Algérie."

Les amis des Oulamas regrettent ce sectarisme et estiment qu'il a simplement pour origine un manque de formation politique. C'est la raison pour laquelle le responsable pour la France, YALAOUÏ, de Paris, doit contacter prochainement la Fédération de France du M.T.L.D., afin qu'elle fasse parvenir à ses sections, et à celles du Nord en particulier, des consignes sur l'attitude à observer vis-à-vis du Mouvement BACHIR BRAHIMI.

Gênés par le M.T.L.D., les Oulamas auront, en effet, les plus grandes difficultés à s'implanter dans la Métropole. Dans le cas contraire, ils pourront remporter quelques succès, mais sans obtenir toutefois -et ce n'est peut-être pas dans leurs intentions- la collaboration véritablement loyale et enthousiaste des Messalistes.

o

o o

2°/- A LILLE.-

Au cours d'une réunion organisée par ce Groupement, le 25 Novembre dernier, à la Salle du Conservatoire de Lille, en présence de 150 auditeurs nord-africains, le nommé YALAOUÏ, prenant la parole en français, a défini les

....../...

buts de l'"ASSOCIATION des OULAMAS".

" Fondée, dit-il, il y a plus de 20 ans, par BEN-
" BADIS, de Constantine, cette Association poursuit des
" buts culturels, et non politiques. Son programme peut se
" résumer ainsi : s'instruire, s'éduquer, s'unir, et c'est
" pourquoi elle a déjà créé en Algérie 150 écoles musulma-
" nes, fréquentées actuellement par 50.000 enfants.

" Les plus hautes personnalités de l'Association
" sont venues à Paris, pour porter le problème de la cul-
" ture et de la religion musulmanes devant l'opinion et
" les pouvoirs publics. Elles demandent, en effet, pour
" l'Algérie la séparation de la religion et de l'Etat,
" d'une part, et, d'autre part, la liberté effective de
" l'enseignement arabe."

Après avoir ainsi longuement justifié cette position, YALAOUÏ déclara, en manière de conclusion :

" L'Administration veut faire perdre aux Arabes
" l'usage de leur langue. Or, un peuple qui perd sa langue
" perd en même temps sa race, et est ainsi appelé à dispa-
" raître. Les brimades que nous subissons depuis 120 ans
" ont assez duré; nous voulons être libres.

" Ce que l'Administration ne fait pas, les Oula-
" mas le feront, par le peuple et pour le peuple."

Ce fut ensuite au Chef des Oulamas, BACHIR BRAHIMI de prononcer un discours en langue arabe. L'intéressé, après avoir fait l'apologie de l'Islam, énuméra les réalisations de l'Association et s'étendit sur les deux buts essentiels qu'elle se propose actuellement d'atteindre :

" Nous en avons assez, dit-il, de constater qu'un
" million deux cent mille de nos enfants ne peuvent fréquen
" ter les écoles. Nous ne voulons pas que ces jeunes Algé-
" riens deviennent des cireurs et, plus tard, des aventu-
" riers.

" Les Nord-Africains en France sont comme un grand
" étendard de soie, mais s'ils ne se montrent pas attachés
" à leurs origines et dignes de leurs grands ancêtres, cet
" étendard deviendra de lin."

o

o o

...../...

3°/- A VALENCIENNES.-

Une lettre-circulaire a été adressée à plusieurs Nord-Africains de Valenciennes, notamment des commerçants, pour les convier à une réunion, qui s'est tenue effectivement le 26 Novembre dernier. Cette lettre porte comme en-tête : "ASSOCIATION des OULAMAS MUSULMANS D'ALGERIE (Section de Paris)", et est ainsi libellée :

" Messieurs et Chers confrères,

" Vous n'ignorez pas le rôle éminent que joue,
" dans l'évolution de notre pays, l'"ASSOCIATION des OU-
" LAMAS". Ses réalisations s'étendent sur tout le terri-
" toire de l'Algérie et ses mérites ne sont plus à démon-
" trer.

" 150 médersas (écoles) fonctionnent, avec 50.000
" enfants, voués auparavant à l'ignorance et au dévergon-
" dage.

" Elle mène, d'autre part, inlassablement, une
" action pour la liberté du culte musulman et l'enseigne-
" ment de la langue arabe, ainsi que le retour à la com-
" munauté musulmane, de ses biens (mosquées et habous).

" Une délégation, composée de :
" - Cheikh BACHIR BRAHIMI, président de l'Association,
" - Cheikh Larbi TEBESSI, Vice-Président et Directeur de
" l'Institut Bendabisse, de Constantine,
" se trouve actuellement à Paris, pour soumettre à l'opi-
" nion publique et au Gouvernement Français les revendica-
" tions du peuple algérien, dans le domaine spirituel et
" culturel.

" Profitant de cette occasion, la section pari-
" sienne de l'Association a décidé d'organiser une série
" de réunions, dans les centres où se trouvent des colo-
" nies nord-africaines. Nous serions heureux de vous voir
" participer avec nous à sa réussite pour montrer, par
" notre cohésion, l'attachement à notre patrimoine natio-
" nal.

" Signé : YALAOUI".

o

o o

...../...

Notons, pour terminer, que jusqu'ici, les dirigeants de l'"ASSOCIATION des OULAMAS" n'ont pas donné la moindre conférence de presse, ni fait la moindre déclaration à des journalistes, comme ils s'étaient initialement proposé de le faire.

Signalons que, dans un but de vulgarisation, MM. BACHIR BRAHIMI et Larbi TEBESSI ont distribué, dans les milieux algériens, une brochure éditée en Algérie et très répandue dans les trois Départements, qui contient les principaux arguments militant en faveur de la séparation du culte musulman et de l'Etat.

Le PREFET, DIRECTEUR
des RENSEIGNEMENTS GENERAUX,

SURETE NATIONALE
DIRECTION des RENSEIGNEMENTS GENERAUX

الملحق رقم -7-

MINISTERE DE L'INTERIEUR

Direction Générale
de la
Sûreté Nationale

Contrôle général
des Affaires administratives
économiques et financières

N° I0254

Congrès des étudiants musulmans nord-africains.

REPUBLIQUE FRANCAISE

Paris, le 11 septembre 1934

LE MINISTRE DE L'INTERIEUR
-Direction générale de la sûreté nationale

à Monsieur le GOUVERNEUR GENERAL DE
l'ALGERIE

J'ai l'honneur de vous adresser, sous ce pli, aux fins utiles, copie d'une information relative au prochain congrès des Etudiants musulmans nord-africains.

P. le Ministre de l'Intérieur
Le Directeur général de la sûreté nationale

C.A.O.M 9 H 53 : rapport a monsieur le gouverneur général de l'Algérie , concernant le congrès des étudiants musulmans nord africains , le 11 septembre 1934 .

24 août 1934

Quelques membres de l'association des Etudiants musulmans de l'Afrique du Nord, dont le siège est à Paris, 16 rue Rollin, sont actuellement à Tunis à l'occasion des vacances d'été et préparent activement le quatrième Congrès de cette Association qui sera ouvert le 18 septembre prochain à l'Université de Khaldounia.

On sait que le premier congrès eut également lieu à Tunis, que le deuxième fut tenu à Alger dans les salles du Cercle du Progrès et que le troisième, prévu à Fez, fut interdit par le Gouvernement chérifien et dut avoir lieu à Paris du 26 au 29 décembre dernier, au Palais de la Mutualité.

Depuis quelques mois, une propagande intense est effectuée en France, et dans toute l'Afrique du Nord en faveur de ce congrès.

Celui-ci aura à étudier trois questions importantes au point de vue du développement de l'enseignement donné aux indigènes en Afrique du Nord.

1°- l'amélioration matérielle de la situation des étudiants de l'enseignement musulman en Afrique du Nord.

2°- l'enseignement secondaire moderne;

3°- l'enseignement musulman libre

La première question intéressant tout particulièrement les étudiants de la Grande Mosquée ceux-ci prendront une part très active au Congrès.

La deuxième intéresse plus spécialement les élèves musulmans des lycées et collèges.

La troisième est une question d'ordre général et a trait aux écoles coraniques.

Celles-ci ayant été en grande partie interdites en Algérie, ce sera un membre algérien du congrès qui fera un rapport sur la question.

D'autre part, le Congrès discutera de la situation matérielle actuelle de l'association. Celle-ci ne dispose plus que de fonds très

réduits en raison de la crise économique actuelle.

Dans le but de subvenir tout au moins aux dépenses nécessitées par le congrès, une soirée de gala est prévue pour le 1er septembre prochain à La Marsa.

L'Association reproche à la société des Amis de l'Etudiant de n'avoir organisé aucune manifestation cette année, et lui demandera un relèvement de la subvention qu'elle lui accorde annuellement en raison de ses besoins croissants.

Un mois après le congrès paraîtra le bulletin de l'Association pour l'année 1933-34. Ce bulletin contiendra les comptes-rendus des troisième et quatrième congrès de l'association./.

الملحق رقم -8-

التعليم العربي الاسلامي بالجزائر

محاولة القضاء عليه

ليشهد العالم وليسجل التاريخ

١

في هذا العصر الذي شاع فيه العلم بين سائر الأمم وأصبح حقا طبيعيا لكل انسان كيفما كان جنسه ولونه أن يطالب بنصيبه في العلم لتكمل بذلك انسانيته وتتهذب طباعه فيؤدي وظيفته في هذه الحياة كعضو نافع غير ضار في الهيأة الانسانية .

في هذا العصر الذي يسمونه عصر النور والمدنية في هذا الوطن المنكود الذي يعد من اغنى بلاد الدنيا بالاولاد المتشردين تستقفل المكاتب القرآنية وترصد المدارس الاهلية الدينية ويضرب على أيدي القراء ورجال الدين فيحال بينهم وبين اداء وظيفتهم التي هي نشر تعاليم الاسلام لأبناء المسلمين فما كادت تقرر العقوبة للمعلمين يوم ٨ مارس ١٩٣٨ حتى امعنت الحكومة المحلية في رجال الدين بالتهديد الغاشم والاستنطاق المرهق والتوقيف ثم باحالتهم كمجرمين على المحاكم الزجرية لا ذنب لهؤلاء الا انهم ينشرون الاسلام وفضائل الاسلام بين المسلمين .. فيالله من ذنب عظيم . ذنب عظيم هذا الذي يفسد الخطة الاستعمارية المرسومة التي ترمي إلى محو تعاليم الاسلام وتعطيل اللسان العربي في هذه الديار ليسهل التنصير والادماج والقضاء على العنصر العربي الذي عاش في هذا الوطن طيلة هذه القرون . تلك الخطة الماكرة التي كان من بوادرها الظهير البربري في بلاد المغرب والتكثير من مراكز التبشير بالمسيحية في بلاد القبائل وإبدال احكام الاسلام عندهم « وهم مسلمون بالقوانين الوضعية والعوائد العرفية حتى في الاحوال الشخصية .

هذه هي الحقيقة المكشوفة التي تتبعها السياسة الاستعمارية والتي فضحها أحد الساسة الفرنسيس في كتاب « روح السياسة » وبين خطأها وبين النتائج الوخيمة التي تنتج عن اتباعها في المستعمرات

ان من اوضح الادلة على ما قلنا ما نشاهده ويشاهده جميع الناس من عرقلة التعليم العربي ومضايقة القائمين به بشتى الوسائل الظاهرة والخفية في حين اننا نرى رجال الدين من الكاثوليك والبرتستان حتى التابعين لحكومات اجنبية منهم والمشعوذين من المنسوبين إلى الاسلام أهل التطبيل والتزمير وأكل الحيات والمسامير يتمتعون بكل حرية في حلهم وترحالهم. ان دعاة المسيحية يفتحون المراكز في كل جهة ويتنقلون في كل مكان ينشرون عقائدهم الباطلة وأضاليلهم بين المسلمين يصطادون الفقراء والايتام والارامل من النساء متخذين فقرهم ويتمهم وجهلهم وسيلة لتكفيرهم واخراجهم عن دينهم ذلك الدين الذي عاش عليه آباؤهم وأجدادهم من فجر الاسلام إلى اليوم والذي تعهدت الجمهورية الفرنسية بحمايته والدفاع عنه .

نعم تعهدت والتزمت وأكدت هذا الالتزام مرات في كل مناسبة على لسان رجالها المسؤولين . تعهدت بذلك على لسان قوادها العسكريين يوم دخولها للجزائر وأكدت ذلك الالتزام بتطبيق قانون فصل الدين عن الدولة على البلاد الجزائرية الصادر يوم ٢٧ سبتامبر ١٩٠٧ المفصل في قانون LE CODE ALGERIEN وهاك المواد التي تنص في صراحة ووضوح على ما ذكرنا :

المادة ١ الجمهورية الفرنسية ملتزمة بالمحافظة على حرية الاعتقاد وملتزمة بالمحافظة على حرية الأديان

المادة ١٨ لا حق للجمعيات الدينية إلا في التصرف في أمور الدين « وهذه المادة تدل على أن للجمعيات الدينية الحرية التامة في تسيير الديانة الاسلامية »

المادة ٢٩ لا يسوغ اعطاء دروس دينية للاولاد الصغار من سن ٦ الى ١٣ في أوقات قراءتهم بالمدارس الدولية الرسمية « وهذه المادة تدل على أنه يسوغ تعليم الدين للكبار مطلقا وللصغار ايضا الا إذا كانوا في الشيء المذكور، وفي أوقات قراءتهم في المكتب الرسمي أما في وقت الفراغ فلهم أن يتعلموا دينهم »

المادة ٣٠ كل من يهدد الناس أو يخوفهم أو يضربهم بقصد منعهم من القيام بشؤون دينهم يعاقب بغرامة قدرها من ستة عشر فرنك إلى مائتين وبالسجن من ستة أيام الى الشهرين

المادة ٣١ كل من يدخل على الناس في وقت اداء دينهم بقصد ايقافهم أو تعطيلهم يعاقب بما ذكر في المادة ٣٠

المادة ٤٢ كل قانون يعارض هذا فهو باطل .

هذا هو قانون فصل الدين عن الدولة الذي ينص في صراحة ان للامة الجزائرية المسلمة الحرية التامة في تعلم دينها ولغة دينها

ونستطيع أن نقول بكل صراحة ان جميع المكاتب القرآنية في القطر الجزائري ما هي الا اماكن متواضعة أنشئت بقصد تعليم القرآن وبعض قواعد أولية للديانة الاسلامية فهي جديرة بأن يطبق عليها قانون فصل الدين عن الدولة المذكور وتعفى من طلب الترخيص والاعنات احتراما لهذا الدين ورجاله وابقاء للسمعة الحسنة التي تتمتع بها الامة الفرنسية في العالم الاسلامي

نحن لانجهل قانون ١٨٩٢ المتمم لقانون ١٨٨٦ الذي يوجب على المعلمين طلب الرخصة ونعلم ان العقوبات المنصوص عليها في قانون ١٨٨٦ هي التي وقع تطبيقها على المعلمين الاحرار بالجزائر يوم ٨ مارس من هذا العام . لاكننا متمسكون بقانون فصل الدين عن الدولة الذي يعطي الحق للمسلمين في تعليم وتعلم دينهم لانه هو القانون الموافق لما تعهدت به الجمهورية الفرنسية من حماية الاديان ولانه صدر سنة ١٩٠٧ ونص في مادته ٤٢ على ابطال سائر القوانين المعارضة له المتعلقة بالديانة التي سبقته فقانون ١٨٩٢ الذي يراد تطبيقه على الجزائر الآن مع زيادة العقوبات هو منسوخ بالقانون المذكور

ونعلن لكافة المعلمين والجمعيات الدينية أن يدافعوا لدى المحاكم الابتدائية والمحاكم العليا عن حقهم الذي خوله لهم القانون حتى يرجع الحق إلى نصابه ولا يستسلموا فان في ذلك القضاء المبرم على ما بقي بين أيدينا من إيمان والسلام فالله الله في دينكم أيها المسلمون .

محمد خير الدين

المراقب العام لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين

---

[1]- **البصائر** : العدد 115 ، 27 ماي 1938.

الملحق رقم -9-

محاضرة قيمة

في المؤتمر الدولي للكتاب الأحرار

٢

خامسا — ان وسائل نشر العلم في الغالب ثلاثة الصحافة، والمدارس، والمجتمعات، أما الصحافة فى الجزائر أيها السادة فلم تتمتع بجزء في المائة من حرية هذا القرن الزاهر سيما العربية منها فهذه الاخيرة مقيدة بقيود أحكم وأضغط من ذات المسجون؛ ويمكن أن تدركوا ذلك بسهولة إذا علمتم أن مجرد جرة قلم من الوالي العام يعرضها على وزير الداخلية على سبيل التبرك ! ينسف بها أي صحيفة شاء نسفا من دون محاكمة ولا أدنى استفسار، واعجب من هذا أيها السادة أن للادارة أن تعطل صحفا قبل بروزها كما وقع لجمعية العلماء فى جريدتها (الصراط) إذ المرسوم الصادر ضدها ينص بأن كل صحيفة تصدرها الجمعية فهي معطلة من الان بمقتضى هذا المرسوم. ومعنى هذا أيها السادة محاكمة ومدانة مظلوم قبل أن يخلق ويشارك أهل هذا الكون فى الخير أو الشر فما أفظعه من ظلم !

وأما المدارس فقد علمتم أن مليونا إلا مائة الف؛ من أبناء الاهالي فى الجزائر محرومون من البقع فى المدارس الرسمية، وأفظع من هذا أن الادارة تعاكسنا بل تمنعنا من فتح المدارس الحرة على نفقتنا - لتعليم اللغة العربية - .هذه اللغة التي إذا حاربها الاستبداديون فإن أهل العلم والعقل لا ينكرون فضلها، إذ ما من أمة متمدنة اليوم إلا وأخذت مباشرة أو بواسطة أصول الفنون والمخترعات وأنواع العلوم من هذه اللغة التي هى أستاذة العالم المتمدن - والتاريخ يشهد - فكيف نسيء اليها إذن وهى عضو فى جسم الثقافة ولو احتقرنا أهلها ظلما

وأما المجتمعات -أيها السادة- فمحلاتها عندنا «المساجد» لانها تقوم مقام النوادي عند الغير فى تربية الامة بالدروس والمحاضرات وغايتنا فيها تهذيب أخلاقها حتى تصبح عضوا صالحا للنفع والانتفاع في هذا المجتمع البشري وتقويم عقيدتها حتى ترمي بتلك الارباب الكثيرة التي كانت تعبدها- عرض الحائط ويبقى رب واحد للناس كلهم .... على حد سواء يريد منهم أن يفعلوا الخير وأن يكفوا عن الشر، هذا ومن جهة اخرى محاربة ما لصق بهم من خرافات FANATISME ينسبونها (أسيادهم) المرابطون إلى الدين وهى ليست من الدين فى شيء ويلاحظ هنا أن هذه الخرافات FANATISME المنتشرة في المسلمين بواسطة المرابطين إنما كانت بايعاز وإعانة قوية من الكولون، وغاية الكولون فى ذلك استعمال اولئك الخرافيين عند الحاجة ضد الديموقراطيين لمصالحهم الشخصية المعلومة

سادسا — ماذا نتج بعد أن حاربت الادارة والكولون هذه الوسائل الثلاثة لنشر العلم ؟ نتج ما يدعى الآن القلق الجزائري الذي يحاول الكولون أن ينسبوا منشأه تارة إلى التشويش وطورا إلى الجوع، والواقع خلاف ذلك على خط مستقيم، أما التشويش فهذه كلمة فارغة يراد به التغليط فقط، وأما المجاعة فرغم كونها موجودة فهي جزء صغير بالنسبة الى العامل الحقيقي الذي هو مجاعة العقول -- فالجزائر اليوم — أيها السادة اذا أردتم أن تعرفوا حقيقتها التي لاتقبل الشك فاعلموا من الان أنها تريد خبزا وغذاء لعقلها أولا وقبل شيء؛ وهذا الغذاء هو ما يسميه الجميع بالحرية؛ وأما دور غذاء الاجسام فرغم كوننا فى حاجة طبيعية اليه فإننا نضعه في درجة ثانية

سابعا — إن الشعب الجزائري باجمعه، يعد نفسه؛ لا مظلوما فقط ولكنه أصيب فى الصميم مادام محاربا في هذه الوسائل العلمية الثلاث — الصحافة، المدارس الحرة للعربية، المساجد — وماذا يريد إذن بصفة مستعجلة ؟ يريد حرية الصحافة، حرية التعليم بالعربية، فتح المساجد لا للرابطين وأعوان الكولون فقط — ولكن للعلماء الاحرار أيضا، ويريدون إيجاد مدارس رسمية للمليون العاطل من الاولاد، وهى في مطالبها هذه لا تتوجه الى الحكومة وحدها؛ ولكن الى الشعب وجميع الاحرار أيضا، فاذا قام كل بواجبه حسب مواهبه؛ فان معنى الانسانية يكون لا مجرد دعوى؛ ولكن حقيقة واقعة، يتمتع بثمرتها الجيل الحاضر وينسحب اثرها نحو الاجيال المقبلة؛ وما ذلك على همم الاحرار بعزيز — .

خاتمة — أيها العلماء الاحرار انكم بموجب الواقع؛ رسل الرحمة، بالسنتكم وأقلامكم، وأن أحوج الناس الى الرحمة الضعيف؛ وما أحوجه الى السنتكم وأقلامكم قبل حاجته الى السيوف والقنابل؛ ورب كلمة حافظت على السلام ورب جرة قلم ساقت الى البشرية الامان، فحدوا السنتكم؛ وابروا أقلامكم لحصد أباطيل المجرمين؛ وايقاظ غفلة النائمين فانا معكم لا من القائلين؛ ولكن من العاملين

والسلام عليكم باسمي وباسم الجزائريين

الفضيل الورتلاني

حديث المتجول

- ٤ -

فى بسكرة

هى مدينة عربية تاريخية قديمة تقع في الجنوب القسنطيني. ذات هواء معتدل ومنظر وسط تجد فيها حركات متعددة فى نواحي الحياة متفاوتة فى الترقي والانحطاط .

ترد عليها العرب البدوية من أقصى الزيبان الصحراوية لانها هى المركز التجاري الجامع لسكان خط الصحراء

بيد أن داخلها أول ما يتجول فى شوارعها يقع فى المحلات المعدة للفسق والفجور والفساد وصيد العباد الى بيع الاخلاق بابخس الاجور. وانها لاساءة عظيمة من بلدية المدينة في ذلك العمل القبيح الذي غفلت أو تغافلت عنه ولم تبادر الى تحويله حيث لا يطلع عليه الزائر ولا يكون عرضة لكل مار في الطريق وعساها فاعلة ....

وبسكرة كانت ولا تزال مقرا للافكار العالية والمجامع العلمية ومركزا للتطورات الفكرية والحوادث الادبية .

وأهالي بسكرة الان من أكبر الناس خدمة للاصلاح فى جميع نواحيه وأكثر العاملين على نشره بين الطبقات المختلفة وتفانيا في نصرته وتضحية على حياته

دخلت بسكرة ومكثت بها أربعة أيام متتابعة ثم بقيت أتردد عليها بعد رجوعي من

1- **البصائر** : العدد 101 ، 25 فيفري 1938.

الملحق رقم -10-

15 décembre 1936

Gouvernement Général de l'Algérie
DIRECTION GÉNÉRALE DES AFFAIRES INDIGÈNES
...
CENTRE D'INFORMATIONS ET D'ÉTUDES

LISTE DES PRINCIPALES ASSOCIATIONS MUSULMANES
EXISTANT A ALGER.

SECRET

- ASSOCIATION DES OULEMAS D'ALGERIE: Association de lettrés musulmans algériens, de formation exclusivement orientale, qui, sous couvert de défense, d'épuration et de rénovation de l'Islam, de diffusion et d'enseignement de la langue arabe, poursuit un but essentiellement nationaliste-musulman, en opposant la civilisation orientale à la civilisation occidentale.

    Siège social: Cercle du Progrès, 9 place du Gouvernement

    Président: BENBADIS Abdelhamid, de Constantine

    Vice-Président, BACHIR BRAHIMI de Tlemcen

    Membre assesseur le plus connu: Tayeb EL OKBI, résidant à Alger - Prédicateur réputé, Directeur du journal "El Bassaïr" organe de l'Association.

- CERCLE DU PROGRES: Cercle à tendance nationaliste, siège social de l'Association des Oulémas et de la Société Musulmane de bienfaisance "El Kheïria".

    Président: BEN M'RABET

    Conseil d'Administration comprenant, avec le cheikh Tayeb EL OKBI une majorité d'OULEMAS.

- CERCLE "NADI EL ISLAH": Cercle à tendance nationaliste, dirigé par Tayeb EL OKBI et qui n'est, en fait, qu'une succursale du Cercle du Progrès.

    Siège social: Rue Edmond Rostand, à Belcourt.

    Président: Mohammed ben el BEY, de l'Association des Oulémas.

- SOCIETE D'EDUCATION SOCIALE DE LA JEUNESSE MUSULMANE "ECH CHABIBA": Société créée par l'Association des Oulémas, qui y fait donner un enseignement essentiellement nationaliste.

    Siège social: Rampe Vallée à Alger.

    Président: DAMARDJI Mohammed, employé au Crédit Foncier.

....

C.A.O.M. 4 i 66 .liste des principales associations musulmans existant A Alger le 15 décembre 1936

- SOCIETE DE BIENFAISANCE ET D'EDUCATION DE L'ENFANCE MUSULMANE "ES SAADA" : Consulter note communiquée le 28 Novembre 1938, au sujet de cette société.

- SOCIETE "EL ISLAH": Société qui a pour but l'éducation sociale de l'enfance musulmane et l'enseignement de la langue arabe.

Siège social: 45, Clos Salembier, à Alger.

Président: HOUADJELI Omar, contrôleur aux T.A.

Conseil d'Administration dont les membres sont tous acquis à la doctrine réformiste des Oulémas.

- SOCIETE DE BIENFAISANCE MUSULMANE "EL KHEIRIA": Société importante, qui a pour but de secourir matériellement et moralement les indigènes nécessiteux. Créée par l'Association des Oulémas, cette Association est à tendance nettement nationaliste et est un moyen de propagande des idées réformistes dans les milieux indigènes.

Siège social: Cercle du Progrès, 9 Place du Gouvernement.

Président: Taïeb EL OKBI

Vice-Président: TOUFIK EL MADANI.

- CERCLE DE LA JEUNESSE MUSULMANE: Ex-"Société d'Entr'aide Kabyle".

Siège social: 3, Place de Chartres

Président: Cheikh Saïd Abouyala, imam de la Mosquée Sidi Ramdan et président de la commission administrative permanente des Oulémas.

Le cheikh Taïeb EL OKBI a pris la parole, lors d'une réunion tenue au siège de la société, en Octobre dernier, mais des conférences y sont faites actuellement par le cheikh AZZEDINE, qui paraît hostile aux Oulémas.

Opinion réservée pour l'instant, en ce qui concerne les tendances de ce Cercle.

- SOCIETE MUSICALE "EL MOUTRIBIA": Cette importante société a pour but la protection et le développement de l'art musical arabe.

Lors de son voyage en France, l'été dernier, cette société a prêté son concours aux manifestations de l'Etoile Nord-Africaine de Paris.

Président: MAHIEDDINE BACHTARZI, chanteur algérien réputé et organisateur de nombreuses tournées théâtrales en Algérie.

....

- SOCIETE MUSICALE "EL ANDALOUSIA": Société assez importante, n'ayant jamais donné lieu à des remarques défavorables.

Siège social: 3, rue Juba

Président: M. KRIEF, bijoutier, 2 rue Juba.

- SOCIETE MUSICALE ET LITTERAIRE "EL MOSSILIA": Poursuit la rénovation de la musique hispano-mauresque, programme qui comporte une arrière-pensée de nationalisme, les morceaux de musique exécutés étant les thèmes favoris de la jeunesse des pays musulmans d'Orient.

Siège social: 19, rue Randon à Alger.

Président : M. Ali Hariz -

- SOCIETE MUSICALE "EL DJEZAIRI-GHERNATIA": Société peu importante, ayant prêté son concours à la fête organisée récemment par le DAR EL ASKRI d'Alger.

Siège social: Cercle du Progrès, 9 place du Gouvernement

Président: KHODJAT EL KHIL, oukil judiciaire (1935).

Directeur: M. TEFAHI

- SOCIETE SPORTIVE "MOULOUDIA CLUB ALGEROIS" : Importante société sportive musulmane, qui tient à conserver sa formation essentiellement musulmane et s'oppose, comme la plupart des sociétés sportives musulmanes, à la fusion entre éléments européens et indigènes.

Siège social: Cercle des Sports, Place de la Pêcherie.

Président d'Honneur: M. TIAR, Conseiller municipal

Président actif: M. BENSIAM

- SOCIETE SPORTIVE "AVANT-GARDE VIE AU GRAND AIR": Société sportive d'activité moyenne, prêtant son concours aux fêtes données par des sociétés indigènes telles que "La Chabiba", "EL Khefria", etc...

Siège social: 7, rue Bisson

Président: M. Akaoui

Directeur Général: ABDALLAH ben MOHAMMED, Lieutenant de réserve.

- ASSOCIATION "LES ANCIENS TIRAILLEURS DE L'AFRIQUE DU NORD": Cette association a formé, en Mars 1936, un comité provisoire présidé par les Colonels IMBERT, MULLER et RICHIER.

Renseignements excellents à tous points de vue.

الملحق رقم -11-

COPIE

GENEVE, Le 26 Octobre 1936

Bien aimé MESSALI,

Je reçois maintenant votre aimable lettre qui m'a réjoui énormément. Il y a quelques jours j'ai répondu à la lettre rédigée en bon arabe que j'ai reçue de la Section de l'Etoile Nord-Africaine de Tlemcen et les ai priés de vous dire beaucoup de choses de ma part. Craignant que ma lettre ne soit pas parvenue, j'ai écrit une seconde fois à la section. En effet, vous me manquez énormément, mon très cher MESSALI, pour lequel j'ai une affection paternelle et une estime immense. Je vous félicite pour les témoignages de sympathie que vous recevez de presque tout le monde. Oui, mon Dieu ne vous aime et ne vous estime pas? Pour les Béni-Oui Oui, ceux-ci aussi ne vous détestent pas au fond, mais ils sont poltrons. Vos vrais ennemis sont cette triste fraction qui se dit musulmans français "qui combat l'islamisme et la culture arabe, tout en portant le nom de Musulmans", et il n'y a pas de plus dangereux à l'Islam que cette fraction. Il n'est pas nécessaire, pour prouver sa loyauté à la France, de combattre sa propre culture. La France n'a rien à gagner à recruter des amis parmi ces renégats compromettants pour elle. Les amis de la France ne peuvent lui être précieux que s'ils sont des "musulmans musulmans".

Je suis si heureux que l'Etoile Nord-Africaine compte déjà , grâce à vous, trente sections. Elle se ramifiera davantage pour la confusion des faux prophètes. A votre rentrée à Paris, ne tardez pas à venir vous reposer chez nous, à Genève, et si Ali est avec vous, tant mieux. Dès que vous recevrez cette lettre, ayez l'amabilité de m'écrire deux lignes, au moins, pour me dire si elle vous est parvenue. Car je reste toujours inquiet pour mes lettres. J'ai reçu le dernier numéro d'El Ouma et merci pour les mots aimables qu'il y a pour moi.

Toute ma famille se rappelle de vous et tout mon entourage et avec une grande admiration. Mon collègue est depuis une semaine à Paris, à sa rentrée je lui transmettrai vos salutations.

J'ai des raisons de croire qu'avant ma mort je verrai une colonie arabe musulmane s'installer en Espagne. C'est un rêve pour lequel j'ai bien soupiré. Il se réalisera.

Et recevez, bien affectionné MESSALI, l'expression de mes sentiments paternels et de ma très haute estime pour vous.

ARSLAN
11 - rue Marignac

C.A.O.M. 9 H 47

Lettre de Arslan à messali

le 26 octobre 1936 .

الملحق رقم -12-

La Justice – 17 Août 1937

Le programme du P.P.A.

Une interview de M. Messali

N.D.L.R.. Pour permettre à nos lecteurs de confronter les diverses conceptions politiques qui s'opposent actuellement en Algérie, nous avons cru utile de poser au chef du P.P.A. trois questions auxquelles M. Messali Hadj a bien voulu répondre par l'article ci-après que nous donnons in-extenso.

Il va sans dire que nous ne nous sommes livré là qu'à une simple tâche d'information et que la réponse de M. Messali — que nous publions simplement à titre documentaire — n'engage en rien la politique de notre journal qui demeure «Front populaire» malgré nos démêlés avec les Communistes.

* *

C'est avec plaisir que je veux bien répondre aux trois questions suivantes que vous avez bien voulu me faire l'honneur de me poser.

Quel est votre programme politique ?..

Que pensez-vous du Congrès ?

Espérez-vous arriver à une entente avec le Congrès ?

Réponse :

Bien des fois au cours de mon action, dans les réunions publiques devant les juges d'instruction, dans [...] les colons, mais pour l'ensemble de la population algérienne sans tenir compte ni de sa race, ni de sa religion.

Lorsque nous demandons la transformation des Délégations Financières en un Parlement Algérien, ce n'est point là, l'indépendance de l'Algérie que nous réclamons, mais la transformation en actes des principes répu[bli]cains de liberté, égalité, fraternité.

L'Algérie musulmane est un peuple, ayant sa langue maternelle, sa religion, son passé glorieux, ses penseurs, ses héros et ses traditions islamiques. Nous restons aujourd'hui malgré la colonisation, attachés très fortement à ce passé, et nous travaillons précisément en nous inspirant de ce passé pour préparer un avenir digne de lui. Non seulement l'indépendance est un fait naturel qui d'ailleurs se trouve ancré dans le cœur de chaque musulman algérien, mais c'est un droit qui nous est reconnu par la France de la monarchie elle-même, qui lors de son débarquement à Sidi-Ferruch a déclaré par la voix du général en chef de Bourmont, déclaration connue sous le nom de la Convention du Cinq Juillet 1830 et qui dit : « l'exercice de la religion Mahométane restera libre, la liberté de [...] liste, ni chauvin, ni raciste; c'est le nationalisme libérateur qui ressemble à celui des révolutionnaires français de 1789 et qui lutte contre l'impérialisme, contre le racisme dont nous sommes victimes et contre le féodalisme qui ravage notre pays.

Notre religion l'Islam, comme notre mouvement politique, sont avant tout démocratiques et à ce sujet, nous n'acceptons des leçons de personne et hi[er] moins de Monsieur Boukort.

Notre nationalisme est non seulement un fait naturel, mais il trouve journellement sa raison d'être dans l'intransigeance des gouvernements précédents et dans l'indifférence des gouvernements actuels.

Dans mon propre pays, je n'ai pas trouvé où loger parce que je suis arabe. Le racisme dont nous sommes victimes toute la journée, lorsque nous voyageons, lorsque nous avons affaire à l'Administration, lorsque nous voulons aller chez certains coiffeurs, lorsque nous allons à l'hôtel, est pour nous une intolérable humiliation qui tient notre nationalisme en éveil.

N'est-ce pas du racisme, Monsieur le Directeur, losqu'en plein Paris ville Lumière et ville de la Révolution, il y a un hopital spécial pour [...] politique de compréhension réelle [...] [...]oration ou l'autonom[ie ...] [...]ique, financière et administrative [...] chacun serait respectée.

L'idée de l'empire français avec un système de Dominions ou de f[édéra]tion existe en France et certains hommes digne de considération et qui on[t] du bon sens politique la préconisent. Mais la France d'aujourd'hui, il faut le dire, n'attache pas une grande importance au problème colonial, elle poursuit une sorte de politique de petite semaine qui, franchement, ne répon[d] plus aux exigences de ce probl[ème] autour duquel s'agitent tant d'autres questions.

Le gouvernement du front populaire, a l'année dernière à cette époque, reconnu l'indépndance de la Syrie et a couronné cet acte par l'alliance entre la Syrie et la France.

L'Angleterre, qui est une grande puissance coloniale, a abordé ce problème et déjà elle a reconnu l'indépendance de l'Irak, de l'Egypte, ave[c] lesquels elle a contracté des allianc[es].

Nous voulons nous aussi, voir no[]tre pays sans pour cela se séparer [de] la France, suivre le même chemin q[ue] la Syrie, l'Irak et l'Egypte.

Est-ce être antifrançais, est-ce-vo[...]

La justice le 17Aout 1937.

actio

devant les [illegible] ces entretiens, j'ai expliqué avec précision notre programme politique. Je suis heureux aujourd'hui d'exposer une fois de plus ce programme pour l'opinion publique générale de notre pays.

Nous n'avons mes amis et moi, jamais caché notre conception politique en ce qui concerne le problème algérien. Notre programme se compose de deux parties : La question des revendications immédiates pour la réalisation desquelles nous n'avons jamais cessé de lutter.

Celles-ci peuvent se résumer en l'application des libertés démocratiques, des lois sociales et ouvrières, ainsi qu'en l'application de la loi de 1905 sur la séparation de l'Eglise et de l'Etat, et la restitution des biens de main morte (Habous) et leur gérance confiée à l'Islam.

Point n'est besoin d'expliquer dans leur détail ces revendications immédiates et démocratiques, cependant une précision s'impose pour éclairer notre point de vue.

Les libertés démocratiques, pour lesquelles luttent tous les Républicains, pour lesquelles a été créé le front populaire auquel nous avons participé depuis 1934, se traduiraient en Algérie dans leur application par le suffrage universel dans toutes les assemblées algériennes (Conseil général, délégation financière).

De ce fait les délégations financières se transformeraient automatiquement en un Parlement Algérien élu au suffrage universel sans distinction de race

toutes les classes d'habitants, leur religion, leur propriétés, leur commerce et leur industrie, ne recevront aucune atteinte, leurs femmes seront respectées; le général en chef, en prend l'engagement sur l'honneur. »

Ce traité en somme, sobre par lui-même entre le représentant de la France et son Altesse le Dey d'Alger est un acte officiel qui sauvegarde non seulement notre religion, nos terres, notre industrie, notre commerce, mais c'est encore une garantie de notre dignité nationale et de notre personnalité civique.

Puis encore la présence de la France en Algérie ne peut s'expliquer juridiquement que par l'émancipation de notre pays, et de son élévation au rang des nation majeure, jouissant de sa liberté et de sa destinée.

En outre, nous voyons actuellement dans notre pays des partis politiques travailler pour le triomphe de leurs idées.

Il y a bien un parti communiste arabe soi-disant libre et indépendant qui travaille pour instaurer une république soviétique, et pour cela, il emploie tous les moyens, y compris le Congrès dit Musulman Algérien, les Oulamas, les Marabouts et les Aissaouas, comme l'a dit un certain communiste qui est venu m'apporter la contradiction à Oran. Il y a également des anarchistes, et combien d'autres représentants d'autres conceptions.

On trouve cela très naturel, mais pourquoi s'acharner alors, contre les nationalistes qui luttent pour le triom-

comme des lépreux, les travailleurs arabes, et un service spécial de police connu sous le nom de « service de la rue Lecomte » qui aggrave et qui complique à l'infini, la vie de mes compatriotes exilés volontaires.

N'est-ce point encore du racisme, lorsque dans des usines et à St. Etienne ainsi qu'il m'a été possible de le constater, on peut voir des ouvriers arabes renvoyés et remplacés par des étrangers.

Aujourd'hui même, en l'an de grâce du front populaire, nous continuons à subir ces mesures racistes et impérialistes et les ouvriers pour aller en France, déboursent 125 francs au port d'embarquement, et subissent les vexations les plus dures.

Demain, en cas de guerre, la France nous dira une fois de plus, défendez avec moi, le Droit et la Civilisation, mais elle continue jusqu'aujourd'hui, à refuser les allocations familiales qui sont en somme, le biberon de lait pour nos enfants.

Bien des choses encore, à vous dire, mais laissons cela pour une autre fois.

Quant à l'indépendance de l'Algérie, celle-ci doit se faire avec l'aide de la France, comme d'ailleurs c'est son devoir de nation émancipatrice. Cette émancipation est en train de se faire tous les jours et nous voulons quant à nous voir la France reviser sa politique et aborder le problème avec plus de sérieux, de compréhension et avec plus d'humanité pour que

[illegible] jeter les français à la mer que de réclamer l'émancipation de son pays.

Nous connaissons les Français, il y a à peu près 20 ans que je vis avec eux, je dis que c'est un grand peuple qui possède devant lui 2.000 ans d'activité politique, économique et culturelle. C'est un peuple qui a fait plusieurs révolutions et qui a proclamé la liberté pour tous. Comme les français, j'aime bien mon pays, j'aime bien ma langue maternelle, j'aime bien mes traditions Islamiques et je travaille pour le faire sortir de cette situation lamentable. Je veux qu'il puisse par son travail, par sa culture, bénéficier des richesses de son sol et jouir entièrement de sa liberté.

Quant à la question du Congrès, elle fera l'objet d'un article qui paraîtra si vous le voulez bien, dans votre prochain numéro.

Messali Hadj

الملحق رقم -13-

Le Jeune Musulman

Directeur-Gérant : Atallah SOUFARI
Administration-Rédaction
12, rue Pompée :-: ALGER
Téléphone : 278-17

1re ANNEE — N° 7
C. C. P. 1013-35
PRIX : 20 francs

Vendredi 17 octobre 1952
27 Moharem 1372
Bimensuel

Organe des jeunes de l'Association des Oulamas musulmans d'Algérie

HISTOIRE D'UN ENSEIGNEMENT COLONIALISTE

par Mohamed-Cherif Sahli

Chaque année, à la rentrée d'octobre, les journaux de la colonisation font un étalage publicitaire de la « libération intellectuelle » des musulmans algériens.

Le « Journal d'Alger » s'est particulièrement surpassé dans la falsification des faits. Nous ne sommes pas des « idiots » ni des « renégats » comme nous qualifie calomnieusement l'organe impérialiste et esclavagiste.

Voici notre réponse. — J. M.

On a souvent avec raison souligné le bluff publicitaire du plan de scolarisation de l'enfance algérienne.

Qu'une partie des crédits votés chaque année soit systématiquement inutilisée, cela prouve nettement que ce plan est saboté par ceux-là mêmes qui ont pour mission de le réaliser.

C'est là une de ces contradictions qui se multiplient au sein de l'impérialisme décadent. La poussée du mouvement de libération nationale le contraint à faire des réformes dont il mesure les dangers et dont il s'efforce d'annuler par avance les effets. Il connaît mieux que personne le pouvoir d'émancipation sociale et nationale que recèle la science.

Il est évident que, posé en termes corrects, le problème de la scolorisation n'offre aucune difficulté insurmontable. Il est possible en quelques années d'extirper radicalement l'analphabétisme. Point n'est besoin pour cela de recourir à de grands moyens techniques ni à d'énormes budgets. Il suffit de mobiliser toutes les bonnes volontés. C'est ce que prouve d'une manière décisive l'exemple des Républiques soviétiques d'Asie et celui du Viet-Nam.

Demander un tel effort au colonialisme ce serait exiger de lui qu'il se suicide. L'analphabétisme est pour lui un auxiliaire. Depuis cent vingt deux ans les plans de scolorisation se succèdent, le nombre des analphabètes s'accroît avec la population. Les enfants d'âge scolaire passent de 70.000 en 1908 à plus de 1.500.000 aujourd'hui.

Le plan actuel, même correctement appliqué, serait insuffisant à absorber l'excédent annuel des naissances.

Mais l'analphabétisme total ne serait pas une solution. Le colonialisme a besoin d'agents et d'intermédiaires susceptibles de le seconder dans sa politique. La difficulté, c'est de créer un enseignement strictement adapté à ses vues et à ses besoins. Ses tentatives à cet égard ont été nombreuses et décevantes, parce que les résultats ont été souvent à l'encontre des intentions.

I. — L'ENSEIGNEMENT ALGERIEN AVANT 1830

On sait qu'il est courant dans la propagande colonialiste de répéter qu'avant 1830 il n'y avait pas d'écoles en Algérie. Assertion fausse et qui ne résiste pas à l'examen puisqu'un auteur français évaluait à plus de 30.000 le nombre des jeunes algériens fréquentant les écoles avant la conquête. Bien plus il n'est pas arbitraire de considérer cette estimation comme étant au-dessous de la vérité. En effet les médersas et les zaouïas n'étaient pas les seuls établissements scolaires, puisqu'elles représentaient les enseignements supérieurs et secondaires. En réalité, il n'y avait pas en Algérie un seul village qui n'eût son école primaire où le maître dispensait en même temps que l'instruction religieuse quelques connaissances élémentaires. (1). Hanoteau a même signalé un village kabyle (2) où l'instruction était obligatoire sous peine d'amende et dont les Kanoun disaient: « Si un individu a un fils et laisse passer une année après que ce fils a changé de dents sans lui faire apprendre à lire, il paye un rial d'amende ». Et Hanoteau pouvait ajouter que c'était là une magnifique leçon donnée par un peuple prétendu barbare puisqu'en France il fallut attendre la fin du 19e siècle pour proclamer le principe de l'obligation scolaire.

Ce qu'il est juste de reconnaître c'est que cet enseignement laissait beaucoup à désirer. Il avait besoin d'une réforme profonde pour le dégager du formalisme scolastique. Mais les écoles existaient. Il ne s'agissait que d'améliorer la qualité des maîtres en les initiant aux disciplines modernes et en les faisant participer aux grands courants de la pensée scientifique surgie de la Renaissance.

Mais la conquête française n'épargna pas plus notre patrimoine intellectuel que notre patrimoine matériel. La confiscation des habous porta un coup mortel à cet enseignement.

II. — L'ECOLE DES NOTABLES

Une fois l'enseignement national des Algériens détruit, il restait aux conquérants à déterminer la nature et les limites de l'enseignement qu'ils entendaient créer en fonction de leurs objectifs économiques et politiques. Longtemps ils s'en tinrent à des initiatives isolées, parfois même individuelles.

En 1837 on ouvrit à Alger une école d'adultes. Vingt ans après, en 1857 furent créés à Alger et Constantine deux collèges arabe-français recevant chacun 100 internes algériens dont l'entretien était assuré par les centimes additionnels de l'impôt arabe.

Selon Hamet (3) ces élèves étaient choisis parmi les fils des chefs de familles ralliées à la France, les enfants de militaires, d'employés, de fonctionnaires, de caïds et de notables des villes. Le plus curieux c'est que « ces amis de la France » n'apprécièrent pas les résultats obtenus, Hamet pouvait écrire : « Beaucoup de parents

(1) M. Emerit, dans « L'Algérie à l'époque d'Abdelkader ». reconnaît avec Urban et Esterhazy, qu'en 1830 il y avait moins d'illettrés en Algérie qu'en France.

(2) Ighil Guiken.

(3) « Les Musulmans français de l'Afrique du Nord. »

(*Suite page 4.*)

Histoire d'un Enseignement Colonialiste

(Suite de la première page.)

considéraient leurs enfants ainsi retenus, comme des répondants de leur fidélité, comme des otages qu'ils reprenaient dès qu'ils en obtenaient licence : après deux, trois, quatre ou cinq ans ».

Un tel échec ne pouvait que renforcer les partisans du royaume arabe, hostiles à l'instruction des Algériens.

III. — L'ECOLE DES COLLABORATEURS

Après 1870, sous l'influence des événements et de faits nouveaux, la situation se modifia, contraignant les dirigeants français à un effort systématique. D'une part le développement de la colonisation et du peuplement européen exigeait une main d'œuvre ayant quelques notions pratiques et une connaissance élémentaire de la langue française. D'autre part l'insurrection nationale de 1871 avait montré que l'esprit de résistance demeurait vivace chez le peuple algérien imposant ainsi le recours à d'autres méthodes de lutte, aux méthodes psychologiques et idéologiques. La diffusion de l'instruction française apparut à certains esprits comme le moyen approprié à cette fin.

Cette lutte contre l'âme algérienne fut la première forme de la politique d'assimilation politique, qui ne visait pas à franciser notre peuple, mais à annihiler sa résistance en empêchant la formation d'élites authentiques.

Les premières expériences portèrent sur les couches sociales nées de la collaboration. On renonça à la ségrégation raciale dans les écoles. Et en 1872 on transféra au lycée d'Alger les boursiers algériens des collèges arabes-français. On espérait assimiler ces enfants en les mêlant à leurs camarades européens.

Il n'est pas douteux que cette politique enregistra quelques succès en donnant au colonialisme selon le mot de Hamet, « des auxiliaires entièrement ralliés dont le concours précieux était largement récompensé et la fidélité soutenue ». Officiers, instituteurs, médecins magistrats et interprètes ces hommes avaient été élevés dans l'ignorance de leur histoire nationale le mépris de leur race et l'admiration de tout ce qui était français. Ils servirent le colonialisme avec l'ardeur du néophyte ou, si l'on veut, du renégat. Ils furent des auxiliaires précieux dans la conquête du Maroc, contribuant ainsi à altérer la sympathie fraternelle que le peuple marocain éprouvait autrefois pour nos compatriotes. Jean Jaurès lui-même releva le fait au cours de sa célèbre campagne en faveur de l'indépendance marocaine.

Aujourd'hui il est peu de survivants de cette génération d'assimilés. Vieux débris d'une époque révolue ils ont subi malgré eux, une certaine évolution et veulent même paraître ralliés à la cause nationale. Peut-être ne regardent-ils plus que comme une illusion de leur jeunesse, la politique d'assimilation. On a peine à imaginer comment un ancien colonel d'artillerie (4) bien connu dans le Constantinois, a pu vers 1908 écrire ces mots étranges : « J'ai la conviction intime que peu à peu avec l'instruction (surtout l'instruction professionnelle) les indigènes musulmans, administrés avec justice, ne tarderont pas à suivre le mouvement, à la condition que nos administrateurs ne s'y opposent pas Et cela me semble devoir arriver bientôt grâce à la sélection que le Gouvernement apporte depuis quelque temps dans l'admission des candidats à ce corps d'élite. Ses membres sont en contact immédiat avec nos indigènes et devront leur inculquer des idées de justice, de devoir et d'honnêteté afin que, relevés moralement et délivrés matériellement de la misère, ils finissent par aimer notre beau pays de France et contribuent à sa puissance dans la mesure de leurs moyens.

« Notre Zaouïa, loin d'être hostile au progrès, fait tous ses efforts pour tirer nos congénères de l'apathie dans laquelle les a plongés la longue et tyrannique domination turque » (5).

Le vénérable fondateur de cette zaouïa ignorait sans doute qu'il avait des ancêtres gaulois.

On mesure le chemin parcouru par notre peuple depuis quarante ans lorsqu'on pense que personne n'oserait imprimer aujourd'hui de telles inepties, ne serait-ce que par peur du ridicule. Même les réformistes authentiques descendants de ces assimilés condamnent de telles pensées et un tel langage.

M.-C. S.

(A suivre.)

(4) Le Colonel El Cadi.
(5) Cité par Ismaël Hamet.

L'Islam et l'Esprit critique

(Suite de la page 6.)

de son dos et la perte de son souffle. Y a-t-il quelque chose de plus misérable qu'un peuple dont l'état s'est ainsi dégradé ; la révélation et la religion, qui étaient la cause de son bonheur, deviennent la source de son malheur et cela par son ignorance et par son imbécilité.

Par de tels reproches et d'autres semblables en exhortant tous les hommes à comprendre, en invitant les plus intelligents à étudier et à approfondir ce qui est révélé dans le Coran, l'Islam oblige tout fidèle à prendre sa part de la connaissance que Dieu a déposé dans son Livre et qu'il a révélé dans sa religion ; il rend les hommes égaux en cela à condition, toutefois, qu'ils se préparent à cette compréhension ; et cette préparation est accessible à la grande masse des croyants elle n'est réservée ni à une catégorie privilégiée ni à une époque spéciale.

Témoignages de l'histoire

M. Renan et l'Islam

Lorsque les préjugés de l'hérédité et de l'éducatios se rencontrent chez un savant trop instruit pour ne pas savoir à quoi s'en tenir sur le fond des choses, l'antagonisme intérieur entre l'homme ancien créé par le passé, et l'homme moderne formé par l'observation personnelle, produit dans l'expression des opinions les contradictions dans l'intéressante conférence faite à la Sorbonne sur l'islamisme par un écrivain aussi charmant que savant, M. Renan.

L'auteur veut prouver la nullité des Arabes, mais chacune de ses assertions se trouve généralement combattue par lui-même à la page suivante. C'est ainsi, par exemple, qu'après avoir établi que pendant 600 ans les progrès des sciences ne sont dus qu'aux Arabes et montré que l'intolérance n'apparut dans l'Islamisme que lorsqu'ils furent remplacés par des races inférieures, il assure que l'Islamisme a toujours persécuté la science et la philosophie et écrasé l'esprit des pays qu'il a conquis. Mais un observateur aussi pénétrant que M. Renan ne peut rester longtemps sur une proposition aussi contraire aux enseignements les plus évidents de l'histoire. Les préjugés s'effacent un instant, le savant reparaît et il est obligé de reconnaître l'influence exercée par les Arabes sur le Moyen-Age et l'état prospère des sciences en Espagne pendant leur puissance.

Malheureusement, les préjugés inconscients l'emportent bientôt, et l'auteur assure que les savants arabes n'étaient pas du tout des Arabes, mais bien « des gens de Sarmarkand, Cordoue, Seville, etc... ». Ces pays appartenant alors aux Arabes et le sang, aussi bien que l'enseignement arabes y ayant pénétré depuis longtemps il me semble évident qu'on ne peut pas plus contester l'origine des travaux qui sont sortis de leurs écoles qu'on ne pourrait contester celle des travaux des savants français, sous le prétexte qu'ils proviennent d'individus appartenant aux races diverses : Normands, Celtes, Aquitains, etc...., dont la réunion a fini par former la France.

L'éminent écrivain semble un peu chagrin quelquefois de la façon dont il malmène les Arabes. La lutte entre l'homme ancien et l'homme moderne aboutit à cette conclusion tout à fait imprévue, qu'il regrette de n'être pas un disciple du Prophète : « Je ne suis jamais entré dans une mosquée, dit M. Renan, sans une vive émotion, le dirai-je sans un certain regret de n'être pas musulman. »

Dr. Gustave LEBON.

(La civilisation des Arabes.)

الملحق رقم -14-

Directeur-Gérant : Atallah SOUFARI
Administration-Rédaction
12, rue Pompée :-: ALGER
Téléphone : 278-17

1re ANNEE
N° 8
C. C. P. 1013-35
PRIX : 20 francs

Le Jeune Musulman

Vendredi 31 octobre 1952
11 Safar 1372
Bimensuel

Organe des jeunes de l'Association des Oulamas musulmans d'Algérie

A la lumière du Coran et du Hadith

Générosité, Charité Islamiques

par ABOU DJAMIL TAHA.

S'il est une justice que les Européens rendent aux Musulmans, c'est bien à propos de l'hospitalité. Encore se gardent-ils bien souvent de montrer par là que les Musulmans sont généreux. La générosité ? ce serait une qualité trop forte pour ennoblir les adeptes de Mahomet ! D'ailleurs, ces gens simples — pour ne pas dire frustes et arriérés — ne peuvent s'élever jusqu'à une morale de générosité !

Ainsi diront ceux qui ne pensent rien de valable en dehors d'un *humanisme chrétien*, de nourriture gréco-latine Ceux qui ne daignent même pas se pencher sur les autres trésors, également humains, que les siècles n'ont pas déposés en Europe. Et qui regardent surtout les choses de l'Islam avec une suffisance aveugle bâtie sur de méprisantes préventions.

C'est un tort impardonnable de parler de l'Islam, de la culture islamique et des Musulmans, même dans le dessein inique de dénigrer les uns et ravaler les autres. quand on n'a pas la probité et le courage de commencer par s'informer, pour mieux connaître. S'il n'est guère un devoir *d'aimer son adversaire*, lui *rendre justice* est une impérieuse obligation. quant à l'homme et quant à la vérité.

Pour revenir au sujet qui nous occupe faisons remarquer d'abord que le Prophète — Dieu lui accorde la bénédiction et le salut — nous a laissé. en paroles et en actes, un exemple admirable de constante générosité. Notre Prophète incarne de même cette incomparable *union de justice et d'amour* que je nomme volontiers *la charité islamique*. Générosité charité islamiques. voilà deux thèmes qu'il serait intéressant d'éclaircir par le Qoran et le Hadith Sahih.

Il est une phrase de la sourate El Baled, qui résume quasiment la morale coranique de la générosité : «Nous lui (à l'homme) avons fait connaître les deux voies. Mais il ne choisit pas la bonne, celle qui monte. Et comment te décrire cette *montée* ? Elle consiste à affranchir l'esclave,

A nourrir le pauvre aux jours de privations,

A aider l'orphelin qui vous est proche,

A tendre la main à l'infortuné étendu sur la dune. (XC-10, 11, 12, 13 14, 15, 16).

Telle est donc la *montée*, la *pente* de chaque musulman, de chaque être qui se veut humain réellement : aider l'homme contre la servitude qui le dégrade, le délivrer de la misère qui le diminue — physiquement et socialement — et peut le contraindre aux actions répréhensibles. En un mot : élever l'homme, notre semblable, pour lui permettre une vie digne.

(Suite à la page 7

Communiqué de l'Association des Oulamas d'Algérie

Le comité directeur de l'Association des Oulamas d'Algérie, réuni les 23, 24, 25 26 et 27 septembre 1952,

— après audition du rapport détaillé sur l'activité et les réalisations du Bureau permanent, présenté par le secrétaire général de l'Association ;

— après discussion et vote à l'unanimité du dit rapport ;

— après renouvellement de sa confiance au Bureau permanent en vue de l'accomplissement des tâches qui lui sont assignées,

1) Envoie ses meilleures salutations à son vénéré président Cheikh Mohamed Bachir El Ibrahimi en l'assurant de tout son attachement et de sa reconnaissance pour sa lutte et les efforts qu'il ne cesse de prodiguer au cours de sa tournée en Orient et se félicite des résultats acquis jusqu'à ce jour ;

(Suite à la page 6.)

Histoire d'un Enseignement colonialiste

(2)

par MOHAMED-CHERIF SAHLI.

IV. - L'ECOLE DES VALETS DE FERME

Les résultats de la politique d'assimilation par l'école enhardirent l'Administration française et l'incitèrent à procéder d'une manière plus systématique, à créer « un enseignement des indigènes » susceptibles d'élargir la base de la politique de collaboration et de désagréger la résistance du peuple algérien.

Tel était lobjectif du décret du 18 octobre 1892. Dans la pensée des dirigeants français l'œuvre à accomplir n'était pas d'ordre culturel, mais d'ordre poitique. Caractère qui se manifestait clairement dans le fait que le Gouvernement Général devait avoir la haute main sur cet enseignement. L'instruction, que les instituteurs étaient chargés de dispenser aux petits algériens, était définie dans des limites très précises : rudiments de français et connaissances usuelles. Les consignes officielles étaient nettes : préparer ces enfants à devenir de bons ouvriers des champs et d'atelier, mais ne pas les pousser vers les emplois publics ou les professions libérales.

On comprend aisément que le principe de l'obligation scolaire, édicté en France n'ait pas été appliqué à un enseignement né dans de telles conditions et pour de telles fins. L'argument tiré du nombre insuffisant des écoles n'était pas probant. En réalité, les écoles étant placées sous la coupe des administrateurs de communes mixtes, on ne pouvait songer à leur appliquer cette mesure d'une façon automatique sans porter atteinte au pouvoir discrétionnaire des agents du Gouvernement Général. L'obligation scolaire n'était prescrite que dans la commune de Fort National. Encore recommandait-on en matière de sanctions, une prudence qui était une invitation à ne rien faire. En règle générale, on laissait le soin de sanctionner les infractions aux administrateurs armés du fameux code de

(Suite à la page 4.)

L'HISTOIRE D'UN ENSEI

(Suite de la

l'indigénat. Et, fait significatif, on leur demandait de ne sévir que contre les familles qui, en refusant d'envoyer leurs enfants à l'école, manifestaient un état d'esprit hostile à l'influence française. C'est dire que la préoccupation essentielle n'était pas le développement de la personne humaine mais l'intérêt du colonialisme.

Certes, les premiers élèves formés dans ces écoles n'avaient pas été préparés à reprendre conscience de leur originalité nationale et à se considérer comme l'avant-garde de leur peuple dans un mouvement de renaissance. On avait même essayé de leur inculquer l'amour de la France, d'une France idéalisée, singulièrement différente de celle qu'ils avaient sous leurs yeux. Mais cette contradiction, en les irritant, développait en eux l'esprit de révolte.

* * *

Les dirigeants colonialistes et leurs valets aperçurent clairement le danger que représentaient les forces, ainsi libérées, pour leur pouvoir et leurs privilèges. On a eu tort, disaient-ils de créer un enseignement, car tout homme instruit se retourne contre nous. Ils appelaient de leurs vœux le règne de l'obscurantisme total. Il n'est pas inutile de rappeler quelques témoignages publics de cet état d'esprit. Naturellement, les Délégations financières étaient toutes désignées pour servir de décor à de pareilles manifestations.

C'est à des délégués kabyles qu'on confia le soin de dénoncer les « méfaits » de l'enseignement, parce que la plupart des écoles avaient été, à titre d'expérience, créées en Kabylie.

En 1901, un délégué kabyle, M. Areki Mezian, faisait adopter par sa section, un vœu accompagné des considérants suivants :

« Le soussigné,

« Tout en remerciant la France des sacrifices qu'elle a faits pour l'instruction en Kabylie ;

« Considérant que la majeure partie des jeunes gens kabyles qui ont fréquenté les écoles quittent nos campagnes pour aller dans les villes où, en général ils ne font que des dévoyés ;

« Considérant qu'ayant un peu d'instruction, ils se figurent que le Gouvernement est dans l'obligation de leur donner une place dans une administration quelconque et que de ce fait ils délaissent l'agriculture ;

« Demande que le mode d'instruction adopté actuellement en Kabylie soit changé et soit remplacé par une instruction pratique de l'Agriculture, etc... ».

Ce vœu fut repris en 1905 par les deux féodaux de la vallée de la Soummam, MM. Bénaly Chérif et Mahmoud Ou rabah dans un texte ainsi conçu :

« L'enseignement donné aux enfants indigènes est loin d'être ce qu'il devrait.

« Ces jeunes indigènes, infatués de leur supériorité n'ont plus l'attitude respectueuse qui est de tradition en Kabylie ; une rupture est faite dans la famille et nos Kabyles effrayés de cet état de choses s'abstiennent d'envoyer leurs enfants à l'école, alors qu'ils avaient accepté avec enthousiasme, au début, cette institution qui leur semblait devoir amener un réel progrès. Les nouveaux savants désertent le pays, les travaux manuels, et vont dans les grandes villes quémander des places de chaouchs ou solliciter des aumônes.

« Nous sommes loin des projets Burdeau et Jonnart. Nous demandons que l'on y revienne et qu'on généralise ce que notre gouverneur vient de prescrire ;

« Nous comptons depuis peu de temps deux écoles professionnelles de maçons à Fort- National et à Akbou. D'autres écoles pratiques devraient être créées dans lesquelles on placerait, pour dresser (sic) les jeunes kabyles, de véritables professionnels, c'est-à-dire des maçons, des menuisiers, des artisans au lieu de prétendre tout faire enseigner par des instituteurs.

« Pour ces raisons, nous émettons le vœu :

que le programme ne comprenne comme base d'enseignement que :

la lecture et l'écriture du français ;
les quatre règles.

Le reste du temps devant être employé à des applications à des cours pratiques et surtout au développement de l'enseignement professionnel, par l'application des industries lotcales et aux travaux agricoles des connaissances plus en rapport avec les progrès modernes. »

« Adopté. »

Toute l'âme des féodaux est dans cette volonté d'imposer l'obscurantisme aux masses pour mieux les opprimer et les exploiter. Après avoir trahi le peuple algérien et aidé les conquérants, ces féodaux affirment leur étroite solidarité de classe avec la grosse colonisation.

V. — LE SABOTAGE DE L'ECOLE

En déclarant la guerre à l'école primaire, les féodaux ne défendaient pas seulement leurs privilèges et leurs intérêts de classe. Ils s'affirmaient les auxiliaires de la colonisation et les agents dociles de la triste direction des Affaires indigènes.

Le vœu d'Ourabah et de Benali Chérif s'inscrivait dans le cadre d'une vaste campagne de la colonisation déclenchée il y a plus de quarante ans contre l'enseignement des indigènes.

Contre cette campagne les protestations publiques furent rares. Elles provenaient surtout d'universitaires bien placés pour se rendre compte de la fausseté et de la mauvaise foi des arguments utilisés.

A ceux qui prétendaient que l'école primaire formait des déclassés et des dévoyés, le recteur de l'Académie d'Alger répondait par des statistiques établies, pour une période de 5 ans, sur des cas précis, choisis parmi les principales écoles indigènes. Le nombre d'élèves qui, au sortir de l'école, exerçaient la même profession que leurs parents ou un autre métier manuel, se montait à 612 sur 721 pour la Grande Kabylie, 119 sur 137 pour Alger, 109 sur 140 pour Tlemcen, etc... C'est dire que le déclassement n'existait que dans l'imagination des colonialistes, la proportion des élèves qui s'orientaient vers l'enseignement ou l'Administration étant tout à fait normale.

On essayait de tirer parti de la crise de la puberté contre l'intelligence du petit algérien, alors quil s'agit d'un phénomène bien connu qu'on retrouve sous toutes les latitudes. Les observateurs impartiaux ne pouvaient au contraire que louer la vivacité et la curiosité des petits algériens.

On allait même jusqu'à préconiser la suppression des écoles indigènes. On les disait sans élèves et fréquentées uniquement les jours de visites ministérielles. Or les enquêtes minutieuses effectuées sur l'assiduité scolaire par les autorités académiques donnèrent des résultats inattendus. En 1906 la proportion des absents était de 10,57 % chez les Européens et de 10,40 % chez les indigènes. C'est dire que les petits algériens étaient plus assidus que les petits Européens. Bien plus la circonscription de Tizi-Ouzou, qui renfermait le plus grand nombre d'écoles indigènes, détenait le record de l'assiduité pour toute l'Algérie.

* * *

Mais il y avait surtout l'argument financier. L'enseignement des indigènes, paraît-il, imposait de lourdes charges au budget de l'Algérie et à celui des communes. Qu'on en juge plutôt :

Le Budget de l'Algérie pour 1908 s'élevait à plus de 107 millions. L'enseignement des Européens s'y inscrivait pour près de 8 millions. Mais l'enseignement des indigènes devait se contenter de 1.700.000 frs, alors que 1.979.000 frs étaient affectés au service pénitentiaire, ce qui donne une singulière signification à la prétendue mission civilisatrice.

Trait caractéristique de l'exploitation colonialiste les Algériens ne bénéficiaient que d'une faible partie de leur apport au **budget de l'Algérie**. Pour la même année ils devaient payer en impôts directs seulement, plus de 8 millions, mais au chapitre dépenses, les affaires indigènes ne s'inscrivaient que pour 4.815.000 frs.

Dans les territoires de commandement relevant des conseils généraux jusqu'en 1902, les contributions payées par les indigènes prenaient l'aspect cru de simples tributs. Celui d'Oran en 1894 se voyait affecter à ses besoins 28.000 frs seulement sur les 450.000 frs quil apportait au budget départemental. Bien plus ceux d'Alger et de Constantine ne reçurent aucun crédit de 1880 à 1886, alors qu'ils fournissaient des recettes annuelles de 550.000 et 600.000 frs. La spoliation colonialiste par les **conseils généraux** était si odieuse et si scandaleuse que

GNEMENT COLONIALISTE

première page)

la loi du 24 décembre 1902 réunit une fraction de ces territoires en un groupe spécial doté d'un budget propre : les territoires du Sud.

La création d'écoles nouvelles incombait aux communes. Mais les communes mixtes dont les indigenes alimentaient presque tout le budget, n'avaient pas d'argent. Mais les communes de plein exercice n'avaient pas d'argent, alors qu'elles étaient si empressées à s'annexer les douars pour alimenter leurs budgets. On ne doit pas oublier en effet qu'à cette époque 60 % des recettes de l'ensemble des communes de plein exercice provenaient des contributions indigènes. Pour certaines communes cette proportion était même de 90 %.

Ce n'est donc pas la situation financière qui entravait la création d'écoles nouvelles, mais la volonté colonialiste de maintenir les Algériens dans l'obscurantisme. Et un universitaire (5) pouvait écrire en toute connaissance de cause : « En somme le plan adopté en 1891 et 1892, au milieu d'une approbation unanime a été sinon abandonné, du moins fortement réduit depuis 1896. Il est constant que les Européens établis en Algérie ne se montrent pas favorables à l'enseignement primaire des indigènes et leur opinion a été partagée par un certain nombre d'hommes politiques. »

***

Le plan de 1892 avait été saboté selon une méthode bien familière aujourdhui, puisqu'on la retrouve à l'œuvre contre le plan actuel de scolarisation.

Les communes avaient à leur charge la construction des écoles tandis que l'Etat leur accordait des subventions et assumait les dépenses de personnel. On se doute bien qu'avec l'esprit colonialiste qui les animait, elles ne mettaient aucun empressement à créer de nouvelles écoles. Bien entendu l'Etat suivait le mouvement et réduisait progressivement ses subventions de l'Etat. En 1894, après 2 ans d'exercice il y avait un disponible de 143.000 frs. Les saboteurs du plan en profitèrent pour réduire les crédits de 1895 à 277.000 frs.

Le projet Burdeau adopté dans le plan de 1892 prévoyait la création annuelle de 50 à 60 écoles et la scolarisation annuelle de 5.000 enfants. En fait, de 1896 à 1902, le rythme annuel des créations ne dépassait pas 10 écoles et l'accroissement de la population scolaire nétait que de 500 élèves.

En définitive, poussé par les circonstances et les conditions objectives de sa politique de domination et d'exploitation a créer un enseignement des indigènes, le colonialisme français le sabota, faute de pouvoir réaliser pleinement les objectifs.

L'historien Maurice Wahl, déjà cité, pouvait écrire avec raison : « Est-il vrai qu'en Algérie comme l'écrit un publiciste contemporain » on a voulu commencer par l'école et qu'on a échoué misérablement ? « Bien loin de créer des écoles nous avons d'abord détruit la plupart de celles, mécids, zaouias, médersas qui existaient avant notre arrivée. »

Il est vrai que Maurice Wahl n'oubliait pas qu'il était un personnage officiel, membre de l'Administration académique. Il ajoutait : « Il eût mieux valu en tirer parti y faisant peu à peu pénétrer nos maîtres, nos méthodes, notre esprit ».

En quoi il se trompait, car si l'école française ne réussit pas à promouvoir la politique d'assimilation, il fallait être naïf pour attendre de meilleurs résultats, sous ce rapport de l'école algérienne toute pénétrée de la tradition nationale et d'un patriotisme forgé par des siècles d'histoire héroïque.

La campagne colonialiste contre « l'enseignement des indigènes » suscita une certaine réprobation en France, notamment au Parlement.

***

Accusée d'entretenir l'obscurantisme en Algérie, la représentation colonialiste aux Délégations financières fit semblant d'établir un programme de réformes. Et l'on nomma en 1908, une Commission de l'Enseignement des Indigènes, dans laquelle on fit une certaine place aux béni-oui-oui de l'époque (12 membres européens contre 9 indigènes).

Le compte rendu des délibérations de cette commission est plein d'enseignements sur la mentalité colonialiste.

Il faut voir en quels termes ces messieurs repoussent les accusations formulées contre leur système et leur caste : « Notre patrie, déclare le Président, peut se rassurer, ses enfants n'ont pas perdu les traditions généreuses qui demeurent leur orgueil au sein de l'âpre lutte qu'ils livrent à la terre. Ce ne serait pas, comme nous le voulons, créer ici le joyau de la France que de préparer une génération d'oppresseurs envers le peuple vaincu ».

En dépit de « l'âpre lutte » livrée par procuration, en faisant suer d'innombrables fellahs, les colonialistes n'avaient pas perdu l'authentique tradition des oppresseurs : le jésuitisme. La suite des déclarations présidentielles prévient d'ailleurs toute équivoque. L'honorable président n'a que mépris pour ces voyageurs et ces touristes français qui se permettent de formuler des réserves sur l'œuvre de la colonisation : « Nous seuls, dit-il, nous connaissons les besoins du peuple auquel nous sommes mêlés depuis bientôt quatre vingts ans ».

Aux yeux des délégués colons, le très élémentaire enseignement, chichement dispensé aux petits Algériens, était dangereux et susceptible de menacer les privilèges et la domination de leur caste.

L'un deux, un certain Rivaille, se plaignait de voir les esclaves relever la tête, sous l'influence de l'école : « En général tous les indigènes instruits sont dans les exploitations où on les utilise, des fauteurs de désordre, des raisonneurs, de mauvais ouvriers qu'il n'est pas possible de garder ».

Un autre, plus ingénu, met en cause le principe même de l'enseignement : « Nous sommes venus en Algérie avec l'intention d'y établir les nôtres et de les faire bénéficier des avantages qu'ils peuvent tirer de la fertilité du sol et de l'abondance de la production tout en laissant l'Arabe subsister à côté de nous et améliorer sa condition. Allons-nous donner aujourd'hui à des indigènes une instruction qui en fera rapidement des concurrents redoutables pour nos ouvriers, nos employés français ? ».

De là à souahaiter la disparition de cet enseignement élémentaire il n'y avait qu'un pas, que franchirent allègrement maints délégués colons et non colons. Et de proposer la création d'un enseignement *rudimentaire*, amplement suffisant, du moins pour les besoins de la colonisation. Ce fut l'occasion pour un certain Joly de nous donner ces magnifiques précisions qui eussent réjoui Montesquieu : « Instruire quelq'un c'est augmenter sa valeur individuelle. En ce qui concerne les indigènes, nous devons avant tout les mettre à même de de nous comprendre. La masse des indigènes doit être amenée par l'étude de notre langue à adopter nos idée, à se rapprocher de nous. Nous devons, en outre, donner à nos sujets algériens les moyens de vivre, de développer leur production. Or ce n'est pas là de l'instruction. » En d'autres terme l'œuvre à accomplir n'était pas d'ordre culturel, mais d'ordre politique : une sorte de dressage, de domestication.

Plus d'écoles, mais des fermes et des ateliers où les jeunes algériens, sous la direction de moniteurs, « d'un loyalisme éprouvé » apprendraient à servir leurs maîtres. Quelqu'un suggéra même que cet enseignement fût exclusivement *oral*, s'appuyant — ô ironie ! — sur l'exemple légendaire de l'Iliade et l'Odyssée ». Et si ce vœu fut repoussé, ce n'était pas qu'on en jugeât le principe choquant, mais parce qu'il paraissait techniquement irréalisable.

***

Les délégués colons estimaient que la création de cet enseignement rudimentaire devrait entraîner la suppression de l'enseignement élémentaire. Mais l'administration ne partageait pas cette manière de voir, car elle avait besoin de l'école primaire pour assurer la formation de ses nombreux auxiliaires (khodjas, caïds et autres).

Est-il besoin de se demander ce qu'est devenu depuis 1908 ce projet qui prévoyait pour une période de 29 ans la création de 60 écoles rudimentaires par an ? Sans doute, comme

(Suite à la page 6).

(5) Maurice Wahl : « Histoire de l'Algérie ».

EL OUMA

Notre position à l'égard du Docteur Ben Djelloul

Le Docteur Ben Djelloul a été le premier élu Musulman algérien qui a eu le courage de s'opposer à la politique néfaste de l'Administration. Jusqu'ici, les élus musulmans n'ont été que des intruments entre les mains du Gouvernement général dans sa politique de brimades et d'exploitation.

L'*Etoile Nord-Africaine* a toujours appuyé toute initiative en faveur de nos frères de l'Afrique du Nord.

—Elle est aux côtés du Docteur Ben Djelloul lorsqu'il demande l'extension de l'instruction, l'enseignement de la langue arabe, plus de justice et moins de misère.

Notre organisation a toujours protesté contre les injustices sans tenir compte des tendances politiques des personnes dont elles sont l'objet. Aussi a-t-elle élevé sa protestation lors de la condamnation du Docteur Ben Djelloul, à la suite des événements de Constantine.

Mais elle ne saurait l'appuyer dans ses revendications qui consistent à demander la citoyenneté française pour l'élite, fraction infime du peuple algérien. Nul n'ignore que le mouvement de l'*Etoile Nord-Africaine,* œuvre pour reconquérir cette nationalité algérienne que la conquête nous a enlevée, nationalité que gardent et défendent fièrement nos frères de Tunisie et du Maroc. Nous travaillons pour abolir tout ce qui fait de nous des hommes diminués et le remplacer non par un reniement de notre origine, mais par l'affirmation de notre personnalité.

L'*Etoile Nord-Africaine* travaille non seulement pour l'élite, mais aussi pour la masse dont on n'a tenu aucun compte jusqu'à présent. Elle met en garde les hommes de bonne volonté contre la mauvaise tactique qui consiste à favoriser une infime partie du peuple algérien au détriment de l'écrasante majorité, d'autant plus que l'impérialisme ne manquera pas d'accorder ces faveurs pour mieux exploiter le peuple en le séparant de son élite. Les hommes de bonne volonté ne peuvent être dupes de cette manœuvre grossière du colonialisme.

L'Œuvre de notre organisation ne s'arrête pas à arracher les droits politiques, mais aussi et surtout à reprendre les terres et les richesses dont nous ont dépouillé les expropriations successives.

L'*Etoile Nord-Africaine* lutte en faveur de tout le peuple algérien, élite et masse fraternellement unies, pour en faire des hommes dignes de leurs ancêtres dans le cadre des institutions islamiques. Elle ne veut pas seulement arracher les libertés mais aussi le pain que les vautours coloniaux ont volé au peuple algérien. Elle est disposée à réaliser le front unique avec les organisations et les hommes de bonne volonté qui poursuivent les mêmes buts.

Toutefois, il est évident que ce qu'on a voulu appeler la politique de collaboration, a fait faillite et que malgré l'attitude très conciliante et même trop conciliante du Docteur Ben Djelloul, approche de cette politique, l'*Etoile Nord-Africaine* se trouve menacée à nouveau de dissolution.

Il est donc démontré que l'*Etoile Nord-Africaine* travaille, lutte et combat pour le bien des Nord-Africains, tant en France qu'en Tunisie, en Algérie et au Maroc, elle, qui n'a cessé de dénoncer les spoliateurs coloniaux et accapareurs de toutes sortes, ceux-là même qui s'acharnent contre elle, qui inspirent les poursuites dont elle fait l'objet.

Ne sous-estimant pas l'action que mène le Docteur Ben Djelloul en faveur de l'Algérie, elle considère néanmoins que le leader de Constantine persiste à faire la politique que d'autres bien avant lui ont pratiquée sans succès et sans résultats tangibles au profit du peuple, le considère comme étant en retard sur son temps. Le peuple algérien demande plus qu'il ne lui promet. Ce n'est pas en faisant accéder à la citoyenneté quelques centaines de semi-intellectuels que du coup la masse aura du pain et des vêtements. Ce n'est pas non plus en favorisant une minorité — agissante soit-elle — que la totalité du peuple algérien s'en trouvera plus heureuse.

L'octroi de la citoyenneté à quelques privilégiés risque de diviser la population pour la quiétude de nos exploiteurs.

Nous ne voulons pas de ce favoritisme égoïste, nous n'en voudrons jamais. Aussi le mouvement de l'*Etoile Nord-Africaine,* qui travaille pour l'émancipation totale de l'Afrique du Nord, s'est-il, dès la première heure, prononcé contre ce morcellement mortel, source de haine et de discorde, et c'est pourquoi, franchement et loyalement, nous crions au Docteur Ben Djelloul : Vous vous dites sincère ! Nous ne voulons pas en douter, mais un fait est là : *Vous faites fausse route ! Halte-là ! il est temps de vous arrêter ! la pente est glissante et le précipice en est tout près !*

L'ETOILE NORD-AFRICAINE.

EL Ouma , N° 36 décembre 1935.

الملحق رقم -16-

19 ème CORPS D'ARMEE

ETAT-MAJOR

2e Bureau.

BULLETIN DE RENSEIGNEMENTS N° 13

concernant l'état d'esprit des Indigènes Nord-Africains, pendant la période du 15 Octobre au 15 Décembre 1936

21 JANV 1937

S.L.N.A archiver historiques W de Constantine

A N N E X E

MANIFESTE

du Président du Parti Nationaliste Algérien
MESSALI HADJ
au Peuple Algérien vertueux

(I° Partie)

°
° °

Peuple algérien vertueux !

Salutations de ton enfant qui a juré par Dieu de sacrifier pour ta liberté et ton bonheur, la dernière goutte de son sang, la moindre parcelle de sa personne et le dernier souffle de son âme. "C'est un serment, si vous le saviez, grave et solennel". (I).

Salut à toi, ô Peuple, depuis que tu es né libre et puissant, depuis que tu fus créé libre et honoré, salut à toi pour le jour où tu deviendras, par la volonté de Dieu, libre et affranchi, où tes drapeaux flotteront à la hampe glorieuse, où ton rêve et ton idéal se confondront avec les étoiles du firmament, où tu feras triompher dans l'univers ta foi islamique et ce, grâce aux sacrifices de tes enfants dévoués aux bras musclés, doués de la force et de la jeunesse, animés de la foi et de l'ardeur patriotique, confiants en ces paroles de Dieu : "Et ceux qui entrent dans notre Djihad nous leur montrerons nos voies; Dieu est avec les bienfaiteurs" (2).

Peuple algérien vertueux !

Je te remercie de ton accueil chaleureux, de ta déférence pour un enfant faible, de la solidarité que tu lui as manifestée et des prévenances dont tu l'as entouré. Cette réception grandiose que le peuple m'a faite à mon arrivée, ces nobles manifestations qui m'ont enveloppé à mon débarquement, toutes ces démonstrations prouvent que ce peuple vertueux a compris son devoir et son rôle dans l'existence et qu'il commence à discerner entre celui qui lui veut du bien et cherche sa vie et celui qui lui veut le désagrégement et l'effacement. Cette vénération et cet enthousiasme ne sont pas dûs à ma personne faible et périssable; ils s'attachent à un principe noble et élevé. Cette mission nationale, sacrée ...

(I) Coran : S. 56 - V.75.
(2) Coran : S. 29 - V. 68

que nous avons juré de remplir devant Dieu, ses anges et le monde entier, nous le défendrons contre ceux qui le jugent avec frivolité, dussions-nous nous voir arracher le coeur, dussions-nous rendre le dernier souffle et sacrifier notre âme, que nous offrons volontairement et de gaité de coeur à l'immolation et sans aucune possibilité de retrait pour le service de ce cher pays.

Certes un pays qui fait montre de tant de discernement et de tant de sensibilité, qui s'attache aussi profondément à seshommes dévoués, doit contenir un peuple vaillant, élevé au-dessus du soleil, ayant la tête haute, frappé de la fierté et de la noblesse.

<u>Peuple algérien vertueux !</u>

Au cours des derniers évènements politiques qui ont agité le pays, tu as pu distinguer, parmi tes enfants, les braves et les dévoués des félons, des hypocrites et des stipendiés. Tu as vu ton parti nationaliste algérien sortir triomphant de la mêlée, brillant comme l'aube qui point, clair comme une conscience tranquille; aucune défaillance au cours de sa lutte, pas le moindre écart dans ses principes, ni la moindre concession de tes droits sacrés; il agit avec dévouement, avec conscience, avec fermeté, n'ayant confiance qu'en Dieu; son principe est le suivant :
"Celui qui consent la moindre concession des droits de son
"pays, ne serait-ce qu'une fois, sera considéré, le monde
durant, comme un homme à la foi chancelante, au coeur mala-
"de". Telle est la voie droite que je vous ai tracée, sui-
"vez-là et ne vous fourvoyez pas dans les chemins qui vous
"feront perdre la voie principale; Dieu vous fit cette re-
commandation, craignez-le" (I).

Ce parti, durant quinze ans de lutte, t'a donné des preuves de ses efforts, pour le bonheur de ce pays; ses membres ont subi les abus, les injustices, les souffrances dans les prisons noires et les cellules profondes; certes, ce pays qui poursuit un but noble, doit y parvenir de gré ou de force, tôt ou tard; il demeure tel qu'il fut lorsqu'il subissait la tyrannie et les souffrances du fascisme; son attitude, sous le nouveau Gouvernement front populaire, calme et sereine, demeure également celle d'hier, ainsi que ses hommes qui ne se sont pas retranchés de la communauté; qui ne se sont pas fait français, ni n'ont souhaité l'assimilation; ils ne se démunissent pas et resteront ce qu'ils sont tant que la terre restera la terre et le ciel restera le ciel, tant que l'honneur demeurera l'honneur et le nationalisme demeurera le nationalisme. Le Coran est formel là-dessus "Demeure ferme et tenace et tu ne seras tenace
"qu'avec l'aide de Dieu; ne t'afflige pas sur leur sort et
"ne sois pas en peine de ce qu'ils entreprennent; certes
"Dieu est avec ceux qui le craignent et ceux qui pratiquent
"le bien (2)". "Dieu portera secours à ceux qui prennent sa défense et Dieu est fort et puissant "(3).

....

(I) Coran : S. 6 - V. I52
(2) " : S. I6 - V. I26
(3) " : S. 22 - V. 39.

MANIFESTE
DU PRESIDENT DU PARTI NATIONALISTE ALGERIEN
MESSALI HADJ AU PEUPLE ALGERIEN VERTUEUX
(2º Partie)

Peuple Algérien vertueux !

Les doctrines de ton parti nationaliste, fondé dès le premier jour sous le concept de la solidarité raciale, tendent à te libérer par les voies normales dans le cadre de l'Islam et de ta nationalité; elles nous prescrivent de défendre ton honneur et de veiller sur ton territoire et sur la conservation de ton individualité noble et sacrée. Telles sont les doctrines dont nous sommes inspirés et que nous avons présentées dans un cahier au Gouvernement, le 23 Juin 1936, par l'entremise d'une délégation, pour elles nous persévérerons, pour elles nous vivrons et pour elles nous mourrons s'il le faut.

Nous voulons que ta langue arabe soit considérée comme langue officielle; que tes mosquées et tes habous te te soient remis en mains propres pour que tu puisses les administrer conformément au Coran. Nous demandons pour toi un Parlement algérien qui puisse te garantir ton individualité et sauvegarder tes droits devant la grande majorité des colons. Nous ne voulons pas que tu sois soumis à la tutelle d'une infime minorité admise au Parlement métropolitain et qui sera l'instrument des imposteurs. Nous ne demandons pas ton rattachement à la France qui te rendrait français et puissant, comme d'aucuns le prétendent. "Quelle monstruosité sort de leur bouche!" (1). "C'est une des plus grandes monstruosités".(2)

Pauvres algériens! l'assimilation, le rattachement l'annexion, la fusion, l'amalgame, autantde mots synonymes de mort, d'effacement, de dispersion. On les profère sans en comprendre le sens; ils se vantent de les invoquer alors que le Gouvernement est Front populaire, et ne savent pas ce qu'ils contiennent d'humiliation, de honte, de grotesque et en même temps de tragique.

---

(1) Coran : S.18 - V.4
(2) " : S.74 - V.34

Combien se passe-t-il en Algérie de choses comiques dans la mesure où elles doivent être tristes

On rit en Orient à chaude gorge de notre imbécilité; de ses deux mains l'Occident nous baillonne; à cause de cette politique, l'Afrique du Nord nous renie pour n'être pas confondue avec nous. Est-ce que notre sommeil va continuer ? Et ces tergiversations vont-elles cesser ? Est-ce que cette nuit aura une fin ? Après cent six ans sous la colonisation, nous demandons l'assimilation ? Quelle honte! quelle infamie!

L'assimilation, le rattachement, mots horribles!

"Vous croyez le fait insignifiant, alors qu'aux yeux de Dieu, il est gros de conséquences" (1).

Un peuple qui demande à être assimilé à un autre peuple, rompt le lien qui le rattache à Dieu; il rompt également avec son histoire, avec ses ancêtres et avec sa postérité. Cependant, nous avons, nous Algériens, une histoire glorieuse, une langue noble, une individualité sacrée et une conscience libre; tous ces attributs nous empêchent de demander une assimilation qui nous entraîne à y renoncer; ils nous préviennent que si nous la demandons ce sera "une tombe creusée, un linceul préparé. Ce jour-là nous implorerons "Tabour" et nul ne viendra à notre secours" (2).

Si on nous donne un exemple les Sénégalais qui ont demandé leur rattachement, est-ce que leur individualité est comparable à la nôtre? Non! mille fois non! Nous sommes des nobles et issus de nobles de la lignée des nobles; il faut que nous demeurions des nobles pour engendrer des nobles qui engendreront des nobles. Certes, nous préférons demeurer des algériens opprimés que de devenir des Français libres. Ces paroles que d'aucuns pourraient juger blessantes sont l'expression de la vérité; nous les proférons sans hésitation.

<u>Doucement, ô! partisans du rattachement</u> -

N'allez pas trop vite, vous qui êtes nos adversaires politiques! Ne croyez pas que le peuple soit avec vous; nous ne croyons pas qu'un algérien qui sait que vous demandez le rattachement et qui en comprend la signification, puisse vous approuver; vous avez abusé les naïfs en excipant d'autres revendications légitimes que

---

(1) Coran : S.9 - V.19
(2) " : S.16- V.54

الملحق رقم -17-

Chronique des livres

L'Afrique du Nord en marche

de M.C.A. JULIEN

M. C. A. Julien a été le premier historien français à se dresser contre la thèse officielle de notre prétendue inaptitude à l'organisation et à l'indépendance politique. Ce fait, joint à son autorité universitaire et à sa position courageuse sur les problèmes actuels, explique l'intérêt et le préjugé favorable avec lesquels sont attendus ses écrits.

Il faudrait tout un volume pour commenter son dernier ouvrage : **«L'Afrique du Nord en marche »**. M. le sénateur Mostefai en a parlé en termes pertinents. Il en a souligné le balancement entre la critique des excès colonialistes et celle des organisations nationalistes, mais il s'est contenté de formuler de justes réserves sur les thèses historiques qui forment la toile de fond de ce livre. La question mérite un examen attentif.

***

Lorsque M. Julien reproche aux nationalistes algériens de « tordre les textes », de déformer l'histoire pour les besoins de leur propagande, l'accusation est sérieuse, mais que vaut-elle en l'absence de tout exemple précis ?

Lorsqu'il esquisse un parallèle entre la conquête arabe et la conquête française, on s'étonne de voir l'éminent historien isoler les faits de leur contexte historique pour procéder, par delà les siècles, à un rapprochement arbitraire. Juger les Arabes du 8e siècle avec la même sévérité que les Français du 19e siècle, n'est-ce pas dénier toute signification positive à l'évolution humaine, nier le progrès moral ?

Et lorsqu'il dresse, pour nous édifier, un tableau des « méfaits » du Maghreb arabe, nous lui savons gré de nous donner l'occasion de lui prouver que nous aussi aimons assez la vérité pour ne lui opposer aucun tabou. Et nous entrerons dans ses vues en examinant froidement son réquisitoire contre la conquête arabe.

C'est en termes presque véhéments que M. Julien écrit :

« On chercherait en vain un exposé objectif de la conquête arabe du Maghreb fait par des Maghrébins alors qu'il en existe de la conquête française par des Français, où les nationalistes savent puiser. On ne niera pourtant pas que le sujet en vaille la peine. On cite des textes de Bugeaud, Saint Arnaud ou Montagnac. En est-il un qui approche des propos du conquérant de l'Irak, El-Hadjadj dont le gouverneur Yazid appliqua, en s'y référant, la technique au Maghreb ? « Je vois des têtes arrivées à maturité dont il faut faire la vendange. Je vois déjà le sang ruisseler sur vos turbans et sur vos barbes... Par Allah, je vous ligoterai comme on lie, pour les mieux couper, les buissons d'épines. Je vous rouerai de coups, comme les chamelles qui s'écartent du troupeau ». Si les Berbères massacrèrent Yazid, c'est qu'ils le tenaient pour un bourreau. Les Algériens ont résisté fièrement à la conquête française, ce qui est exact, mais les Berbères ne livrèrent-ils pas trois cent soixante quinze combats à la milice depuis leur révolte contre Omar ? » (1)

Ce parallèle, à l'avantage de la France, M. Julien n'hésite pas à le poursuivre sur la politique de peuplement : **« On reproche à la France sa politique de peuplement, soit encore, mais que dire alors de l'invasion, au XIe siècle, des Beni Hilal et des Beni-Solaym « semblables à une nuée de sduterelles et détruisant tout sur leur passage », comme l'écrit Ibn Khaldoun, traînant après eux femmes et enfants, qui brisa la tentative d'unification maghrébine, que les Berbères çanhadja étaient sur le point de réussir et implanta au Maghreb plus d'un million de bédouins étrangers ? C'est cette effroyable catastrophe qui favorisa l'arabisation, puis l'islamisation du pays, mais au prix de ruines dont il ne se releva pas »** (2).

***

De « L'Histoire de l'Afrique du Nord » à **« L'Afrique du Nord en marche »**, le ton change visiblement. Les affirmations prudentes et nuancées de l'historien deviennent dures et tranchantes sous la plume du polémiste. Avec un scrupule qui l'honore l'historien souligne le caractère légendaire de la conquête arabe. Nous ne disposons sur cette période, dit-il, que de témoignages postérieurs de plusieurs siècles aux évènements, de vies romancées, de « toiles d'araignée » que nous relions avec des fils de soie !

Par M. C. SAHLI

Il est permis de demander comment, d'un livre à l'autre, la toile d'araignée a pu se transformer en toile de lin.

Nous n'insisterons pas sur une erreur qui saute aux yeux dans le texte de M. Julien : une révolte des Berbères contre le calife Omar eût été impossible, pour l'excellente raison que lorsque les Arabes apparurent pour la première fois en Afrique du. Nord, le calife Omar était mort depuis trois ans.

Ce qu'on peut reprocher à Pélissier ou Saint Arnaud, ce sont des actes précis, avoués, consignés dans le grand livre de l'Histoire. Mais pour décider qu'El-Hadjadj et Yazid furent des bourreaux, il faudrait d'autres preuves qu'un discours fanfaron et pittoresque.

Loin de nous l'idée d'accuser M. Julien de « tordre » les textes, mais nous permettra-t-il de lui demander s'il ne prend pas quelques libertés avec les faits connus ? On peut opposer à son interprétation celle de M. Georges Marçais, historien de la Berbérie musulmane :

« Yazid ben Ali Moslim, le gouverneur d'Ifriqiya, qui entra en fonction l'an 720, appartenait au clan Kaïsite ; il était l'affranchi du fameux El-Hajjâj et lui avait servi de secrétaire. Formé aux méthodes administratives de ce serviteur précieux et impitoyable des califes omeiyades, Yazîd allait en faire imprudemment l'application aux Berbères. Au mépris de toute légalité, El-Hadjâj exigeait des cultivateurs de l'Irâq convertis à l'Islam, la capitation et le kharaj (impôt sur les terres) et pour qu'ils n'échapassent pas à cette dernière taxe, **il leur interdisait d'habiter la ville et les renvoyait dans leurs villages. Yazîd adopta une conduite analogue à l'égard des nord-africains devenus musulmans. Une autre décision concerna les Berbères qui composaient sa garde personnelle. Il leur annonça que chacun d'eux porterait désormais son nom tatoué sur la main droite et les mots : « Garde de Yazid » sur la gauche, selon la pratique adoptée par les rois chrétiens pour ceux qui les servaient. Cette décision humilia profondément les soldats berbères qui assinèrent Yazîd à la mosquée. Quelque grave que fût ce meurtre, ce n'était en somme qu'une explosion de colère provoquée par un gouverneur despotique et maladroit.** En-Nowaïri nous dit : **« Ils écrivirent aux calife Omeiyade pour lui déclarer qu'ils n'avaient pas renoncé à leur fidélité, mais que Yazîd les avait traités d'une manière outrageante devant Dieu et les Musulmans et qu'ils venaient de se remettre sous l'autorité de leur ancien gouverneur. Le calife leur fit une réponse par laquelle il désapprouva la conduite de Yazîd et confirma le choix qu'ils avaient fait »** (3).

Est-il besoin de commenter un texte aussi net ?

Nous sommes surpris que M. Julien reprenne à son compte les thèses trop connues sur l'invasion hilalienne.

Comment expliquer qu'il avance hardiment le chiffre d'un million d'envahisseurs lorsque son Histoire se garde prudemment de toute précision numérique ? La raison se refuse à admettre un chiffre aussi considérable, en égard aux difficultés techniques d'un tel transfert de population, aux ressources démographiques de l'époque et des pays en cause. On comprend, sur ce point, les réserves de M. Marçais : **« Combien étaient-ils ? On ne saurait le dire. Un contemporain estimait le nombre des combattants à 50.000 et le chiffre global à plus d'un million, évaluation sans doute fortement exagérée »** (4)

Le problème, pris dans sa généralité, a d'ailleurs fait l'objet d'une mise au point magistrale de la part de M. Braudel, professeur au Collège de France :

---

(1) « L'Afrique du Nord en marche » p. 290-291.

(2) « L'Afrique du Nord en marche » p. 291.

(3) G. Marçais : Histoire de la Berbérie musulmane, p. 45.

(4) G. Marçais : Histoire de la Berbérie musulmane, p. 194.

Le jeune musulman N°20,24 Avril 1953

-18- الملحق رقم

Alger - Républicain
10 Mars 1939

La question indigène

Faut-il mêler la religion à nos revendications?

Avant d'aborder un sujet aussi délicat, il est nécessaire de bien situer le problème afin d'éviter toute interprétation erronée. La religion proprement dite, la foi, les convictions de chacun ne sauraient être mises en cause ; nous reconnaissons et nous réclamons la liberté absolue de conscience. Cette réserve faite, nous ne serons que plus à l'aise pour examiner, le plus objectivement possible, les raisons pour lesquelles notre évolution doit être orientée en marge de la religion.

Nul ne peut nier la nécessité de l'union pour pouvoir réclamer, agir, puis obtenir satisfaction. D'aucuns pensent que, pour arriver à ce but, il est tout indiqué, et même indispensable, d'utiliser et de fortifier un lien déjà existant : la religion. Essayons donc de voir rapidement si c'est là un bon moyen d'unir pour l'action, s'il est efficace et préférable aux autres.

Il est de toute évidence que le terme « musulman », employé très souvent pour désigner la totalité des indigènes, ne répond pas à la réalité. Il est parmi ceux-ci des musulmans, des catholiques, des protestants, des libres-penseurs, etc... La qualité religieuse n'est heureusement pas requise pour prendre au titre d'indigène, d'Algérien, de Français. Par conséquent, poser le problème sous l'angle musulman, ce serait, volontairement ou non, exclure une partie de cette communauté que l'on voudrait justement unir. Remarquons, en passant qu'une grande proportion de non musulmans fait partie de ce que nous appelons l'élite. Ainsi les croyances diverses, les différentes conceptions d'une même croyance, font ressortir très nettement la fragilité du lien religieux comme facteur d'union et d'action.

Le danger que nous voulons signaler se manifeste encore plus nettement si l'on examine les effets de la religion — du moins telle qu'elle est pratiquée en général — sur le mouvement d'évolution de la masse. C'est, ici aussi, un [illegible] sur lequel il est inutile d'insister. Tous ceux qui se réclament du progrès ont à déplorer certaines croyances, certaines pratiques, certain rôle que joue la Mosquée — ou qu'on lui fait jouer. Ils constatent tous que cet état de choses est un sérieux obstacle à l'évolution. Comment, dès lors, oser parler en même temps de religion et d'émancipation ?

« Mais, direz-vous, nous voulons précisément rajeunir la religion, la réformer la rendre telle, qu'elle ne [illegible], non plus un obstacle, mais un instrument de progrès. » Votre [illegible] En tout cas, il y a à cela au moins un danger : celui de la division et des discordes. Les questions religieuses sont de celles qui se discutent avec le plus de passion. Vous risquerez de ressusciter, en Algérie, un phénomène que la France a connu, nous voulons dire les guerres de religion. Le mouvement réformiste entrepris, en Algérie, et l'excitation des esprits à laquelle, dès le début, il aura donné lieu, le montrent suffisamment.

Que la religion ait aussi son action, qu'elle ait besoin de se défendre, de s'organiser et d'essayer de s'étendre, c'est là son intérêt même et personne ne songe à lui contester ce droit. Mais on voudra bien convenir que ceci est une autre question, un terrain tout à fait étranger à l'[illegible] politique du peuple. Il est d'ailleurs de l'intérêt bien compris de la religion de rester prudemment sur son terrain propre, de [illegible] pas se jeter dans les batailles [illegible] [illegible] les revers de la politique. En somme, elle doit être une affaire strictement privée. Car il est essentiel de ne pas confondre le croyant et le citoyen.

Cette distinction est, en effet, capitale. Il suffit de jeter un coup d'œil sur les sociétés évoluées pour constater que toutes (y compris la Turquie) tendent vers la laïcisation. Elles ont assigné à la religion son rôle propre et vont jusqu'à la combattre lorsqu'elle tend à déborder sur le domaine public. Est-il besoin de rappeler la Révolution, les lois de séparation et l'œuvre éminemment laïque de Kemal Ataturk ? Celui-ci a, en particulier, dépouillé « l'église musulmane » de la charge de l'instruction ; il est allé jusqu'à adopter le code civil suisse...

En évoquant cette dernière mesure, on ne peut manquer de penser à ce problème d'une brûlante actualité : le fameux statut personnel...

Comme on le voit, la question que nous avons posée englobe et soulève elle-même beaucoup de vastes et importants problèmes, qu'il faudra résoudre tôt ou tard. Leur solution doit tendre à la véritable émancipation et intervenir en dehors de la religion. Restent les moyens d'y parvenir. Ce sera ceux que la raison seule dictera. En ne perdant pas de vue le but à atteindre, en agissant dans un esprit d'union et de concorde, il sera facile, dans notre pays, où beaucoup est encore à faire de trouver le terrain d'entente capable de rallier toutes les forces du progrès.

Larbi BRAIK.

L'article de notre jeune correspondant occasionnel appelle quelques précisions complémentaires.

1° L'union que nous préconisons ne concerne pas seulement les indigènes mais tous les Algériens, de toutes origines et confessions, et il est évident, dans ces conditions, que cette union ne saurait se faire au sein de la démocratie française que dans la laïcité, en dehors de toutes les religions.

D'ailleurs tous ceux qui ont suivi le mouvement religieux, en notre pays, et plus particulièrement celui, tout récent, des Oulémas, savent que les musulmans ne demandent qu'une chose pour leur religion : le droit commun, c'est-à-dire le même régime appliqué aux autres religions. La charte revendicative du Congrès musulman est catégorique à ce sujet : séparation de la Mosquée et de l'Etat, tout comme l'Eglise de l'Etat. Et ce n'est précisément que lorsque cette réforme sera réalisée qu'il sera vraiment possible de mettre la religion musulmane, qui est d'ordre privé, en dehors de la politique, qui, elle, est d'ordre général.

2° Les non musulmans ne devraient pas se croire compris dans le terme « musulmans » puisqu'ils ont cessé d'être religieux ou ont changé de confession. Si l'erreur persiste encore, elle est due à la confusion voulue par eux.

Ayant abandonné la religion musulmane, ils continuent cependant d'élever leurs filles et de se comporter à l'égard de leurs épouses exactement comme les autres musulmans ; ils se marient, divorcent, héritent et permettent la dévolution de leur héritage selon les principes islamiques ; bien que mangeant du porc et buvant du vin à table, ils s'offusquent, à quelques unités près, lorsqu'on les fait passer pour des non musulmans ; il n'hésitent pas, enfin, à briguer les suffrages des électeurs indigènes en s'engageant publiquement à défendre la religion mahométane [illegible] esprit de démagogie [illegible] [illegible].

Et comme, d'autre part, [illegible] politique, économique et social [illegible] tique à celui de la masse [illegible] la majorité — on ne saurait [illegible] ment formuler les mêmes revendications pour eux sous des vocables [illegible]. Qu'ils mettent donc fin à [illegible] qui dure et la question indigène [illegible] ra automatiquement d'un pas [illegible].

C.A.O.M. 15 H 3Alger Republican 10 mares 1939

الملحق رقم -19-

Le Jeune Musulman

Directeur-Gérant : Atallah SOUFARI
Administration-Rédaction
12, rue Pompée :-: ALGER
Téléphone : 278-17

1re ANNEE
— N° 5 —
PRIX : 20 francs

Vendredi 12 septembre 1952
———— 22 Dou el-Hadja 1371
Provisoirement bimensuel

Organe des jeunes de l'Association des Oulamas musulmans d'Algérie

Nos Intellectuels

C'est un fait remarquable en Algérie qu'une certaine classe intellectuelle se détache de plus en plus du fond du tableau. Et l'on se demande avec un peu de regret si la séparation ne sera pas trop nette entre le peuple d'une part, et sa jeunesse estudiantine de l'autre. Les peuples valent souvent ce que valent leurs générations montantes. Et l'on est tenté de scruter les sentiments que nourrissent envers notre peuple ceux-là mêmes qui portent ses plus grands espoirs.

Il est impossible de ne pas constater de prime abord que la culture « à sens unique » a été néfaste pour beaucoup d'esprits. Je veux dire surtout que les musulmans formés uniquement à l'école française doivent souffrir d'un complexe d'étrangeté au milieu de leurs propres familles. L'interruption précoce de la culture maternelle, et la greffe brutale d'un autre genre de penser et de sentir, crée forcément dans la conscience du sujet un certain ébranlement moral.

Il arrive souvent que l'étudiant, dressé contre les usages de sa famille, ne trouve l'aise que dans un triste isolement. Et peu à peu se dissolvent les attaches qui le tenaient lié aux habitudes et traditions de son milieu natal. Si bien qu'il ne se sentira plus capable un jour de comprendre ses frères et sa terre. Et bientôt c'est l'embourbement pour toute l'existence. Une existence faite d'automatisme, d'indifférence et d'apathie.

Cette longue analyse était nécessaire pour comprendre la genèse de ce mal terrible qui ronge certains jeunes intellectuels. Mais il ne faut pas se représenter ce mal avec la force d'une fatalité. Il tient évidemment beaucoup à la volonté de l'homme de s'accepter vaincu ou de réagir. Et la plupart de nos jeunes n'ont certainement pas réagi.

Ils ont choisi l'orgueil des « attitudes sidérales », selon un mot juste d'Emmanuel Mounier (1). Ils ont préféré se détacher de la terre qui les a nourris, du peuple qui les a élevés. Ils ont choisi l'inaction : une attitude à la fois stérile et condamnable. Ce sont les égarés : ceux-là mêmes que plaint le Qoran ! Peut-être se sont-ils persuadés que l'intelligence est lumière et que le peuple est tourbe, et que la lumière doive mépriser la tourbe ? Peut-être ont-ils cru que les mains blanches se souilleraient en serrant les mains calleuses ?

(Suite à la page 4).

L'Algérie est et restera arabe et musulmane

La première réalité qui s'impose à l'attention de tout observateur impartial, c'est que, malgré plus d'un siècle de colonisation, de législation à sens unique, véritable camisole de force où l'on tente d'enserrer toutes les facultés, toutes les possibilités de développement d'un peuple, l'Algérie est restée profondément arabe et musulmane. Arabe, elle l'est aujourd'hui comme il y a treize siècles, par son attachement indéfectible à une langue qui, au cours d'une longue carrière s'est identifiée à la pensée littéraire, philosophique et dogmatique de toute l'Afrique du Nord. Il suffit de rappeler, pour marquer ce que la pensée arabe doit à l'Afrique du Nord, et à l'Algérie en particulier, que de traités de grammaire, de théologie et des manuels de littérature, encore en honneur aujourd'hui dans les grandes universités d'Orient, sont dus à des auteurs algériens.

Peut être aussi n'est-il pas superflu, pour souligner combien certaines affinités ethniques ont joué à l'origine, de faire observer avec quelle facilité la langue arabe délogea en Afrique du Nord la plus grande langue de culture du monde, le latin, qui n'a jamais dû se sentir chez lui, malgré la présence d'un Apulée ou d'un saint Augustin. En vérité, depuis treize siècles, l'Algérie s'est identifiée à la pensée et à la cuture arabes. C'est dire les difficultés sinon l'impossibilité même aujourd'hui, après cent vingt ans de contact français, de dissocier l'Algérie du bloc linguistique arabe qui s'étend le long de la méditerranée depuis les colonnes d'Hercule jusqu'au golfe d'Alexandrette. Et je me demande si ce n'est pas une gageure de vouloir séparer linguistiquement l'Algérie du reste du monde arabe, quand les moyens de transmission de la pensée sont devenus si faciles et si rapides. Que peuvent les frontières douanières ou les barbelés de l'administration contre la volonté d'une peuple qui ne veut pas abdiquer sa personnalité et renier les liens culturels séculaires ? En fait, le renouveau linguistique et littéraire arabe en Algérie ne constitue pas un engouement passager, un enthousiasme fugitif ; il correspond à l'aspiration la plus profonde d'un peuple qui se reconnait dans sa langue et dont l'histoire s'identifie avec la sienne. Par delà les tendances religieuses ou politiques, par dessus les divergences et les particularismes locaux, s'il est un problème sur lequel l'unanimité s'est faite, tacitement et depuis toujours, c'est celui de la langue...

Face à ce sentiment profond, à cette unanimité spontanée de l'Algérie musulmane devant le problème de la langue, l'attitude de l'administration coloniale ne pouvait être que la lutte.

Cette lutte a revêtu en dehors de l'appui donné aux dialectes, deux aspects différents : la lutte directe par un ensemble imposant et cohérent de lois, décrets, arrêtés, circulaires, tendant à soumettre toute ouverture d'écoles coraniques aux enquêtes et aux tracasseries administratives et policières auxquelles bien peu arrivent à échapper.

Quand par un hasard miraculeux, le maître parvient à passer à travers le réseau serré des règlements, il doit, bon gré mal gré, se laisser recruter, pour subsister, dans les services des renseignements généraux concurremment avec le prêtre qui, par un processus parallèle, s'est fait l'auxiliaire précieux et bénévole de la police.

Le deuxième aspect de la lutte a consisté, en créant et en favorisant en apparence, un enseignement officiel de la langue et des sciences musulmanes, à les vider de tout contenu culturel, de toute substance éducative.

En assignant aux trois médersas d'Alger, de Constantine et de Tlemcen, la mission de former des fonctionnaires et des agents dévoués à la politique antimusulmane du Gouvernement Général, en imposant pardessus la tête des autorités universitaires, des programmes et des méthodes périmés, on condamnait ces établissements à

(Suite à la page 8).

Problèmes algériens

Pour un ISLAM libre dans une Algérie indépendante

« Pourquoi ne pas toucher de plus près à l'actualité ? »

Telle est la question que nous ont lancée de nombreux lecteurs, amis impatients.

Qu'entendent-ils par « actualité » ? si c'est la chose du *moment*, nous avons le sentiment de l'avoir serrée d'assez près, tenant compte de la nature de notre publication, organe des Jeunes de l'*Association des Oulamas*.

Le tirage ascensionnel des quatre premiers numéros du *Jeune Musulman* est déjà une preuve évidente de l'intérêt de l'immense majorité de nos lecteurs, pour les questions traitées.

L'étude sur l'action politico-religieuse des Pères blancs, que certains jugeaient « inactuelle », a trouvé, *à peine terminée*, une justification remarquable dans toute la presse mondiale.

Le Pape vient de décider le transfert du siège central des Pères blancs, de Maison-Carrée (Algérie) à Rome.

D'autre part, la radio du Vatican, à la mi-août, nous a informé de la constitution d'un *nouveau groupe de missionnaires* » se consacrant entièrement à l'Islam.

« *Ces missionnaires célèbreront la messe et réciteront le bréviaire en* langue arabe, *en adoptant l'un des rites orientaux..., organiseront des réunions publiques contradictoires, institueront des cours de religion par correspondance, ouvriront des écoles où l'enseignement chrétien sera donné dans la* langue du pays *et établiront des relations amicales avec les chefs musulmans.*

« *Exerçant leur apostolat en qualité de médecins et d'infirmiers, ils ne porteront* aucun vêtement religieux *de manière à pouvoir mieux pénétrer dans les régions encore fermées...* »(1)

N'est-ce pas là la confirmation éclatante de nos prévisions et de la justesse de notre mise en garde ?

En même temps qu'une attestation imprévue, mais incontestable, de *l'actualité* de notre chronique ?

o O o

Peut-être s'agit-il, dans l'esprit de nos correspondants, de l'actualité « brulante », c'est-à-dire de la *politique* ?

Par exemple, des problèmes tunisien et marocain devant l'Assemblée Générale de l'ONU, en octobre.

Mais y'a-t-il une question *purement* politique ? comme prétendent ceux qui ne sont pas sortis entièrement de l'infantilisme et veulent séparer arbitrairement la religion de la vie nationale et universelle.

Les impérialistes ne se gênent pas pour mentir, calomnier l'Islam et ses adeptes dans le but de justifier l'oppression nationale, politique, économique, religieux, culturelle, qui pèse sur les peuples coloniaux ou semi-indépendants.

Qu'on lise avec attention la réponse adressée au journal *Le Monde*, par le directeur des services de presse à l'Ambassade égyptienne à Paris, mise au point nécessaire pour stigmatiser la campagne diffamatoire d'une partie de la presse française.

Nous espérons qu'elle aidera certain ségarés à ouvrir les yeux sur la nécessité impérieuse de l'existence de nos *El Bassaïr* et *Jeune Musulman*, dans le combat idéologique contre l'impérialisme français et ses soutiens.

o O o

La campagne de dénigrement systématique déclenchée contre les peuples musulmans, dans le but de discréditer l'action diplomatique des pays arabo-asiatiques et de freiner la sympathie grandissante de l'opinion publique mondiale, nous la connaissons en Algérie depuis l'occupation française.

L'esprit de croisade n'a jamais cessé de se manifester, même losqu'il fait place à la haine colonialiste.

Les querelles religieuses, les divisions politiques qui provoquent des chocs sanglants en France, se transforment en Algérie en une union sacrée anti-musulmane.

Exemple typique : c'est un gouverneur francmaçon et anti-clérical, fils d'un pasteur protestant prussien, M. Steeg, qui, au lendemain de la première guerre mondiale, rendit à l'Archevêque catholique, le Palais des Princesses, d'où il avait été chassé, lors de l'application à l'Algérie de la loi française de séparation de l'Eglise et de l'Etat (jamais appliquée au culte musulman !).

Humilier le croissant devant la croix, dresser les non-musulmans contre la masse autochtone, présentée comme une grande foule fanatique et xénophobe, est une vieille tactique impérialiste.

Elle a porté ses fruits vénéreux...

Des Algériens d'origine juive, néo-Français au zèle intempestif, vont jusqu'à oublier qu'à l'époque où leurs coreligionnaires n'avaient pas le droit d'enterrer leurs morts en France, ce pays donnait asile aux persécutés, en respectant leur foi, leurs coutumes et en leur donnant la possibilité de tenir une place importante dans la vie économique.

Il en est heureusement qui n'oublient pas qu'avant l'invasion française, Alger comptait onze synagogues, un tribunal rabbinique ayant davantage de pouvoir que nos modernes mahakmas.

Le plus bel hommage rendu à l'hospitalité arabe et à la tolérance islamique, ne réside-t-il pas dans les « cantiques composés en *hébreu*, en signe de réjouissance après le siège infructueux d'Alger par Charles Quint en 1541-1543 et qui se chantent encore à la fête annuelle commémorative de cet événement » (2).

Le souvenir de la défaite de l'odieux monarque très-catholique est perpétué aussi dans une synogogue de la rue Sainte (où il y'en avait trois !) d'une façon particulièrement symbolique.

En montant sur la chaire, confectionnée avec les charpentes provenant des épaves des 14 caravelles de l'armada impériale, englouties dans la nuit du 24 octobre 1541, le rabbin ne manque pas d'évoquer la grande victoire de l'Islam et de l'Algérie, en piétinant ce qui matérialisait encore l'intolérance fanatique, sauvage, infernale du catholicisme et de l'Inquisition du sinistre mémoire.

Les captifs chrétiens, dont « la situation était moins misérable qu'on ne l'a prtendu », avaient dans leurs bagnes « une *chapelle* desservie par des aumôniers, un hôpital et une taverne ».

Par contre, sous la douce civilisation de la France chrétienne, *rien que pour Alger*, le nombre des édifices religieux est passé de 176 en 1830 à 48 en 1862 (9 grandes mosquées, 19 petites, 20 chapelles et zawiyas).

Les 128 édifices religieux *manquants* ont été, nous dit l'historien G. Yver (3), « renversés, transformés en églises, en casernes, en magasins militaires ».

Et en écuries !

Après la destruction et le pillage des mosquées, (les Vandales sont gens calomniés !), l'impérialisme français a volé les mosquées épargnées et les bien *habous* — (immeubles, maisons, jardins, domaines, etc), — qu'il détient encore à l'heure même !

Les desservants du culte, les plus honorables, les muphtis et imams, vénérés pour leur piété, leur savoir, leur probité, leur intransigeance patriotique furent chassés des mosquées par l'administration française, militaire ou civile.

Ils sont ravalés aujourd'hui à un rôle subalterne méprisé par le plus humble des fonctionnaires de l'administration coloniale.

Qu'on en juge par l'anecdote suivante :

Naguère, à l'occasion des réceptions officielles à la Préfecture d'Alger, l'huissier-chambellan avait une singulière façon d'annoncer les personnalités invitées.

Voici pour les autorités religieuses, l'ordre et la forme de l'appel :

(Suite à la page 7).

(1) La Dépêche Quotidienne, 16-8-52

(2) Marcel Cohen, « Le parler arabe des juifs d'Alger » p. 4 - Paris 1912.

(3) In Enc. de l'Islam. art. Alger.

Pour un ISLAM libre dans une ALGERIE indépendante

(Suite de la page 5).

« *Monseigneur* l'Archevêque d'Alger..

« *Monsieur* le Grand Rabbin...

« *Les* Muphtis...

Les représentants du culte musulman n'avaient pas droit au titre de « Messieurs » !

Et encore, si le concièrge de la Préfecture avait été poli, le pluriel demeurait vexant.

Il a fallut la protestation d'un membre de l'opposition de la municipalité Rozis, perdu dans la foule, pour obliger le Préfet à rectifier sa liste mondaine.

Mais cela n'a rien changé à *l'indignité* du muphti, assimilé à un vulgaire chaouch analphabète et ancien combattant du Maroc ou de Syrie... Le muphti lui-même est résigné, n'a aucun réflexe de noblesse ; il est tout entier décidé à défendre sa place... n'admet pas la liberté du culte ni l'application du statut de l'Algérie... il a peur qu'en perdant la protection des fonctionnaires du G.G. et de la police politique, il perdra en même temps son traitement, ses indemnités, ses avantages acquis...

Que personne ne songe à lui enlever... si sa fonction religieuse ne cache pas une activité de traître, condamnée par toute morale.

o O o

En vérité, l'exploit réussi dans la politique religieuse de l'impérialisme français, c'est la domestication des confréries religieuses.

Tout le monde sait que la France et la colonisation affectent d'honorer les grands chefs maraboutiques, les « amis loyaux » de la France.

Au moment où l'Egypte s'oriente vers une démocratie en supprimant les titres de Pachas et en préparant la réforme agraire, le gouvernement français promène son Bel Hamlaoui, comme l'amuseur public conduit son ours ou son singe...

Il a en (Belhamlaoui, pas le singe !), toute la presse esclavagiste. les honneurs de la première page dans *La Dépêche Quotidienne*, de son côté, lui a consacré des photos et des articles élogieux, comme « chef spirituel de deux millions de fidèles ».

Si le journal de la grosse colonisation avait un peu de pudeur, il aurait été plus circonspect. Car, il y'a moins d'un an, à l'occasion d'un numéro de music-hall ! au Casino d'Alger, la *Dépêche Quotidienne* vantait l'habileté d'un mystificateur professionnel, « insensible au tir des armes à feu » et rappelait ceci :

« C'est *Robert Houdin* qui, le premier, réalisa ce dangereux numéro qui coûta la vie à de nombreux artistes. Le gouvernement français, pour contrebalancer, en Algérie, l'influence des *marabouts fanatiques*, fit appel à lui en 1856 » (4).

En effet, le fameux illusionniste, nous raconte dans ses mémoires (5), comment, sur l'invitation officielle de M. de Neveu, chef du bureau politique du Gouvernement Général de l'Algérie, il remplit sa mission en donnant des spectacles de prestidigitation, pour discréditer les marabouts et détruire l'influence de la « baraka ».

A l'époque, les confréries religieuses jouaient en Algérie le rôle de nos modernes partis politiques. Elles étaient l'âme de la résistance à l'envahisseur.

Les marabouts n'étaient pas de vulgaires sorciers, ni des adjudants recruteurs de mercenaires allant porter le fer et le feu chez leurs frères en islam...

Ils étaient des musulmans fervents —malgré leur hérésie inconsciente — et des patriotes conscients, irréductiblement hostiles à la domination française.

Après avoir réussi à acheter la complicité dequelques traîtres, l'impérialisme français triompha des autres par la déportation, l'assassinat...

Ne pouvant détruire les confréries du dehors, le gouvernement français aiguisa les luttes intestines et pratiqua la tactique du cheval de Troie, en y introduisant comme Khouans initiés des officiers « convertis à l'Islam »...

Vidé de sa substance patriotique, le maraboutisme n'est plus qu'une école de superstitions et de dévotion, en même temps qu'une doctrine de soumission à l'impérialisme.

C'est une idéologie retardataire, prolongeant les pratiques païennes. Elle est liée à l'économie paysanne, entretenue par la crainte des calamités naturelles : sècheresse, sirocco, sauterelles, grêle, inondations, etc.

Elle est perpétuée par le régime colonial de misère et d'ignorance, ne permettant pas de dominer une nature capricieuse par les méthodes modernes de culture, mécanisation, engrais, prêts, assurances...

Surtout qu'on ne dise pas que nos fellahs sont hostiles au progrès, *par nature* ou par atavisme.

Le Monde, journal copieux et bien documenté, nous entretient régulièrement sur les pays français, leur psychologie, leur tournure d'esprit retardant sur l'économie, leurs superstitions.

Tout récemment, le même quotidien, nous informait par des enquêtes sérieuses opérées dans les régions frappées par l'épidémie de fièvre aphteuse que le paysan, citoyen respecté, ne recherche pas les services du vétérinaire. Il préfère s'adresser au guérisseur, au rebouteux ou au sorcier...

Et pendant ce temps, possédé par le diable que l'antique méthode d'exorcisme ne réussit plus à faire sortir, le cheptel bovin de la France f...t le camp !

o O o

Mais tout a une fin ; même la domination impérialiste française se désagrège et décline.

Après la Syrie et le Liban, le Viet-Nam...

Le tour de l'Afrique du Nord viendra *inexorablement.* Les peuples de Tunisie, du Maroc et de l'Algérie luttent pour hâter leur affranchissement.

De nouveau un immense espoir gonfle le cœur de tous les opprimés. La sympathie des peuples du monde entier renforce leur résolution...

L'orgueilleuse France « impériale » est obligée de plaider, non la légalité de sa souveraineté, mais la légitimité de sa *présence* dans nos pays.

Le Maroc et la Tunisie seront à l'ordre du jour de l'ONU, le mois prochain.

La politique coloniale de la France, crime contre l'humanité, y sera dénoncée avec vigueur, et mise à nue devant l'opinion publique internationale.

La vipère qui a, depuis des siècles, paralysé en partie la volonté de ses proies coloniales, risque de perdre ce qui lui reste encore de pouvoir d'hypnotisme.

Le plus grand mérite du débat international de Washington, c'est précisément, la condamnation morale de l'injustifiable oppression étrangère.

C'est en même temps, l'élévation de la conscience nationale et de la combativité de nos peuples pour la conquête d'une vie libre.

Car, en définitive, le véritable salut de la patrie réside, *d'abord !*, dans l'action, la sainte action du peuple.

La poursuite du combat anti-impérialiste au Viet-Nam et en Tunisie est particulièrement édifiante.

Nos frères de Tunisie nous donnent une leçon.

Malgré la répression effroyable, les arrestations, les déportations, les attentats fascistes, les « ratissages », les exécutions sommaires, etc.., la fermeté patriotique de l'ensemble du peuple est inébranlable.

L'unanimité nationale est réalisée d'une façon complète.

Du Bey au khammès, du bourgeois à l'ouvrier du fellah au chômeur, de l'intellectuel à l'écolier, de l'artisan au colporteur — et de la princesse à la paysanne ! — *tous* les Tunisiens, sans distinction d'origine sociale, ethnique ou de conviction politique, philosophique ou religieuse forment un bloc anti-colonialiste solide.

Avec cette magnifique union nationale, la victoire est certaine...

Si nos frères tunisiens poursuivent la lutte jusqu'au bout, sans reculer devant l'utilisation des moyens dont l'efficacité est éprouvée.

(à suivre)

Amar OUZEGANE.

---

(4) Dépêche Quotidienne du 17-10-1951.

(5) Robert Hondin - « Confidences et révélations. Comment on devient sorcier » pp. 356 et suiv., Blois, 1868.

الملحق رقم -20-

Le Jeune Musulman

Directeur-Gérant : Atallah SOUFARI
Administration-Rédaction
12, rue Pompée :-: ALGER
Téléphone : 278-17

1re ANNEE
N° 6
PRIX : 20 francs

Vendredi 26 septembre 1952
6 Moharem 1372
Provisoirement bimensuel

Organe des jeunes de l'Association des Oulamas musulmans d'Algérie

ANNEE 1372

Il y a 1371 ans, le Prophète (que Dieu répande sur lui ses bénédictions et lui accorde le salut) se rendant compte que son action était vaine parmi les siens, quittait secrètement sa ville natale, La Mecque, accompagné de son fidèle ami qui allait devenir son premier calife : Abou Bakr.

Après un voyage plein d'écueils, il faisait une entrée triomphale à Yathrib (qui est devenue depuis ce jour-là « Médinet Ennabi : la ville du Prophète ou Médine), escorté d'une imposante foule de croyants soulevés par l'enthousiasme le plus ardent.

« Cette heureuse issue du voyage de Mohammed, écrit Etienne Dinet, eut lieu un lundi, à midi, le douzième jour du mois de Rabiâ el Aouel. L'année pendant laquelle se produisit cette émigration, célèbre sous le nom de « Hidjra » (dont les européens ont fait « Hégire), a été adoptée par les Musulmans comme point de départ de leur ère. Elle correspond à l'an 622 de l'ère chrétienne.

On pourrait s'étonner d'un tel choix, au premier abord ; et pourtant aucun autre événement, dans l'existence du Prophète, n'eut une influence plus décisive pour le succès mondial de son œuvre. S'il était resté à Mekka, en admettant même son triomphe définitif, l'Islam y fût resté avec lui. Les Arabes de toute l'Arabie redoutant la puissance que l'Islam eût apportée aux seuls Quoraïches, se seraient coalisés pour l'empêcher de sortir de la Ville Sacrée. Tandis que, ayant d'abord, en dépit de toutes les rancunes, solidement implanté les racines de sa religion dans sa ville natale, il devint facile au Prophète d'y rentrer après avoir gagné les autres Arabes à sa cause.

Et ceci nous prouve combien impénétrables sont les desseins de la providence, et combien fréquemment les malheurs qu'elle nous envoie, et dont nous gémissons, deviennent la cause déterminante de nos succès. S'il n'avait pas été persécuté et exilé par les siens, le Prophète n'eût pu accomplir sa mission universelle, et la face du monde n'eût pas été illuminée par l'Islam. »

Au seuil de cette nouvelle année hégirienne, que nous souhaitons féconde en heureux événements pour les pays de l'Islam, nous présentons à nos frères dispersés dans les quatre coins du globe, nos meilleurs vœux de bonheur et de prospérité, dans l'union et la solidarité.

LE JEUNE MUSULMAN.

A la lumière du Coran et du Hadith

Fraternité, Solidarité Islamiques

A notre époque où les doctrines valent surtout ce que valent les hommes qui les supportent réellement, il serait vain de se glorifier d'appartenir à l'Islam, lorsqu'on n'assume aucune de ses valeurs.

L'Islam n'est pas uniquement cette religion qui séduit nos âmes et imprègne nos cœurs. Elle est une réalité vivante, et il convient de mesurer ses exigences autant que ses beautés. Eluder les premières et s'attacher aux secondes seulement, c'est pécher gravement contre la logique. Et c'est détruire sa propre qualité de Musulman.

Non ! L'Islam est autre chose qu'une définition superficielle. L'Islam nous apporte un message. Et nous devons nous demander si nous avons entendu ce message. Et si nous répondons à l'appel de son prophète et de ses héros. Car l'Islam est ce message et cet appel. L'Islam nous invite à le comprendre et à le vivre. Et ses préceptes et sa morale ne doivent pas être relégués dans l'ombre et considérés seulement comme une pieuse littérature.

Je n'oublierai jamais ce mot d'un camarade vietnamien auquel j'expliquais la nécessité de distinguer l'Islam des mauvais Musulmans : « L'Islam *c'est les Musulmans* », m'objecta-t-il ! A la réflexion je reconnus cette vérité. Cependant, si les Musulmans ne souhaitent pas que l'on définisse l'Islam par la conduite de ses adeptes, s'ils n'aiment pas que l'on abaisse une religion supérieure au niveau des hommes défaillants, qu'attendent-ils pour se hisser vers la lumière ? Qu'attendent-ils pour renoncer à leurs faiblesses, et démontrer que la grandeur de l'Islam est rehaussée par la grandeur morale des Musulmans ?

Car, tout système de valeur n'est à la rigueur qu'un ensemble de lettres mortes. Il lui faudra toute la volonté et le dévouement des hommes pour lui donner un visage de réalité. Un visage qui vous illumine et vous attire ; et un souffle qui vous entraîne.

Il faut compter beaucoup sur la bonne volonté des hommes. Le fataliste ne me persuaderait jamais que tout se passe en dépit de nos efforts et de nos décisions. Il ne me persuaderait jamais que les sombres moments que nous vivons sont comme une punition prédestinée, et que nos mains débiles n'ont aucune prise sur la roue de l'Histoire. Je protesterais que Dieu lui-même nous avertit : « Dieu ne change en rien l'état d'un peuple tant que ce dernier ne s'est

(*Suite à la page 7.*)

Abou DJAMIL TAHA.

L'alcoolisme fléau social

« O croyants, le vin, les jeux de hasard, les idôles, les flèches divinatoires sont d'exécrables inventions de Satan. Evitez-les, si vous voulez faire votre salut.

Satan se sert du vin et des jeux de hasard pour semer la discorde et l'inimitié parmi vous et vous distraire de vos devoirs envers Dieu. Allez-vous cesser ces pratiques ? »

(Coran S. V. ch. 92-93). Traduction Pesle-Tidjani.

Rien n'est plus réconfortant, dans cette période dominée par l'hystérie belliciste des impérialismes altérés de sang, que de suivre le travail pacifique et fécond des congrès scientifiques internationaux.

A Alger, transformée pour quelques jours en capitale internationale, s'est tenu le 19e Congrès de la géologie...

A Paris, où il y a un bistrot pour 67 habitants de plus de seize ans, s'est tenu le 24e Congrès international contre l'alcoolisme.

* * *

« La Dépêche Quotidienne » du 12-8-52 proteste.

Non pour se joindre aux efforts des médecins et des prêtres catholiques et protestants qui dénoncent le mal, mais pour faire le distinguo entre le vin et l'alcool...

Comme s'il n'était pas établi scientifi-

(*Suite à la page 6.*)

Amar OUZEGANE

PROBLÈMES ALGÉRIENS

(2) Pour un ISLAM libre dans une Algérie indépendante

Et aussi, à la condition que l'Algérie ne reste pas figée dans l'inaction, en croyant avoir fait son devoir de solidarité en multipliant les graffiti et en maudissant l'impérialisme français, notre ennemi commun.

Un observateur étranger, examinant avec un peu d'attention, la situation politique en Afrique du Nord, ne peut s'empêcher de faire une constatation surprenante.

Pourquoi, au lieu d créer un front unique de lutte contre le même ennemi, les trois pays frères combattent en ordre dispersé ?

Bien entendu nous devons tenir compte des difficultés qui découlent naturellement de certaines différences dans les trois pays : évolution inégale dans la structure, le mode de production, la répartition des couches sociales, le peuplement, l'histoire, les traditions, la formation intellectuelle, l'expérience et la force des partis, la maturité politique.

Aucun des trois pays vaincus n'a cessé de chercher, par tous les moyens à briser les chaînes qui le tiennent captif. Mais les coups portés à leur bourreau commun n'ont jamais été coordonnés ni dirigés en même temps.

Des ententes ont eu lieu entre des dirigeants d'organisations nord-africaines. La presse a parlé de l'accord réalisé au sommet. Mais les peuples n'ont pas été dans le secret. Et l'unité d'action est restée sur le papier...

Pendant ce temps l'impérialisme français continue à nous écraser tous, en pratiquant l'habileté tactique d'Horace contre les Curiaces.

o O o

La leçon vaut pour le débat à l'ONU.

Certains s'étonnent de ne pas voir l'affaire algérienne inscrite avec celles de la Tunisie et du Maroc. Au lieu d'exprimer des regrets inutiles, n'est-il pas plus intelligent de chercher à connaître les raisons de cette absence ?

Au point du vue juridique : sur la demande expresse de la France, l'Algérie est considérée comme une colonie spéciale de peuplement et *exclue* du domaine de l'application de la Charte des Nations-Unis. (J'ai lu l'information dans un traité de législation, mais je n'ai pas le document sous la main).

Sans être très versés dans la diplomatie, de nombreux Algériens ont remarqué l'itinéraire suivi en Afrique du Nord par les nombreux chargés de mission des Etats-Unis. Notamment celui de M. l'Adjoint au Département d'Etat pour l'Afrique et le Proche-Orient. Après avoir séjourné au Maroc, l'honorable M. Mac Ghee s'est envolé directement en Tunisie : l'Algérie, trois départements « français » n'existe plus sur la carte de l'Afrique, mais quelque part en Europe...

Si c'est vrai, en invoquant la Charte de San-Francisco, comme des sourds, nous étions, à l'époque, semblables au perroquet de l'histoire enfantine, continuant à répéter : « Jacquot est content ! », alors que ces jolies plumes flamboyaient au contact imprudent d'une flamme...

Au point de vue politique : sans négliger la base *légale*, nous devons nous convaincre qu'en définitive tout se réduit à une question de rapport de forces. Même si l'Algérie est nommée dans le document des Nations Unies, la question pourrait ne jamais être abordée si l'action du peuple ne l'imposait...

Comme d'autre part, son omission ou son interdiction — que la clause soit publique ou secrète — n'empêcherait pas sa discussion si la pression populaire est suffisante...

A la rigueur, il y a une solution facile. Elle repose sur une base juridique solide. Français *malgré nous*, nous sommes en droit de revendiquer la position de *minorité nationale* opprimée.

Et l'O.N.U. ne peut pas faire moins pour les Algériens que la défunte Société des Nations.

Car la S.D.N. n'a-t-elle pas reconnu le droit de *minorité nationale* aux *Musulmans* de Yougoslavie, alors que ces derniers sont des *Slaves authentiques* comme leurs compatriotes ?

En tout cas, ç'aurait été une excellente chose si l'ordre du jour de l'ONU englobait l'Algérie avec le Maroc et la Tunisie.

Mais est-ce que nous sommes en mesure de rattraper le temps perdu pendant la sieste estivale ?

o O o

Il n'est pas question de brûler les étapes.

Sachons ne demander à chaque époque que ce qu'elle peut nous donner.

La longue période de reflux que nous avons traversée — avec une certaine résignation — n'est-elle pas la conséquence inévitable et directe d'une sorte de surenchère électorale, engendrant avec l'échec et la déception, l'indifférence et le découragement ?

Ce n'est jamais perdre son temps que de commencer par débroussailler le terrain, brûler les mauvaises herbes et bien choisir la semence appropriée à la nature de chaque terre.

Ce sera la tâche du *Jeune Musulman* ; son ambition sera de remplir avec honneur le rôle exaltant de défricheur des cerveaux.

Cela ne nous empêche pas — au contraire — de bien fixer nos perspectives, en pensant déjà à la création d'un *front national pour l'indépendance de l'Algérie.*

Ce ne sera jamais trop tôt.

Car c'est une arme incomparable dont il faut étudier le mécanisme avec grand soin.

Elle doit être forgée avec les éléments nombreux, même apparemment réfractaires, mais qu'il faut souder dans un matérial résistant, indestructible, selon, en quelque sorte, la technique moderne de la métallurgie des poudres.

Pour cela, il faut connaître la nature des couches sociales à agglomérer, leurs qualités, leurs défauts, ce qui est favorable ou nuisible à l'unité du mouvement.

Il faut savoir apaiser les angoisses de certains, neutraliser l'action des autres, obtenir l'adhésion des hésitants.

En un mot, il faut élargir le plus possible le mouvement anti-colonialiste, en isolant l'ennemi.

Mais ce serait une grave erreur de croire que cette union se réalisera par la vertu de la seule propagande

C'est un stade que nous devons dépasser.

Pourquoi ne pas engager la lutte sur le plan économique, comme nous la menons sur d'autres plans ?

Par exemple, commencer par acheter *algérien*

Ou diviser notre plan d'action en deux ou trois étapes, la première étant la création d'une solidarité musulmane effective, dans le secteur commercial et industriel.

Notre puissance par le nombre s'enrichira d'un potentiel économique avec des horizons nouveaux.

Notre sympathie, notre alliance seront recherchées comme de précieux concours, notamment par les partisans de l'industrialisation, heureux de se débarasser de la minorité de gros propriétaires fonciers, dont la prépondérance est un frein au progrès.

Et pourquoi ne pas considérer l'action de la classe ouvrière et agricole pour de meilleures conditions de vie, pour la formation professionnelle, pour l'accès aux postes de maîtrise et de direction dans les entreprises, comme une affaire de la nation tout entière.

Et pourquoi ne pas s'unir dans l'aide à apporter à la masse des khammès, des fellahs pauvres, dans une grande organisation nationale sans-parti, ayant son mot à dire à côté de la C.G.A. et des S.A.R., en se préparant à la lutte pour une réforme agraire, en expropriant les gros colons aux mains blanches ?

Jusqu'ici, nous n'avons fait que piquer au talon l'impérialisme. Préparons-nous à le frapper à la tête.

Et au cœur !

FIN

Amar OUZEGANE.

Problèmes Algériens

LE BERBERISME

Doctrine réactionnaire de division impérialiste

Deux croiseurs « Arabe » et « Kabyle » ont été, récemment, livrés à New-York à la flotte française.

Ce n'est pas un banal fait-divers. Cela signifie le renforcement de notre oppression nationale. Par ce royal cadeau, le gouvernement américain entendait récompenser son vassal, le gouvernement français, pour l'inclusion de l'Algérie dans le Pacte atlantique.

Selon la logique impérialiste, l'Algérie n'a pas le droit de se constituer en Etat autonome ou indépendant. Alors qu'Israël est reconnu comme Etat par toutes les grandes puissances sans jamais avoir été une nation...

Laissons à nos hommes politiques compétents le soin d'en tirer les enseignements sur le plan international.

Notre rôle est ici plus modeste. Nous adressant à la jeunesse algérienne, plus particulièrement à la jeunesse musulmane, nous allons essayer de l'aider dans son combat pour la liberté et le bonheur, en éclairant sa route semée d'embûches et de traquenards.

Dans le brouillard impérialiste qui veut cacher les réalités algériennes, parmi les mensonges les plus monstrueux, la division des Algériens musulmans en bloc arabe et bloc kabyle est l'une des armes idéologiques les plus perfides et les plus funestes.

Rappelons quelques faits concrets.

L'élection de M. Iba-Zizen au conseil général d'Alger a été assurée, sans doute, selon la méthode Naegelen. Mais elle avait ceci de singulier : le plus actif des agents électoraux de ce candidat administratif fut, sans conteste, un chef connu de la confrérie *Alaouia*. Quand on sait que M. Iba-Zizen est un « *m'tourni* », ennemi déclaré de l'Islam, de la langue arabe et de la nationalité algérienne, on demeure ébahi de stupeur devant l'alliance immorale de deux fanatiques, l'un fils de Pères blancs, l'autre moqadem de la *tariqa* de feu Ben Allioua.

Le « matérialisme sordide » n'était peut-être pas l'élément décisif, car la campagne électorale avait pour stimulant le mot d'ordre réactionnaire : « Kabyles avant tout ! ».

Le phénomène n'est pas nouveau.

Jusque vers 1936, les élections d'Alger déchaînaient chaque fois ce qui survivait encore de haine fratricide, par l'opposition de la liste dite « arabe » à la liste dite « kabyle ».

Il n'y a pas bien longtemps, « l'Echo d'Alger » menait grand tapage sur une éventuelle scission dans une importante organisation nationale. A grand renfort de publicité, le journal colonialiste annonçait avec une satisfaction non camouflée, la constitution prochaine du « P.P.K. », un parti politique kabyle.

Heureusement pour nous, pour le mouvement national, il s'agissait en réalité d'un bobard policier. Il est clair que l'activité d'un parti politique essentiellement basé sur une homogénéité ethnique ou linguistique, toute relative, même avec une étiquette « révolutionnaire » n'aurait pas manqué de profiter davantage à *l'ennemi*, le seul intéressé à exploiter le désarroi des esprits et la dispersion des forces des colonisés.

Allons-nous oublier la structure donnée aux Délégations financières où la grosse colonisation dominait sans frein en opposant artificiellement les sections de non-colons, arabe et kabyle ?

Allons-nous oublier la tentative mort-née du cercle « berbère » que le gouvernement général voulait opposer au Nadi-Et-Taraqi (cercle du Progrès), qui de 1933 à 1937, fut le foyer d'un puissant mouvement *islahi* anti-colonialiste, impulsé avec succès par *l'Association des Oulama*.

Echouant sur la division ethnique, le gouvernement général transposa la manœuvre sur le plan religieux. Ce qui devait être le cercle « berbère » se transforma en cercle « maraboutique ». Faute d'adhérents ce fut aussi un échec.

Coïncidence réconfortante et symbolique : le local qui devait servir d'officine diabolique semant les microbes et la désunion entre Algériens musulmans est devenu un foyer d'où rayonne une fraternité sportive : c'est l'actuel cercle du Mouloudia Club Algérois.

(Suite page 6)

A la lumière du Coran

(Suite 1)

n'était alors qu'une arène où la force brutale s'exerçait dans les ténèbres. En Italie, le nom romain, ce nom d'une valeur si surfaite, avait perdu son ancien prestige ; le dernier fragment, la tête du colosse brisé. Rome, impatiente de n'être qu'une simple nécropole épiscopale, s'agitait dans son antique orgueil de cité essentiellement religieuse ; elle se préparait la papauté puissance temporelle, telle que devait la constituer, deux siècles plus tard, la politique de Charlemagne.

La Grèce, encore plus étrangère à son passé, servait de parure babillarde à l'Empire d'Orient. A l'Est, Scandinaves, Norvégiens, Danois se pressaient sur les pas des Goths, des Huns établis par violence ou par surprise en Thrace ,en Macédoine, en Lombardie, en Italie. Déjà apparaissaient, sortant à leur tour des profondeurs de l'Asie Central, ces Turcs qui, bientôt, resserreront l'Empire Grec dans les murailles de Constantinople. Le tableau si énergiquement tracé par Renan de la situation de l'Empire Romain au V^me siècle de l'ere chrétienne, n'a plus de rapport avec celui qu'on pourrait faire du vieux monde au VI^me siècle. Ce n'est plus de la pourriture césarienne qui fermente, c'est de la barbarie guerrière qui s'ébat et se vautre (Réf. les Apôtres, ch. XVIII).

« L'asie n'est pas plus calme que l'Europe... La Perse, mêlée aux affaires de l'Occident depuis, surtout l'expédition d'Alexandre de Macédoine, bataillait avec des Gréco-Romains de Constantinople, maîtres de l'Asie occidentale.

« En Afrique, ces mêmes Gréco-Romains, ramassis de soldats, de marchands, d'administrateurs recrutés un peu partout, continuaient d'exploiter l'Egypte agricole et laissaient se momifier la vieille Egypte savante. L'air était plein, partout, de vibrations farouches ; on comptait sur le mal plus qu'on ne se fiait au bien ; les esprits n'étaient pas à la mansuétude. »

x x x

« Cependant, au coin du monde restait étranger à ce mouvement, à cause de sa situation en dehors des routes suivies par les nations dites civilisées. La péninsule Arabique n'entendait que de loin en loin et très affaiblis, les plus forts éclats des tempêtes qui grondaient en Europe. Ses rapports avec l'Asie ne dépassaient pas la Perse, et encore, celle-ci ne lui était-elle connue que par l'annonce des victoires ou des défaites rendant et retirant tour à tour aux Empereurs de Constantinople une suzeraineté nominale sur quelques-unes des vallées les plus proches de la Syrie »

(Extraits de Jules La Beaume, annalyse du Coran). C'est devant un tel chaos, qui rappelle par bien des côtés notre époque, que le choix du Ciel a été porté sur tes pères. « Nous avons fait de vous une nation centrale (1) pour que vous serviez de témoins à tous les peuples. Votre témoin à vous sera le Prophète » (Coran, ch. D., verset 141, trad. Tidjani-Pesle).

(à suivre)

Abou-El-Abbas Ettijani.

Le jeune musulman N°1, 6 juin 1952

LE BERBERISME

(Suite 5)

Mais en nous dressant avec la dernière énergie contre son exploitation à des fins esclavagistes, impérialistes et anti-nationales, nous ne nions pas l'existence d'un sentiment légitime d'attachement à son pays natal, à sa langue maternelle, à son héritage culturel, le *régionalisme* kabyle. Nous risquerions alors de laisser se cristalliser une sorte de chauvinisme séparatiste et de provoquer aussi une rupture à rebours.

C'est ce qui arriva sous le régime de Vichy, au camp de Djenien-Bou-Rezz, à la suite d'une interprétation erronée fournie par un « cheikh » ignorant la tolérance incomparable de l'Islam et les raisons de son expansion rapide et définitive en Afrique du Nord.

Ce personnage jouissait auprès de certains internés d'un prestige immense. Il prétendait avoir séjourné *sept ans* à l'Université d'Al-Azhar. Sur la demande de nombreux Kabyles (internés pour avoir protesté contre l'absence de ravitaillement) le cheikh accepta d'être leur imam. Après la prière, il prononçait la *khotba* en arabe... littéraire !

Malgré leur bonne volonté aiguisée par une foi islamique fervente, nos vieux montagnards ne parvenaient pas à comprendre grand'chose aux sermons prononcés en arabe littéraire.

C'est pourquoi, ils désignèrent un des leurs, lettré en arabe, pour leur expliquer les paroles divines dans leur dialecte berbère. Mais le cheikh, importuné par une traduction qu'il ne pouvait suivre, se mit en colère et se lança dans un violent réquisitoire contre les « faux musulmans qui ne comprenaient pas la langue noble ».

Comme si les Musulmans de l'Inde, de la Chine, d'Iran, de Turquie, ou de Boukhara devaient forcément parler arabe.

En homme sensé, le cheikh aurait dû réfléchir sur les méfaits du colonialisme, développant l'analphabétisme par la fermeture des médersas, des zaouias, des écoles coraniques. D'ailleurs, il n'ignorait pas que le directeur du camp avait là-bas interdit les cours d'arabe et de français organisés par les internés.

Au contraire, la conclusion de son discours fut aussi stupide que déconcertante : « Lorsqu'il y aura un gouvernement musulman ,il coupera la tête à qui parlera une autre langue que l'arabe ».

Blessés et humiliés, les vieux Kabyles quittèrent le cheikh ignare et sectaire sans le saluer. Restant le dernier un villageois d'Acif - el - Hammam s'adressa en kabyle au traducteur : « Dis au cheikh s'il faudra un interprète pour parler avec ma grand'mère ? ».

L'incident fut porté à la connaissance des autres internés kabyles. Le mécontentement fut tel qu'il donna naissance à la formation d'un bloc qu'on surnomma avec humour la « République du Djurdjura ».

Il a fallu des trésors de patience et d'explications pour les convaincre que le cheikh était... un âne. Même après un septennat d'Université !

Quelques temps après, une action vigoureuse fut menée avec succès contre le directeur De Ricko pour lui imposer le respect des obligations du Ramadhan (repas de minuit, recul de l'extinction des feux, appel à la prière, etc..) Cela finissait de cimenter l'union de tous les Musulmans sans distinction d'origine ni de tendance politique.

Signalons en passant que ce mouvement, *exclusivement religieux* reçut l'appui des autres internés, Européens comme Juifs, embryon préfigurant l'actuel Front algérien qui devrait être déjà un outil efficace pour le mouvement national.

Cette anecdote qu'il faut apprécier avec sérieux nous fait une obligation d'examiner la question du « berbérisme » avec franchise, courage et lucidité, comme un des aspects de l'originalité de la nation algérienne.

Ce problème complexe n'a jamais été étudié à fond, ni même abordé de notre côté, d'un point de vue progressiste.

Car de l'autre côté de la barricade le colonialisme n'a jamais cessé de prôner le berbérisme, non comme un problème linguistique et culturel — *ce qu'il est en réalité* — mais comme une idéologie rétrograde, anti-arabe, anti-musulmane et anti-nationale.

Voici pour conclure cette longue introduction, basée sur le simple exposé des faits, un dernier exemple.

Le professeur Le Tourneau a fait, le 2 mai dernier, au cercle franco-musulman (sic), une conférence sur « *Une insurrection berbère au Xme siècle : la révolte d'Abou-Yazid* ».

Le choix d'un tel sujet indique nettement la diversion politique qu'on poursuit derrière une étude historique, savante et apparemment objective.

En rappelant la vie d'Abou-Yazid, on est obligé de monter en épingle l'hérésie kharédjite et les luttes intestines qui ont menacé l'unité de l'Islam en Afrique du Nord.

Cette causerie a dû remplir d'aise ceux qui rêvent de faire marcher l'Histoire à reculons en faisant de l'Algérie un pays latin et en arrachant les Berbères à ce qu'ils appellent calomnieusement la « geôle de l'Islam ».

Que l'éminent professeur de la Faculté d'Alger veuille bien nous comprendre. Que penserait-il d'un savant historien qui, dans une France profanée par l'occupation nazie, aurait eu l'idée d'entretenir les Français sur la *Croisade contre les Albigeois* ou sur la *Saint-Barthélémy* ?

En insistant particulièrement sur l'aventure d'Abou-Azyd qui est mort, il y a *mille ans !* la tête coupée et le corps empaillé (Paix à ses cendres !) les spécialistes des A.M.M. ne veulent-ils pas ajouter une corde à leur arc en envenimant par des querelles byzantines nos excellents rapports avec nos frères mozabites ?

L'hostilité inventée et entretenue chez les Touareg contre les commerçants du rite ibadite ne pourra jamais plus se répandre en Algérie. L'expérience tentée naguère dans la ville de Constantine a démontrée par son échec que notre peuple ne se laissera pas prendre au piège impérialiste...

Nous vivons dans la seconde moitie du XXme siècle. La jeunesse algérienne regarde l'avenir avec confiance. Elle est l'héritière d'un glorieux passé. Elle veut puiser dans son riche patrimoine commun, non ce qui divise, dégrade et pousse au désespoir, mais ce qui unit, exalte et féconde son combat difficile pour débarrasser la patrie algérienne de la souillure du colonialisme contemporain.

En ce joli mois de mai 1952 nous saluons la jeunesse du Pakistan, de l'Inde, de l'Indonésie, de la Syrie, du Liban etc... qui fête dans la joie leur entrée dans le monde des nations libres. Mais notre cœur saigne encore au souvenir douloureux de la semaine sanglante de 1945.

Par les bombes des croiseurs et des avions, par la fusillade, le bûcher, les fours à chaux, les bourreaux colonialistes ont massacré, par dizaines de milliers des enfants, des femmes, des vieillards.

L'impérialisme français n'a pas fait de différence entre ses victimes innocentes, qu'elles soient « berbérophones », arabophones » ou bilingues.

Et si les messieurs distingués du Cercle franco-musulman tiennent tant aux histoires d'insurgés « berbères » nous leur suggérons comme sujet, l'épopée moderne d'un héros de légende : El Hadj Mohammed *El Moqrani*, le chef de l'insurrection de 1871.

Après avoir dirigé plus de 400 combats à la tête d'une armée de 200.000 musulmans algériens, Kabyles et Arabes animés d'une foi commune, islamique et patriotique. Moqrani est tombé le 5 mai 1871, sur la rive droite de l'Oued Soufflat.

Une balle traîtresse l'a frappé en plein front au moment précis o il terminait la prière du *dohor*.

C'était un ancien bachagha ? Peu importe !

C'était un Kabyle ? Peu importe encore !

Pour l'Algérie opprimée, c'était un révolutionnaire anti-impérialiste.

C'était un grand capitaine.

C'était aussi un musulman d'élite : un *moudjahid*.

Amar OUZEGANE.

الفهـــــارس

فهرس الشخصيات

أ

ب

ت

ج

ح

خ

د

ر

ز

س

ش

ط

ع

ف

ق

ك

ل

م

ن

هـ

و

ي

فهرس الأماكن:

أ

ب

ت

فهرس الجمعيات و النوادي و التنظيمات

ح

خ

ر

س

ص

ف

ك

م

ن

هـ

و

فهرس المحتويات :

الفصل الثالث :المسألة الثقافية من منظور الاتجاه الاستقلالي

الفصل الرابع :الاتجاه الشيوعي و المسألة الثقافية